﴿ فهرس الجزء الثاني من كتاب الاداب الشرعية ، والمنح المرعية ﴾

صحيفة

﴿ تم الفهرس ويليه الخطأ والصواب ﴾

جدول تصويب الخطأ المطبعي في هذا الجزء فينبغي أن يصحح بالقلم

صحيفه	سطر	خطأ	الصواب
٦	٣	حماش	حماس
٦	٦	رسو	رسول
٨	٦	لي	بي
٩	١٠	أذاه	آذاه
١٢	»	ذكره	ذكر
»	١٥	يرينك	يزينك
١٣	١٠	وأشد بيانا	وشدة بياض
١٤	٤		اذا افتخر الاقوام يوما بسيد فقبه لنا والحمد لله مفخر
»	١٣	رفع	دفع
١٥	١٥	بن توبة	أبو توبة
٣١	١	لها	الله لها
٣٥	١١	بينها	بينهما
٣٨	١٥	العنق	العتيق
٤١	٧	لهم نية	لهم فيه نية
٤٢	٣	المغافقي	الغافقي
٤٦	٢	عبدالله بن مرة	عمرو بن مرة
٤٧	١٤	قال ابو حنيفة	قال قال لي أبو حنيفة
٤٨	١٥	تركه	تركه واعتذر في تركه
٤٩	٨	احتال	احتاج
٥١	١٢	فانه	فانها
٥٥	١١	ابنه	ابنيه
٥٩	٩	البطالين	المبطلين
٦٢	١٢	أحمد بن مروان	أحمد بن محمد بن ثوبان

صحيفه	سطر	خطأ	الصواب
٦٤	٩	حديث	تفسير حديث
٧٢	١٢	أماؤكم	أمناؤكم
٧٣	١٠	عمرو	عمر
٧٥	١٨	حدثني	قلت حدثني
٧٧	١٤	وعن شبرمة	وعن ابن شبرمة
٧٩	٤	عن عمر	عن ابن عمر
٨١	٦	متبوعهم	متبوعيهم
٨٤	١	فوصف	فوصفت
٨٥	١١	أبي عتيق	ابن أبي عتيق
٩١	١٦	ويقال ابن زيد	
٩٩	٩	الفحد	الفحش
١٠١	١٤	بن ثنا فارس	بن فارس ثنا
١٠٦	٩	مرفوع	مرفوعا « اللهم
«	١٢	اعنى	عنى
١٠٧	٣	ولانهما	ولأنها
١١٢	١٨	الطلب	الطب
١١٣	١٢	بن بكر	بن أبي بكر
١١٨	١	يحفظه	تحفظه
١٢٨	١١	ينصت	فلم ينصت
١٣٠	٤	ي شي	أي شيء
١٣١	١٣	الا	عالا
١٤٧	١٥	أرى	رأي
١٦٢	١٨	كرام	إكرام
١٧١	١٦	فشق	فشتق
١٨٦	١١	أ	أبي
٢١٤	٢	ياأيتها	ياأيها

صحيفه	سطر	خطأ	الصواب
٢٢٢	١٩	إذا	إن
٢٣٨	١٠	حتى إنك تستحي	إنك تستحي حتى
٢٤٧	١٣	وقال أحمد	و قال محمد
٢٥٢	٧	إذ زادت	إذا زادت
٢٥٩			الخط الذي وضع فوق السطر ١٦ يجب وضعه فوق الـ ١٧ الذي بعده لأنه للحاشية
٢٦٢	٤	كزادراكب	كزاد الراكب
٢٦٩	١٥	والتحريم اختيار	والتحريم مطلقا اختيار
٣٣٧	٧	التعوز	التعوذ
٣٤٢	٨	النارلهم	لهم النار
٣٥٨	١١	ض	يعرض
٤٣٩	١٢	اللدغرة	الدغرة
٤٤٩	١٧	الثريدا	الثريد
٤٤٩	٦	أدم	إدام
٤٥٠	٢	لذي	بالذي
٤٨٢	٢	فبا شاء	فيما شاء

(بيان الصواب لما وقع من تصحيف وتحريف في حواشي هذا الجزء)

في السطر ٢ صفحة ١ من الحاشية: للمجنون وفي س ٢ ص ١٩ لهما وفي س ٤ ص ٣٣ قالها في مرض . وفي س ٣ ص ٤٨ أحدهما وفي س ٢ ص ١٢٣ العمدة وفي س ١ ص ١٩٣ اشكو « وزيادة الألف فيها رسم المصحف » وفي س ١ ص ٢٢٩ هذه . وفي س ٥ ص ٢٨٨ وكون وفي س ٢ ص ٢٩٥ ما دخل عليهم وفي س ٥ ص ٢٩٩ وأتم . وفي س ٥ ص ٣٠٥ ليال وفي س ٤ ص ٣٤٧ على وفي س ٥ منها جائز وفي س ١ ص ٣٦٩ يمضغ و في س ٤ ص ٣٨٨ العربي وفي س ٣ ص ٤٥١ يمتعون وفي س ٢ ص ٤٥٥ فقير

الآداب الشرعية

والمنح المرعية

تأليف

الإمام العالم العلامة

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته

الجزء الثاني

أشرف على تصحيحه، وعلق عليه بعض الحواشي

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

مطبعة المنار بمصر

شارع الإنشاء رقم ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

في حسن الملكة وسوء الملكة

في الصحيحين أو في الصحيح(١) عن النبي ﷺ أنه قال «لا يدخل الجنة سيء الملكة » وهو الذي يسيء الى مماليكه وكان يقال التسلط على المملوك دناءة ، وقال بعض الحكماء : اذكر عند قدرتك وغضبك قدرة الله عليك ، وعند حكمك حكم الله فيك ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أكثروا اشراء الرقيق فرب عبد يكون أكثر مالا من سيده، وقال بعض الحكماء: افضل المماليك الصغار لانهم احسن طاعة واقل خلافا واسرع قبولا ، كان يقال استخدم الصغير حتى يكبر ، والاعجمي حتى يفصح ، قالت ابنة الفتح

يطرتم فطرتم والمصازجر من عصى وتقويم عبد الهون بالهون رادع

كان يقال الحر حر وإن مسه الضر ، والعبد عبد وان مشى على الدر ، وقال الشاعر

ان العبيد إذا ذللتهم صلحوا على الهوان وان اكرمتهم فسدوا

---

(١) لم أجده فى الصحيحين وعزاه السيوطي فى الجامع الصغير إلى الترمذي وابن ماجه وأشار إلى حسنه ولكن الترمذى قال إنه غريب وإن الناس تكلموا في فرقد السبخي راويه من جهة حفظه . وقال في التهذيب إنه صدوق لكنه كثير الخطأ .

وقال المتنبي

لا تشتروا (١) العبد إلا والعصا معه ... ان العبيد لانجاس مناكيد

وقال آخر

إذا أبرم المولى بخدمة عبده ... تجنى له ذنبا وان لم يكن ذنب

وعن علي رضي الله عنه انه قال يارسول الله : اذا بعثتني أكون كالسكة المحماة أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب؟ قال « الشاهد يرى مالا يرى الغائب رواه » أحمد في المسند

فصل

في الانفاق على الاخوان وسؤال بعضهم لبعض

قال ابن وهب انفق ربيعة على اخوانه أربعين ألف دينار ثم كان بعد يسأل إخوانه في اخوانه، وقال المروذي: قال ابن وهب سمعت بشر بن الحارث يقول : ولقد جاءني صديق لي وعندي عشرون درهما فأعطيته تسعة عشر درهما وبقيت لنفسي درهما، فقيهم اليوم من يفعل هذا بصاحبه ؟ (٢)

---

(١) الرواية المشهورة : لا تشتر بالمفرد

(٢) نعم أن الخير لا ينقطع من هذه الأمة ولكنه كان في السلف أكثر. حدثني شيخنا قال جاءني أخ في أول الشهر وراتبه في جيبي فقال مات والدي وليس معي ما أجهزه به ، فاعطيته الراتب كله وأنا لا أملك غيره للنفقة على العيال ونحن في دار غربه ولكن الله سخرلي عقب ذلك رجلا في بلادنا كان لي عنده دين منذ سنين يكاد يكون ميؤساً منه فأرسل حوالة برقية به (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)

وأبلغ من هذا ماقال هارون المستملي : لقيت أحمد فقلت ماعندنا شيء فاعطاني خمسة دراهم وقال ماعندنا غيرها وقال يحيي بن هلال الوراق: جئت الى محمد بن عبد الله بن نمير فشكوت اليه فاخرج أربعة دراهم أو خمسة وقال هذا نصف ماأملك،وجئت مرة إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل فاخرج إلي أربعة دراهم وقال هذا جميع ماأملك

فصل

في الادب والتواضع ومكارم الاخلاق وحظ الامام أحمدمنها

روى الخلال ان أحمد جاء الى وكيع وعنده جماعة من الكوفيين فجلس بين يديه من أدبه وتواضعه. فقيل ياأبا عبد الله ان الشيخ ليكرمك فمالك لاتتكلم؟ فقال وان كان يكرمني فينبغي لي ان اجله، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : مااستاذنت قط على محدث كنت انتظاره حتى يخرج الي، وتاولت قوله تعالى (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) وقال المروذي كان أبو عبد الله لايجهل (١) وان جهل عليه احتمل وحلم ويقول يكفيني الله، ولم يكن بالحقود ولا العجول، ولقد وقع بين عمه وجيرانه منازعة فكانوا يجيئون الى أبي عبد الله فلا يظهر لهم ميله الى عمه ولا يغضب لعمه ويلقاهم بما يعرفونه من الكرامة، وكان أبو عبدالله كثير التواضع يحب الفقراء ،لم أر الفقير في مجلس أحد أعز منه في مجلسه،

---

١) أي لا يسفه على أحد

مائل اليهم مقصر عن أهل الدنيا ، تعلوه السكينة والوقار، اذا جلس في مجلسه بعد العصر لم يتكلم حتى يسأل ،واذا خرج إلى مجلسه لم يتصدر، يقعد حيث انتهى به المجلس،وكان لا يقطن الاماكن ويكره ايطانها ، وكان اذا انتهى الى مجلس قوم جلس حيث انتهى به المجلس،وصحبته في السفر والحضر. وكان حسن الخلق دائم البشر لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، وكان يحب في الله ويبغض في الله، وكان اذا احب رجلا أحب له مايحب لنفسه وكره له مايكره لنفسه، ولم يمنعه حبه له أن يأخذ على يديه ويكفه عن ظلم أو اثم أو مكروه ان كان منه، وكان اذا بلغه عن رجل صلاح أو زهد أو اتباع الاثر سأل عنه وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة.وكان رجلا وطيئا اذا كان حديث لا يرضاه اضطرب لذلك وتبين التغيير في وجهه غضبا لله ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها فاذا كان في أمر من الدين اشتد غضبه له ،وكان أبو عبد الله حسن الجوار يؤذى فيصبر ويحتمل الاذى من الجيران

وقال اسحاق بن ابراهيم بن يونس رأيت أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقد صلى الغداة فدخل منزله وقال لا تتبعوني مرة أخرى،وكان يمشي وحده متواضعا ،وقال ابن هاني رأيت أبا عبد الله اذا لقي امرأتين في الطريق وكان طريقه بينهما وقف ولم يمر حتى يجوزا

وعن أسيد الانصاري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء

«استأخرن فانه ليس لكن ان تحققن الطريق ، عليكن بحافات الطريق » فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى ان ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقها به» رواه أبو داود من رواية شداد بن أبي عمرو بن حماش تفرد عنه أبو اليمان الرحال المدني وقد وثقه بن حبان، قال في النهاية هو أن يركبن حقها وهو وسطها يقال سقط على حاق القفا وحقه

وعن ابن عمر أن رسو الله ﷺ نهى أن يمشي الرجل بين المرأتين رواه أبو داود والخلال من رواية داود بن أبي صالح ، قال أبو زرعة لا أعرفه الا بهذا الخبر، وهو منكر وقال البخاري لا يتابع عليه. وقال ابراهيم الحربي كان أحمد بن حنبل كأنه رجل قد وفق للأدب ، وسدد بالحلم، وملىء بالعلم، أتاه رجل يوما فقال عندك كتاب زندقة ؟ فسكت ساعة ثم قال انما يحرز المؤمن قبره

وقال الخلال : ثنا اسحاق بن ابراهيم يعني المعروف بلولو قال حضر مجلس أبي عبد الله كبش الزنادقة فقلت له أي عدو الله أنت في مجلس أبي عبد الله ما تصنع ؟ فسمعني احمد فقال مالك ؟ فقلت هذا عدو الله كبش الزنادقة قد حضر المجلس، فقال من أمركم بهذا؟ عمن أخذتم هذا؟ دعوا الناس يأخذون العلم وينصرفون لعل الله ينفعهم به . ذكره ابن الاخضر في ترجمته وقد تقدم ذكره

وقال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد المنادي سمعت جدي يقول : كان ابو عبد الله من أحيا الناس ، وأكرمهم نفساً

وأحسنهم عشرة وأدبا ، كثير الاطراق والغض ، معرضا عن القبيح واللغو ، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث والرجال والطرق وذكر الصالحين والزهاد، في وقار وسكون ولفظ حسن ، واذا لقيه انسان بش به وأقبل عليه ، وكان يتواضع تواضعا شديداً، وكانوا يكرمونه ويعظمونه ويحبونه

وقال الطبراني : كنا في مجلس أبي موسى بشر بن موسى يعني ابن صالح بن شيخ بن عميرة الاسدي ومعنا ابو العباس بن سريج الفقيه القاضي فخاضوا في ذكر محمد بن جرير الطبري وانه لم يدخل ذكر احمد بن حنبل في كتابه الذي ألفه في اختلاف الفقهاء . فقال ابو العباس بن سريج وهل أصول الفقه الا ماكان يحسنه احمد بن حنبل؟ حفظ آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعرفة بسنته. واختلاف الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

وقال الحسن بن احمد بن الليث الرازي كنت في مجلس أبي عبد الله احمد بن حنبل فقام اليه رجل من أهل الرأي يقال له بشر فقال يا أبا عبد الله عندنا شاب بالري يقال له ابو زرعة نكتب عنه ؟ فنظر احمد اليه كالمنكر لقوله شاب فقال: نعم الثقة المأمون أعلى الله كعبه ، نصره الله على أعدائه. فلما قدمت الري أخبرت أبا زرعة فاستعبر وقال والله اني لأكون في الامر العظيم من اذى الجهمية فأتوقع الفرج بدعاء أبي عبدالله

وقال المروذى سمعت أبا عبد الله يقول : قد جاءني ابو علي بن يحيى ابن خاقان فقال لي ان كتابا جاء فيه إن أمير المؤمنين يعني المتوكل يقرئك السلام ويقول انك لو سلم أحد من الناس سلمت أنت ، ههنا رجل قد

رفع عليك وهو في أيدينا محبوس-رفع عليك أن علويا قد توجه من أرض خراسان وقد بعثت برجل من أصحابك يتلقاه(١)فان شئت ضربته وإن شئت حبسته ، وإن شئت بعثته اليك ، قال ابو عبد الله فقلت له ماأعرف مما قال شيئا وأرى أن تطلقوه ولا تعرضوا له . وقال لما سير عامر بن عبد قيس الى الشام اجتمعوا عليه وحوله بالمربد فقال اني داع فأمنوا ثم قال اللهم من سعى لي فأكثر ماله وولده وأطل عمره واجعله موطأ العقبين

وقال المروذى أخبرت أبا عبد الله عن رجل سفيه يتكلم ويؤذى؟ قال لاتعرضوا له انه من لم يقر بقليل مايأتى به السفيه أقر بالكثير

وروى الخلال عن أبى جعفر الخطمي عن جده عمرو بن حبيب وكانت له صحبة انه أوصى بنيه فقال إياكم ومجالسة السفهاء فان مجالستهم داء وانه من لم يقر بقليل مايأتى به السفيه يقر بالكثير . قال ابن الجوزى قالت الحكماء السفه نباح الانسان وقال الشاعر :

* ومن يعض الكلب إن عضا *

وأنت ترى السبع اذا مر به السباع في السوق كيف تنبحه الكلاب وتقرب منه ولا يلتفت ولا يعدها شيئا اذ لو التفت كان نظيرا ، ومتى أمسك عن الجاهل عاد ما عنده من العقل موبخا له على قبح ما أتى به ، وأقبل عليه الخلق لاعين له على سوء أدبه في حق من لا يجيبه وقد قال الشاعر

(١) المراد من هذه السعاية أن أحمد يساعد العلويين على سلب الخلافة من بني العباس

وأغيظ من ناداك من لا تجيبه

وما ندم حليم ولا ساكت وانما يندم المقدم على المقابلة والناطق فان شئت فاحتسب سكوتك عن السفيه أجرا لك ، وان شئت فاعدده احترازا من أن تقع في اثم ، وان شئت كان احتقارا له ، وان شئت كان سكوتك سببا لمعارضة الناس لك، وان تلمحت القدر علمت أنه ما يسلط إلا مسلط فرأيت الفعل من غيره اما عقوبة واما مثوبة

وروى أبو داود حدثنا عيسى بن حماد أنبأنا الليث عن سعيد المقبري عن بشير بن المحرز عن سعيد بن المسيب أنه قال بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه اصحابه وقع رجل في أبي بكر، فآذاه فصمت عنه أبو بكر ، ثم أذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة فانتصر منه أبو بكر فقام رسول الله حين انتصر ابو بكر، فقال أبو بكر اوجدت علي يارسول الله ؟ فقال النبي ﷺ «نزل ملك من السماء يكذبه لما قال لك فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكن لاجلس اذا وقع الشيطان» ثنا عبد الاعلى ابن حماد ثنا سفيان عن ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة أن رجلا كان يسب أبا بكر وساق نحوه، قال أبو داود وكذلك رواه صفوان بن عيسى عن ابن عجلان كما قال سفيان اسناد جيد والذي قبله من مراسيل سعيد بن المسيب. وبشير تفرد عنه المقبري

ثم روى أبو داود في هذا الباب وهو (باب الانتصار) عن عبيد بن معاذ والقواريري عن معاذ بن معاذ ثنا ابن عون قال كنت أسأل عن الانتصار (ولمن

انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) فحدثني علي بن يزيد بن جدعان عن أم محمد امرأة أبيه قال ابن عون وزعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين قالت قالت أم المؤمنين دخل علي رسول الله ﷺ وعندنا زينب بنت جحش فجعل يصنع شيئا بيده فقلت بيده حتى فطنته لها فامسك فأقبلت زينب تقحم لعائشة فأبت أن تنتهي فقال لعائشة « سبيها » فغلبتها فانطلقت زينب الى علي فقالت ان عائشه وقعت بكم وفعلت فجاءت فاطمة فقال لها « انها حبة ابيك ورب الكعبة » فانصرفت فقالت لهم اني قلت كذا وكذا فقال لي « كذا وكذا » قالت وجاء علي الى النبي ﷺ فكلمه في ذلك. أم محمد تفرد عنها علي بن زيد وعلي حديثه حسن. ولابي داود باسناد حسن من حديث جابر بن سليم « وان امرؤ شتمك أو عيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه، يكن وبال ذلك عليه » ولاحمد هذا المعنى وفيه « فيكون أجره لك ووزره عليه »

وروى أحمد حدثنا اسود بن عامر ثنا أبو بكر عن الاعمش عن أبي خالد الوالبي عن النعمان بن مقرن المزني قال قال رسول الله ﷺ وسب رجل رجلا عنده فجعل الرجل المسبوب يقول عليك السلام فقال رسول الله ﷺ « اما ان ملكا بينكما يذب عنك، كلما شتمك هذا قال له بل أنت وأنت أحق به، واذا قال (١) له عليك السلام قال: لا بل أنت أحق به » وكلهم ثقات، وأبو بكر هو ابن عياش والظاهر أن أبا خالد لم يدرك النعمان

(١) كذا بالاصل ولعله قلت

وروى ابو حفص العكبرى في الادب له عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال انما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، من يتحر الخير يعطه ، ومن يتق الشر يوقه . وروى أيضا عن عبد الملك بن أبجر قال انتهى الشعبي الى رجلين وهما يغتابانه ويقعان فيه فقال

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

وروى أيضا عن عمر رضي الله عنه قال لاحلم أحب الى الله من حلم امام ورفقه ، ولا جهل أبغض الى الله من جهل امام وحدته ، ومن ينصف الناس من نفسه يعط الظفر من أمره ، والذل في الطاعة أقرب الى المؤمن من التقرب في المعصية

وروى أيضا عن ابن عباس قال: مابلغني من أحد مكروه إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل ، ان كان فوقي عرفت له قدره ، وان كان نظيري تفضلت عليه ، وان كان دوني لم أحفل به ، هذه سيرتي في نفسي فمن رغب عنها فأرض الله واسعة . قال ابن عقيل في الفنون وذكر قول المجنون

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا هنيئا ومغفورا لليلى ذنوبها

قال ابن عبد البر وكان يقال : الغالب في الشر مغلوب . شتم رجل أبا ذر فقال له ياهذا لا تغرقن في شتمنا ودع للصلح موضعا ، فانا لا نكافيء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه . أعطى الحسن بن علي رضي الله عنهما شاعرا فقيل له لم تعطي من يقول البهتان ، ويعصي الرحمن ؟ فقال ان خير مابذلت من مالك ما وقيت به من عرضك ، ومن ابتغى الخير اتقى

الشر . قال الشاعر :

وما يتي عنك قوما أنت خائفهم كثل دفعك جهالا بجهال
فاقعس اذا حدبوا واحدب اذا قعسوا ووازن الشر مثقالا بمثقال

القعس خروج الصدر ودخول الظهر وهو ضد الحدب يقال رجل أقعس وقعيس ومتقاعس . وقال آخر

لعمرك ما سبّ الامير عدوه ولكنما سب الامير المبلغ

وقال آخر (١)

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا هنيئا ومغفورا لليلى ذنوبها

ويأتي ما يتعلق بهذا بالقرب من نصف الكتاب فيما يتعلق بمكارم الاخلاق قبل ذكره الزهد . وقال ابن هبيرة الحنبلي الوزير ليكن غاية املك من عدوك الانصاف فمتى طلبته منه كان سائر الخلق عونا لك ، فأما أخوك وصديقك فعاملهما بالفضل والمسامحة لا بالعدل . وقال ابو عبيد القاسم بن سلام في الامام احمد في أثناء كلام له فبارك الله فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم فإنه لكما قيل مداريه

يزينك إما غاب عنك وان دنا رأيت له وجها يسرك مقبلا
يعلم هذا الخلق ما شذ عنهم من الادب المجهول كهفا ومعقلا
ويحسن في ذات الاله اذا رأى مضيما لأهل الحق لا يسأم البلا
واخوانه الادنون كل موفق بصير بأمر الله يسمو الى العلا

(١) عزاه آنفاً المجنون فكان تكرارا لما لا فائدة له ولعله سهو

وقال الخلال ثنا المروذى قال قال لي احمد ما كتبت حديثا عن النبي ﷺ الا وقد عملت به حتى مر بي في الحديث أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارا، فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت

وقال الحسين بن اسماعيل سمعت أبي يقول كان يجتمع في مجلس احمد زهاء على خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلمون منه حسن الادب وحسن السمت

وقال محمد بن مسلم كنا نهاب أن نراد احمد بن حنبل في الشيء أو نحاجه في شيء من الاشياء، يعني لجلالته ولهيبة الاسلام الذي رزقه

وقال الميموني ما رأيت أحدا أنظف ثوبا ولا أشد تعاهدا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ولا أنقى ثوبا وأشد بياضا من أحمد بن حنبل وقالت فاطمة بنت أحمد بن حنبل وقع الحريق في بيت أخي صالح وكان قد تزوج الى قوم مياسير فحملوا اليه جهازا شبيها بأربعة آلاف دينار فأكلته النار فجعل صالح يقول ماغمني ماذهب مني الا ثوب أبي كان يصلي فيه أتبرك به وأصلي فيه، قالت فطفيء الحريق ودخلوا فوجدوا الثوب على سرير قد أكلت النار ماحوله والثوب سالم، قال ابن الجوزى وهكذا بلغني عن قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي أنه حكى أن الحريق وقع في دارهم فاحترق مافيها الا كتاب كان فيه شيء بخط احمد

قال ابن الجوزى ولما وقع الغرق ببغداد سنة أربع وخمسين وخمسمائة وغرقت كتبي سلم لي مجلد فيه ورقتان من خط الامام احمد رحمه الله انتهى

كلامه وفي قصيدة اسماعيل بن فلان الترمذي الذي أنشدها الامام احمد بن حنبل وهو في السجن في المحنة يقول فيها

اذا ميز الاشياخ يوما وحصلوا فأحمد من بين المشائخ جوهر
فيا أيها الساعي ليدرك شأوه رويدك عن ادراكه ستقصر
حمى نفسه الدنيا وقد سنحت له فمنزله الا من القوت مقفر
فان يك في الدنيا مقلا فانه من الادب المحمود والعلم مكثر

وروي من غير طريق أن الشافعي رضي الله عنه كتب من مصر كتابا وأعطاه للربيع بن سلمان وقال اذهب به الى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واتني بالجواب فجاء به اليه فلما قرأه تغرغرت عيناه بالدموع وكان الشافعي ذكر فيه أنه رأى النبي ﷺ في المنام وقال له اكتب الى أبي عبد الله احمد ابن حنبل واقرأ عليه مني السلام وقل له انك ستمتحن وتدعى الى خلق القرآن ولا تجبهم يرفع الله لك علما يوم القيامة، فقال له الربيع البشارة فأعطاه قميصه الذي يلي جلده وجواب الكتاب، فقال له الشافعي أي شيء رفع اليك قال القميص الذي يلي جلده، قال ليس نفجعك به، ولكن بله وادفع الينا الماء حتى نشركك فيه . وفي بعض الطرق قال الربيع فغسلته وحملت ماءه اليه فتركه في قنينة وكنت أراه في كل يوم يأخذ منه فيمسح على وجهه تبركا بأحمد بن حنبل رضي الله عنهما، وقد قال الشيخ تقي الدين كذبوا على الامام أحمد حكايات في السنة والورع وذكر هذه الحكاية وحكاية امتناعه من الخبز الذي خبز في بيت ابنه صالح لما تولى القضاء ؟.

ودفع الى الامام أحمد كتاب من رجل يسأله أن يدعو له فقال فاذا دعونا لهذا فنحن من يدعو لنا ؟

فصل

في حسن الجوار

وروى المروذي عن الحسن ليس حسن الجوار كف الاذى، حسن الجوار الصبر على الاذى ، ورواه أبو حفص المكبري في الادب له عن الشعبي، وفي الصحيحين من حديث عائشة ومن حديث ابن عمر «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» وفيهما من حديث أبي هريرة «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» ولمسلم أيضا «فليحسن الى جاره» ورواه أيضا من حديث أبي شريح العدوي ولاحمد «فليكرم جاره» ولاحمد من حديث عبد الله بن عمر «فليحفظ جاره» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه» ولمسلم أيضا «لا يدخل الجنة»

وروى أبو داود ثنا الربيع بن نافع بن توبة ثنا سليمان بن حيان عن محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي ﷺ يشكو جاره فقال «اذهب فاصبر» فأتاه مرتين أو ثلاثا فقال «اذهب فاطرح متاعك في الطريق» فطرح متاعه في الطريق فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره

فجعل الناس يلعنونه : فعل الله به وفعل، فجاء اليه جاره فقال له ارجع لا ترى مني شيئا تكرهه . اسناده جيد ومحمد حسن الحديث وله أيضا وللترمذي وقال حسن غريب عن عبد الله بن عمرو أنه ذبح شاة فقال اهديتم لجارنا اليهودي ؟ فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما زال جبريل » الحديث

وقال البخاري في التاريخ في الكنى: أبو عمر هو البجلي قال علي ابن حكيم الاودي ثنا شريك عن أبي عمر عن أبي جحيفة قال شكا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم جاره فقال «احمل متاعك فضعه على الطريق فمن مر به يلعنه » فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما لقيت من الناس قال « لعنة الله فوق لعنتهم » وقال ابن عبد البر كان داود عليه السلام يقول اللهم اني أعوذ بك من جار سوء عينه تراني وقلبه لا ينساني ، وقال أبو الدرداء مكتوب في التوراة: ان أحسد الناس للعالم وأبغاهم عليه قرابته وجيرانه ، وقال عكرمة أزهد الناس في عالم جيرانه . وقال البيهقي وغيره عن كعب الاحبار : في الكتاب المنزل الاول ازهد الناس في عالم جيرانه . قال الحسن البصري وروي مرفوعا ولا يصح . قال ابن عبد البر وقال رجل لسعيد بن العاص والله اني لأحبك فقال ولم لا تحبني ولست لي بجار ولا ابن عم ؟ ثم يقال الحسد في الجيران والعداوة في الاقارب قال الشاعر

انت حلي وأنت حرمة جاري ... وحقيق علي حفظ الجوار

ان للجار ان تغيب عينا ... حافظا للمغيب والاسرار

ما أبالي أن كان للباب ستر مسبل أم بقي بغير ستار؟

وقال آخر

ناري ونار الجار واحدة واليه قبلي تنزل القدر
ما ضر جار لي أجاوره أن لا يكون لبابه ستر
أعمى اذا ما جارتي برزت حتى توارى جارتي الجدر

وقال آخر

أقول لجاري اذ أتاني معاتبا مدلا بحق أو مدلا بباطل
اذا لم يصل خيري وأنت مجاور اليك فما شري إليك بواصل

ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق . أخذه الشاعر فقال

يقولون قبل الدار جار موافق وقبل الطريق النهج أنس رفيق

وقال آخر

اطلب لنفسك جيرانا تجاورهم لا تصلح الدار حتى يصلح الجار

وقال آخر

يلومونني اذ بعت بالرخص منزلا ولم يعرفوا جارا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فانها بجيرانها تغلو الديار وترخص

وقال الحسن البصري رحمه الله : الى جنب كل مؤمن منافق يؤذيه

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من حق الجار أن تبسط اليه معروفك

وتكف عنه أذاك ، وقال علي بن أبي طالب للعباس ما بقي من كرم اخوانك؟ قال الافضال علي الاخوان ، وترك أذى الجيران . قال الشاعر

سقيا ورعيا لاقوام نزلت بهم كأن دار اغترابي عندهم وطني
اذا تأملت من أخلاقهم خلقا علمت أنهم من حلية الزمن

وقال آخر

اذا مارفيقي لم يكن خلف ناقتي له مركب فضل فلاحملت رحلي
ولم يك من زادي له نصف مزودي فلا كنت ذازادولا كنت ذارحل
شريكين فيما نحن فيه وقد أرى علي له فضلا بما نال من فضلي

وقال آخر

نزلت على آل المهلب شاتيا غريبا عن الاوطان في بلد محل
فما زال بي اكرامهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهلي

وذكر ابن عبد البر : ثلاث اذا كن في الرجل لم يشك في عقله وفضله: اذا حمده جاره وقرابته ورفيقه . كدر العيش في ثلاث : الجار السوء، والولد العاق ، والمرأة السيئة الخلق . ثلاثة لا يأنف الكريم من القيام عليهن: أبوه وضيفه ودابته ويأتي هذا المعنى في مخالطة السلطان قبل فصول اللباس خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف : الحدة في السلطان ، وقلة الحياء في ذوي الاحساب ، والبخل في ذوى الاموال ، والفتوة في الشيوخ ، والحرص في العلماء والقراء . وفيهما أيضا من حديثه «يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة . وللترمذي « تهادوا فان الهدية تذهب وحر

الصدر ، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» الفرسن العظم قليل اللحم وهو خف البعير أيضا كالحافر للدابة وقد يستعار للشاة وهو الظلف . ونونه زائدة وقيل أصلية ، ووحر الصدر بالتحريك غشه ووسواسه . ولاحمد من حديث عمر: لا يشبع الرجل دون جاره

قال في المستوعب : وحسن الجوار مأمور به فان للجار حقا وحرمة ثم ذكر كما ذكر الحسن وزاد في آخره مالم يعص الله تعالى . وجاء رجل إلى أبي العباس احمد بن يحيى بن ثعلب يشاوره في الانتقال عن محلة الى أخرى لتأذى الجوار، فقال العرب تقول صبرك على أذى من تعرفه خير لك من استحداث من لا تعرفه . وكان الشيخ تقي الدين يقول هذا المعنى أيضا

وروى البيهقي في مناقب الامام احمد عن عثمان بن زائدة قال العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل. فحدثت به احمد بن حنبل فقال العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل(١)

وروى احمد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قل ما كثرت النعم على قوم قط الا كثر أعداؤها . وقد ذكرت خبر حذيفة عن النبي ﷺ قال « لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه » قالوا يارسول الله وكيف يذل نفسه قال « يتعرض من البلاء مالا يطيق » وقال بعضهم

ان الهوان حمار الموت يألفه   والحر ينكره والفيل والاسد

---

(١) يعني ان السلامة من أذى الناس تنحصر أسبابها في اظهار الغفلة عن شرورهم واذا هم يريهم انه لم يفطن لها

ولا يقيم بدار الذل يألفها الا الذليلان عبدالسوء والوتد(١)
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يُشجُّ فلا يرثي له أحد

وقال آخر

اذا كنت في دار يهينك أهلها ولم تك مكبولا بها فتحول

وقال آخر

لاتأسفن على خل تفارقه ان الاقاصي قد تدنوا فتأتلف
فالناس مبتذل والارض واسعة فيها مجال لذى لب ومنصرف

وقال آخر

اذا ما الحر هان بأرض قوم فليس عليه في هرب جناح
وقد هُنّا بأرضكم وصرنا كفيء الارض تذروه الرياح

وقال آخر .

واذا الديار تنكرت عن حالها فدع الديار وأسرع التحويلا
ليس المقام عليك حقا واجبا في منزل يدع العزيز ذليلا

وقال آخر

وكنت اذا ضاقت علي محلة تيممت أخرى ما علي تضيق
وما خاب بين الله والناس عامل له في التقى أو في المحامد سوق

(١) قال في تاج العروس : وأنشد المصنف في البصائر :

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الاُذلان عير الحي والوتد
انتهى وفي بعض كتب البلاغة
ولا يقيم بدار الذل يعرفها الا الاُذلان عير الاهل والوتد

ولا ضاق فضل الله عن متعفف ولكن اخلاق الرجال تضيق (١)

وقال آخر

اذا كنت في دار فحاولت رحلة فدعها وفيها ان أردت معاد

وقال آخر

اصبر على حدث الزمان فانما فرج الشدائد مثل حل عقال

فاذا خشيت تعذرا في بلدة فاشدد عليك بعاجل الترحال

ان المقام على الهوان مذلة والعجز آفة حيلة المحتال

وقيل

لا يمنعنك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان

تلقى بكل بلاد إن نزلت بها أهلا بأهل وجيرانا بجيران

وقال ابن عبدالبر حين رحل من اشبيلية

وقائلة مالي أراك مرحلا ؟ فقلت لها صبرا واسمع القول مجملا (٢)

تنكر من كنا نسر بقربه وعاد زعاقا بعد ما كان سلسلا

وحق لجار لم يوافقه جاره ولا لاءمته الدار أن يترحلا

أليس بحزم من له الظل مقعد إذا ادركته الشمس أن يتحولا

بليت بحمص والمقام ببلدة طويلا لعمري مخلق يورث البلا

إذا هان حر عند قوم أتاهم ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلا

ولم تضرب الامثال الا لعالم ولا عرب الانسان الا ليعقلا

---

(١) البيت الثالث هذا ساقط من النسخة النجدية

(٢) كذا بالاصول وفيه كسر

قال ابن عبد البر قيل للاوزاعي رجل قدم الى ضيفه الكامخ والزيتون وعنده اللحم والعسل والسمن ؟ فقال لا يؤمن هذا بالله ولا باليوم الآخر . قال الشاعر

طعامي طعام الضيف والرحل رحله ولم يلهني عنه غزال مقنع
أحدثه ان الحديث من القرى وتعلم نفسي انه سوف يهجع

وقال آخر

يستأنس الضيف في أبياتنا أبداً فليس يعلم خلق أينا الضيف

وقال حسان

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وقد عرفت كلابهم ثيابي كأني منهم ونسيت أهلي

وقال آخر

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى وانما وجه الكريم خصيب

وقيل :

ضيفك قابله ببشرك ويكن له منك ابكار الحديث وعونه

وقيل

تراهم خشية الاضياف خرسا يصلون الصلاة بلا أذان

وقيل

ذريني فان الشح يا أم مالك لصالح أخلاق الرجال سروق
ذريني وحظي في هواي انني على الحسب العالي لرفيع شفيق

فصل

في حب الفقر والموت والحذر من الدنيا

قال المرودي قال ابو عبد الله : كأنك بالموت وقد فرق بيننا ، أنا لا أعدل بالفقر شيئا ، أنا أفرح اذا لم يكن عندي شيء ، اني لأتمنى الموت صباحا ومساء أخاف ان أفتن في الدنيا . قال مسروق انما تحفة المؤمن قبره . وقال اسحاق بن هانىء :قال أبو عبدالله: قال الحسن اهينوا الدنيا فوالله لأهنأ ماتكون حين تهان . وقال احمد ايضا الغنى من العافية ، وقال له رجل اوصني ، قال اعز أمر الله حيثما كنت يعزك الله

وقال يحي الجلا سمعت احمد بن حنبل يقول عزيز علي ان تذيب الدنيا اكباد رجال وعت صدورهم القرآن . وقال ابراهيم بن هانىء اختفى عندي احمد بن حنبل ثلاث ليال ثم قال لي اطلب لي موضعا حتى ادور ، قلت اني لا آمن عليك ياأبا عبدالله فقال النبي ﷺ اختفى في الغار ثلاثة ايام، وليس ينبغي أن تتبع سنة رسول الله ﷺ في الرخاء وتترك في الشدة . وطلبه المأمون فمات قبل ان يصل اليه ، قال صالح قال ابي وكنت ادعو الله ان لا اراه فحدثني ابي حدثنا معمر بن سلمان عن فرات بن سلمان عن ميمون عن مهران قال: ثلاثة لا تبلون نفسك بهن: لا تدخلن على سلطان وان قلت آمره بطاعة، ولا تدخلن على امرأة وان قلت اعلمها كتاب الله، ولا تصغين سمعك لذي هوى فانك لا تدرى ما تعلق قلبك منه ، قال صالح سمعت

أبي رحمه الله يقول والله لقد أعطيت المجهود من نفسي ولوددت اني انجو من هذا الامر كفافا لا علي ولا لي

وروى الخلال عن محمد بن موسى عن أبي جعفر محمد بن زهير أن رجلا أتى أحمد فسأله عن شيء فاجابه فقال له جزاك الله عن الاسلام خيراً، فغضب وقال له من انا حتي يجزيني الله عن الاسلام خيراً ؟ أنت في غير حل من جلوسك ، قال رجل لعمر بن عبد العزيز جزاك الله عن الاسلام خيرا . وقال ابراهيم بن عبد الله عن أحمد ما سمعت كلمة كانت أقوى لقلبي وأقر لعيني في المحنة من كلمة سمعتها من فقير أعمى في رحبة طرق(١) قال لي. يا أحمد إن تهلك في الحق مت شهيداً ، وان عشت عشت حميداً. وقال اسحاق بن حنبل عم أحمد يا أبا عبد الله قد أعذرت فيما بينك وبين الله تعالى وقد أجاب اصحابك واليوم بقيت في الحبس والشر، فقال لي ياعم اذا أجاب العالم تقية والجاهل بجهل فمتى يتبين الحق؟ فامسكت عنه وقال ابن المنادي دخل احمد بن داود الحداد على أبي عبد الله الحبس قبل الضرب فقال له في بعض كلامه يا أبا عبد الله عليك رجال ولك صبيان وأنت معذور ـ كأنه يسهل عليه الاجابة ـ فقال له أحمد بن حنبل ان كان هذا عقلك فقد استرحت، وقال أبو جعفر الرازي بن اسحاق بن ابراهيم يقول أنا والله رأيت يوم ضرب أحمد وقد ارتفع من بعد انخفاضه ، وانعقد من بعد انحلاله، ولم يفطن لذلك لذهول عقل من حضره ، وما رأيت

(١) في النسخة المصرية طوق

يوما كان اعظم من ذلك اليوم، وقال الحسن بن الصباح البزار أحد الأئمة الاعلام ثنا سيدنا وشيخنا أحمد بن حنبل وقال قد كان ههنا أحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وكنا نرجو ان يحفظنا الله تعالى بهما، انهما ماتا وبقي سري، فاني أرجو أن يحفظنا الله بسري. وقد قال أبو الفضل الحسن بن محمد ابن أعين سمعت أحمد بن حنبل يقول لولا بشر — يعني الحافي — وما نرجو من استغفاره لنا لكنا في عطلة . وقال ابو زرعة قلت لاحمد بن حنبل كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟ فقال لو وضع الصدق على جرح لبرئ، وقال خلف جاءني احمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال لا أجلس الا بين يديك، امرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه، وقال محمد بن محمد بن عمر أبو الحسن العطار إنه رأى احمد ابن حنبل أخذ لداود بن عمرو بالركاب ذكره الحافظ تقي الدين بن الاخضر فيمن روى عن احمد. وذكر أيضا أن أحمد بن سعيد الرباطي — لانه تولى الرباطات فذهب اليه — قال سمعت أحمد بن حنبل يقول أخذنا هذا العلم بالذل فلا نسلمه الا بالذل، وقال الرباطي قدمت على أحمد بن حنبل فجعل لا يرفع رأسه الي فقلت يا أبا عبد الله، يكتب عني بخراسان وان عاملتني بهذه المعاملة رموا بحديثي، فقال لي أحمد وهل بد يوم القيامة ان يقال اين عبد الله بن طاهر واتباعه؟ انظر اين تكون منهم؟ قلت يا أبا عبد الله انما ولاني امر الرباط لذلك دخلت فيه فجعل يكرر ذلك علي

وينبغي أن يخفض صوته عنده قال الشيخ تقي الدين من رفع صوته على غيره علم كل عاقل انه قلة احترام له انتهى كلامه ولما رفع صوته سعد على أبي جهل قال له بعض قريش لا ترفع صوتك على أبي الحكم. وقد قال تعالى (واغضض من صوتك) أي انقص منه ، ومنه قوله غضضت بصري، وفلان يغض بصره من فلان (ان أنكر الاصوات) أي أقبح يقول أتانا فلان بوجه منكر أي قبيح . وقال المبرد تأويله أن الجهر بالصوت ليس بمحمود وأنه داخل في باب الصوت المنكر وقال ابن قتيبة : عرفه قبح رفع الاصوات في المخاطبة بقبح أصوات الحمير لانها عالية . قال ابن زيد لو كان رفع الصوت خيرا ماجعله الله للحمير ، وقال سفيان الثوري صياح كل شيء تسبيح الله الا الحمار فانه ينهق بلا فائدة ، ذكر ذلك ابن الجوزي وغيره

وقال ابن عقيل في الفنون مما وجدته في آداب احمد رضي الله عنه أنه كان مستندا وذكر عنده ابن طهمان فأزال ظهره عن الاستناد وقال لا ينبغي أن يجرى ذكر الصالحين ونحن مستندون ، قال ابن عقيل فأخذت من هذا حسن الادب فيما يفعله الناس عند امام العصر من النهوض لسماع توقيعاته . وقد ذكر هذا الحافظ ابن الاخضر فيمن روى عن احمد في ترجمة أبي زرعة الرازي قال سمعت احمد بن حنبل وذكر عنده ابراهيم بن طهمان وكان متكئا من علة فاستوى جالسا وقال لا ينبغي أن يذكر الصالحون فنتكيء . وقال الشافعي لا يطلب هذا العلم أحد بالملك وعزة النفس فيفلح

لكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح . وقال أبو توبة البغدادي رأيت احمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام فقلت له يا أبا عبد الله هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث فقال هذا يفوت وذاك لا يفوت (١)

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الانصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فانهم اليوم كثير ، قال واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون اليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم ؟ قال فترك ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث فان كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح علي من التراب فيخرج فيقول يا ابن عم رسول الله ﷺ ماجاء بك ؟ ألا أرسلت الي فآتيك ، فأقول أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث ، قال فعاش ذلك الرجل الانصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي فيقول هذا الفتى كان أعقل مني

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قرأ على أبي بن كعب (لم يكن الذين كفروا) وأن الله أمره بذلك ، قال بعضهم قرأ عليه لتعليمه ، وقال

(١) يعني ان ماعند الشافعي من الفهم والفقه يفوت من لم يسمعه منه وما عند سفيان من الرواية لا يفوت لانه يوجد عند غيره . ورويت عبارة أحمد بلفظ صريح في هذا

بعضهم ليسن التواضع في أخذ الانسان من العلوم عن أهلها وإن كانوا ادونه في النسب والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة وغير ذلك، ولينبه الناس على فضيلة أبي وتقديمه فيجتهدون في الاخذ عنه، وانما خص هذه السورة لاقتضاء الحال الاختصار مع أنها جامعة .

وكان علي بن الحسين زين العابدين يدخل المسجد فيشق الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم فعوتب في ذلك فقال ان العلم يبتغى ويؤتى ويطلب من حيث كان . وكان عروة بن الزبير يقول لبنيه : انا كنا صغار قوم وانا اليوم كبار وانكم ستكونون مثلنا ان بقيتم، ولا خير في كبير لاعلم عنده ، وقال عبد الملك بن عمير لقد رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى في حلقة فيها نفر من الصحابة يستمعون لحديثه وينصتون له منهم البراء بن عازب.

وعن الاصمعي قال من لم يحمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا

وقال عبد الله بن المعتز: المتواضع في طلب العلم أكثرهم علما كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء . وقد نظم هذا ابو عامر النسوي فقال

العلم يأتي كل ذي خفض ويأبى كل آبي
كالماء ينزل في الوهاد وليس يصعد في الروابي

وكذلك ينبغي أن يحذر الطالب مايكون من الشيخ أو من بقية الطلبة لئلا يفوته العلم فتفوته الدنيا والآخرة مع حصول العدو طلبه، وشماتة الاعداء من الاربعة الأمور بالاستعاذة منهن في الصحيحين في قوله عليه السلام « تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ،

وشماتة الاعداء » وقد قيل :

لحبرة تجالسني نهاري أحب إلي من أنس الصديق
ورزمة كاغد في البيت عندي أعز إلي من عدل الدقيق
ولطمة عالم في الخد مني ألذ علي من شرب الرحيق

وقال الشافعي غضب الاعمش يوما على رجل من الطلبة فقال آخر لو غضب علي مثلك لم أعد اليه فقال له الاعمش اذا هو أحمق مثلك يترك ماينفعه لسوء خلقي . ذكره البيهقي

فصل

في الوحدة والعزلة والتواضع في سيرة أحمد

قال عبد الله كان أبي أصبر الناس على الوحدة ، وقال لم ير أحد أبي إلا في مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض ، وكان يكره المشي في الاسواق . وقال الميموني عنه : رأيت الوحدة أروح لقلبي

وقال المروذي ذكرت لأبي عبد الله عبد الوهاب على أن يلتقيا فقال أليس قد كره بعضهم اللقاء وقال يتزين لي وأتزين له ، وكفى بالعزلة علما ، والفقيه الذي يخاف الله ، وقال لي أبو عبدالله قل لعبد الوهاب اخمل ذكرك ، فاني أنا قد بليت بالشهرة ، وقال غيره عن أحمد طوبى لمن أخمل الله ذكره . ونقل غيره عن أحمد أنه قال أشتهي مالا يكون: أشتهي مكانا لايكون فيه أحد من الناس

وقال أبو عبد الله أحمد بن محمد التستري قالت لابي عبد الله اني أحب

أن آتيك فأسلم عليك ولكن أخاف أن تكره الرجل ؟ فقال انا لنكره ذلك . وقال الاثرم سمعت الهيثم بن خارجة قال لابي عبدالله أنت عروس تزار ولا تزور. ومن نظر في سيرة أبي عبد الله وترجمة ماسبق وما يأتي وما لم نذكره وجد همته في الخيرات والطاعات من أعلى الهمم، وأنه يصدق عليه مارواه الحاكم في تاريخه عن الاصمعي أن دغفلا دخل على معاوية فقال له أي بيت أفخر ؟ قال قول الشاعر :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

وقال صالح كان أبي اذا دعا له رجل يقول الاعمال بخواتيمها . وقال عامر للامام احمد ياأبا عبد الله بلغني انك رجل من العرب فمن أي العرب أنت؟ فقال لي يا أبا النعمان نحن قوم مساكين وما نصنع بهذا ؟ فكان ربما جاءني أريده على ان يخبرني فيعيد علي مثل ذلك الكلام ولا يخبرني بشيء

وقال عبد الله بن الرومي كنت كثيراً ما أرى أباعبدالله احمد بن حنبل يعني وهو بالبصرة يأتي الى مسجد بني مازن فيصلي فيه فقلت ياأباعبدالله اني أراك كثيرا تصلي في هذا المسجد قال انه مسجد آبائي . وقال الخلال حدثنا المروذي: قال حضرت ابا ثور سئل عن مسئلة فقال قال أبو عبدالله إمامنا او قال شيخنا احمد بن حنبل فيها كذا وكذا ، فجعل السائل يدعو له ولم يسأله عن رأيه، فلما مضى التفت الينا فقال هذا لو أخبرته عن رأيي لكان ــ يعني يطول ــ فحيث قلت له احمد بن حنبل مر وسكت ، وجاء

رجل الى أبي عبد الله فقال ان لي والدة مقعدة تسألك أن تدعو لها قال. فغضب وقال كيف قصدتني ؟ قل لوالدتك تدعو لي هذه مبتلاة ، وأنا معافى . ثم دعا لها وعوفيت

وجاء رجل الى أبي عبد الله من سمرقند بكتاب عبيد الله بن عبد الرحمن الى أبي عبد الله يحمل له مجالسا فأهدى الى أبي عبد الله يومئذ ثوبا فأعطاه رجلا فقال اذهب به الى السوق فقومه. فذهب فجاء نيف وعشرون درهما فحبيه أبو عبد الله حتى اشترى له ثوبين ومقنعة او ثوبا ومقنعة وبعث به اليه ثم أذن له فحدثه ، وقال عبد الله رأيت ابي اذا اختفى اكثر ذلك يقرأ القرآن ، وقال الاثرم ربما ترك اصحاب احمد بن حنبل اشياء ليس لها تبعة عند الله مخافة ان يعيروا بأحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وقال احمد بن الحسن الترمذي رأيت اباعبدالله يشتري من السوق الخبز ويحمل بنفسه في الزنبيل ، ورأيته يشتري الباقلا غير مرة ويجعله في زبديه أو شيء آخر فيحمله وهو آخذ بيد عبد الله ابنه ، وقال صالح كان أبي ربما خرج الى البقال فيشتري جرزة حطب فيحملها

وقال الخلال أخبرنا المروذى سمعت أبا عبد الله يقول كان يحيي بن يحيي قد أوصى لي بجبة قال ففرحت بها وأردت أن آخذها قال وكانت أعجبتني الجبة فقلت رجل صالح وقد يصلي فيها ،قال فجاؤا بها ومعها شيء آخر فرددته كله . وقال الفضل بن زياد عن احمد بن حنبل: ما أعظم بركة المغزل ، وقال المروذى سمعت أباعبدالله يقول :الخوف منعني أكل الطعام

والشراب فما اشتهيه . وقال الخلال أخبرني أبو بكر بن صدقة سمعت محمد ابن عبد الرحمن الصيرفي قال أتيت احمد بن حنبل أنا وعبد الله بن سعيد الجمال وذلك في آخر سنة المائتين فقال أبو عبد الله لعبد الله بن سعيد يا أبا محمد ان اقواما يسألوني أن أحدث فهل ترى ذلك؟ قال فسكت ابو عبد الله وأطال السكوت، قال فقلت انا لأبي عبد الله اجيبك انا؟ قال تكلم، قال قلت له إن كنت تشتهي أن تحدث فلا تحدث ، وان كنت تشتهي أن لا تحدث فحدث. قال فكأن ابا عبد لله استحسن ذلك . قال فلما انبسط في الحديث قال فظننت انه كان لا يشتهي أن يحدث . وقيل لبشر بن الحارث يا أبا نصر الرجل يكون عنده علم من القرآن فترى له ان يجلس فيعلم الناس ؟ قال إن كان يحب ذلك فلا يجلس

فصل

الخوف والرجاء وما قيل في تساويها وعدمه

قال الامام احمد رضي الله عنه : سبحانك ما أغفل هذا الخلق عما أمامهم ، الخائف منهم مقصر ، والراجي متوان .وقال المروذي سمعت الامام احمد قال الخوف منعني من اكل الطعام فما اشتهيه فاذا ذكرت الموت هان علي كل شيء وقد تقدم . وقال ابراهيم الحربي سمعت احمد يقول إن احببت أن يدوم لك الله على ما تحب قدم له على ما يحب ، والخير فيمن لا يرى لنفسه خيرا . وروى الحاكم في تاريخه عن وكيع سمعت سفيان يقول لا يتقي الله احد لا أتاه الناس شاؤا ام أبوا . وعن عبد الرحمن بن بشر بن

الحكم العالم ابن ابنة ابن العالم قال سمعت سفيان بن عيينة يقول من استغنى بالله أحوج الله عز وجل اليه الناس

وقال ابن هانىء : قال لي أبو عبد الله ينبغي للمؤمن أن يكون رجاؤه وخوفه واحدا . ور ل غيره عنه فايهما رجح صاحبه هلك . انتهى كلامه . وينبغي أن يكون رجاء المريض اكثر وقطع به صاحب النظم وقال احمد لرجل لو صححت ما خفت احدا . وقد قيل

فما في الارض أشجع من بريء ... ولا في الارض أخوف من مريب

قال ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس : كان يقال من خاف الله ورجاه امنه خوفه وبلغه رجاءه ، قال وكتب بعض العلماء الى بعض اخوانه أما بعد فانه من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء . ولمحسن بن وهب وينسب الى الشافعي رضي الله عنه ولله عنه

خف الله . . . لكل عظيمة ... ولا تطع النفس اللجوج فتندما

١) لعله أي الناظم جزم ولم يرتض اطلاق القول بل فوضه الى الله تعالى لضعف نظم البيتين الا ... واختلال وزن الاول وعدم التئامهما مع الثالث لاختلاف الخطاب فيه ... وهو يروى عن الشافعي مع أبيات أخرى روى عن المزني أنه قال في مرض ... وهي :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما

وكن بين هاتين من الخوف والرجا وأبشر بعفو الله ان كنت مسلما
فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما

وقال آخر

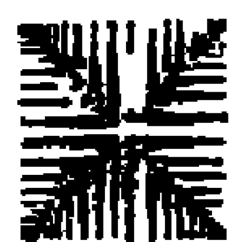
واني لارجو الله حتى كأنما أرى بجميل الظن ما الله صانع

وقال منصور الفقيه

قطعت رجائي من بني آدم طرا فأصبحت من رق الرجاء لهم حرا
وعدل يأسي بينهم فأجلهم اذا ذكروا قدرا كأدناهم قدرا
غني عنهم بالله لا متطاول على أحد منهم ولا قائلا هجرا
وكيف يعيب الناس بالمنع مؤمن يرى النفع ممن يملك النفع والضرا
عليه اتكالي في الشدائد كلها وحسبي به عند الشدائد لي ذخرا

وأنشد بعضهم وهو عبد الله بن محمد بن يوسف

أسير الخطايا عند بابك واقف على وجل مما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها ويرجوك فيها فهو راج وخائف
فمن ذا الذي يرجى سواك ويتقى ومالك في فصل القضاء مخالف
فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي اذ نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما يصد ذوو القربى ويجفو المؤالف
لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي ارجي لاسرافي فاني لتالف



فصل

(في طلب العلم وما يبدأ به منه وما هو فريضة وما هو فضيلة منه ، وفضل أهله)

قال الميموني : سألت أبا عبد الله أيهما أحب اليك ابدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال لا بالقرآن قلت أعلمه كله؟ قال الا أن يعسر فتعلمه منه . ثم قال لي اذا قرأ أولا تعود القراءة ثم لزمها .وعلى هذا أتباع الامام أحمد الى زمننا هذا . وسيأتي قريبا قول ابن المبارك ان العلم يقدم على نفل القرآن وهذا متعين اذا كان مكلفا لانه فرض فيقدم على النفل وكلام أحمد والله أعلم انما هو في الصغير كما هو ظاهر السياق والذي سأل ابن المبارك كان رجلا فلا تعارض ، وأما الصغير فيقدم حفظ القرآن لما ذكره أحمد من المعنى، ولانه عبادة يمكن ادراكها والفراغ منها في الصغر غالبا، والعلم عبادة العمر لا يفرغ منه فيجمع بينهما حسب الامكان، هذا واضح وقد يتعين أن يكون العلم أولى لمسيس الحاجة اليه لصعوبته وقلة من يعتني به بخلاف القرآن ولهذا يقصر في العلم من يجب عليه طلبه ولا يقصر في حفظ القرآن حتى يشتغل بحفظه من يجب عليه الاشتغال في العلم كما هو معلوم في العرف والعادة .

وقال ابن هانيء لاحمد ما معنى «لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار» ، قال هذا يرجى لمن القرآن في قلبه ان لا تمسه النار ، «في اهاب» يعني في قلب رجل، وقال أيضا في جلد. وقال اسماعيل الشالنجي عن أبي عبد الله قال والذي يجب على الانسان من تعليم القرآن والعلم ما لا بد له منه في صلاته واقامة

دينه، وأقل ما يجب على الرجل من تعلم القرآن فاتحة الكتاب وسورتان.
كذا وجدته، ولعله «سورة» وإلا فلا أدري ما وجهه؟ مع أنه إنما يجب حفظه
ما يلزم أن يجزئه في صلاته وهو الفاتحة خاصة في الاشهر عن أحمد والمسألة
معروفة في الفقه. وقد قال ابن حزم في الاجماع قبل السبق والرمي: اتفقوا
ان حفظ شيء من القرآن واجب ولم يتفقوا على ماهية ذلك الشيء ولا
كميته بما يمكن ضبط اجماع فيه الا انهم اتفقوا على أنه من حفظ أم القرآن
ببسم الله الرحمن الرحيم وسورة أخرى معها فقد أدى فرض الحفظ، وأنه
لا يلزمه أكثر من ذلك. واتفقوا على استحباب حفظ جميعه وان ضبط
جميعه واجب على الكفاية لا متعين. وروى الخلال عنه أنه سئل عن رجل
حفظ القرآن وهو يكتب الحديث يختلف الى مسجد يقرأ ويقرىء
ويفوته الحديث ان يطلبه فان طلب الحديث فاته المسجد وان قصد المسجد
فاته الحديث فما تأمره؟ قال بذا وبذا فأعدت عليه القول مرارا كل ذلك
يجيبني جوابا واحدا بذا وبذا. وسأل رجل لابن المبارك يا أبا عبد الرحمن
في أي شيء اجعل فضل يومي في تعلم القرآن أو في تعلم العلم؟ فقال هل
تحسن من القرآن ما تقوم به صلاتك؟ قال نعم قال عليك بالعلم.

وقال أحمد في رواية أحمد بن الحسين وقيل له طلب العلم فريضة؟ قال نعم
لامر دينك وما تحتاج اليه من أن ينبغي ان تعلمه؛ وقال في رواية أبي الحارث: يجب
عليه أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه ولا يفرط في ذلك قلت فكل العلم
يقوم به دينه؟ قال الفرض الذي يجب عليه في نفسه لا بد له من طلبه. قلت

مثل أي شيء؟ قال الذي لا يسعه جهله صلاته وصيامه ونحو ذلك. وقال عبد الله سألت أبي عن الرجل يجب عليه طلب العلم؟ قال أما ما يقيم به دينه من الصلاة والزكاة وذكر شرائع الاسلام فقال ينبغي أن يتعلم ذلك. وقال ابن منصور لابي عبد الله تذاكر بعض ليلة أحب اليك من احيائها؟ قال العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم. قلت الصلاة والصوم والحج والطلاق ونحو هذا؟ قال نعم قال ابن منصور قال لي اسحاق ابن راهويه « طلب العلم واجب» لم يصح الخبر فيه الا أن معناه قائم يلزمه طلب ما يحتاج اليه من وضوئه وصلاته وزكاته اذا وقعت فلا حاجة للوالدين في ذلك. وأما من خرج يبتغي علما فلا بد له من الخروج باذن الابوين لانه فضيلة فالنوافل لا تبتغى الا باذن الآباء وقال المروذي لابي عبد الله الرجل يطلب العلم ويستأذن والدته فتأذن له وهو يعلم أن المقام احب اليها؟ قال اذا كان جاهلا لا يدرى كيف يطلق ولا يصلي فطلب العلم أحب الي. وان كان قد عرف فالمقام عليها أحب الي. وروى الخلال عنه أن رجلا سأله في طلب العلم وان أمي تمنعني من ذلك تريد حتى أشتغل في التجارة قال لي دارها وأرضها ولا تدع الطلب وقال له رجل نغرب عن بلده طلب العلم أحب اليك ثم أرجع الى أمي؟ فقال له اذا كان طلب العلم مما لا بد لك من تعلمه فلا بأس، وسأله رجل قدمت الساعة وليس أدرى شيئا ما أمرني؟ فقال ابو عبد الله عليك بالعلم. وقال اسحاق بن ابراهيم سألت أبا عبد الله عن الرجل يكون له أبوان موسران يريد طلب الحديث ولا يأذنان له؟ قال يطلب منه بقدر ما ينفعه، العلم لا يعدله شيء

وفي الصحيحين عن معاوية مرفوعا « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وعن عمر مرفوعا « ان الله يرفع بهذا العلم أقواما ويضع به آخرين » وعن أبي هريرة مرفوعا « من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا الى الجنة » رواهما مسلم

وقال ابن مسعود : ان أحدكم لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم . وقال أيضا : اغد عالما أو متعلما ولا تغد إمعة بين ذلك . وقال أيضا اغد عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك ، وقال حماد بن حميد عن الحسن قال أبو الدرداء كن عالما أو متعلما أو محبا أو متبعا ولا تكن الخامس فتهلك. قال الحسن هو المبتدع ، قال البيهقي وروينا مثله عن ابن مسعود وروي مرفوعا وهو ضعيف وقال أبو الدرداء: العالم والمتعلم في الاجر سواء وسائر الناس همج لا خير فيهم

وقال الثوري عن الاعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود تعلموا فان أحدكم لا يدري متى يحتاج اليه ، وقال عبد الرزاق عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن مسعود : عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله ، وعليكم بالعلم وإياكم والتنطع والتعمق ، وعليكم بالعتيق فانه سيجيء أقوام يتلون كتاب الله وينبذونه وراء ظهورهم . وقال الحسن : قال رسول الله ﷺ « انما مثل العلماء في الارض مثل النجوم في السماء اذا رآها الناس اقتدوا بها ، واذا عميت عليهم تحيروا » وعن أبي امامة مرفوعا « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، إن الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة في جحرها

وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» رواه الترمذي وقال صحيح غريب وعن أبي الدرداء مرفوعا « إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وإن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ءانما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه بنحوه ، وأما مايذكره بعض الناس « علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل» فلم أجدله أصلا ولا ذكر له في الكتب المشهورة المعروفة ولا يصح .

وروى الخلال عن أنس رضي الله عنه قال قال « طلب العلم فريضة» وروى ابن شاهين ثنا سليمان الاشعث ثنا حفص بن مسافر الشيشي ثنا يحي بن حسان ثنا سليمان بن قرة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم » كلهم ثقات إلا سليمان فانه مختلف فيه ، قال أحمد لاأرى به بأسا لكنه يفرط في التشيع وضعفه ابن معين ، وقال أبو زرعة ليس بذاك ، وقال أبو حاتم ليس بالمتين وقال النسائي ليس بالقوي ، وقال ابن عدي أحاديثه حسان ، ورواه حسان ابن سارة عن ثابت لكن حسان ضعيف، قال ابن شاهين وهذا حديث غريب من أصح حديث في هذا الباب ، ورواه ابن ماجه من رواية حفص ابن سليمان القارىء وهو متروك عندهم وفيه « وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر والذهب» وقال ابن عبد البر :هذا حديث يروى

عن أنس عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة كلها معلولة لا صحة في شيء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الاسناد

وقال الترمذي ثنا محمد بن حاتم المؤدب ثنا علي بن ثابت ثنا عبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان سمعت عطاء بن فروة سمعت عبدالله سمعت أبا هريرة سمعت النبي ﷺ يقول «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم» اسناد جيد، وعبدالرحمن حديثه حسن قواه الاكثر. قال الترمذي حسن غريب ورواه ابن ماجه من حديثه. ورأى ابن الشخير ابن أخ له يتعبد فقال اي بني فضل العلم احب الي من فضل العبادة. وقال مهنا قلت لأحمد حدثنا ما افضل الاعمال؟ قال طلب العلم، قلت لمن؟ قال لمن صحت نيته، قلت وأي شيء يصحح النية؟ قال ينوي يتواضع فيه وينفي عنه الجهل. وقال الحسن بن ثواب قال لي أحمد بن حنبل: ما أعلم الناس في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان، قلت ولم؟ قال ظهرت بدع فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها. وقال بشر الحافي لا أعلم على وجه الارض عملا أفضل من طلب العلم والحديث لمن اتقى الله وحسنت نيته. وقال سفيان ما أعلم شيئاً يراد الله به أفضل من طلب العلم. وقد روي عن مجاهد قال طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية ثم رزق الله النية بعد وروى(١) هذا المعنى عن جماعة منهم حبيب بن أبي ثابت وسماك بن حرب. وقال يزيد بن هارون طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يردنا

(١) قوله وقد روي عن مجاهد الى هنا ساقط من النسخة النجدية

الا الى الله. وقال عبد الرزاق أنا معمر قال كان يقال ان الرجل ليطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم حتى يكون لله

وروى الخلال أخبرني حرب ثنا عباس بن عبد العظيم ثنا يحي بن يمان قال قالوا لسفيان ان أصحاب الحديث يطلبون الحديث بغير نية، قال طلبهم له نية . اسناد صحيح . وعن سفيان قال انما فضل العالم على غيره لانه يتقي ربه. وعن الحسن قال يبقي الله لهذا العلم قوما يطلبونه ولا يطلبونه خشية وليست لهم نية يبعثهم الله تعالى كي لا يضيع العلم فيبقى عليهم حجة. وعن ابن المبارك قال ما من شيء أفضل من طلب العلم لله وما من شيء أبغض الى الله من طلب العلم لغير الله

وقال أحمد ثنا يونس وشريح بن النعمان قال حدثنا فليح عن عبد الله ابن عبد الرحمن أبي طوالة عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة » ورواه أبو داود عن أبي بكر بن أبي شيبة عن شريح . فليح وان كان من رجال الصحيحين فقد تكلم فيه ابن معين وأبو حاتم والنسائي وغيرهم، وفي معناه عن ابن عمر مرفوعا « من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» رواه الترمذي وقال حسن غريب . وعن جابر مرفوعا « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا تحدثوا به في المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار» رواه جماعة منهم البيهقي وانفرد به ابن ماجه عن الكتب الستة فرواه عن

محمد بن يحيى عن سعيد بن أبي مريم عن يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر، ورواه ابن وهب عن ابن جريج مرسلا. ويحيى ابن أيوب هو الغافقي وان كان من رجال الصحيحين فقد تكلم فيه أحمد وأبو حاتم والدارقطني وابن القطان وغيرهم، وذكر جماعة هذا الخبر من مناكيره

وعن كعب بن مالك مرفوعا « من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار » رواه الترمذي وقال لا نعرفه إلا من هذا الوجه. واسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بالقوي عندهم. وفي مسلم عن أبي هريرة مرفوعا حديث الثلاثة الذين يؤمر بهم إلى النار وهم المجاهد المرائي ليقال انه جريء، والمنفق المباهي ليقال انه جواد، والرجل الذي يقول تعلمت العلم وقرأت القرآن، فيقول الله كذبت انما أردت أن يقال فلان جريء وفلان عالم وفلان قارىء وقد قيل، ثم يسحب على وجهه حتى يلقى في النار

وعن زيد بن أرقم مرفوعا كان يقول « اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يستجاب لها » ورواه أبو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس مرفوعا وفيه « وعمل لا يرفع » بدل « نفس لا تشبع » وكان ابن مسعود يقول تعلموا فمن علم فليعمل، وكان يقول اني لاحسب أن الرجل ينسى العلم للخطيئة يعملها.

وعن الاعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي بردة مرفوعا « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟

وعن علمه ما ذا عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم ابلاه؟ » اسناده جيد وسعيد روى عنه غير واحد ووثقه ابن حبان ولا وجه لقول أبي حاتم مجهول ، وروى حديثه هذا الترمذي وقال حسن صحيح وروى البيهقي هذا المعنى من حديث معاذ

وقال ابن وهب : أخبرني يحي بن سليم وفي نسخة سلام عن عثمان ابن مقسم وهو كذاب متروك عندهم ، عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وأما ما روى الطبراني والبيهقي وغيرهما من حديث ابن المبارك عن الثوري عن سماك بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة اني لم أجعل حكمي وعلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي » فالظاهر أنه غير صحيح وتدل عليه الاخبار السابقة ، ولو صح فالمراد به العلماء الاخيار ، وقد قال البيهقي ولا أراه محفوظا ، وروى ابن عدي والبيهقي وغيرهما من رواية صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد وهو كذاب متروك بالاتفاق عن موسى بن عبيدة عن سعيد بن أبي هند عن أبي موسى الاشعري مرفوعا « يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء اني لم أضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ، ولم أضع علمي فيكم لاعذبكم ، انطلقوا فقد غفرت لكم » وقال « يقول الله عز وجل لا تحقروا عبدا آتيته علما فاني لم أحقره حين علمته » قال ابن عدي هذا الحديث بهذا الاسناد باطل ، وذكره في ترجمة طلحة بن زيد قال البيهقي وإنما يعرف

بعض هذا عن أبي عمرو الصنعاني قال « اذا كان يوم القيامة نزلت الملائكة العلماء فاذا فرغ من الحساب قال لم أجعل حكمي فيكم الا خيرا أريده فيكم ادخلوا الجنة بما فيكم »

وقال ابن المبارك اذا لم يكن عند الرجل مال فليس عليه واجبا أن يتعلم الزكاة فاذا كان عنده مائتا درهم وجب عليه أن يتعلم كيف يخرج وأين يضع وسائر الاعمال على هذا . وعن عطاء قال : من جلس مجلسا للذكر كفر سبعين مجلسا من مجالس الباطل ، فان كان ذلك المجلس في سبيل الله يكفر سبعين ألفا من مجالس الباطل . قال عطاء ومجالس الذكر كيف أصلي كيف أزكي كيف أحج كيف أنكح كيف أطلق كيف أبيع كيف أشتري ؟ وقال اسحاق بن ابراهيم لأبي عبد الله ان قوما يكتبون الحديث ولا أرى أثره عليهم ولا يرى لهم وقار ، فقال أبو عبدالله يئولون في الحديث الى خير ، وقال دخلت عليه يوما ومعي كتاب له فرميت به من قامتي فانتهرني وقال ترمي بكلام الابرار ؟ وقال الشعبي زين العلم حلم اهله . وقال أيضا ان هذا العلم لا يصلح الا لمن فيه عقل ونسك ، فاليوم يطلبه من لا عقل له ولا نسك فيه ، وقال ابن وهب عن الثوري عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال لم تر شيئا الى شيء أزين من حلم الى علم

وقال أبو داود لاحمد كتبت الحديث بنية قال شرط النية شديد ولكن حبب الي فجمعته ، وقال عبد الله سألت أبي عن رجل ملك خمسمائة درهم وهو رجل جاهل أيحج بها أو يطلب العلم ؟ قال يحج لان الحج فريضة

وينبغي له أن يطلب العلم ، وقال المروذي قيل لابي عبدالله رجل له خمسمائة درهم ترى أن يصرفه في الغزو والجهاد أو يطلب العلم؟ قال اذا كان جاهلا يطلب العلم أحب إلي ، وقال في رواية يوسف بن موسى عجبت لمن يتثبط عن طلب العلم ويحتجون بالفضيل ولعل الفضيل قد اكتفى ليس يتثبط عن طلب العلم إلا جاهل ، وقال الربيع سمعت الشافعي يقول طلب العلم أفضل من صلاة النافلة

وذكر البيهقي قال مطرف بن الشخير فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع ، وروى مرفوعا بأسانيد ضعيفة وهو صحيح عن مطرف ذكره البيهقي ، وقال عبدالرزاق عن قتادة عن معمر عن مطرف قال حظ من علم أحب إلي من حظ عبادة ، سمعت ابن عباس يقول مذاكرة العلم ساعة أحب إلي من احياء ليلة ، وروى من طريق أخرى عن ابن عباس مثله

وقال ابن وهب اخبرني عتبة عن نافع عن زيد بن أسلم ان ابن مسعود كان يقول لئن أجلس مجلس فقه ساعة أحب الي من صيام يوم وقيام ليلة ، وقال الاوزاعي سأل رجل ابن مسعود أي الاعمال افضل؟ قال العلم ، فكرر عليه ثلاثا كل ذلك يقول العلم ، ثم قال ويحك إن مع العلم بالله ينفعك قليل العلم وكثيره ، ومع الجهل بالله لا ينفعك قليل العلم ولا كثيره . وقال أبو نضرة عن أبي سعيد: مذاكرة الحديث افضل من قراءة القرآن(١)

(١) يعني ان المذاكرة في علم الحديث وفقهه أفضل من التعبد بالقراءة من غير فهم ولا تفقه وأما كون تلاوة القرآن أفضل من قراءة الحديث نفسها فلا يختلف فيه مسلمان . ولعل أثر الزهري عنه (أي ابن مسعود) بهذا المعنى وان لم يربطه به لفظ ولا أسلوب ولا الراوي

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ثنا عبد الله بمثل الفقه ذكر ذلك البيهقي . وقال البخاري في التاريخ في ترجمة عبد الله بن مرة قال احمد حدثنا يحي بن سعيد سمعت الاعمش حدثني عمرو بن مرة سمعت أبا عبيدة قال قل أبو موسى لمقعد كنت أقعده من عبد الله أحب الي من عمل سنة في نفسي. وكان يحي يقول فيه سمعت أبا موسى فلم يقله لنا ، وقال يعلى عن الاعمش عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن أبي موسى وهذا انما قاله لما يحصل له من علمه وهديه وسمته ، قال ابن شهاب العلم أفضل من العمل لمن جهل ، والعمل أفضل من العلم لمن علم وقال حرب سمعت احمد يقول الناس محتاجون الى العلم قبل الخبز والماء لان العلم يحتاج اليه الانسان في كل ساعة والخبز والماء في اليوم مرة أو مرتين .

وقال ابن هاني قيل له يطلب الرجل الحديث بقدر ما يظن أنه قد انتفع به ؟ قال العلم لا يعدله شيء ، وقل في رواية المروذي ليس قوم عندي خيرا من أهل الحديث ليس يعرفون الا الحديث (١) وقال في رواية أبي الحارث أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم وقال أبو اسماعيل الترمذي سمعت احمد وقال له رجل إن رجلا قال إن أصحاب الحديث قوم سوء ، فقال هذا زنديق. وقال الثوري أكثروا من الحديث فانه سلاح ، وقال ابن المبارك اني لا سمع الحديث ما أريد أن أحدث به ولا أعمل به ولكن لأسده لأخ من اخواني يقع في الشيء

---

(١) رواية المروذي ساقطة من النسخة النجدية ومعناها انهم لا يعرفون في أصول الدين بدع المتكلمين وفي فروعه آراء المتفقهين ، فالحصر إضافي لا حقيقي

فأجدله مخرجا. وقيل لاحمد الى متى يكتب الرجل؟ قال حتى يموت. وقال نحن الى الساعة نتعلم. وللترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن غريب «لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة»

وروى الخلال باسناد صحيح عن عمر قال تفقهوا قبل أن تسودوا. وذكره البخاري تعليقا بصيغة الجزم. قال الخطابي في كتاب العزلة يريد من لم يخدم العلم في صغره يستحي أن يخدمه بعد كبر السن وادراك السؤدد. قال وبلغني عن سفيان الثوري رحمه الله قال من ترأس في حداثته كان أدنى عقوبته أن يفوته حظ كثير من العلم. وعن أبي حنيفة رحمه الله قال من طلب الرياسة بالعلم قبل أوانه لم يزل في ذل ما بقي. وقيل للمبرد لم صار أبو العباس يعني ثعلب احفظ منك للغريب والشعر؟ قال لأني ترأست وأنا حدث وترأس وهو شيخ انتهى كلام الخطابي وروى البيهقي قول عمر المذكور من حديث وكيع عن ابن عون عن محمد بن سيرين عن الاحنف بن قيس عنه قال معناه قبل أن تزوجوا وقال الشافعي اذا ترأست فلا سبيل الى التفقه. وروى الحاكم في تاريخه عن زفر قال أبو حنيفة يا زفر لا تحدث قبل وقتك فيستخف بك. وروى الخلال عن أيوب قال ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعا لله. وقال المروذي قيل لأبي عبد الله قيل لابن المبارك كيف تعرف العالم الصادق قال الذي يزهد في الدنيا ويقبل على آخرته. وقال أبو عبد الله نعم هكذا يريد أن يكون.

وقال الفضيل: يغفر لسبعين جاهلا قبل أن يغفر لعالم واحد وقال

أحمد ثنا سفيان بن عيينة سمعت فضيل بن عياض قال يغفر لجاهل سبعين ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد . وقال أحمد أيضا ثنا سيار بن حاتم ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « ان الله يعافي الأميين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء » وذكر الحافظ الذهبي هذا الخبر في ترجمة جعفر من المناكير . قال وقيل أخطأ من حدث به عن جعفر . وسيار وثقه ابن حبان وغيره . وقال الأزدي عنده مناكير . قال البيهقي : محمول ان صح على العالم الفاجر ، ونقل المروذي عن أحمد قال العالم يقتدى به ليس العالم مثل الجاهل ، وهذا معنى ما روي عن ابن المبارك وغيره . ونقل عن أحمد يحيى الأبيلي لمن نسأل بعدك ؟ قال لعبد الوهاب الوراق ، قيل انه ضيق العلم قال انه رجل صالح مثله يوفق لاصابة الحق .

وقال ابن عقيل في الفنون لا ينبغي الخروج من عادات الناس الا في الحرام فان الرسول ﷺ ترك الكعبة(١) وقال « لولا حدثان قومك الجاهلية » وقال عمر لولا أن يقال عمر زاد في القرآن لكتبت آية الرجم . وترك احمد الركعتين قبل المغرب لانكار الناس لها ، وذكر في الفصول عن الركعتين قبل المغرب وفعل ذلك امامنا أحمد ثم تركه بأن قال رأيت الناس لا يعرفونه ، وكره أحمد قضاء الفوائت في مصلى العيد وقال أخاف أن يقتدي به بعض من يراه

(١) يعني ترك الكعبة كما بنيت في الجاهلية ناقصة عن بناء ابراهيم عليه السلام بقدر الحطيم وكان يود أن يعيدها على أساس ابراهيم ويجعل لها بابين في أسفلها متقابلين ليدخلها من شاء من أحدها ويخرج من الآخر وإنما منعه من ذلك الخوف من افتتان الناس وأكثرهم قريب عهد بالشرك كما أخبر بذلك عائشة (رض) فالخطاب لها بقوله (ص) قومك . والحديث في الصحيحين وهو يدل على مراعاة حال استعداد عامة الناس فيما ترجح ترك فيه المفسدة على فعل المصلحة لا في كل شيء

وروى البيهقي وغيره من طريق شعيب عن نافع عن أسلم ان عمر رأى على طلحة ثوبا مصبوغا فقال ما هذا ؟ قال انه مدر ، فقال انكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس ، وان جاهلا لو رأى هذا لقال على طلحة ثوب مصبوغ فلا يلبس أحد منكم من هذه الثياب شيئا انه محرم ، وقال الاوزاعي كنا نمزح ونضحك فلما صرنا يقتدى بنا خشيت أن لا يسعنا التبسم ، وقال الثوري لو صلح القراء لصلح الناس ، وقال أيضا يعجبني أن يكون صاحب الحديث مكفيا لان الآفات أسرع اليهم وألسنة الناس اليهم أسرع واذا احتال ذل

وقال أبو داود السجستاني من اقتصر على لباس ومطعم دون أراح جسده ، وقال الاعمش عن زيد بن وهب رأيت بين كتفي عمر اربع عشرة رقعة بعضها من ادم ، وقال مالك عن اسحاق بن عبدالله عن انس رأيت عمر رضي الله عنه وهو يومئذ امير المؤمنين قد رقع بين كتفيه ثلاث رقاع لبد بعضها فوق بعض . وقال سليمان بن حرب لو نظرت إلى ثياب شعبة لم تكن تسوى عشرة دراهم .ازاره ورداؤه وقميصه ، كان شيخا كثير الصدقة . وقال علي بن ثابت رأيت الثوري في طريق مكة فقومت كل شيء عليه حتى نعله درهما وأربعة دوانق .

وقال الثوري ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله اذ الناس نائمون ، ونهاره اذ الناس مفطرون ، وبكائه اذ الناس يضحكون ، وبحزنه اذ

الناس يفرحون. وقال الثوري العالم طبيب هذه الامة ، والمال الداء فاذا كان الطبيب يجر الداء الى نفسه كيف يعالج غيره؟ وعن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال يامعشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا . وروى ابن بطة عن عمر أنه كتب الى أبي موسى ان الفقه ليس بسعة الهذر وكثرة الرواية انما الفقه خشية الله (١) وروى أيضا عن أبي حازم قال لا يكون العالم عالما حتى يكون فيه ثلاث خصال : لا يحقر من دونه في العلم، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على علمه دنيا . وروى أيضا عن الحسن قال الفقيه الورع الزاهد المقيم على سنة محمد ﷺ الذي لا يسخر بمن اسفل منه ولا يهزأ بمن فوقه ولا يأخذ على علم علمه الله عز وجل حطاما ، وقال أيضا ما رأيت فقيها قط . وروى البيهقي عنه كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث ان يرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره ويده، وقال ابن المبارك عن مالك بن دينار سألت الحسن ماعقوبة العالم ؟ قال موت القلب ، قلت وماموت القلب ؟ قال طلب الدنيا بعمل الاخرة . وقال الاوزاعي بلغني أنه يقال ويل للمتفقهين لغير العبادة، والمستحلين المحرمات بالشبهات، وقال مالك ان حقا على من طلب العلم ان يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعا لاثر من مضي قبله، وقال الربيع سمعت الشافعي يقول أخشى أن أطلب العلم بغير نية أن لا ينتفع به، وقال الشافعى رضي الله عنه زينة العلم الورع والحلم، وقال أيضا

(١) فيه أن هذه الالفاظ من الاصطلاحات المستحدثة بعد عمر (رض)

لا يجمل العلم ولا يحسن الا بثلاث خلال : تقوى الله ، واصابة السنة، والخشية وقال أيضا ليس العلم ماحفظ، العلم مانفع، وقال أبو قلابة لأيوب اذا احدث لك علم فاحدث فيه عبادة ولا يكن همك ان تحدث به الناس.

وقال أحمد بن محمد سمعت وكيعاً يقول قالت أم سفيان الثوري(١) اذهب فاطلب العلم حتى أعولك انا بمغزلي، فاذا كتبت عشرة أحاديث فانظر هل في نفسك زيادة فاتبعه والا فلا تتعنى . وقال الفضيل بن عياض بلغني أن العلماء فيما مضى كانوا اذا تعلموا عملوا ، واذا عملوا، شغلوا، واذا شغلوا فقدوا، واذا فقدوا طلبوا. وإذا طلبوا هربوا. وقال عمر تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن يعلمكم وتواضعوا لمن تعلمون ولا تكونوا من جبارى العلماء فلا يقوم علمكم مع جهلكم. وقالت عائشة تغفلون عن اعظم العبادة: التواضع. وقال الشعبي اتقوا الفاجر من العلماء ، والجاهل من المتعبدين ، فانه آفة كل مفتون . وقال الثوري نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فان فتنتهما فتنة لكل مفتون. ذكر ذلك البيهقي

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله إن الله يحب العالم المتواضع ويبغض العالم الجبار. ويأتي الخبر في فصول كسب المال في الأئمة المضلين ،

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده مرفوعاً «إني أخاف على أمتي من بعدي زلة العالم ، ومن حكم جائر، وهوى متبع » وفي لفظ بهذا الاسناد « اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته » كثير كذاب

(١) أي قالت له

متروك، وهذا مذكور في ترجمته، وقد صحح له الترمذي وعن زيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعا «إن أشد ما أتخوف على أمتي ثلاث: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناقكم، فاتهموها على أنفسكم» يزيد ضعيف ولم يترك. وقال داود ابن أبي هند. قال عمر بن الخطاب يفسد الناس ثلاثة أئمة مضلون، وجدال منافق بالقرآن والقرآن حق، وزلة العالم. وقد قال منصور عن شقيق عن أبي الدرداء رضي الله عنه: اني لآمركم بالامر وما أفعله ولكن لعل الله ان يأجرني فيه. قال البيهقي محمول على المستحبات او انه قاله على وجه التواضع. وقال أبو داود الطيالسي ثنا الصعق ابن حزن عن عقيل الجعدي عن أبي اسحاق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «يا عبد الله اتدري أي الناس أعلم؟» قلت الله ورسوله اعلم قال «فان اعلم الناس اعلمهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا في العمل، وان كان يزحف على استه» قال البخاري في عقيل منكر الحديث يروي عن أبي اسحاق، وتكلم فيه ابن حبان، وقال البيهقي غير معروف. قال ويمكن اجراء الخبر على ظاهره ويكون تركه العمل زلة منه تنتظر فيئته.

ولما حج سالم الخواص لقي ابن عيينة في السوق فانكر عليه كونه في السوق فانشد ابن عيينة

خذ بعلمي وان قصرت في عملي ينفعك علمي ولا يضرك تقصيري

وأما قول بعض المتأخرين

خذ من علومي ولا تنظر الى عملي واقصد بذلك وجه الواحد الباري
وان مررت باشجار لها ثمر فاجن الثمار وخل العود للنار

فالمراد اذا كان أهلا لاخذ العلم عنه ولكنه مقصر في العمل والا كان مردودا على قائله ،

وقال في الرعاية في كتاب الجهاد ومن لزمه تعلم شيء ـ وقيل أو كان في حقه فرض كفاية وقيل أو نفلا ولا يحصل له في بلده ـ فله السفر في طلبه بغير اذن أبويه وبقية أقاربه انتهى كلامه وكلام أحمد السابق في رواية اسحاق بن ابراهيم يدل لهذا القول، وغيرها عن أحمد يخالفها ، قال القاضي ومما يجب انكاره ترك التعليم والتعلم لما يجب تعليمه وتعلمه نحو ما يتعلق بمعرفة الله تعالى وبمعرفة الصلوات وجملة الشرائع وما يتعلق بالفرائض ويلزم النساء الخروج لتعلم ذلك وقد قال النبي ﷺ في الصبيان «واضربوهم على تركها لعشر» فاولى أن يضرب المكلف على تعلم ذلك

وواجب على الامام أن يتعاهد المعلم والمتعلم كذلك ويرزقهما من بيت المال لان في ذلك قواما للدين فهو أولى من الجهاد لأنه ربما نشأ الولد على مذهب فاسد فيتعذر زواله من قلبه

وروى البيهقي من حديث الثوري عن منصور عن ربعي عن علي (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) قال علموهم الخير

وقد روى الخلال في اخلاق الامام احمد انه قال خرجت الى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لبنة فحممت فرجعت الى أمي ولم أكن

استأذنتها . وقال الفضيل العلماء ربيع الناس اذا رآهم المريض لايشتهي أن يكون صحيحا ، واذا رآهم الفقير لايشتهي أن يكون غنيا ، وعن الشعبي قال شرار كل ذي دين علماؤهم غير المسلمين

وروى الخلال أنبأنا محمد ثنا وكيع عن المسعودي عن القاسم قال : قال عبد الله: كفى بخشية الله علما ، وبالاغترار بالله جهلا ، وعن أبي الدرداء قال لا يكون الرجل عالما حتى يكون به عاملا ، وقالت : عائشة «ماسمعت النبي ﷺ ينسب أحدا إلا الى الدين » رواه أبو داود ، وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم. رواه الخلال

وروى ابن ماجه والبيهقي وغيرهما من رواية معاوية بن سلمة البصري عن نهشل وهو كذاب متروك عندهم عن الضحاك عن الاسود عن ابن مسعود قال لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم ولكنهم أتوا به أهل الدنيا فاستخفوا بهم . سمعت نبيكم ﷺ يقول « من جعل همومه هما واحدا كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم وأحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك » وفي حواشي تعليق القاضي أبي يعلى ذكر المدائني في كتاب السلطان عن علي رضي الله عنه قال لو أن حملة العلم حملوه بحقه لاحبهم الله عز وجل وملائكته وأهل طاعته من خلقه، ولكن حملوه لطالب الدنيا فمقتهم الله وهانوا على الناس ،

وقال مالك وجه الي الرشيد ان أحدثه فقلت يا أمير المؤمنين ان العلم يؤتى ولا يأتي. فصار الى منزلي فاستند معي على الجدار فقلت له يا أمير المؤمنين ان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم ، فقام فجلس بين يدي ، قال فقال بعد مدة يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به ، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع به ، وروي نحو ما روي عن مالك عن سليمان بن حرب مع طاهر بن عبد الله ، وروي أن طاهر بن عبد الله كان ببغداد فطمع أن يسمع من أبي عبيد وطمع أن يأتيه في منزله فلم يفعل أبو عبيد فقدم علي ابن المديني وعباس العنبري فأرادا أن يسمعا غريب الحديث فكان يحمل كل يوم كتابه ويأتيهما في منزلهما فيحدثهما فيه

وروى البيهقي وغيره أن المهدي لما قدم المدينة حاجا جاءه مالك فسلم عليه فأمر المهدي ابنه موسى الهادي وهارون الرشيد أن يسمعا منه فطلباه اليهما فامتنع فعاتبه المهدي في ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان للعلم نضارة يؤتى أهله وفي رواية العلم أهل أن يوقر ويؤتى أهله ، فأمرهما والدهما بالمصير اليه ، فسأله مؤدبهما أن يقرأ عليهما فقال ان أهل هذه البلدة يقرؤن على العالم كما يقرأ الصبيان على المعلم ، فاذا أخطأوا أفتاهم ، فرجعوا الى الخليفة فعاتبه المهدي في ذلك فقال يا أمير المؤمنين سمعت ابن شهاب يقول سمعنا هذا العلم من رجال في الروضة وهو يا أمير المؤمنين سعيد ابن المسيب وأبو سلمة وعروة والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وخارجة ابن زيد وسليمان بن يسار ونافع مولى ابن عمر وابن هرمز ، ومن بعدهم

أبو الزناد وربيعة ويحي بن سعيد وابن شهاب كل هؤلاء يقرأ عليهم ولا يقرءون. فقال المهدي: في هؤلاء قدوة ، صيروا اليه فاقرأوا عليه ، ففعلوا ، وقال سفيان بن عيينة لو أن أهل العلم طلبوه لما عند الله لها بهم الناس ولكن طلبوا به الدنيا فهانوا على الناس ، وقال سفيان ما زال العلم عزيزا حتى حمل الى أبواب الملوك وأخذوا عليه اجرا فنزع الله الحلاوة من قلوبهم ، ومنعهم العمل به ، وقال ابن الجوزي ينبغي للعالم أن يصون العلم ولا يبذله ولا يحمله الى الناس خصوصا الى الامراء ، وروي عن القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني انه أنشد لنفسه

يقولون لي فيك انقباض وانما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن لزمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم ان كان كلما بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من في الارض أرضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة اذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو ان أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أذلوه فهان ودنسوا محياه بالاطماع حتى تجهما

وأرسل محمد بن سليمان أمير البصرة الى حماد بن سلمة يطلب منه الحضور اليه لاجل مسئلة وقعت له فأرسل اليه حماد انا أدركنا العلماء وهم

لا يأتون أحداء فان وقفت مسئلة فأتنا فاسألنا عما بدا لك. والقصة مشهورة. وفيها أن محمد بن سليمان جاء فجلس بين يديه ثم ابتدأ فقال مالي اذا نظرت اليك امتلأت رعبا؟ فقال حماد سمعت ثابتا البناني يقول سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، واذا أراد أن يكثر به الكنوز هاب من كل شيء» والقصة طويلة وفيها أنه عرض عليه أربعين ألف درهم فلم يقبلها لنفسه ولا ليقسمها ويفرقها . وأنشد بعضهم

اذا شئت أن تستقرض المال منفقا على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها عليك وارفاقا الى زمن اليسر
فان فعلت كنت الغني وإن أبت فكل منوع بعدها واسع العذر

وقال أبو الحارث لابي عبد الله فترى الرجل أن يرحل لطلب العلم؟ قال نعم قد رحل أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم . وروى عنه الخلال أنه سئل عن رجل يقيم ببلدة وينزل في الحديث درجة؟ قال ليس طلب العلم هكذا، لو طلب العلم هكذا مات آنفا، يؤخذ العلم عن الاكابر

وعن سعيد بن المسيب قال ان كنت لأسافر مسيرة الليالي والايام في الحديث الواحد . وقال أبو قلابة لقد أقمت بالمدينة ثلاثة أيام مالي حاجة إلا رجل يقدم عنده حديث فاسمعه . وعن الشعبي قال لو ان رجلا سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن فسمع كلمة تنفعه فيما يستقبل من أمره ما رأيت سفره ضاع

وفي الصحيحين من حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، عبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي ، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها » ثم قال الشعبي خذها بغير شيء فقد كان الرجل يرحل في مثلها الى المدينة يعني من الكوفة ، وأشار البخاري الى حديث عبد الله بن أنيس وان جابرا رحل اليه شهرا في حديث واحد. وهذا الحديث رواه الامام احمد من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله الانصاري أنه ابتاع بعيرا وسار شهرا الى عبد الله ابن أنيس، والحديث عن النبي ﷺ يقول الله تعالى يوم القيامة « أنا الله أنا الملك أنا الديان » وذكر الحديث . وقد رحل الشافعي واحمد وغيرهما من الائمة قديما وحديثا تقبل الله تعالى منهم

وعن عمران بن حصين قال دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فتاهت فأتاه ناس من بنى تميم فقال « اقبلوا البشرى يابنى تميم » قالوا بشرتنا فاعطنا ، مرتين ، فتغير وجهه ، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال « اقبلوا البشرى » يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم » قالوا قبلنا يارسول الله ، قالوا اجئناك لنتفقه في الدين ولنسئلك عن أول هذا الامر قال « كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء » ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك

ناقتك فقد ذهبت ، فانسلقت أطلبها فاذا السراب ينقطع دونها وايم الله لوددت انها قد ذهبت ولم أقم

قال ابن هبيرة : فيه الرحلة في طلب العلم، وجواز السؤال عن كل ما لا يعلمه ، وجواز العدول عن سماع العلم إلى ما يخاف فواته ، لان عمران قام عن المجلس لاجل ناقته فلم ينكر عليه، وجواز إيثار العلم على ذلك لقول عمران وددت انها ذهبت ولم أقم

وقال مهنا سألت أحمد عن حديث معاذ ابن رفاعة عن ابراهيم بن عبدالرحمن العذري قال قال رسول الله ﷺ « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الجاهلين ، وابطال البطالين ، وتأويل الغالين » فقلت لأحمد هو كلام موضوع ؟ قال لا ، هو صحيح ، فقلت له سمعته أنت ؟ قال من غير واحد، قلت من؟ قال حدثني به مسكين الا انه يقول عن معاذ عن القاسم بن عبد الرحمن . ثم رواه الخلال من حديث معاذ عن ابراهيم عن النبي ﷺ . ورواه أبو احمد بن عدي الحافظ عن عبدالله البغوي ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا حماد بن زيد ثنا قتيبة(١) بن الوليد ثنا معاذ بن رفاعة عن ابراهيم بن عبدالرحمن العذرى قال قال رسول الله ﷺ فذكره ، قال البيهقي وتابعه اسماعيل بن عياش عن معاذ، ورواه الوليد بن مسلم عن ابراهيم بن عبدالرحمن عن الثقة من اشياخهم عن النبي ﷺ ، وروى من أوجه أخر ضعيفة، قاله البيهقي واعتنى ابن عبدالبر بهذا الحديث وحاول تصحيحه واحتج

(١) في النسخة المصرية بقية وهو الصواب

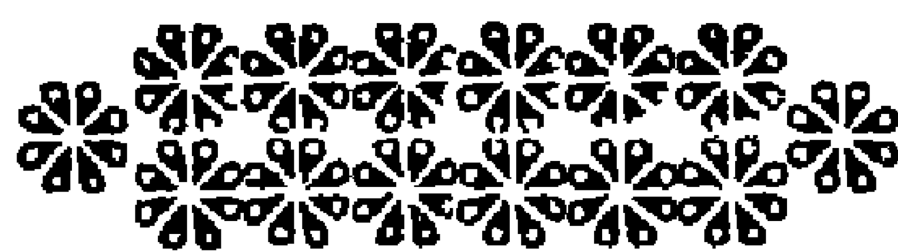
به في أن كل من حمل العلم فهو عدل والله أعلم. ومعاذ بن رفاعة مختلف فيه، قال أحمد ومحمد بن عوف وأبو داود لا بأس به، وقال ابن المديني ونعيم ثقة، وقال النسوي لين الحديث وضعفه ابن معين، وقال الجوزجاني ليس بحجة، وقال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابع عليه. وقال ابن حبان منكر الحديث

ونقل المروذي ويوسف بن موسى عن أحمد انه قيل له رجل أراد أن يصوم يوما تطوعا فأفطر لطلب العلم؟ فقال اذا احتاج الى طلب العلم فهو أحب الي فقيل له لان طلب العلم أفضل؟ فسكت

وقال المروذي سمعت أبا عبد الله يصف كيف يؤخذ العلم قال ننظر ما كان عن رسول الله ﷺ فان لم يكن فعن اصحابه فان لم يكن فعن التابعين، وقال أبو داود سمعت أبا عبد الله يسأل اذا جاء الشيء عن الرجل من التابعين لا يوجد فيه عن النبي ﷺ يلزم الرجل أن يأخذ به؟ قال لا ولكن لا يكاد يجيء شيء عن التابعين الا ويوجد فيه شيء عن أصحاب رسول الله ﷺ، وقال الفضيل بن أحمد سمعت احمد بن حنبل وقد أقبل اصحاب الحديث بأيديهم المحابر فأومأ اليها وقال هذه سرج الاسلام يعني المحابر، وقال ابن الجوزي قال الشافعي لولا المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر. وروى باسناده عن عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني أبي قال رآني الشافعي وأنا في مجلس وعلي قميصي حبر وأنا أخفيه فقال لم تخفيه وتستره؟ فان الحبر على الثوب من المروءة لان صورته في الابصار سواد وفي البصائر بياض

قال ابن الجوزي وينبغي تجويد الخط وتحقيقه دون المشق والتعليق، ويكره تضييق السطور وتدقيق القلم فان النظر الى الخط الدقيق يؤذي. قال حنبل بن اسحاق رآني احمد بن حنبل وأنا اكتب خطا دقيقا فقال لا تفعل أحوج ما تكون اليه يخونك. قال ابن الجوزي وقد كان بعضهم يضيق السطور لعدم الكاغد. وقد رأيت في وجهة من خط أبي عبد الله الصوري أحدا وثمانين سطراً

وقال البغوي عن أحمد أنا اطلب العلم الى أن أدخل القبر. وقال صالح رأى رجل مع أبي محبرة فقال له يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين، فقال معي المحبرة إلى المقبرة، وقال أحمد في موضع آخر إظهار المحبرة من الرياء، وذكر له الصدق والاخلاص فقال بهذا ارتفع القوم. وروى ابن الجوزي باسناده عن عبد الرحمن بن مهدي قال كان الرجل إذا لقي من هو فوقه في العلم كان يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله دارسه وتعلم منه، وإذا لقي من دونه تواضع له وعلمه، وقال ابن عبد البر في بهجة المجالس: وقال الاحنف: مذاكرة الرجال تلقيح لعقولها. ويأتي بنحو كراسة ما يتعلق بهذا



فصل

(موعظة العلماء المتقين بالشعر)

قال أبو يعلى الموصلي سمعت أحمد بن حنبل يقول خرجت في وجه الصبح فاذا أنا برجل مسبل منديله على وجهه فناولني رقعة، فلما أضاء الصبح قرأتها فاذا فيها مكتوب

عش موسراً ان شئت أو معسراً   لا بد في الدنيا من الغم
وكلما زادك من نعمة   زاد الذي زادك في الهم
اني رأيت الناس في عصرنا   لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لأصحابهم   وعدة للخصم والظلم

قال فظننت ان محمد بن يحيى الذهلي ناولني فلقيته فقلت له الرقعة التي ناولتني، فقال ما رأيتك ما ناولتك رقعة، فعلمت انها عظة لي. وقال الحافظ تقي الدين بن الاخضر فيمن روى عن احمد بن مروان قاضي تكريت قال كتب رجل من اخوان ابى عبد الله احمد بن حنبل اليه أيام المحنة

هذي الخطوب ستنتهي يا أحمد   فاذا جزعت من الخطوب فمن لها
الصبر يقطع ما ترى فاصبر لها   فعسى بها أن تنجلي ولعلها

فأجابه احمد

صبرتني ووعظتني فأنا لها   فستنجلي بل لا اقول لعلها
ويحلها من كان يملك عقدها   ثقة به اذ كان يملك حلها

فصل

﴿ العلم مواهب من الله يؤتيه من يشاء ينال بالتقوى والعمل لا بالحسب ﴾

وقال أبو الحارث سمعت أبا عبد الله يقول انما العلم مواهب يؤتيه الله من أحب من خلقه وليس يناله أحد بالحسب ولو كان بالحسب كان أولى الناس به أهل بيت رسول الله ﷺ ، وقال أحمد بن أبي الحوارى قال لي أحمد بن حنبل يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي سليمان الداراني ، فقال أحمد سبحان الله بلا عجب ، فقال أحمد بن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب ، فقال أحمد بن أبي الحورى سمعت أبا سليمان يقول اذا عقدت النفوس على ترك الآثام ، جالت في الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن يؤدى اليها عالم علما فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وقعد ثلاثا ، وقال ما سمعت في الاسلام بحكاية أعجب من هذه إلي . ثم ذكر أحمد بن حنبل عن يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس ابن مالك ان النبي ﷺ قال « من عمل بما يعلم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم » ثم قال أحمد بن حنبل لاحمد بن أبي الحوارى صدقت يا أحمد وصدق شيخك ، قال أبو نعيم عقب ذلك ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الاسناد عليه لسهولته وقربه ، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الاسناد عن أحمد ابن حنبل ذكره ابن الأخضر فيمن روى عن أحمد في ترجمة أحمد بن أبي الحوارى

فصل

(الحذر من القول في حديث رسول الله ﷺ بالظن)

نقل الميموني عن الامام أحمد رضي الله عنه أنه سئل عن حديث فقال سلوا أصحاب الغريب فاني أخاف أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطيء، وقال أبو الوليد الطيالسي سمعت شعبة قال سألت الاصمعي عن حديث النبي ﷺ «انه ليغان على قلبي» ما معنى يغان؟ قال فقال لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ؟ فقلت نعم فقال لو كان عن غير النبي ﷺ لفسرت ذلك ولكن عن النبي ﷺ لا أجتريء عليه، وعن الاصمعي عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال كانوا يتقون حديث النبي ﷺ كما يتقون تفسير القرآن، وكان أحمد يجيء الى أبي عبيد يسأله في الغريب، روى ذلك الخلال. وقال أبو داود قلت لاحمد كتابة كتاب الغريب الذى وضعه القاسم بن سلام قال قد كثره جدا يشغل الانسان عن معرفة العلم، لو كان تركه على ما كان أولا

فصل

(في قول العالم لا أدرى واتقاء التهجم على الفتوى)

قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا ترك العالم لا أدرى أصيبت مقاتله وكذا قال علي بن حسين، وقال مالك كان يقال إذا أغفل العالم لا أدرى أصيبت مقاتله، وقال أيضا كان رسول الله ﷺ امام المسلمين وسيد العالمين يسئل

عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء، وقال الشعبي «لا أدري» نصف العلم، وقال أحمد في رواية المروذي كان مالك يسئل عن الشيء فيقدم ويؤخر يشهت(١) وهؤلاء يقيسون على قوله ويقولون: قال مالك. وباسناد حسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال من علم الرجل أن يقول لما لا يعلم «الله أعلم» لأن الله عز وجل قال لرسوله عليه الصلاة والسلام (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: العلم ثلاثة كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري. وقال أحمد في رواية المروذي ليس كل شيء ينبغي أن يتكلم فيه وذكر أحاديث النبي ﷺ كان يسئل فيقول «لا أدري حتى أسأل جبريل» وقال عبد الله سمعت أبي يقول كان سفيان لا يكاد يفتي في الطلاق ويقول من يحسن ذا؟ من يحسن ذا؟ وقال في رواية أبي الحارث وددت أنه لا يسألني أحد عن مسألة، أو ما شيء أشد علي من ان اسئل عن هذه المسائل البلاء، وجه الرجل عن عنقه ربما شيء وخاصة مسائل الطلاق والفروج نسأل الله العافية ونقل الأثرم عنه انه سأله عن شيء فقلت كيف هو عندك؟ فقال: ما عندي أنا؟ وسمعته يقول اعانا ويعني العلم ما جاء من فوق

وقال سفيان لقد كان الرجل يستفتى فيفتي وهو يرعد، وقال سفيان من فتنة الرجل اذا كان فقيها أن يكون الكلام أحب اليه من السكوت

(١) أي يصيح قال شهت الرجل شهاتة فهو شهات: دعا، صوت والاسم الشهات بالضم وشهت على خصمه صاح أشد الصياح اهـ من القاموس وشرحه

وقال المروذي قلت لابي عبدالله ان العالم يظنونه عنده علم كل شيء فقال قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الذي يفتي الناس في كل مايستفتونه لمجنون. وأنكر أبو عبد الله على من يتهجم في المسائل والجوابات وسمعت أباعبدالله يقول: ليتق الله عبد ولينظر مايقول وما يتكلم، فانه مسئول، وقال من أفتى الناس ليس ينبغي أن يحمل الناس على مذهبه ويشدد عليهم

وقال في رواية ابن القاسم: انما ينبغي أن يؤمر الناس بالامر البين الذي لاشك فيه(١) وليت الناس اذا أمروا بالشيء الصحيح أن لايجاوزوه. ونقل محمد بن أبي طاهر عنه انه سئل عن مسئلة في الطلاق فقال سل غيري ليس لي أفتي في الطلاق بشيء، وقال في رواية ابن منصور لا ينبغي أن يجيب في كل مايستفتى

وصح عن مالك انه قال ذل وإهانة للعلم أن تجيب كل من سألك، وقال أيضا كل من أخبر الناس بكل ما يسمع فهو مجنون، وقال احمد في رواية احمد بن علي الابار وقال له رجل حلفت بيمين لا أدري ايش هي؟ قال ليت انك اذا دريت دريت أنا. وقال في رواية الاثرم اذا هاب الرجل شيئا فلا ينبغي أن يحمل على أن يقول

وعن ابن المسيب قال قال عمر رضي الله عنه اذا رأيتم القارىء يغشى السلطان فهو لص، واذا رأيتموه يخالط الاغنياء فهو مراء. وقال الميموني جلست مع أبي عبد الله في المقبرة وكنا نتحدث وكنت أسائله

١ هذا يؤيد ماقاله الشيخ تقي الدين عن السلف

ويجيبني قال الخلال وكنت أمضي مع المروذي الى المقابر ويصلي على الجنائز فأقرأ عليه ونحن قعود بين القبور الى أن يفرغ من دفن الميت

وقال في رواية المروذي ان الذى يفتي الناس يتقلد أمرا عظيما أو قال يقدم على أمر عظيم ، ينبغي لمن أفتى أن يكون عالما بقول من تقدم والا فلا يفتي . وقال في رواية الميموني من تكلم في شيء ليس له فيه امام أخاف عليه الخطأ

وقال الثورى لا نزال نتعلم ماوجدنا من يعلمنا ، وقال احمد نحن الى الساعة نتعلم. وسأل اسحاق بن ابراهيم عن الحديث الذى جاء «أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار» مامعناه؟ قال أبو عبد الله يفتي بما لم يسمع

وقال محمد بن أبي حرب: سمعت ابا عبد الله يسئل عن الرجل يفتي بغير علم؟ قال يروى عن ابى موسى قال يمرق من دينه . ونقل المروذي أن رجلا تكلم بكلام أنكره عليه ابو عبد الله قال هذا من حبه الدنيا يسئل عن الشيء الذى لا يحسن فيحمل نفسه على الجواب، ونحو هذا عن حماد . وقال كنت أسائل ابراهيم عن الشيء فيعرف في وجهي اني لم أفهم فيعيده حتى أفهم . روى ذلك الخلال وغيره

وقال ابن وهب عن يونس عن الزهرى ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدث رجلا بحديث فاستفهمه لرجل فقال الصديق هو كما حدثتك أي ارض تقلني اذا قلت بما لا أعلم . وروى نحوه من غير وجه عن أبى هريرة مرفوعا «من أفتى بفتيا غير ثبت فيها فانما اثمه على الذي أفتاه»

وفي لفظ « من أفتى بفتيا بغير علم كان اثم ذلك على الذى أفتاه » رواهما أحمد وروى الثاني ابو داود والاول ابن ماجه وهو حديث جيد له طرق مذكورة في حواشي المنتقي

وقال مسلم البطين عن عزرة التميمي قال قال علي: وابردها على الكبد ـ ثلاثا ـ أن يسئل الرجل عما لا يعلم فيقول الله أعلم . وعن علي أيضا خمس لو سافر الرجل فيهن الى اليمن لكن عوضا من سفره : لا يخشى عبد إلا ربه ، ولا يخاف الا ذنبه ، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحي من تعلم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول الله أعلم ، والصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد. واذا قطع الرأس توى الجسد

وقال الثوري عن الاعمش عن ابي وائل عن ابن مسعود قال من أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون . وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن ابن عباس مثله . قال الزهري عن خالد بن أسلم أخي زيد بن أسلم قال كنا مع ابن عمر فسأله اعرابي أترث العمة ؟ فقال لا أدرى . قال أنت لا تدرى ؟ قال نعم اذهب الى العلماء فاسألهم. فلما أدبر الرجل قبل ابن عمر يده فقال نعما قال ابو عبد الرحمن سئل عن مالا يدرى فقال لا أدرى

وقال سفيان بن عيينة والثوري عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال أدركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من أحد يحدث بحديث الا ود أن اخاه كفاه إياه ، ولا يستفتى عن شيء الا ود أن أخاه كفاه الفتوى ، هذا لفظ رواية الثوري

ولفظ ابن عيينة اذا سئل أحدهم عن المسألة ردها هذا الى هذا، وهذا الى هذا، حتى ترجع الى الأول. وقال أبو حصين عثمان بن عاصم التابعي الجليل إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر، وقال القاسم وابن سيرين لأن يموت الرجل جاهلا خير له من أن يقول ما لا يعلم، وقال مالك عن القاسم بن محمد إن من إكرام المرء لنفسه أن لا يقول الا ما أحاط به علمه، وقال سعيد بن جبير، ويل لمن يقول لما لا يعلم إني أعلم: وقال مالك من فقه العالم أن يقول لا أعلم فانه عسى ان يهيأ له الخير

وقال احمد بن حنبل سمعت الشافعي رضي الله عنهما سمعت مالكا سمعت محمد بن عجلان يقول اذا ترك العالم «لا أدري» أصيبت مقاتله، ورواه اسحاق بن راهويه عن ابن عيينة عن داود بن أبي زبير الزبيري عن مالك بن عجلان قال قال ابن عباس فذكره وقد سبق. وقال عبد الرزاق عن معمر قال سأل رجل عمرو بن دينار عن مسألة فلم يجبه فقال الرجل إن في نفسي منها شيئا فاجبني، فقال إن يكن في نفسك منها مثل أبي قبيس احب الي أن يكون في نفسي منها مثل الشعرة، وقال ابن مهدي سأل رجل مالك ابن أنس عن مسئلة فطال ترداده اليه فيها وألح عليه فقال ما شاء الله ياهذا إني لم أتكلم الا فيما احتسب فيه الخير ولست أحسن مسألتك هذه. وقال ابن وهب سمعت مالكا يقول العجلة في الفتوى نوع من الجهل والخرق وكان يقال التأني من الله والعجلة من الشيطان، كذا وجدت هذه الكلمة (الخرق) فان كانت كذلك فقال الجوهري الخرق بالتحريك الدهش

من الخوف أو الحياء وقد خرق بالكسر فهو خرق وأخرقته انا أي أدهشته، والخرق أيضا مصدر الاخرق وهو ضد الرفيق وقد خرق بالكسر يخرق خرقا والاسم الخرق، وان كانت هذه الكلمة التخرق فالتخرق لغة في التخلق من الكذب والله أعلم ثم روى البيهقي من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان وهو ضعيف عندهم وحسن له الترمذي عن أنس مرفوعا «الأناة من الله والعجلة من الشيطان» وقال محمد بن المنكدر «العالم بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل بينهم» وقال يحيى بن سعيد كان سعيد بن المسيب لا يكاد يفتي فتيا ولا يقول شيئا الا قال اللهم سلمني وسلم مني؛ ذكره البيهقي وغيره ولا سيما ان كان من يفتي يعلم من نفسه أنه ليس أهلا للفتوى لفوات شرط أو وجود مانع ولا يعلم الناس ذلك منه فانه يحرم عليه افتاء الناس في هذه الحال بلا اشكال فهو يسارع الى مايحرم لاسيما ان كان الحامل على ذلك غرض الدنيا واما السلف فكانوا يتركون ذلك خوفا ولعل غيره يكفيه وقد يكون أدنى لوجود من هو أولى منه. قال ابن معين الذي يحدث بالبلدة وبها من هو أولى منه بالحديث فهو أحمق وقال أيضا اذا رأيتني أحدث في بلدة فيها مثل علي بن مسهر فينبغي للحيتي ان تحلق ـ وأمر يده على عارضيه ـ ويأتي بنحو كراسين هذا المعنى قبل فصل (قال أبو جعفر بن درستويه)

وقال مالك ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك. وقال ابن عيينة وسحنون أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما، قال سحنون

أشقى الناس من باع آخرته بدنيا غيره ، وقال فتنة الجواب بالصواب أشد من فتنة المال. وقال سفيان أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بداً من أن يفتوا ، وقال أعلم الناس بالفتيا أسكتهم عنها وأجهلهم بها أنطقهم فيها ، وبكى ربيعة فقيل ما يبكيك ؟ فقال استفتي من لا علم له وظهر في الاسلام أمر عظيم ، وقال ولبعض من يفتي ههنا أحق بالسجن من السراق

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو مرفوعا « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وفيهما أيضا عن ابن مسعود مرفوعا « ان بين يدي الساعة أياما ينزل فيها الجهل ويترك فيها العلم ، ويكثر فيها الهرج » والهرج القتل . وفيهما عن أنس مرفوعا « ان من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل والزنا وشرب الخمر ، ويقل الرجال ، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » وعن أبي هريرة مرفوعا « يتقارب الزمان ويقبض العلم » وفي لفظ « وينقص العلم ، وتظهر الفتن ، ويلقى الشح ، ويكثر الهرج » قالوا وما الهرج؟ قال « القتل » وعن عوف بن مالك ان النبي ﷺ نظر إلى السماء فقال « هذا أوان يرفع العلم من الناس » فقال زياد بن لبيد يا رسول الله وكيف وقد قرأنا القرآن . والله لنقرأنه ولنقرئنه أبناءنا ونساءنا ، فقال « ثكلتك أمك يازياد ، إن كنت لأعدك من أفقه أهل المدينة ، هذه التوراة والانجيل عند

اليهود فماذا يغني عنهم » وعن أبي الدرداء هذا المعنى وفيه « هذا أوان يختلس العلم » حديثان جيدا الاسناد ، وروى الاول النسائي وغيره ، وروى الثاني الترمذي وغيره وقال حسن غريب

وقال شعبة عن حصين عن سالم بن أبي الجعد قال قال أبو الدرداء : مالي أرى علماءكم يذهبون ، ولا أرى جهالكم يتعلمون ، مالي أراكم تحرصون على ما قد تكفل لكم ، وتدعون ما أمرتم به ، تعلموا قبل أن يرفع العلم ، ورفع العلم ذهاب العلماء ، لأنا أعلم بشراركم من البيطار بالفرس ، هم الذين لا يأتون الصلاة إلا دبراً ، ولا يقرؤن القرآن إلا هجرا ، ولا يعتق محرورهم . وقال الاعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ، ويربو فيها الصغير ، ويتخذها الناس سنة ، فاذا غيرت قالوا غيرت السنة . قالوا متى ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال إذا كثرت قراؤكم ، وقلت فقهاؤكم ، وكثرت أمراؤكم ، وقلت أمناؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة . وقال الاوزاعي عن الزهري كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة ، والعلم يقبض قبضا سريعا ونعش العلم ثبات الدين والدنيا وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله ، ذكره البيهقي

وقال نعيم بن حماد ثنا عيسى بن يونس عن جرير بن عثمان عن عبد الرحمن ابن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك مرفوعا « تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة ، أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الامور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال » رواه البيهقي وقال تفرد به نعيم بن

حماد وقد سرقه منه جماعة من الضعفاء وهو منكر، وفي غيره من الاحاديث الصحاح كفاية . وقد قال محمد بن حمزة المروذي سألت يحي بن معين عن هذا فقال ليس له أصل قلت فنعيم؟ قال ثقة . قلت كيف يحدث ثقة بباطل؟ قال شبه له ، وقال الخطيب وافقه على روايته سويد وعبدالله بن جعفر عن عيسى ، وقال ابن عدي رواه الحاكم ابن المبارك الخواشني ويقال لا بأس به عن عيسى .قال بعض المتأخرين هؤلاء أربعة لا يتفقوا عادة على باطل فان كان خطأ فمن عيسى بن يونس

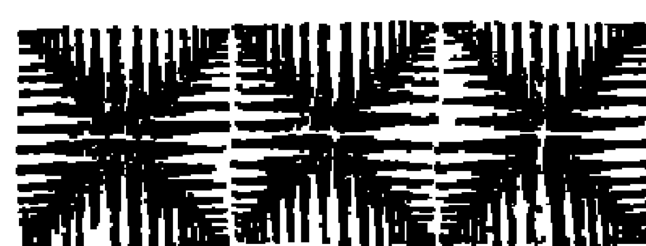
وروى البيهقي من رواية نعيم بن حماد ثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو مرفوعا « لن يستكمل مؤمن ايمانه حتى يكون هواه تبعا لما جئتكم به » قال النووي حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح. وروى البيهقي ان عمر كان يقول :اتقوا الرأي في دينكم وكان ينهى عن المكايلة - يعني المقايسة . وفي الصحيحين أو في الصحيح ان عمر رضي الله عنه كان يقول يا أيها الناس اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو استطعت لرددت على رسول الله ﷺ أمره ، والله ورسوله أعلم .وعن سهل بن حنيف نحو ذلك

وقال علي رضي الله عنه لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من اعلاه،وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح أعلى الخف.وقال الشعبي

إنما هلكتم حين تركتم الآثار واخذتم بالمقاييس ، وقال النخعي ان القوم لم يدخر عنهم شيء خبيء لكم لفضل عندكم ، وقال ابن سيرين لا تجالس اصحاب الرأي ، وقال سفيان الثوري انما العلم كله العلم الآثار ، وقال الاوزاعي عليك بالاثر وان رفضك الناس ، واياك وآراء الرجال وان زخرفوه بالقول فان الامر ينجلي وأنت فيه على طريق مستقيم ، وقال الاوزاعي اذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فاياك ان تأخذ بغيره فانه كان مبلغا عن الله عز وجل .

وقال أحمد ثنا حجاج ثنا شريك عن الاعمش عن الفضيل بن عمرو قال اراه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تمتع رسول الله ﷺ فقال عروة بن الزبير نهى ابو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس اراهم سيهلكون اقول قال رسول الله ﷺ ويقول نهى ابو بكر وعمر. حديث حسن ورواه في المختار من طريقه

وفي البخاري ان عثمان نهى عن المتعة وان يجمع بينهما فلبى علي بهما وقال ما كنت لادع سنة رسول الله ﷺ لقول احد وقال رجل لابن عمر ان اباك نهى عنها فقال الرجل امر ابي يتبع أم امر رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل بل امر رسول الله ﷺ فقال لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي



فصل

في الوصية بالفهم في الفقه والتثبت وعلم مايختلف فيه

قال المروذى قال ابو عبد الله يعجبني ان يكون الرجل فهما في الفقه

وقال عبد الله سمعت أبي يقول سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول عليك بالفهم في الفقه مرتين

وقال أبو بكر بن محمد بن يزيد المستملي سألت أحمد عن عبد الرزاق: كان له فقه ؟ فقال ما أقل الفقه في أصحاب الحديث ، وقال ابراهيم بن هانىء قال لي أبو عبد الله يا أبا اسحاق ترك الناس فهم القرآن ، وقال مالك ربما كانت المسئلة أو نزلت المسئلة فلعلي أسهر فيها عامة ليلي ، وقال صالح سألت أبي عن الرجل يكون في القرية وقد روى الحديث ووردت عليه مسئلة فيها أحاديث مختلفة كيف يصنع ؟ قال لا يقل فيها شيئا ، وقال اسحاق بن ابراهيم قيل لابي عبد الله يكون الرجل في القرية فيسئل عن الشيء الذي فيه اختلاف ؟ قال يفتي بما وافق الكتاب والسنة وما لم يوافق الكتاب والسنة أمسك عنه ، قيل له فيخاف عليه ؟ قال لا ، وعن أبي موسى قال من علمه الله علما فليعلمه الناس واياه أن يقول مالا علم له به فيصير من المتكلفين ويمرق من الدين ، وقال مهنا قلت لاحمد في مسئلة فقال لي قد ترك هذا الناس اليوم ومن يعمل بهذا اليوم؟ قلت له وان ترك الناس هذا فلا يترك معرفة علمه يعرفه الناس حتى لا يموت ، قال نعم ، حدثني بقية بن الوليد قال قال لي

الاوزاعي تعلم من الاحاديث ما لا يؤخذ به كما تعلم ما يؤخذ به ، فقال أحمد يقول نعرفها ، وقال أحمد ثنا سعيد بن جبير : من علم اختلاف الناس فقد فقه، وعن قتادة قال قال سعيد بن المسيب ما رأيت أحدا أسأل عما يختلف فيه منك، قال قلت انما يسأل من يعقل عما يختلف فيه وأما ما لا يختلف فيه فلم نسأل عنه . وروى أحمد عن سعيد بن جبير قال أعلم الناس أعلمهم بالاختلاف وعن ابن عمر قال من رق وجهه رق علمه، وعن الشعبي مثله ، وروى الخلال ذلك وقال الثوري الكلام الاخير . وقال مجاهد لا ينال العلم حيي ولا مستكبر ، وعن عمر رضي الله عنه لا تعلم العلم لتماري به ولا لتباهي به ، ولا تتركه حياء من طلبه، ولا زهادة فيه ولا رضى بالجهالة. وذكر ذلك البيهقي

فصل

في كراهة السؤال عن الغرائب وعما لا ينتفع ولا يعمل به ومالم يكن

قال المروذي قال أبو عبد الله سألني رجل مرة عن يأجوج ومأجوج أمسلمون هم ؟ فقلت له أحكمت العلم حتى تسأل عن ذا ؟ ، وقال أيضا قال أبو عبد الله سأل بشر بن السري سفيان الثوري عن أطفال المشركين فصاح به وقال يا صبي أنت تسأل عن ذا ؟ وقال حنبل سمعت أبا عبد الله وسأله ابن الشافعي الذي ولي قضاء حلب قال له يا أبا عبد الله ذراري المشركين أو المسلمين لا أدري أيهما سأل عنه ، فصاح به أبو عبد الله وقال له هذه مسائل أهل الزيغ مالك ولهذه المسائل ؟ فسكت وانصرف ولم يعد الى أبي عبد الله بعد ذلك حتى خرج

ونقل أحمد بن أصرم عن أحمد أنه سئل عن مسئلة في اللعان فقال سل رحمك الله عما ابتليت به ، ونقل عنه أبو داود وساله رجل عن مسئلة فقال له دعنا من هذه المسائل المحدثة . وسألته عن اخرى فغضب وقال خذ ويحك فيما تنتفع به واياك وهذه المحدثة وخذ في شيء فيه حديث وقال الاثرم سمعت أحمد سئل عن مسئلة قال دعنا ليت أنا نحسن ماجاء فيه الاثر وقال مهنا سألت أحمد عن رجل استأجر من رجل داره سنة بعبد فلم يسكن الدار وأبق العبد فقال لي اعفنا من هذه المسائل، وسألت أحمد عن المريض في شهر رمضان يضعف عن الصوم، قال يفطر، قلت يأكل؟ قال نعم، قلت ويجامع امرأته؟ قال لا أدري فاعدت عليه فحول وجهه عني

وقال أحمد بن حيان القطيعي : دخلت على أبي عبد الله فقلت أتوضأ بماء النورة؟ فقال ما أحب ذلك، فقلت أتوضأ بماء الباقلا ؟ قال ما أحب ذلك، قال ثم قمت فتعلق بثوبي وقال ايش تقول اذا دخلت المسجد ؟ فسكت فقال ايش تقول اذا خرجت من المسجد ؟ فسكت فقال اذهب فتعلم هذا

وعن شبرمة قال : قال لي إياس بن معاوية اياك وما يستشنع الناس من الكلام، وعليك بما يعرف الناس من القضاء . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يكره أن يفتي برأيه أو في أمر خصومة

وروى أحمد من رواية ليث عن طاوس عن ابن عمر قال: لا تسألوا عما لم يكن فاني سمعت عمر ينهى أن يسئل عما لم يكن

وروى أيضاً باسناد حسن عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما كانوا

خيرا من أصحاب رسول الله ﷺ ماسألوا الا عن ثلاثة عشر مسئلة حتى قبض، كلهن في القرآن، وما كانوا يسألون الا عما ينفعهم(١)

وروي أيضا من رواية مجالد عن عامر عن جابر قال: قال ماأنزل البلاء الا كثرة السؤال. وروى ذلك الخلال. وقد تضمن ذلك أنه يكره عند احمد السؤال عما لا ينفع السائل ويترك ماينفعه ويحتاجه، وأن العامي يسأل عما يعلم به، وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم، عفا الله عنها والله غفور حليم) واحتج به الشافعي على كراهة السؤال عن الشيء قبل وقوعه. وفي حديث اللعان فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة مرفوعا كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال، وكثرة السؤال — وفي لفظ « ان الله كره لكم ذلك » متفق عليه. وفيها عن سعد مرفوعا قال « أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته »

قال في شرح مسلم: قال الخطابي وغيره هذا الحديث فيمن سأل تكلفا أو تعنتا عما لا حاجة به اليه فأما من سأل لضرورة بان وقعت له مسئلة فسأل عنها فلا اثم عليه ولا يحنث لقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر)

(١) فان سألوا عما لا ينفعهم أرشدوا في الجواب عنه الى ماينفعهم كالذي ورد في سبب نزول (يسألونك عن الاهلة) الآية

وقال البيهقي في كتاب المدخل كره السلف السؤال عن المسئلة قبل كونها اذا لم يكن فيها كتاب ولا سنة ، وانما سأل بالاجتهاد لأنه انما يباح للضرورة ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عندها . واحتج بحديث «من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه» وقال طاوس عن عمر لا يحل لكم أن تسألوا عما لم يكن . وقال ابن وهب أخبرني الفتح بن بكر عن عبد الرحمن بن شريح أن عمر قال واياكم وهذه العضل فانها اذا نزلت بعث الله لها من يقيمها أو يفسرها ، وروى عن أبيّ بن كعب نحو ذلك ، وقال ابن مهدي عن حماد بن زيد عن الصلت بن راشد قال سألت طاوسا عن شيء فقال أكان هذا ؛ قلت نعم فحلفني فحلفت له . فقال ان أصحابنا حدثونا عن معاذ انه قال «أيها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهب بكم ههنا وههنا وانكم إن لم تعجلوا لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من اذا سئل سدد ، أو قال وفق» وروى أسامة بن زيد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن النبي ﷺ معنى هذا الكلام ، قال البيهقي وبلغني عن أبي عبد الله الحليمي أنه أباح ذلك للمتفقهة ليرشدوا الى طريق النظر قال والرأي قال وعلى ذلك وضع الفقهاء مسائل الاجتهاد وأخبروا بآرائهم فيها (١)

(١) خالف تلك النصائح الحكيمة كثير من الفقهاء فاخترعوا من الاسئلة مايندر أن يقع ومالا يقع وما يستحيل أن يقع وتكلفوا الجواب عنه فكثر الفضول في كتبهم واشتغل بها الكثيرون عن العلم النافع والعمل وسموها مع ذلك دينا وما هي الا آراء ماأنزل الله بها من سلطان، فلا يغترن أحد بكلمة البيهقي عفا الله عنا وعنه على انه لا يعني كل ماأشرنا اليه

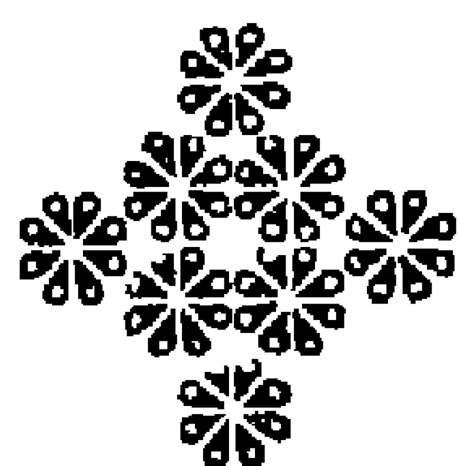
وقال عكرمة قال لي ابن عباس انطلق فأفت الناس فمن سألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته فإنك تطرح عن نفسك ثلثي مؤنة الناس. ورواه الحاكم في تاريخه وفيه انطلق فأفت الناس وأنا لك عون، قال قلت لو أن هذا الناس مثلهم مرتين لأفتيتهم.

وقد روى أحمد ومسلم من حديث أبي سعيد «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وقد أذن عليه السلام في الكتابة. ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قوله عليه السلام «اكتبوا لأبي شاه» ولأحمد وأبي داود من حديث عبد الله بن عمرو أنه عليه السلام أومأ بأصبعه إلى فيه وقال «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقا» وأمر عليه السلام بالكتابة في غير حديث.

فأما قول بعضهم للناس سلوني ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «سلوني» فهابوا أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال يا رسول الله ما الإسلام؟ الحديث. أي سلوني عما تحتاجون إليه، فلا تعارض بينه وبين ما في الصحيحين عن أنس قال نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله الحديث. وفي البخاري وغيره في تفسير سورة الكهف أن ابن عباس قال سلوني

وأما جلوس العالم في حلقة فهو كثير في الأحاديث عن النبي ﷺ. ولمسلم عن أبي هريرة قال كنا قعودا حول رسول الله ﷺ معنا

أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع ، الحديث . يقال قعدنا حوله وحوليه وحواليه وحواله بفتح الحاء واللام في جميعها أي جوانبه قال أهل اللغة ولا يقال حواله بكسر اللام، ويقال نحن بين أظهركم وظهريكم وظهرانيكم بفتح النون أي بينكم ،والفزع يكون بمعنى الروع وبمعنى الهبوب للشيء والاهتمام به وبمعنى الاغاثة. قالوا وفي هذا الخبر اهتمام الاتباع بحقوق متبوعهم والاعتناء بتحصيل مصالحهم ودفع المفاسد عنهم ، وفيه ان أبا هريرة دخل على رسول الله ﷺ حائطا للانصار وهو البستان وانه عليه السلام أعطاه نعليه وقال « اذهب بنعلي - أي علامة - فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة » وانه لقي عمر فأخبره قال فضرب عمر بين ثديي فخررت لاستي فقال ارجع يا أبا هريرة . وقوله فاجهشت بكاء ، وفي بعض النسخ فجهشت أي تغير وجهه وتهيأ للبكاء وانه أخبر النبي ﷺ فقال « ماحملك ياعمر على مافعلت؟» فقال يارسول الله بابي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة أي بكذا؟ قال « نعم » قال فلا تفعل فاني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون، قال رسول الله ﷺ « فخلهم » وفي هذا الخبر فوائد



فصل

(في النهي عن الاغلوطات والمغالطة وسوء القصد بالاسئلة)

روى الاوزاعي عن عبدالله بن سعد - ولم يرو عنه غير الاوزاعي فلهذا قيل مجهول ، وقال ابن حبان في الثقات يخطىء - عن الصنابحي عن معاوية مرفوعا عنه نهى عليه السلام عن الغلوطات . رواه ابو داود ، ورواه غيره الا غلوطات . قال الاوزاعي شذاذ المسائل وصعابها ، واحدة الا غلوطات اغلوطة وهي التي يغالط بها وتجمع أيضا على أغاليط لقول حذيفة عن عمر حدثته حديثا ليس بالاغاليط

قال الحسن البصري شرار عباد الله ينتقون شرار المسائل يعمون بها عباد الله ، وقال مالك قال رجل للشعبي اني خبأت لك مسائل فقال اخبأها لابليس حتى تلقاه فتسأله عنها ، وقال مالك العلم والحكمة نور يهدي الله به من يشاء وليس بكثرة المسائل ، وقال مالك : قال بعضهم ما تعلمت العلم الا لنفسي ما تعلمته ليحتاج الي الناس

وذكر ابن عبد البر ان صاحب الروم كتب الى معاوية يسأله عن أفضل الكلام وما هو ؟ والثاني والثالث والرابع ، وكتب اليه يسأله عن أكرم الخلق على الله عز وجل ، وعن اكرم الاماء على الله ، وعن أربعة من الخلق لم يركضوا في رحم ، وعن قبر سار بصاحبه ، وعن المجرة وعن القوس ، وعن مكان طلعت فيه الشمس لم تطلع فيه قبل ذلك ولا بعده . فلما قرأ معاوية الكتاب

قال أخزاه الله وما علمي بما ههنا ؟ قيل اكتب الى ابن عباس فكتب اليه يسأله عن ذلك فكتب اليه ابن عباس أفضل الكلام لا إله إلا الله كلمة الاخلاص لا عمل إلا بها، والتي تليها سبحان الله وبحمده صلاة الخلق، والتي تليها الحمد لله كلمة الشكر، والتي تليها الله أكبر فاتحة الصلوات والركوع والسجود، وأكرم الخلق على الله آدم عليه السلام، وأكرم الاماء على الله مريم عليها السلام، وأما الاربعة الذين لم يركضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدي به اسماعيل وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثعبانا مبينا، وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو الحوت الذي التقم يونس، واما المجرة فباب السماء، وأما القوس فانها أمان لاهل الارض من الغرق بعد نوح، وأما المكان الذي طلعت فيه الشمس ولم تطلع فيه قبله ولا بعده فالمكان الذي انفجر من البحر لبني إسرائيل مع موسى عليه السلام. فلما قدم عليه الكتاب أرسله الى ملك الروم فقال لقد علمت أن معاوية لم يكن له بهذا علم وما أصاب هذا الا رجل من أهل بيت النبوة. كذا ذكر ابن عبد البر هذا الاثر وبعضه صحيح وبعضه باطل وماذكره في آدم ومريم فبعضه الله به وبغيره أعلم

وبعث ملك الروم الى معاوية بقارورة فقال ابعث لي فيها من كل شيء فبعث إلى ابن عباس فقال تملأ ماء، فلما ورد به على ملك الروم قال له أخوه ما أهداه! فقيل لابن عباس كيف اخترت ذلك قال لقوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) والله أعلم

وعن يحيي بن اكثم قال: قال لي المأمون من تركت بالبصرة

فوصف له مشايخ منهم سليمان بن حرب فقلت هو ثقة حافظ للحديث عاقل في نهاية الستر والصيانة فأمرني بحمله اليه فكتبت اليه فقدم فأدخلته اليه وفي المجلس ابن ابي دؤاد وثمامة وأشباه لهما فكرهت ان يدخل مثله بحضرتهم، فلما دخل سلم فأجابه المأمون ورفع مجلسه ودعا له سليمان بالعز والتوفيق، فقال ابن ابي دؤاد ياأمير المؤمنين نسأل الشيخ عن مسئلة؟ فنظر اليه المأمون نظرة تخيير له فقال ياأمير المؤمنين ثنا حماد بن زيد قال: قال رجل لابن شبرمة أسألك؟ قال ان كانت مسئلتك لا تضحك الجليس ولا تزري بالمسئول فسل، وثنا وهب قال قال إياس بن معاوية من المسائل مالا ينبغي للسائل أن يسأل عنها ولا للمجيب أن يجيب عنها، فان كانت مسألته من غير هذا فليسأل، قال فهابوه فما نطق أحد منهم حتى قام وولاه قضاء مكة فخرج اليها

وفي الصحيحين ان عبد الله بن مسعود سأله رجل كيف تقرأ هذا الحرف ألفا أم ياء (من ماء غير آسن) أو ياسن؟ فقال عبد الله وكل القرآن قد أحصيت غير هذا الحرف؟ قال اني لاقرأ المفصل في ركعة فقال هذّا كهذّ الشعر ان قوما يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع، وقال في شرح مسلم هذا محمول على انه فهم منه انه غير مسترشد في سؤاله، اذ لو كان مسترشدا لوجب جوابه وهذا ليس بجواب. وفي البخاري عن يوسف بن ماهك ان رجلا عراقيا قال لعائشة أي الكفن خير؟ قالت ويحك وما يضرك؟ قال يا أم المؤمنين أريني مصحفك،

قالت لم ؟ قال لعلي اؤلف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف ، قالت ومايضرك آية آية قرأت قبل - الى أن قال فأخرجت له المصحف فاملت عليه آي السور

فاما رمي الشيخ المسألة بين أصحابه ومن يحضره من الطلبة ليختبر ماعندهم فمن لحديث طرح النبي ﷺ شجرة لاترمي ورقها هي مثل المؤمن وانه وقع في نفس ابن عمر رضي الله عنهما أنها النخلة ولم يتكلم فقال النبي ﷺ هي النخلة متفق عليه . ثم ان أصاب واحد وأخطأ غيره جاز مدح المصيب لتزداد رغبته وحرصه ويجتهد أيضا المخطىء ، وان كان الاولى تركه ، ويكره عيب المخطىء لحصول المصلحة بدونه مع مافيه من كثرة الاذى . وهذه المسألة تشبه مدح الامين والشهود للمصيب في السبق وعيب المخطىء وهو مكروه ، وقال ابن عقيل لايجوز

وروى مسلم عن أبي عتيق واسمه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال تحدثت أنا والقاسم وهو ابن محمد بن أبي بكر الصديق عند عائشة حديثا وكان القاسم رجلا لحانا - وروي لحانة بفتح اللام وتشديد الحاء أي كثير اللحن في كلامه ، وروى لحنة بضم اللام واسكان الحاء ، وروى بفتح الحاء أيضا وهو بمعنى التسكين وقيل بل هو الذي يخطيء الناس - قال ابن أبي عتيق وكان القاسم لأم ولد فقالت له عائشة مالك لاتحدث كما يتحدث ابن أخي هذا ؟ أما إني قد علمت من أين أتيت؟ هذا أدبته أمه ، وأنت أدبتك أمك ، قال فغضب القاسم وأضب عليها . وهو بفتح الهمزة وفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء أي حقد

فلما رأى مائدة عائشة قد أتي بها قام قالت أين؟ قال أصلي قالت اجلس قال إني أصلي، قالت اجلس غدر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافع الاخبثين» غدر بضم الغين المعجمة وفتح الدال . أي ياغادر وهو ترك الوفاء ، ويقال لمن غدر غادر وغدر واكثر مايستعمل في النداء بالشتم . قال في شرح مسلم وإنما قالت له غدر لأنه مأمور باحترامها لأنها أم المؤمنين وعمته وأكبر منه وناصحة له ومؤدبة فكان حقه أن يحتملها ولا يغضب عليها انتهى كلامه وعلى هذا ينبغي للمستفيد أن يصبر ويحتمل ولا يغضب لئلا يفوته العلم ولا يكثر مخالفته

قال الزهري كان أبو سلمة بن عبد الرحمن بحرا وكان كثيرا مايخالف ابن عباس فحرم لذلك من ابن عباس علما كثيرا. وسأل ابن سيرين ابن عمر عن اطالة القراءة في سنة الفجر فقال كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى ويوتر بركعة، قلت لست عن هذا أسألك، فقال به به إنك لضخم ألا تدعني استقرىء لك الحديث؟ ثم ذكره فيه تأديب السائل والتلميذ . وقوله به به بموحدة مفتوحة وهاء ساكنة مكررة، قيل معناه مه مه زجر وكف، قال ابن السكيت هي لتفخيم الامر معناه بخ بخ ، وقوله انك لضخم اشارة الى الغباوة وقلة الادب لان هذا الوصف يكون غالبا وانما قال ذلك لانه قطع كلامه وعاجله، وقوله أستقرىء بالهمزة من القراءة ومعناه اذكره على وجهه بكماله. وقال النبي ﷺ لأبي بن كعب «يا أبا المنذر أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال «يا أبا المنذر أتدري أي آية من

كتاب الله معك أعظم؟ » قلت (الله لا اله الا هو الحي القيوم) فضرب في صدري وقال « ليهنك العلم يا أبا المنذر » رواه مسلم

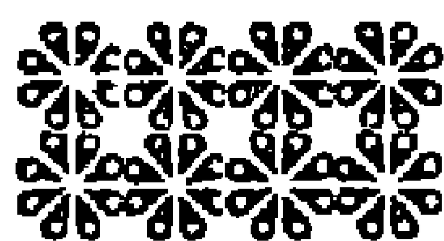
فصل

(هدي النبي ﷺ في التنبيه وصراحته في التعليم)

ذكر ابو العالية البراء ـ بتشديد الراء وبالمد كان يبري النبل ـ تأخير ابن زياد الصلاة ذكر ذلك لعبد الله بن الصامت فعض على شفتيه فضرب فخذي وقال سألت أبا ذر كما سألتني فضرب فخذي كما ضربت فخذك وقال سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فضرب فخذي كما ضربت فخذك وقال «صل الصلاة لوقتها فان أدركت الصلاة معهم فصل ولا تقل اني قد صليت فلا أصلي» قال في شرح مسلم : قوله فضرب فخذي أي للتنبيه وجمع الذهن على ما يقوله له

وفي قصة تخيير النبي ﷺ نساءه لما بدأ بعائشة وقالت أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وسألته ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال « لا تسألني امرأة منهن الا أخبرتها ، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا بعثني معلما ميسراً » رواه مسلم من حديث جابر

وفي الصحيحين من حديث عائشة أنها قالت لا تخبر نساءك اني اخترتك ، فقال لها النبي ﷺ « ان الله عز وجل أرسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا »



فصل

(كراهة الكلام في الوساوس وخطرات المتصوفة)

قال المروذي سئل أبو عبد الله عمن تكلم في الوساوس والخطرات فنهى عن مجالستهم وقال للسائل احذرهم، وقال سمعت أبا عبد الله يقول جاءني الارمينيون بكتاب ذكر الوسواس والخطرات وغيره، قلت فأي شيء قلت لهم؟ قال قلت هذا كله مكروه، وقال في موضع آخر للمروذي عليك بالعلم عليك بالفقه

وقال اسحاق بن ابراهيم سمعت أحمد بن حنبل يقول من تكلم في الخطرات التابعون تابعو التابعين. وقال أحمد بن القاسم سمعت أباعبدالله ورجل يسأله من أهل الشام رجل غريب فذكر أن ابن أبي الحواري وقوما معه هناك يتكلمون بكلام قد وضعوه في كتاب ويتذاكرونه بينهم فقال ماهو؟ قال يقولون المحبة لله أفضل من الطاعة، وموضع الحب درجة كذا فلم يدعه أبو عبد الله يستتم كلامه، وقال هذا ليس من كلام العلماء، لا يلتفت الى من قال هذا، وأنكر ذلك وكرهه

وقال أبو زرعة الرازي: وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالاثر فانك تجد فيه مايغنيك. قيل له في هذه الكتب عبرة، فقال من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة. بلغكم أن سفيان ومالكا والاوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس الى البدع

انتهى كلامه . ومحفوظ عن الامام أحمد النهي عن كتب كلام منصور بن عمار والاستماع للقاص به

قال القاضي أبو الحسين انما رأى امامنا أحمد الناس لهجين بكلامه وقد اشتهروا به حتى دونوه وفصلوه مجالس يحفظونها ويلقونها ويكثرون فيما بينهم دراستها، فكره لهم أن يلهوا بذلك عن كتاب الله ويشتغلوا به عن كتب السنة وأحكام الملة لا غير

فصل

(في وعظ القصاص ونفعهم وضررهم وكذبهم)

قال المروذي سمعت أبا عبد الله يقول يعجبني القصاص(١) لانهم يذكرون الميزان وعذاب القبر. قلت لابي عبد الله فترى الذهاب اليهم ؟ فقال إي لعمري اذا كان صدوقا(٢) لانهم يذكرون الميزان وعذاب القبر قلت له كنت تحضر مجالسهم أو تأتيهم؟ قال لا . قال وشكا رجل الى أبي عبد الله الوسوسة فقال عليك بالقصاص، ما نفع مجالسهم ! وقال في رواية جعفر بن محمد ما أحوج الناس الى قاص صدوق، وقال في رواية علي بن زكريا التمار وسئل عن القصاص والمعبر فقال يخرج المعبر ولا يخرج القصاص، وقال لنا يعجبني القصاص في هذا الزمان لانه يذكر الشفاعة والصراط، وقال

(١) القصاص الوعاظ الذين يجلسون لوعظ العوام فيذكرونهم بقصص الانبياء والصالحين والامم واكثرهم لا يتحرون الصدق وصحة الرواية جهلا وتساهلا لارضاء العامة (٢) اي اذا كان القاص منهم صدوقا

في رواية اسحق بن ابراهيم ماأنفعهم للعامة وان كان عامة مايتحدثون به كذبا، وقال في رواية أبي الحارث اكذب الناس القصاص والسؤال. وسئل عن مجالسة القصاص فقال إذا كان القاص صدوقا فلا أرى بمجالسته بأسا. وروى الخلال عنه أنه صلى في مسجد فقام سائل فسأل فقال أبو عبد الله اخرجوه من المسجد هذا يكذب على رسول الله ﷺ وقال مهنا ان أبا عبد الله سألوه عن القصص فرخص فيه، فقلت له حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر أنه كان يخرج من المسجد يقول ماأخرجني الا القصاص ولولاهم ماخرجت، فقال لي يعجبني القصاص اليوم لانهم يذكرون عذاب القبر ويخوفون الناس، فقلت له حدثنا ضمرة قال جاءنا سفيان ههنا فقلنا نستقبل القصاص بوجوهنا؟ فقال ولوا البدع ظهوركم، فقال أحمد نعم هذا مذهب الثوري. وقال أحمد ثنا هشام ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة سمعت كردوس بن قيس وكان قاص العامة بالكوفة يقول أخبرني رجل من أصحاب بدر انه سمع النبي ﷺ يقول «لأن أقعد في مثل هذا المجلس أحب الي من أن أعتق اربع رقاب» قال شعبة فقلت أي مجلس؟ قال كان قاصا. لم أجد في كردوس كلاما وعبد الملك من الثقات الكبار، وقال أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان ثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن الحارث بن معاوية الكندي انه ركب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأله عن ثلاث خلال فقدم المدينة فسأله عمر ما أقدمك؟ قال لأسألك عن ثلاث [illegible] عن القصص فانهم

ارادوني على القصص، فقال ماشئت. كانه كره أن يمنعه، قال انما اردت انتهي الى قولك، قال اخشى عليك ان تقص فترتفع عليهم في نفسك ثم تقص فترتفع حتى يخيل اليك انك فوقهم بمنزلة الثريا فيضعك الله عز وجل تحت أقدامهم يوم القيمة بقدر ذلك. اسناد جيد

وروى الخلال عن يونس بن عبيد أنه رأي رجلا في حلقة المعتزلة فقال تعال، فقال جئت فقال ان كنت لا بد فاعلا فعليك بحلقة القصاص. وروى ايضا عن زياد النميري وهو ضعيف انه أتى أنس بن مالك قال فقال لي قص فقلت كيف والناس يزعمون انه بدعة، فقال لو كان بدعة ما أمرناك به ليس شيء من ذكر الله عز وجل بدعة. قال فقصصت فجعلت اكثر قصصي دعاء رجاء ان يؤمن، قال فجعلت اقص وهو يؤمن

وقال الاوزاعي كان الحسن اذا قص القاص لم يتكلم فقيل له في ذلك فقال اجلالا لذكر الله عز وجل، وروى ابو داود عن محمود بن خالد عن علي بن أبي مسهر عن عباد بن عباد الخواص عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عمرو بن عبد الله الشيباني عن عوف بن مالك الاشجعي مرفوعا « لا يقص الا أمير أو مأمور أو مختال » عمرو تفرد عنه ووثقه ابن حبان وباقيه جيد تابعه صالح ابن أبي غريب عن كثير بن مرة عن عوف وتابعه عبدالله بن زيد وقال ابن زيد ويقال ابن يزيد قاص مسلمة بالقسطنطينية عن عوف قال في النهاية أي لا ينبغي ذلك إلا لامير يعظ الناس ويخبرهم بما مضى ليعتبروا، او مأمور بذلك فحكمه كالامير، ولا يقص تكسبا، أو يكون القاص مختالا يفعل ذلك تكبرا على

الناس او مرائياً، وقيل أراد الخطبة لان الامراء كانوا يلونها ويعظون الناس فيها ويقصون عليهم أخبار الامم السالفة، قال ومنه الحديث «القاص ينتظر المقت» لما يعرض في قصصه من الزيادة والنقصان قال ومنه الحديث «ان بني إسرائيل لما قصوا هلكوا» وفي رواية «لما هلكوا قصوا» أي اتكلوا على القول وتركوا العمل فكان ذلك سبب هلاكهم، او بالعكس لما هلكوا فتركوا العمل أخلدوا الى القصص .

وسئل الاوزاعي عن القوم يجتمعون فيأمرون رجلا فيقص عليهم فقال إذا كان ذلك يوما بعد الايام فليس به بأس، وقال حبيب بن الشهيد: قال انسان لابن سيرين ان أبا مجلز كان لا يقعد الى القاص، قال قعد اليه من هو خير منه، وعن الحسن قال القصص بدعة ونعم البدعة، كم من دعاء مستجاب وأخ مستفاد، وقال حنبل قلت لعمي في القصاص قال القصاص الذى يذكر الجنة والنار والتخويف ولهم نية وصدق الحديث، فاما هؤلاء الذين أحدثوا من وضع الاخبار والاحاديث فلا أراه، قال ابو عبدالله ولو قلت أيضاً ان هؤلاء يسمعهم الجاهل والذى لا يعلم فلعله ينتفع بكلمة او يرجع عن أمر، كان أبو عبد الله يكره أن يمنعوا وقال ربما جاءوا بالاحاديث الصحاح

وروى احمد عن غضيف بن الحارث قال بعث إلي عبد الملك بن مروان قال يا أبا أسماء انا جمعنا الناس على امرين فقال وما هما ؟ قال رفع الايدى على المنابر يوم الجمعة والقصص بعد الصبح والعصر ؟ فقال اما انهما أفضل بدعتكم وليست بمجيبكم الى شيء منها، قال لم؟ قال لان النبي ﷺ قال

« ما أحدث قوم بدعة الارفع من السنة مثلها ، فتمسك بسنة خير من احداث بدعة » وقال ابن عبدالله لا أحب أن يمل الناس ولا يطيل الموعظة اذا وعظ

وروي حنبل من رواية ابي جعفر الرازى ماهان عن الربيع بن أنس قال مر علي رضى الله عنه على قاص فقام اليه فقال هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال لا ، قال هل تعرف المحكم من المتشابه؟ قال ، لا قال هل تعرف الزجر من الامر ؟ قال لا . فأخذ بيده فرفعها وقال ان هذا يقول اعرفوني اعرفوني. وباسناد صحيح عن أبي عبدالرحمن السلمي قال انتهى علي إلى رجل وهو يقص فقال علمت الناسخ من المنسوخ ؟ قال لا قال هلكت وأهلكت. وعن ابن عباس معناه. وعن عابد بن عمر أنه قال لقاص هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال لا قال فعلام تقص على الناس وتغرهم عن دينهم وأنت لا تعرف حلال الله من حرامه ؟ وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال اذا سمعتم السائل يحدث بأحاديث الجاهلية يوم الجمعة فاضربوه بالحصى ، روى ذلك الخلال

قال الشيخ تقي الدين قال الامام أحمد رضي الله عنه أكذب الناس على رسول الله ﷺ السؤال والقصاص فيجب منع من يكذب مطلقا ، فكيف اذا كان يكذب ويسأل و يتخطى؟ وكيف من يكذب على رءوس الناس في مثل يوم الجمعة ؟ فنهيُ من يكذب من أعظم الواجبات بل وينهى من روى مالا يعرف أصدق هو أم كذب انتهى كلامه

وقال ابن عقيل في الفنون ولا يصلح للكلام على العوام ملحد ولا أبله، وكلاهما يفسد ما يحصل لهم من الايمان، وقال المرء مخبوء تحت لسانه ولا بد أن ينكشف قصده من صفحات وجهه وقلبه أو لسانه، وقال ما أخوفني على من كانت الدنيا أكبر همه أن تكون غايةَ حظه : قال وسئل عن قوم يجتمعون حول رجل يقرأ عليهم أحاديث وهو غير فقيه ؟ فقال هذا وبال على الشرع أو نحو ذلك فان جماعة من العوام تفرقوا عن مجلس مثل هذا وبعضهم يقول لبعض أستغفر مما فعلت كثيراً ولم أعلم أن الشرع قد نهى عنه ، قيل له وما هو ؟ قال كنت أبذل ماء قراحي وأبذل حقي من الماء واذا هو قد نهى الشرع عنه ، فانه قد روي لنا الشيخ عن النبي ﷺ « لا يسقين أحدكم ماءه زرع غيره » وقد نهى النبي ﷺ عن بيع وشرط وقد كنت أشرط الخيار لنفسي فاستغفر الله من ذلك، فهذا وأمثاله اذا ورد وسمعه العوام كان نسخا عندهم لأحكام الشرع(١)، وانما الراوى اذا كان قادرا أن يبين خصوص العام المخصص وتقييد المطلق بتقييده والا فمخاطرة ، وربما

(١) كان ينبغي للمصنف رحمه الله تعالى ان يبين وجه غلط هذا العامي فيما سمع لأن هذا الكتاب كمجالس الوعظ يقرأه العوام والخواص . فأما النهي عن سقي الرجل زرع غيره فهو كناية عن وطء من حملت من غيره . والعرب تطلق كلمة الزرع على الولد . وأما النهي عن الشرط في البيع فهو اشارة إلى حديث الترمذي « لا يحل سلف وبيع ولا شرطان في بيع » الخ والجمهور على عدم التفرقة بين الشرط والشرطين . ولكن في الخيار أحاديث أصح وأصرح من حديث الترمذي وكذا في الشروط مطلقا .

قرأ « نفس الرحمن من اليمن » و « الحجر الاسود يمين الله » ومعلوم أن من اعتقد ظاهر هذا كفر

قال ابن الجوزى في كتاب السر المكتوم لا يصلح لا يداع الاسرار كل أحد ولا ينبغي لمن وقع بكنز أن يكتمه مطلقا فربما ذهب هو ولم ينتفع بالكنز، وكما أنه لا ينبغي للعالم أن يخاطب العوام بكل علم فينبغي أن يخص الخواص باسرار العلم لاحتمال هؤلاء مالا يحتمله أولئك، وقد علم تفاوت الافهام، وقد قال تعالى (ولو ردوه الى الرسول) الآية وقال (وما يعقلها إلا العالمون) وقال (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) الآية . وقال عليه السلام « ليلني منكم أولو الأحلام والنهى »

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : سمعت من رسول الله ﷺ وعاءين بثثت أحدهما ولو بثثت الآخر لقطع هذا الحلقوم . وهذا يشكل فيقال كيف كتم العلم ولا أحسب هذا المكتوم الا مثل قوله « اذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا » ومثل ذكر قتل عثمان وما سيظهر من الفتن

ومن التغفيل تكلم القصاص عند العوام الجهلة بما لا ينفعهم، وانما ينبغي أن يخاطب الانسان على قدر فهمه ومخاطبة العوام صعبة فان أحدهم ليرى رأيا يخالف فيه العلماء ولا ينتهي . وقد رأينا أن امرأة قالت لولدها من غير زوجها: هذا زوجي كافر، قال وكيف؟ قالت طلقني بكرة وضاجعني في الليل، فقال أنا أقتله، وما علم أن الرجعية زوجة، وأنه قد

أشهد على ارتجاعها من غير علمها، أو أنه يعتقد أن الوطء رجعة. ورأى رجل رجلا يأكل في رمضان فهم بقتله وما علم أنه مسافر فالويل للعلماء من مقاساة الجهلة (١)

ثم روى باسناده وهو ضعيف عن ابن عباس مرفوعا «ما أنت محدث قوما حديثا لم تبلغه عقولهم الا كان على بعضهم فتنة» وكان ابن عباس يسر الى قوم ولا يحدث قوما، وقال عمن وعظ العوام ليحذر الخوض في الاصول فانهم لا يفهمون ذلك لكنه يوجب الفتن وربما كفروه مع كونهم جهلة

وينبغي أن يمدح جميع الصحابة رضي الله عنهم ولا يتعرض بتخطئة أحد منهم فقل أن يرجع ذو هوى عن عصبيته وإن كان عاميا فما يستفيد مكلم الناس بما قد رسخ في قلوبهم غيره الا البغض والوقيعة فيه فان سأله ذو هوى تلطف في الامر وأشار له الى الصواب، وذكرت مرة أن جماعة من العلويين خرجوا على الخلفاء فعاداني العلويون وقلت ما أسلم أبو طالب فزادت عداوتهم، ولا ينبغي للواعظ أن يتعرض لغير الوعظ فانه يعادى وما يتغير ذو عقيدة،

واعلم أن أغراض العوام لا يقدر العلماء على تغييرها فقد رأينا من الوعاظ من كان معروفا بالتشيع ذكر يوما أن علي بن أبي طالب يوما شرب الخمر حين كانت مباحة فهجروه وسبوه وسئل آخر هل يسمع النبي ﷺ ليلة الجمعة صلاة

---

(١) ان هذه مشكلة من المشاكل لابد من تعليم العامة ووعظهم وقلما يفهمون كل مايقال لهم بل رأينا من طلبة العلم وسمعنا عنهم من اسند الينا والى غيرنا مالم يقل بل ما قيل خلافه ايضا وضده أو نقيضه

من يصلي عليه فقال ليس هذا بصحيح فضجوا بلعنته. وقال آخر أول من أسلم من الصبيان علي فغضب قوم وقالوا كأنه لم يخلق مسلما! فالحذر الحذر من مخاطبة من لا يفهم بما لا يحتمل. وقد جرت فتن بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة سنين قتل فيها من الفريقين خلق كثير لا يدري القاتل لم قتل ولا المقتول، وانما كانت لهم أهواء مع الصحابة فاستباحوا بأهوائهم القتل فاحذر العوام كلهم والخلق جملة فقد قال الشاعر

فسد الزمان فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق

فصل

في هدي رسول الله ﷺ في الكلام

قال أبو داود (باب الهدي في الكلام) حدثنا عبد العزيز بن يحيى الحراني حدثني محمد يعني ابن سلمة عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عمر بن عبد العزيز عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ اذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع طرفه الى السماء. ابن اسحاق مدلس، ثم روي من حديث مسعر سمعت شيخا في المسجد سمعت جابر بن عبد الله يقول: كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل أو ترسيل، ثم روي من حديث سفيان عن أسامة هو ابن زيد عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان كلام رسول الله ﷺ كلاما

فصلا يفهمه كل من يسمعه ، وقالت كان يحدثنا حديثا لو عده العاد لاحصاه وقالت انه لم يكن يسرد الحديث كسردكم . متفق عليه . وللبخاري عن أنس عن النبي ﷺ أنه كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه فاذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثا

فصل

كراهة التشدق في الكلام

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « ان الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها » اسناده جيد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه ، قال في النهاية هو الذي يتشدق في الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفا، وروى الترمذي عن أحمد بن منيع عن يزيد بن هارون عن أبي غسان محمد بن مطرف عن حسان بن عطية عن أبي امامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ « الحياء والعي شعبتان من الايمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » كلهم ثقات ، في أطراف الحافظ ابن عساكر حسان لم يسمع من أبي امامة قال الترمذي حسن غريب . وانما جعل الحياء وهو غريزة من الايمان وهو اكتساب لان المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي فصار كالايمان الذي يقطع بينها وبينه وانما جعله بعضا من الايمان لان الايمان ينقسم إلى ائتمار ما أمر الله به وانتهاء عما نهى الله عنه فاذا حصل الانتهاء

بالحياء كان بعض الايمان، والعي قلة الكلام ، والبذاء الفحش في الكلام

وروى الترمذي ثنا أحمد بن الحسن بن خراش البغدادي ثنا حبان ابن هلال ثنا مبارك بن فضالة حدثني عبد ربه بن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله ﷺ قال «إن من أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا ، وان أبغضكم الي وأبعدكم مني يوم القيمة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيهقون ؟ قال « المتكبرون » مبارك ثقة تكلم فيه جماعة من جهة التدليس وقد زال ، قال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه، ورواه بعضهم عن مبارك عن محمد بن المنكدر عن جابر ولم يذكر عبد ربه وهذا أصح. قال في النهاية الثرثار الذي يكثر الكلام تكلفا وخروجا عن الحق ، والثرثرة كثرة الكلام وترديده . والمتشدق المتوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز ، وقيل المستهزيء بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم ، قال والمتفيهق الذي يتوسع في الكلام ويفتح فاه به مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء والاتساع يقال افهقت الاناء فهق فهقا

ثم روى أبو داود في هذا الباب وهو (باب ماجاء في المتشدق في الكلام) ثنا ابن السرح انبأنا ابن وهب عن عبد الله بن المسيب عن الضحاك بن شرحبيل عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا » عبد الله بن المسيب تفرد عنه ابن وهب ووثقه ابن حبان وصرف الحديث

ما يتكلفه الانسان من الزيادة فيه على قدر الحاجة وإنما كره لما يدخله من الرياء والتصنع ولما يخالطه من الكذب والتزيد. يقال فلان لا يحسن صرف الكلام أي فضل بعضه على بعض، وهو من صرف الدراهم وتفاضلها ذكره في النهاية. والصرف التوبة وقيل النافلة والعدل الفدية وقيل الفريضة وتكررت هاتان اللفظتان في الحديث. وروى أيضا ثنا سليمان بن عبد الحميد أنه قرأ في أصل اسماعيل بن عياش وحدث محمد بن اسماعيل ابنه قال حدثني أبي حدثني ضمضم عن شريح بن عبيد حدثنا أبو طيبة أن عمرو بن العاص قال يوما وقال رجل فأكثر القول فقال عمرو لو قصد في قوله لكان خيرا، له سمعت رسول الله ﷺ يقول «أمرت أن أتجوز في القول فان الجواز هو خير» محمد بن اسمعيل ليس بذاك وضمضم مختلف فيه. وعن معاوية رضي الله عنه قال لعن رسول الله ﷺ الذين يشققون الكلام تشقيق الشعر، رواه أحمد

وعن ابن عمر قال قدم رجلان من المشرق في زمان رسول الله ﷺ خطيبا فعجب الناس لبيانهما فقال «إن من البيان لسحرا - أو إن من بعض البيان لسحرا» رواه أحمد والبخاري وأبو داود وغيرهم، قال في النهاية أي منه ما يصرف قلوب السامعين وان كان غير حق وقيل معناه إن من البيان ما يكتسب به من الاثم ما يكتسبه الساحر بسحره فيكون في معرض الذم ويجوز أن يكون في معرض المدح لانه تستمال به القلوب ويترضى به الساخط ويستنزل به الصعب، والسحر في كلامهم

صرف الشيء عن وجهه ، وقال ابن عبد البر تأولته طائفة على الذم لان السحر مذموم وذهب اكثر أهل العلم وجماعة أهل الادب الى أنه على المدح لان الله عز وجل مدح البيان وأضافه الى القرآن ، قال وقد قال عمر ابن عبد العزيز لرجل سأله عن حاجة فاحسن المسئلة فاعجبه قوله فقال هذا والله السحر الحلال ، قال علي بن العباس الرومي

وحديثها السحر الحلال لو آنها لم تجن قتل المسلم المتحرز

وقال الحسن الرجال ثلاثة رجل بنفسه ورجل بلسانه ورجل بماله ونظر معاوية الى ابن عباس فأتبعه بصره ثم قال متمثلا :

اذا قال لم يترك مقالا لقائل مصيب ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان اذا انتحى وينظر في أعطافه نظر الصقر

ولحسان في ابن عباس رضي الله عنهما

اذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلا
شفى وكفى ما في النفوس فلم يدع لذي ارة في القول جداً ولا هزلا

قال أبو داود حدثنا محمد بن يحي بن فارس ثنا سعيد بن محمد ثنا أبو تميلة حدثني أبو جعفر النحوي عبد الله بن ثابت حدثني صخر بن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان من البيان سحراً ، وان من العلم جهلا ، وإن من الشعر حكما ، وان من القول عيالا » فقال صعصعة بن صوحان صدق نبي الله ﷺ أما قوله « إن من البيان سحرا» فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب

الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق ، وأما قوله «إن من العلم جهلا» فيتكلف العالم إلى علمه ما لا يعلمه فيجهله ذلك ، وأما قوله «من الشعر حكما» فهي هذه المواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس ، وأما قوله «من القول عيالا» فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شأنه ولا يريده ، وقد نهى عن ذلك رسول الله ﷺ بقوله «لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون» وقوله «لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم» قال وقد ضرب لذلك مثل أنه كتعليق اللآلئ في أعناق الخنازير ، ويأتي بنحو كراسة (من حدث الناس بما لا يحتمله عقولهم) أبو جعفر تقدم ذكره ... قصة فتنة شهد صفين مع علي أميرا وقال في النهاية في «إن من العلم جهلا» قيل هو أن يتعلم ما لا يحتاج إليه كالنجوم وعلوم الأوائل ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القرآن والسنة ، والحكم العلم والفقه والقضاء بالعدل وهو مصدر حكم يحكم

وروى أحمد والبخاري وغيرهما من حديث أبي بن كعب «إن من الشعر حكمة» قال في النهاية وهي بمعنى الحكم ومنه الحديث «الصمت حكم وقليل فاعله» وفيه «إن من القول عيالا» قال علت الضالة أعيل عيلا إذا لم تدر أي جهة تبغيها كأنه لم يهتد لمن يطلب كلامه فعرضه على من لا يريده . وللشافعي عن عروة مرسلا «الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح» وصله الدارقطني بذكر عائشة رضي الله عنها ورواه أيضا من حديث عبد الله بن عمرو ومن حديث أبي هريرة

ولأحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أبي هريرة «لأن يمتلئ

جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعرا » ولأحمد ومسلم من حديث أبي سعيد بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ اذ عرض شاعر ينشد فقال «خذوا الشيطان ـ أو امسكوا الشيطان ـ لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا » ولأحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار»

وعن الشريد قال كنت ردف رسول الله ﷺ يوما فقال «هل معك من شعر امية بن أبي الصلت ؟ قلت نعم فأنشدته بيتا فقال « هيه » فأنشدته بيتا فقال «هيه» فأنشدته بيتا قال « هيه » حتى أنشدته مائة بيت فقال « لقد كاد أن يسلم في شعره » رواه أحمد ومسلم وغيرهما ولما دخل مكة في عمرة القضاء وعبدالله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول

خلوا بني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر رضى الله عنه يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله عز وجل تقول الشعر ؟ قال « خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل » رواه النسائي والترمذي وصححه من حديث أنس قال وقد روي في غير هذا الحديث أنه دخل مكة في عمرة القضاء وبين يديه كعب بن مالك وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لان عمرة القضاء كانت بعد موته ، وقال له الاسود بن سريع اني قد حمدت ربي بمحامد مدح وإياك ، فقال « اما ان ربك يحب المدح فهات ما امتدحت به ربك عز

وجل» فانشدته فاستأذن رجل فاستنصتني له فتكلم ساعة ثم خرج، فأنشدته ثم رجع فاستنصتني فقلت من هذا؟ فقال «هذا رجل لا يحب الباطل هذا عمر بن الخطاب» رواه أحمد ثنا حسن بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عنه. علي بن زيد مختلف فيه وأكثرهم لينه، وروى له مسلم، واقتصر ابن الجوزي على ذكر من ضعفه عقب هذا الخبر، ورواه النسائي عن علي بن حجر عن اسماعيل بن عليه عن يونس عن الحسن عنه قال ابن معين وابن المديني لم يسمع الحسن من الاسود، وعن البراء أن النبي ﷺ قال لحسان يوم قريظة «أهج المشركين فان جبريل معك» رواه أحمد والبخارى ومسلم، وفي الصحيحين من حديث عائشة: هجاهم حسان فشفى وأشفى.

وروى أحمد ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبد الله ابن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ ان الله عز وجل قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال «ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسي بيده لكأن ماترمونهم به نضح النبل» حديث صحيح ثنا يحيى بن آدم ثنا شريك عن محمد بن عبد الله المرادى عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال قال عمار لما هجانا المشركون شكونا ذلك الى رسول الله ﷺ فقال قولوا لهم كما يقولون لكم فلقد رأيتنا نعلمه اماء أهل المدينة. محمد لم أجد له ترجمة وباقيه حسن وسبق ما يتعلق بالوعظ أيضا في أوائل الامر بالمعروف في الانكار على الولاة،

وعن أبي هريرة مرفوعا «ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد

إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » وفي لفظ « سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا ، وشيئا من الدلجة والقصد القصد تبلغوا » رواهما البخارى « الدين » مرفوع على ما لم يسم فاعله وروى منصوبا « لن يشاد الدين أحدا » وقوله « الا غلبه » أى غلبه الدين لكثرة طرقه والغدوة أول النهار والروحة آخره والدلجة آخر الليل والمراد العمل وقت النشاط والفراغ كما ان المسافر يسير في هذه الأوقات لليسر

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا رواه أحمد ومسلم. المتنطعون المبالغون في الأمور. وروى أبو داود (في باب الحسد) ثنا أحمد بن صالح ثنا عبد الله بن وهب أخبرني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء ان سهل ابن أبي امامة حدثه انه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك في المدينة فقال ان رسول الله ﷺ كان يقول « لا تشددوا على أنفسكم يشدد الله عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » اسناد جيد

وفي الصحيحين عن عائشة : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله ، زاد مسلم وما ضرب شيئا بيده ولا امرأة ولا خادما الا أن يكون يجاهد في سبيل الله

وفي الصحيحين من حديث أنس « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا

تنفروا» روى أحمد حدثنا أبو سلمة الخزاعي أنبأنا أبو هلال عن حميد ابن هلال العدوي عن أبي قتادة عن لا رابي الذي سمع رسول الله ﷺ يقول «إن خير دينكم أيسره» وروى أيضا حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن اسحاق عن داود ابن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال قيل يارسول الله أي الأديان أحب إلى الله؟ قال «الحنيفية السمحة» وذكره في المختارة من حارثة . ابن اسحاق مدلس . وعن أبي هريرة مرفوعا «مثل الذي يجلس يسمع الحكمة ثم لايحدث عن صاحبه إلا بشر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال يا راعي اجترلي شاة من غنمك قال اذهب فخذ بأذن خيرها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم» رواه ابن ماجه . وعن سهل بن سعد مرفوعا «لا يدركني زمان ولاتدركوا زمانا لايتبع فيه العلم ولا يستحي فيه من الحكيم ، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب» وعن أبي هريرة مرفوعا «إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فانه لايدري ماكتب له من أمنيته» رواهما الامام أحمد

فصل

(* في قراءة التوراة والانجيل والزبور ونحو ذلك كما يفعله بعض القصاص *)

سئل الامام أحمد رضي الله عنه عن هذه المسألة في رواية اسحاق ابن ابراهيم فغضب فقال: هذه مسألة مسلم؟ وغضب. وظاهره الانكار وذكره

*) هذا العنوان لهذا الفصل من الاصل

القاضي ثم احتج بأنه عليه الصلاة والسلام لما رأى في يد عمر قطعة من التوراة غضب وقال «ألم آت بها بيضاء نقية»؟ الحديث، وهو مشهور رواه أحمد وغيره وهو من رواية مجالد وجابر الجعفي وهما ضعيفان(١) ولانها كتب مبدلة مغيرة فلم تجز قراءتها والعمل عليها، قال وهذه مسألة جرت بين شيوخنا الاكبرين فكان ابن هرمز والد القاضي أبي الحسين يقص بهذه الكتب وكانت مضروبة فأنكر عليه أبو عبدالله بن بطة ذلك وصنف فيه جزءا ذكر فيه ما حكينا من رواية الرجال وذكر فيه أيضاً عن أحمد رواية ابن أبي يحيى الناقد قال سمعت أحمد يقول: الاشتغال بهذه الاخبار القديمة يقطع عن العلم وذكر حديث عمر

وذكر بإسناده ان رجلا من أصحاب النبي ﷺ دخل مسجد دمشق فاذا كعب يقص فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من قص بغير كتاب الله وسنة نبيه فاضربوا رأسه» فما رؤي كعب في ذلك المجلس بعد. وبإسناده أن رجلا أهدى الى عائشة رضي الله عنها هدية قالت لاحاجة لي في هديته بلغني أنه يتتبع الكتب الاول والله تعالى يقول (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) ذكره القاضي في الجزء الثاني من الجامع عند الكلام على

(١) حديث عمر رواه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه بدون هذه الجملة التي رواها احمد وابن ابي شيبة والبزار من طريق مجالد عن جبير واوله «لاتسئلوا اهل الكتاب عن شيء» وقد علق البخاري هذا في ترجمة لحديث عمر جازما برفعه لتأييد الحديث الصحيح له

القراءة والمصحف، وسبق اول الكتاب في بيان الكذب قوله عليه السلام «حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج» وكلام أحمد رضي الله عنه

فصل

في التخول بالموعظة خشية الملل

في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يذكر كل خميس فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن انا نحب حديثك ونشتهيه وودنا انك حدثتنا كل يوم، فقال ما يمنعني أن أحدثكم الا كراهية أن أملكم إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا. وذكر البيهقي وغيره عن ابن مسعود قال حدث الناس ما أقبلت عليك قلوبهم اذا حدقوك بأبصارهم واذا انصرفت عنك قلوبهم فلا تحدثهم، وذلك اذا اتكأ بعضهم على بعض. وقال عكرمة عن ابن عباس: حدث الناس كل جمعة مرة فان أكثرت فمرتين، فان أكثرت فثلاثا ولا تمل الناس من هذا القرآن ولا تأت القوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثهم، وقال انصت فاذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، وإياك والسجع في الدعاء فاني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلونه رواه البخارى وعن عمر رضي الله عنه انه كان يقول على المنبر: ايها الناس لا تبغضوا الله الى عباده، فقيل كيف ذاك اصلحك الله؟ قال يجلس احدكم قاصا فيطول على الناس حتى يبغض اليهم ماهم فيه، ويقوم أحدكم اماما فيطول على الناس حتى يبغض اليهم ماهم فيه. وقالت عائشة رضي الله عنها لعبيد بن عمير اياك وإملال الناس وتقنيطهم وكان

الزهري اذا سئل عن الحديث يقول احمضوا اخلطوا الحديث بغيره حتى تنفتح النفس، وقال الزهري نقل الصخر ايسر من تكرير الحديث

قال ابن عبد البر كان يقال ستة اذا أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم: الذاهب الى مائدة لم يدع اليها، وطالب الفضل من اللئام، والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يدخلاه فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلسا ليس له باهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه ولا يصغي اليه. قال ابن عبد البر في بهجة المجالس: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان؛ فابتغوا لها طرائف الحكمة، وقال ابن مسعود رضي الله عنه أريحوا القلوب فان القلب اذا أكره عمي وقال أيضا ان للقلوب شهوة واقبالا، وفترة وإدبارا، فخذوها عند شهوتها واقبالها، وذروها عند عند فترتها وادبارها. وفي صحف ابراهيم عليه السلام وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فان هذه الساعة عون له على سائر الساعات. وقال عمر بن عبد العزيز تحدثوا بكتاب الله وتجالسوا، واذا مللتم فحديث من أحاديث الرجال حسن جميل. وقال أيضا لابنه عبد الملك يابني ان نفسي مطيتي وإن حملت عليها فوق الجهد قطعتها

وقال بعض الحكماء: حادثوا هذه القلوب بالذكر فانها تصدأ كما يصدأ الحديد. وقد روي عن النبي ﷺ «ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد» قالوا فما جلاؤها يا رسول الله؟ قال «تلاوة القرآن»

وكان يقال : التفكر نور والغفلة ظلمة

وفي البخاري من حديث أبي جحيفة قول سلمان لأبي الدرداء : ان لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فاعط كل ذي حق حقه . وقول النبي ﷺ « صدق سلمان » وروى الحاكم في تاريخه باسناده عن سنيد قال لا تنسى شيئا فتقول (سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم) إلا ذكرته. وكان مالك بن أنس إذا جلس مجلسه لا ينطق بشيء حتى يقولها . وروي أيضا عن الاعمش : جواب الاحمق السكوت عنه ، وقال الاعمش السكوت جواب والتغافل يطفىء شرا كثيرا ، ورضى المتجني غاية لا تدرك ، واستعطاف المحب عون للظفر ، ومن غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه

فصل

في حكم اجتماع الناس للذكر والدعاء ورفع الصوت به ومتى يكون بدعة

قال مهنا سألت أبا عبد الله عن الرجل يجلس الى القوم فيدعو هذا ويدعو هذا ويقولون له ادع أنت . فقال لا أدري ما هذا . وقال ابن منصور لأبي عبد الله : يكره أن يجتمع القوم يدعون ويرفعون أيديهم ? فقال ما أكرهه للاخوان إذا لم يجتمعوا على عمد الا أن يكثروا قال ابن منصور قال اسحاق ن راهويه كما قال وانما معنى : الا أن يكثروا ـ الا أن يتخذوها عادة حتى

يكثروا (١) وقال أبو العباس الفضل بن مهران سألت يحيى بن معين وأحمد ابن حنبل قلت ان عندنا قوما يجتمعون فيدعون ويقرءون القرآن ويذكرون الله تعالى فما ترى فيهم؟ قال فأما يحيى بن معين فقال يقرأ في المصحف ويدعو بعد صلاة ويذكر الله في نفسه. قلت فأخ لي يفعل هذا؟ قال انهه، قلت لا يقبل؟ قال عظه، قلت لا يقبل أهجره؟ قال نعم. ثم أتيت أحمد حكيت له نحو هذا الكلام فقال لي أحمد أيضا يقرأ في المصحف ويذكر الله تعالى في نفسه. ويطلب حديث رسول الله (ص) قلت فأنهاه؟ قال نعم، قلت فان لم يقبل، قال بلى ان شاء الله تعالى فان هذا محدث، الاجتماع والذي تصف قلت فان لم يفعل أهجره؟ فتبسم وسكت

وعن معمر ان عمر بن عبد العزيز كان حسن الصوت بالقرآن قال فخرج يوما وقرأ وجهر بصوته فاجتمع الناس له فقال له سعيد بن المسيب فتنت الناس، قال فدخل. وسأله المروذي عن القوم يجتمعون فيقرأ قارىء ويدعون حتى يصبحوا؟ قال أرجو أن لا يكون به بأس. وقال

(١) الصواب أن الامام أحمد اشترط في جواز اجتماع الناس للذكر والدعاء مع رفع الايدي شرطين احدهما أن لا يتعمدوا هذا الاجتماع وثانيهما أن لا يكثروا. ووجه ذلك ان تعمد الاجتماع لايكون الا للعبادة التي قيدها الشارع بالاجتماع ومثل هذا لم يرد في الشرع الاجتماع له فيكون بدعة دينية وهي لاتكون الا ضلالة، وأما الكثرة فتجعل هذا الاجتماع مع ماذكر من قبيل شعائر الدين وهي لاتثبت الا بالنص. فاذا انتفى الامران كان الاجتماع لما ذكر من العبادة المطلقة المشروعة

المروذي قال لي أبو عبدالله كنت أصلي فرأيت الى جنبي رجلا عليه كساء ومعه نفسان يدعوان فدنوت فدعوت معهم، فلما قمت رأيت جماعة يدعون فأردت أن أعدل اليهم ولولا مخافة الشهرة لقعدت معهم ، وروى الخلال عنه انه قال وأي شيء أحسن من أن يجتمع الناس فيصلوا ويذكروا ما أنعم الله عليهم كما قالت الانصار وقال في رواية عبد الله ثنا اسماعيل ثنا أيوب عن محمد بن سيرين قال نبئت ان الانصار قبل قدوم رسول الله (ص) المدينة قالوا لو نظرنا يوما فاجتمعنا فيه فذكرنا هذا الأمر الذى أنعم الله به علينا وذكر الحديث وفيه انهم اجتمعوا يوم الجمعة في بيت أسعد بن زرارة وذبحت لهم شاة وكفتهم قال الشيخ تقي الدين وقيد أحمد الاجتماع على الدعاء إذا لم يتخذ عادة وعن ابن مسعود أنه لما اتخذ أصحابه مكانا يجتمعون فيه للذكر فخرج اليهم فقال ياقوم لأنتم أهدى من أصحاب محمد أو لأنتم على شعبة ضلالة

ومذهب الشافعي والجمهور انه يستحب الاجتماع لتلاوة القرآن للخبر المشهور ، وقال مالك يكره وتأوله بعض أصحابه . وكان يحيى ابن سعيد القطان إذا قريء عليه القرآن يسقط الى الارض حتى يكاد يذهب عقله ، وكان عبد الرحمن بن مهدى يبكي وينكر سقوط يحيى ، قال يحيى قال أحمد في رواية المروذى لو قدر أن يدفع هذا أحد لدفعه يحيى ، ويأتي في آداب القراءة قبل فصول الطلب وقال عبد الله ماراأيت أبي يبكي قط إلا في حديث توبة كعب

فصل

(فى صفة المحدث الذي يؤخذ عنه)

قال المرذوي قال أبو عبدالله لاينبغي للرجل اذا لم يعرف الحديث أن يحدث به ثم قال صار الحديث يحدث به من لا يعرفه واسترجع ، وقال مالك لا يؤخذ العلم من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف مايحدث وقال الاثرم قال لي أبو عبدالله الحديث شديد سبحان الله ما أشده أو كما قال ثم قال يحتاج الى ضبط وذهن وكلام يشبه هذا ثم قال ولاسيما اذا أراد أن يخرج منه الى غيره قال اذا حدث ، ثم قال هو مالم يحدث مستور فاذا حدث خرج منه الى غيره بدا ما كان فيه ، وكلام نحو هذا ، وعن جعفر بن برقان قال كتب الينا عمر بن عبد العزيز وقال في كتابه : ومُرْ اهل الفقه من جندك فلينشروا ما علمهم الله في مساجدهم ومجالسهم والسلام ، وقال أحمد لابنه عبدالله افد أصحاب الحديث وأكرمهم فان ابراهيم بن بكر بن عياش لم يكن يفيد أصحاب الحديث ويجفوهم فلم يفلح ، ومشهور عن أنس انه كان اذا سئل عن مسألة يقول سلوا مولانا الحسن فانه حضر وغبنا . وحفظ ونسينا وقال الصاحب أبو القاسم ابن عباد ماعبر الانسان عن فضل نفسه بمثل ميله الى الفضل وأهله ، وكان أبو الحسن عمر بن محمد النوقاتي - بنون مفتوحه وقاف بعدها ألف ثم بتاء باثنتين من فوق نسبة الى نوقات موضع بسجستان ويشتبه بالنوقاني بنون بعد الالف بلدة من مدن طوس كان - حاضرا فنظم المعنى وقال

ما عبر الانسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل
وان أخس النقص أن يتقي الفتى قذى النقص عنه بانتقاص الافاضل

وهذا لما سعى بعض الناس الى أبي القاسم بن عباد وقال عن الحافظ أبي عبدالله بن منده انه جمع كتابا في التشبيه فاستدعاه وبحث عنه فانصفه وان كان ابن عباد معتزليا، وقال كيف ينقم على رجل ماأودع كتابه إلا آية محكمة أو أخبارا صحيحة، ودخل ابن مندة على ابن عباد فقام له وأكرمه فلما خرج قيل له قمت لرجل من معاندينا لا يحسن شيئا انما يعرف جماعة من محمد وأحمد، قال ابن عباد أليس يعرف جماعة من محمد واحمد لا أعرفهم؟ فله علي بذلك مزية وقد قال الصاحب بن عباد من لم يكتب الحديث لم يعرف حلاوة الاسلام، ولما أراد أن يملي ويروي الحديث امتنع من حضور الديوان وأظهر التنسك والتورع، فلما شاع ذلك عنه أحضر الفقهاء واستفتاهم بالكتابة عن مثله فأفتوا بجوازها فاملى في مجالس. ذكر ذلك الحافظ عبدالقادر الرهاوي في كتاب تاريخ المادح والممدوح

ولما حج يحيى بن عمار السجزي ونزل بظاهر الري فأرسل اليه الصاحب بن عباد ضيافة فأبى أن يقبلها فقال وددت اني ضربت بكل سوط ضرب به أحمد بن حنبل عشرة أسواط واسترحت من مداواة هؤلاء القوم. وروى الحاكم في تاريخه عن ابن المبارك قال: من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما أن يموت فيذهب علمه، واما أن ينسى حديثه، واما أن يبتلى بالسلطان. وقال ابن المبارك الحبر خلوق العلماء

فصل

في انصاف طلاب العلم ومن كان يحابي في التحديث

قال مهنا سمعت أبا عبدالله يقول كان اسماعيل بن علية يضع في الحديث ما لا يحل له في الشفاعات ونحن على الباب نتضور، وقال في رواية الفضل بن زياد كان لا ينصفهم في الحديث - يعني اسماعيل ، قلت كيف كان لا ينصف؟ قال كان يحدث بالشفاعات، قلت فان كان رجل له اخوان يخصهم بالحديث لا ترى ذلك ؟ قال ما أحسن الانصاف ؟ ما أرى يسلم أهل الحديث من هذا ، قلت وان كان رجل يقرىء رجلا مائتي آية ويقرأ آخر مائة آية ما تقول فيه ؟ فقال ينبغي أن ينصف بين الناس وقلت له انه يأخذ على هذا مائتي آية لانه يرجو أن يكون عاملا به، ويأخذ على هذا أقل لانه لا يبلغ هذا في العمل ما ترى فيه؟ قال ما أحسن الانصاف في كل شيء . وقال في رواية المروذي: عيسى كان منتصبا للناس وحفص كان يحدث بالشفاعة

وروى الخلال أخبرني العباس بن محمد الدوري ثنا أبو سليمان الاشقر قال كنا عند حماد بن زيد بالبصرة فجعل يقبل على اهل البصرة ويحدثهم فقلنا تقبل على هؤلاء وتدعنا ؟ قال اهل بلدي أحق بالحديث منكم ، وسمعت العباس بن محمد الدوري يقول ربما كنا عند احمد بن حنبل أيام الحج فيجيئه أقوام من الحجاج فيقبل عليهم ويحدثهم فربما قلنا له في ذلك فيقول هؤلاء قوم غرباء والى أيام يخرجون

وعن سفيان الثوري انه جاء الى يونس فاخذ يسأله ويملي عليه ومعه

ألواح ، فلما قام قالوا نسألك فلا تحدثنا وتحدث سفيان؟ قال سفيان غريب وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال لن تزالوا بخير ما دام العالم يعدل بينكم بعلمه لا يحيف . وعن أبي العالية في قوله تعالى (ولا تصعر خدك للناس) قال يكون الغني والفقير عندك في العلم سواء . وقال ابن عون كلموا محمدا في رجل يحدثه فقال لو كان رجل من الزنج لكان عندي وعبد الله بن محمد في هذا سواء ، وقال جعفر بن محمد من أنصف الناس من نفسه قضي به حكما لغيره . وقال الشاعر

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل

وقالوا ثلاثة من حقائق الايمان : الاقتصاد في الانفاق ، والابتداء بالسلام ، والانصاف من نفسك . وقال مالك بن دينار : وليس في الناس شيء أقل من الانصاف . وقال جعفر بن سعد ما أقل الانصاف ، وما أكثر الخلاف ، والخلاف موكل بكل شيء حتى القذاة في رأس الكوز فاذا أردت أن تشرب الماء حارت الى فيك ، واذا أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت . قال الشاعر

آخي الكرام المنصفين وصلهم واقطع مودة كل من لا ينصف

وقال أبو العتاهية

اذا ما لم يكن لك حسن فهم أسأت اجابة وأسأت سمعا

وعن أبي عوانة انه حدث قوما ومنع آخرين ، وأسمع هشيم رجلا بشفاعة أحمد ، وعن أبي عاصم انه كان اذا جاءه انسان من قبل السلطان أو شفاعة حدثه مع أصحاب الحديث ولم يحدثه دونهم ولم يخصه

فصل

جاء رجلان الى أحمد فقال لو جئتكم الى المنزل وحدثتكم لكنتم أهلا لذلك، وقال عروة ائتوني فتلقوا مني، وصح عنه أيضا أنه كان يتألف الناس على حديثه، وقال احمد في رواية حبيش: جاء زهير الى (١) ابن أبي زائدة برجل فقال حدثه قال حتى أسأل عنه فقال له زهير متى عهدت الناس يفعلون هذا؟ فقال له زائدة (٢) ومتى عهدت الناس يسبون أبا بكر وعمر؟ وقال أيوب قال سأل رجل سعيد بن جبير عن حديث فمنعه فقال له الرجل تؤجر، فقال له ليس كل الاجر نقوى عليه، وكذا روي عن أحمد

وعن أحمد قال فيما روي عن أيوب قال لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون أو لا يعرفون فتضروهم، وصح عن مسروق قال لا تنشر بزك الا عند من يبغيه رواه أحمد في رواية عبد الله وقال يعني الحديث وقال شعبة أتاني الاعمش وأنا أحدث قوما فقال ويحك تعلق اللؤلؤ في أعناق الخنازير، وقلت مهنا لاحمد ما معنى قوله؟ فقال معنى قوله لا ينبغي ان يحدث من لا يستأهل. وقال عبد الله حدثني أبي قال قال سفيان قال عيسى عليه السلام للحكمة أهل فان وضعتها في غير أهلها ضيعت، وان منعتها من أهلها ضيعت، كن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغي. وقال عبد الملك بن عمير كان يقال اضاعة الحديث أن يحدث به من ليس بأهل، وعن دغفل قال آفة العلم أن تخزنه ولا تحدث به ولا تنشره، وقال ابراهيم النخعي حدث حديثك من تشتهيه ومن لا تشتهيه فانك

(١) في النسخة المصرية أبي زائدة بدون ابن (٢) كذا بالاصول

يحفظه حتى كأنه أمامك تقرأه. روى ذلك الخلال، وقال عبد الرزاق عن معمر عن رجل هو عمرو بن عبد الله عن عكرمة قال قال عيسى عليه السلام لا تطرح اللؤلؤ إلى الخنزير فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً، ولا تعط الحكمة من لا يريدها فإن الحكمة خير من اللؤلؤ، ومن لا يريدها شر من الخنزير

وقال مالك ذلك ذل وإهانة للعلم أن يتكلم به عند من لا يطيعه، وقال كثير بن مرة الحضرمي: لا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحدث به غير أهله فتجهل، إن عليك في علمك حقا كما أن عليك في مالك حقا، ذكره البيهقي وغيره، وروى الخلال في الأخلاق أن ابراهيم بن شماس قال كنا بعبادان فجرى تشاجر بين طلبة الحديث فلم يحدثهم يعني وكيع ابن الجراح سبعة أيام فقال إنما أردت أدبهم. ثم حدثهم

وفي الصحيحين قول ابن عباس لعمر رضي الله عنهما إن الموسم يجمع الرعاع والغوغاء فامهل حتى تقدم المدينة فتخلص بأهل الفقه. فقدمنا المدينة وذلك أن عمر قبل مشورة ابن عباس فلم يتكلم بذلك حتى قدم المدينة: قال ابن الجوزي، في هذا تنبيه على أن لا يودع العلم عند غير أهله ولا يحدث لقليل الفهم ما لا يحتمله فهمه، قال والرعاع السفلة والغوغاء نحو ذلك، وأصل الغوغاء صغار الجراد، قال ابن عقيل قوله تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ذلك مع المعجز ﷺ شهد الحق

له لولا تخلقه للخلق الجميل لانفضوا عنك(١)ولم يقنع بالمعجز في تحصيلهم، لاتقنع أنت بالعلوم وتظن أنها كافية في حوش الناس الى الدين بل حسن ذلك وجلّه بالاخلاق الجميلة

فصل

في أخذ العلم عن أهله وان كانوا أصغار السن

قال الامام أحمد بلغني عن ابن عيينة قال الغلام استاذ اذا كان ثقة، وقال علي بن المديني: لان أسأل أحمد بن حنبل عن مسئلة فيفتيني احب الي من أن أسأل أبا عاصم وابن داود، إن العلم ليس بالسن، وروى الخلال من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال قال عمر رضي الله عنه إن العلم ليس عن حداثة السن ولاقدمه، ولكن الله تعالى يضعه حيث يشاء، وقال وكيع لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسن منه ومن هو مثله ومن هو دونه في السن. هذه طريقة الامام أحمد على ماذكره البيهقي في مناقبه وغيره، وفي فنون ابن عقيل وجدت في تعاليق محقق أن سبعة من العلماء مات كل واحد منهم وله ست وثلاثون سنة فعجبت من قصور أعمارهم مع بلوغهم الغاية فيما كانوا فيه فمنهم الاسكندر ذو القرنين وقد ملك ماذكره الله، وأبو مسلم الخراساني صاحب الدولة العباسية، وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة، وسيبويه صاحب التصانيف والتقدم في العربية وأبو تمام الطائي في علم الشعر، وابراهيم النظام في علم الكلام، وابن الراوندي

(١) كذا في النسختين

في المخازي، وله كتاب الدافع مما غربه أهل الخلاعة وله الجدل انتهى كلامه

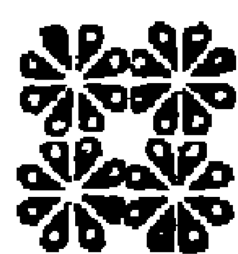
وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولا كانوا أو شبانا، وكان وقافا عند كتاب الله رواه البخاري وغيره، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت أقرىء رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف. قال ابن الجوزي في كشف المشكل فيه تنبيه على أخذ العلم من أهله وان صغرت اسنانهم أو قلت أقدارهم وقد كان حكيم بن حزام يقرأ على معاذ بن جبل فقيل له تقرأ على هذا الغلام الخزرجي قال انما أهلكنا التكبر

فصل

قال ابن عقيل في الفنون من أكبر مايفوت الفوائد ترك التلمح للمعاني الصادرة عمن ليس بمحل للحكمة، اترى يمنعني من أخذ اللؤلؤة وجداني لها في مزبلة؟ كلا سمعت كلمة بقيت من قلقها مدة وهي أن أمرأة كانت تقول على شغلها وتترنم بها

كم كنت بالله أقل لك؟ ان للتواني غائلة ولتبيح خميرة تبين بعد قليل

فما أوقعها من تخجيل على اهمالنا لامور غداً تبين خمائرها بين يدي الله سبحانه وتعالى، وروى الترمذي وابن ماجه والاسناد ضعيف عن أبي هريرة مرفوعا «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها»



فصل

خير الناس من شهد له بالخير أهله وجيرانه

قال الفضل سمعت أبا عبدالله وسئل عن أحمد بن محمد بن أيوب صاحب المغازي فقال هذا يسئل عنه جيرانه فاذا أثنوا عليه قبل منهم. وروى الخلال من حديث اسماعيل عن أيوب عن أبي قلابة قال خير الناس خيرهم في أهله وخيرهم في جيرانه ، قال هم أعلم به. وروى ابن ماجه حدثنا محمد بن يحي ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رجل لرسول الله ﷺ كيف لي أن أعلم اذا احسنت واذا أسأت ؟ قال رسول الله ﷺ « اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت ، واذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت » اسناد جيد ورواه أيضا من حديث جامع ابن شداد عن كلثوم الخزاعي وروى أحمد الحديث الاول ولفظه « اذا سمعتهم » ولم يقل « جيرانك » وقد سبق ما يتعلق بهذا بنحو كراسين ، وقال سفيان الثوري اذا رأيت الرجل محببا الى جيرانه فاعلم أنه مداهن

فصل

(فيمن يتلقى العلم ممن يتنح منه بغير العلم)

قال أبو داود سمعت أبا عبدالله قيل له الرجل يكتب عن الرجل لكي يقضى له حاجة ؟ فقال اذا كان عنده ثقة يكتب عنه ، قلت ليس هو عنده في موضع يكتب عنه يقول اكتب ثم أرمي به فكره ذلك ، قلت

أتخاف أن تكون ممن ياكل بالعلم ؟ فقال أخاف

وقال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله قيل له الرجل لا يكون ثقة في الحديث فتعرض للرجل اليه الحاجة أيكتب عنه لمكان حاجته ؟ فقال إن كان ثقة يكتب عنه وان لم يك ثقة فلا يكتب عنه. وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن كنت لأستقريء الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني قال ابن هبيرة فيه دليل على جواز محادثة الرجل بشيء من الذكر والقرآن لقصد يقصده الانسان يستجلب به نفعا له أو يدفع به ضرورة ، قال ولم ينكره على أبي هريرة منكر . وقيل لأبي زرعة كتبت عن يحي بن أكثم ؟ فقال ماأطمعته في هذا قط ، ولقد كان شديد الايجاب لي ، لقد مرضت مرضة ببغداد فما أحسن أصف ماكان يوليني من التعاهد والافتقاد

وحدث ذات يوم عن الحارث بن مرة الحنفي بحديث الأشربة فقال «يعيش» وصحف فيه فقال « نعيس » من أسامي العبيد وخجل ، فقلت له حدثنا أحمد بن حنبل والقواريري قالا حدثنا الحارث بن مرة فرجع لما ورد عليه أحمد والقواريري قال أبو زرعة جبلان

فصل

(في محو كتب الحديث او دفنها اذا كانت لا ينتفع بها)

قال بكر عن أبيه عن أبي عبد الله سمعه ـ وسئل عن رجل أوصى اليه رجل أن يدفن كتبه ـ قال ما أدري ماهذا ؟ وقال الاثرم قلت لأبي عبد الله

دفن دفاتر الحديث ؟ قال أرجو أن لا يكون به بأس (١) وقال في رواية أبي طالب وقد سأله عن محو كتب الحديث فقال سبحان الله تمحى السنة والعلم ! قلت ماتقول ؟ قال لا . وقال أبو طالب سألت أباعبد الله ما ترى في دفن العلم اذا كان الرجل يخاف أن ليس له خلف يقوم به ويخاف عليه الضيعة؟ قال لا يدفن ولعل ولده ينتفع به، عبيدة أوصى أن تدفن، والثوري لم يكن له ولد ولعل غير ولده ينتفع به ، قلت يباع؟ قال لا يباع العلم ولكن يدعه لولده ينتفع به أوغير ولده ينتفع به . وقال في رواية المروذي ـ وسأله عمن أوصى أن تدفن كتبه قال ما يعجبني دفن العلم

وقال المروذى سألت أبا عبدالله عن رجل أمر بدفن كتبه وله أولاد فأطرق مليا ثم قال لعله ينتفع بها، ثم قال ان كان فيها منفعة عرضت فما أعطي بها من شيء حسبت من ثلثه . وحمل احمد بن ابي الحوارى كتبه الى البحر فغرقها وقال لم افعل هذا تهاونا بك ولا استخفافا بحقك ولكن كنت أطلب ان أهتدى بك الى ربي فلما اهتديت بك الى ربي استغنيت عنك

(فصل)(٢) قال صالح سألت اباعبدالله عن رجل اوصاه أبوه اذا هو مات أن يدفن كتبه قال الابن بعد موت ابيه ما أشتهي ان ادفنها قال اني ارجو اذا كانت مما ينتفع بالنظر فيها ورثته رجوت ان شاء الله تعالى ، وسأله

(١) الاصل في هذه المسألة انه ليس كل ما كان يكتب من الحديث ينتفع به لان العدة فيه على الرواية وقد يكون المكتوب غير مروي عن الثقات ولا يميز هذا الا أهله

(٢) لفظة فصل ساقطة من النسخة المصرية وهي لا محل لها لان الموضوع واحد

المروذي عمن اوصى ان تدفن كتبه وله اولاد؟ قال فيهم من ادرك؟ قلت نعم قال وعمن كتب هذه الكتب؟ قلت عن قوم صالحين ، قال احب العافية منها ، اكره أن اتكلم فيها ، واستعفى من ان يجيب من ان تترك او تدفن

قال الخلال والذي اذهب اليه من قوله في هذا انه ان كانت صحفا اوحديثا انها لاتباع ولا تمحى ولا تحسب من الثلث لاني لا اعرف لحسابه من الثلث معنى ، لعله قد أوصى بثلثه في أبواب البر ، وقد توقف عنه أبو عبدالله والاحوط في هذا أن تدفن فهو أشبه في هذا الزمان

فصل

فى كتابة الحديث والعلم والاحاديث المتعارضة فيها

روى الخلال ثنا أبو العباس الدوري سمعت يحي بن سعيد القطان ما رأيت مثل سفيان الثوري، كنت اذا سألته عن الحديث لم يكن عنده اشتد عليه، وكان مسعر لا يبالي أن لا يكون عنده . وقال رجل لاحمد أريد أعرف الحديث ، قال ان اردت ان تعرف الحديث فأكثر من الكتابة . وقد دل هذا النص وغيره على كتابة الحديث بل و كتابة العلم . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «اكتبوا لابي شاه» وفيهما أيضا قول علي رضى الله عنه : وما في هذه الصحيفة (١) وفي البخاري عن ابي هريرة : لم يكن أحد اكثر حديثا مني الا عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا اكتب .

---

١) هي صحيفة فيها أحكام عقل الدية وفكاك الاسير وتحريم المدينة كمكة ولا يقتل مسلم بكافر وكان كرم الله وجهه قد علقها بسيفه

وفي رواية استأذن رسول الله ﷺ في الكتابة فاذن له . وفي السنن ان عبد الله بن عمرو قال يارسول الله أكتب عنك في الغضب والرضا ؟ فقال «اكتب فوالذي نفسي بيده مايخرج منه إلا حق» وأشار بيده إلى فيه ﷺ .وعن عمر وابن عباس وأنس رضي الله عنهم: قيدوا العلم بالكتاب ، وقال حنبل ثنا سعيد بن سليمان ثنا عبد الله بن المؤمل عن ابن جريج عن عطاء عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله (ص) « قيدوا العلم » قلت وماتقييده ؟ قال «الكتاب» ابن المؤمل ضعيف وللنسائي عن عمرو ابن عثمان عن الوليد بن مسلم عن ابن جريج أخبرني عطاء عن عبدالله بن عمرو قال يارسول الله إنا نسمع منك أحاديث فتأذن لنا أن نكتبها ؟ قال «نعم » وذكر الحديث قال النسائي منكر وهو عندي خطأ . وسمع أنس وكتب من النبي ﷺ وعرضها عليه ،وأملى واثلة بن الاسقع على الناس الاحاديث وهم يكتبون بين يديه

وقال أبو المليح يعيبون علينا الكتاب والله يقول (قال علمها عند ربي في كتاب) وكان ابن عمر لا يخرج من بيته غدوة حتى ينظر في كتبه . وقال بشير بن نهيك كتبت عن أبي هريرة ماكنت أسمعه منه ثم أتيته به فقلت هذا سمعته منك قال نعم . وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه أمر بنيه وبني أخيه بكتابة العلم حتي يرووه أو يضعوه في بيوتهم ، وكتب ابن عباس كثيراً وكتب الناس عن زيد بن ثابت وجابر والبراء وغيرهم من الصحابة وخلق من التابعين لا يحصون . وكتب عمر بن عبد العزيز الى

أبي بكر بن حزم أن يجمع له السنن والآثار : فاني خشيت ذهاب العلم

وروى مسلم عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعا « من كتب عني سوى القرآن فليمحه »(١) وروى البيهقي عن أبي نضرة عن أبي سعيد انه قال لا نكتبكم ولا نجعلها مصاحف، احفظوا عنا كما كنا نحفظ عن نبيكم ﷺ ، قال البيهقي فدل ذلك على ان النهي انما كان خشية أن يختلط بكتاب الله شيء ، ثم روى من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة ان عمر أراد أن يكتب السنن فاستشار الصحابة رضي الله عنهم فاشاروا عليه بذلك ثم استخار الله شهرا ثم قال اني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله عز وجل واني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا

وعن ابن مسعود انه كره كتابة العلم وكذا روي عن ابن عمر وأبي موسى الاشعري والزهري وغير واحد انهم كرهوا ذلك، وقال أبو هريرة لا نكتب ولا نكتم ، وقال ابن جريج أخبرني الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير ان ابن عباس كان ينهي عن كتابة العلم وقال انما أضل من كان قبلكم الكتب ، قال البيهقي وانما ذلك للمعنى الذي أشرنا اليه أو نحوه ، وقال أيضا لعله ﷺ أذن في الكتابة لمن خشي عليه النسيان ونهى عن الكتابة لمن وثق بحفظه ، أو نهى عن الكتابة حين خاف الاختلاط ، وأذن في الكتابة حين أمن منه فقال الاوزاعي كان هذا العلم كريما يتلاقاه الرجال بينهم فلما دخل في الكتب دخل فيه من ليس من أهله

(١) متن هذا الحديث ساقط من النسخة النجدية

وقال أبو كريب كان عيسى عليه السلام يقول: لا خير في علم لا يعبر معك الوادي، ولا يعمر بك النادي، قال في شرح مسلم اجمعت الامة على استحباب كتابة العلم بعد ذلك وأجابوا عن أحاديث النهي بخوف اختلاط القرآن بغيره قبل اشتهاره فلما اشتهر وأمن ذلك جاز. والجواب الثاني أنه نهي تنزيه لمن وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة

وقال الثوري معرفة معاني الحديث وتفسيره أشد من حفظه، وقال وكيع: قال ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع وكان ثقة: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به. وسأل مهنا احمد ما الحفظ؟ قال الاتقان هو الحفظ، وقال عبد الرحمن ابن مهدي الحفظ الاتقان ولا يكون إماما في العلم من يحدث بكل ما سمع، ولا يكون إماما في العلم من يحدث بالشاذ من العلم. وقال المروذي إن أبا عبد الله قال ما أنفع مجالس أصحاب الحديث! قلت كيف مجالستهم وهم يغتابون؟ قال ما أنفع مجالستهم! يعرف الرجل الحديث بهم. وروى الخلال عن ابن سيرين قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يجلسون في مسجد النبي ﷺ حلقا يتذاكرون الحديث ويتراجزون الشعر، وروى أحمد عن عبد الله هو ابن مسعود قال تذاكروا الحديث فان حياته المذاكرة، وعن علقمة قال: أطيلوا ذكر الحديث لا يدرس، وعن وهب بن منبه قال مجلس يتنازع فيه العلم أحب إلي من قدره صلاة، روى ذلك الخلال، وذكر البيهقي في كتاب المدخل من حديث شعبة عن علي ابن الحكم عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا جلسوا كان حديثهم يعني الفقه إلا

أن يقرأ رجل سورة أو يأمروا أحدهم أن يقرأ سورة ، وعن علي رضي الله عنه قال تذاكروا الحديث فانكم ان لم تفعلوا ذلك اندرس العلم ، وقال أبو سعيد تذاكروا والحديث فان الحديث يهيج الحديث . وقال عمر المهاجري عن ابن عباس: إن له لسانا سئولا ، وقلبا عقولا(١) رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عنه ، وروى أحمد عن جرير عن مغيرة قال قال رجل لابن عباس بم أصبت هذا العلم؟ قال بلسان سئول ، وقلب عقول ، وقال ابن وهب عن يونس ، قال الزهري العلم خزائن وتفتحها المسألة . وروي عن الزهري أنه كان يرجع الى منزله وقد سمع حديثا كثيرا فيعيده على جارية له من أوله الى آخره كما سمعه ويقول لها انما أردت أن أحفظه ، وكان غيره يعيده على صبيان المكتب ليحفظه ، وقال الاوزاعي عن الزهري آفة العلم النسيان وقلة المذاكرة ، وعن محمد بن كعب مرسلا ماتجالس قوم ينعت بعضهم لبعض الا نزع الله من ذلك المجلس البركة . وعن ابن مسعود أنه كان اذا قعد يقول انكم في ممر الليل والنهار الى آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة فمن زرع خيرا يوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شرا يوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مازرع لا يفوت بطيء حظه ، ولا يدرك حريص مالم يقدر له ، فمن أعطي خيرا فالله أعطاه ، ومن وقي شرا فالله وقاه ، المتقون سادة ، والفقهاء قادة ، مجالستهم زيادة ، قال البيهقي وروي عن الحارث عن علي مرفوعا وهو ضعيف

(١) أي قال هذا فيه لا رواية عنه

وقال علي بن المديني حدثنا جندب بن عبد الرحمن الرواسي ثنا زكرياء ابن أبي زائدة عن علي بن الارقم (١) عن أبي جحيفة قال جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء ، وخالطوا الحكماء ، قال البيهقي روي مرفوعا وهو ضعيف. وقال لقمان يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل المطر . قال البيهقي ، وروي مرفوعا وهو ضعيف، وعن أنس مرفوعا « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا » رواه الترمذي ، قال البيهقي ، وروي عن كعب من قوله ، وروى الفقيه نصر بن ابراهيم المقدسي أخبرنا ابو بكر أخبرنا عبد الغفار بن ابي الطيب (٢) المؤدب حدثنا عمر بن احمد بن عثمان حدثنا محمد بن احمد بن ابي الثلج (٣) حدثنا جدي قال سألت احمد بن حنبل قلت يا أبا عبد الله أيما أحب اليك ؟ الرجل يكتب الحديث او يصوم ويصلي ؟ قال يكتب الحديث، قلت فمن أين فضلت كتابة الحديث على الصوم والصلاة ؟ قال لان يقول إني رأيت قوما على شيء فاتبعتهم

فصل

في فضل الجمع بين الحديث وفقهه وكراهة طلب الغريب والضعيف منه

قال أحمد بن الحسن الترمذي سمعت أبا عبد الله يقول اذا كان يعرف الحديث ويكون معه فقه أحب الي من حفظ الحديث لا يكون معه فقه ،

١) بالنسخة المصرية الاقمر ٢) بالنسخة المصرية أبي طالب ٣) بالنسخة المصرية الثلج

وقال الاثرم سأل رجل أبا عبد الله عن حديث فقال أبو عبدالله : الله المستعان تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب، ما أقل الفقه فيهم، وقال الحسن ابن محمد سمعت أحمد بن حنبل سئل عن أحاديث غرائب فقال شيء غريب أي شيء يرجى به؟ قال يطلب الرجل ما يزيد في أمر دينه ما ينفعه، وقال في رواية أبي داود يطلبون حديثا من ثلاثين وجها أحاديث ضعيفة قال شيء لا ينتفعون به . ونحو هذا الكلام ، وقال أيضا شر الحديث الغرائب التي لا يعمل بها ولا يعتمد عليها . وقال ابراهيم النخعي كانوا : يكرهون غريب الحديث ذكره الخلال، وروى أحمد بن الربيع بن خيثم قال إن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل تنكره، وان من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار تعرفه، وقال علي بن الحسين زين العابدين: العلم ما تواطأت عليه الالسن

وقال مالك شر العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رآه الناس، وقال أبو يوسف القاضي: من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب غريب الحديث كذب ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، وعن مالك مثله وقال ابن المبارك: لنا في صحيح الحديث شغل عن سقيمه ، وقال ابن مهدي لا ينبغي للرجل أن يشغل نفسه بكتابة الحديث الضعيف فأقل ما في ذلك أن يفوته من الصحيح بقدره

وقال ابن الجوزي: قال أحمد بن حنبل: الاشتغال بالاخبار القديمة يقطع عن العلم الذي فرض علينا طلبه . وقال مالك ما أكثر أحد من الحديث فأنجح ، قال ابن الجوزي واما الاشارة الى ما ذكرت من التشاغل

بكثرة الطرق والغرائب فيفوت الفقه . وذكر كلاما كثيراً – الى أن قال – وقد أوغل خلق من المتأخرين في كتابة طرق المقولات ، فشغلهم عن معرفة الواجبات ، حتى ان أحدهم يسئل عن أركان الصلاة فلا يدري ، لا بل قد أثر هذا في القدماء ، ثم روى باسناده ان امرأة وقفت على مجلس فيه يحيي بن معين وأبو خيثمة وخلف بن سالم في جماعة يتذاكرون الحديث فسألتهم عن الحائض تغسل الموتى وكانت غاسلة – فلم يجبها منهم أحد ، وجعل بعضهم ينظر الى بعض ، فأقبل أبو ثور فقالوا لها عليك بالمقبل ، فسألته فقال نعم تغسل الميت لحديث عائشة رضي الله عنها « أما إن حيضتك ليست في يدك » ولقولها : كنت أفرق رأس رسول الله ﷺ بالماء وأنا حائض ، قال أبو ثور : فاذا فرقت رأس الحي فالميت به أولى ، فقالوا نعم رواه فلان وحدثنا به فلان ونعرفه من طريق كذا وخاضوا في الطرق والروايات فقالت المرأة فأين كنتم الى الآن ؟

قال وقد كان بعض أكابرهم يستحي من رد الفتيا فيفتي بما لا يحسن ذكره حتى ان امرأة سألت علي بن داود وفي مجلسه نحو الف رجل فقالت اني حلفت بصدقة ازاري ؟ فقال بكم اشتريته ؟ قالت باثنين وعشرين درهما قال صومي اثنين وعشرين يوما ، فلما ذهبت جعل يقول آه غلطنا والله ، أمرناها بكفارة الظهار ، حكاه ابراهيم الحربي ، ثم روى باسناده عن أبي زرعة قال كتب إلي أبي ثور لم يزل هذا الامر في أصحابك حتى شغلهم عنه إحصاء عدد رواة «من كذب علي متعمدا» فغلبهم هؤلاء القوم

عليه ، قال ابن الجوزي في (صيد الخاطر) فهو كما قال الحطيئة

زوامل للاخبار لا علم عندها بجتقنها الا كعلم الا باعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا باوساقه أوراح ما في الغرائر

ثم ذكر العلوم وقال إن الفقه عليه مدار العلوم فان اتسع الزمان للتزيد من العلم فليكن من الفقه ، فانه الانفع وقال فيه ولقد ادركنا في زماننا من قرأ من اللغة احمالا فخضر بعض المتفقهة فسأله عن الحديث المعروف «لو طعنت في فخذها أجزأك» فقال هذا للمبالغة ، فقال له الصبي اليس هذا في ذكاة غير المقدور عليه؟ (١) ففكر الشيخ ساعة ثم قال صدقت. وادركنا من قرأ الحديث ستين سنة فدخل عليه رجل فسأله عن مسئلة في الصلاة فلم يدر ما يقول؟ وأدركنا من برع في علوم الفقه فكان اذا سئل عن حديث لا يدري ما يقول؟ وادركنا من برع في علم التفسير فقال له رجل يوما اني أدركت ركعة من صلاة الجمعة فاضفت اليها أخرى فما تقول؟ فسبه ولامه على تخلفه ولم يدر ما الجواب. وأدركنا من برع في علوم القراآت فكان اذا سئل عن مسئلة يقول عليك بفلان. هذه كلها محن قبيحة ؟ فلما رأيت في الصبا ان كل من برع من أولئك في فنه مااستقصى وإنما عوقته فضوله عن المهم وما بلغ الغاية رأيت أن آخذ المهم من كل علم هو المهم ، فانه من اقبح الاشياء ان يطلب المحدث علو الاسناد وحسن التصانيف فيقرأ المصنفات الكبار ويطلب الاسانيد

---

١) يعني الحيوان غير المقدور على ذبحه كالمتردية في بئر يجزيء في ذكاتها طعنها في فخذها أو غيره

العوالي ويكتب فيذهب العمر ويرجع كما كان ليس عنده الا اجزاء مصححة لايدري مافيها وقد سهر وتعب

واذا ساءلته عن علمه قال علي ياخليلي في سفط
في كرارس جياد احكمت وبخط أي خط أي خط
واذا ساءلته عن مشكل حك لحييه جميعا وامتخط

ويتفقه صبي صغير فيفتي في مسئلة (١) عن عجز ذلك الشيخ عنها ، وانما اشرح هذه الاشياء للتعليم . انتهى كلامه

ولابي داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعا « العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، او فريضة عادلة » وللترمذي وقال حسن غريب عن انس أن النبي ﷺ قال له « يابني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل - ثم قال - يابني وذلك من سنتي، من احيا سنتي فقد احياني، ومن احياني كان معي في الجنة » وقال الشافعي ليونس بن عبد الاعلى : عليك بالفقه فانه كالتفاح الشامي يحمل من عامه، وقال ابن الجوزي في كتاب العلم: الفقه عمدة العلوم، وأملى الشافعي على مصعب بن عبد الله بن الزبير اشعار هذيل ووقائعها وأيامها حفظا، فقال له ياأباعبدالله اين انت بهذا الذهن عن الفقه فقال اياه أردت. وقال محمد بن الحسن : كان ابو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام . وكان يقول لعن الله عمرو بن عبيد لقد فتح للناس الطريق الى الكلام فيما لا يعنيهم. وقال الربيع مر الشافعي بيوسف ابن عمرو وهو

١) كذا في الأصلين بزيادة لفظ عن

يذكر شيئا من الحديث فقال يا يوسف تريد تحفظ الحديث وتحفظ الفقه هيهات. وقال صاحب المحيط من الحنفية افضل العلوم عند الجمهور بعد معرفة اصل الدين وعلم اليقين معرفة الفقه والاحكام الفاصلة بين الحلال والحرام وروى الحاكم في تاريخه عن عبد العزيز ابن يحيي قال قال لنا سفيان بن عيينة يا اصحاب الحديث تعلموا معاني الحديث فاني تعلمت معاني الحديث ثلاثين سنة قال فتركوه وقالوا عمرو بن دينار من ؟ وقال ابو حيان النحوي المتأخر المشهور في اثناء كلام له: واما إن صاحب تناتيف وينظر في علوم كثيرة فهذا لا يمكن ان يبلغ الامامة في شيء منها، وقد قال بعضهم ازدحام العلوم، مضلة للفهوم، ولذلك تجد من بلغ الامامة من المتقدمين في علم من العلوم لا يكاد يشتغل بغيره ولا ينسب الى غيره، وقد نظمت ابياتا في شأن من ينهض بنفسه، ويأخذ العلم من الصحف بفهمه

يظن الغمر أن الكتب تهدي ... أخا فهم لادراك العلوم

وما يدري الجهول بأن فيها ... غوامض حيرت عقل الفهيم

إذا رمت العلوم بغير شيخ ... ضللت عن الصراط المستقيم

وتلتبس العلوم(١) عليك حتى ... تصير أضل من توما الحكيم

أشرت الى قول بعضهم:

قال حمار الحكيم توما ... لو أنصفوني لكنت أركب

لانني جاهل بسيط ... وصاحبي جاهل مركب

(١) في النسخة المصرية الامور

وقال بعضهم

إذا لم تكن حافظا واعيا ... فجمعك للكتب لا ينفع
وتحضر بالجهل في موضع ... وعلمك في الكتب مستودع
ومن كان في عمره هكذا ... يكن دهره القهقرى يرجع

ومن المشهور :

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو سودت وجهك بالمداد

وللعلوم رجال يعرفون بها ... وللدواوين كتاب وحساب .

فصل

قال ابن الجوزي : ومن علوم الحديث معرفة علله وذلك بجمع طرقه وقال أحمد بن حنبل انا لم يجمع طرق الحديث لم يفهم، والحديث يفسر بعضه بعضا . وقال عبد الرحمن بن مهدي : لأن أعرف علة الحديث هو عندي أحب إلي من أن أكتب عشرين حديثا ليست عندي . انتهى كلامه . وقال سفيان الثوري عن ابيه عن منذر أبي يعلى الثوري عن الربيع قال : ان من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه ، وان من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل ننكره . وقال نعيم بن حماد قلت لعبد الرحمن بن مهدي: كيف تعرف صحيح الحديث من خطئه فقال كما يعرف الطبيب المجنون

وذكر البخاري عن ابن المديني عن ابن مهدي وسأله رجل عن ذلك فقال عبد الرحمن أرأيت لو أتيت الناقد فأريته دراهمك فقال هذا جيد وهذا مستوق، وهذا مبهرج، أكنت تسأله عن ذلك؟ او كنت تسلم الامر له؟ قال

بل كنت أسلم الامر اليه، قال فهذا كذلك لطول المجالسة والمناظرة والخبرة وعن ابن مهدي قال علمنا بعلة الحديث كهانة عند الجاهل. وجاء رجل الى ابي زرعة فقال ما الحجة في تعليلكم الحديث؟ فقال الحجة في ذلك أن تسألني عن حديث له علة فاذكر علته، ثم تقصد محمد بن مسلم بن وارة فتسأله عنه فيعلله، ثم تقصد أبا حاتم الرازي فيعلله، ثم تنظر فان وجدت بيننا اختلافا في علته فاعلم أن كلامنا تكلم على مراده، وان وجدت الكلمة متفقة فاعلم حقيقة هذا العلم، ففعل الرجل ذلك فتفقت كلمتهم، فقال أشهد ان هذا العلم الهام. رواه الحاكم والبيهقي والخطيب وغيرهم

وقال أبو زرعة الدمشقي ثنا أحمد بن أبي الحواري ثنا الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي يقول كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما نعرض الدرهم المزيف فما عرفوا منه أخذنا وما أنكروا منه تركنا. وقال الاعمش كان ابراهيم صيرفي الحديث فكنت اذا سمعت الحديث من بعض أصحابنا أتيته فعرضته عليه. وقال قبيصة بن عقبة رأيت زائدة يعرض كتبه على سفيان الثوري ثم التفت الى رجل في المجلس فقال مالك لا تعرض كتبك على الجهابذة كما نعرض؟

وقال زائدة كنا نأتي الاعمش فيحدثنا بكثير ثم نأتي سفيان الثوري فنذكر له تلك الاحاديث فيقول ليس هذا من حديث الاعمش فنقول صدق سفيان ليس هذا من حديث الاعمش فنقول هو حدثناه الساعة فيقول اذهبوا فقولوا له ان شئتم فنأتي الاعمش فنخبره فيقول صدق سفيان

ليس هذا من حديثنا. وقال ابن معين لرجل لولا الجهابذة كثرت الستوق(١) والزيوف في رواة الشريعة اما تحفظ قول شريح: ان للاثر جهابذة كجهابذة الورق. وقال الربيع قال الشافعي لا تستدل على اكثر صدق الحديث وكذبه الا بصدق المخبر وكذبه الا في الخاص القليل من الحديث وذلك ان تستدل على الصدق والكذب فيه بان يحدث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله أو يخالفه من هو اثبت واكثر دلالات بالصدق منه. قال البيهقي ومن ذلك حديث يحيى بن آدم يعني ما يأتي في العمل بالحديث الضعيف في آداب الدعاء والقراءة، قال وان كانت رواته ثقات فهو مما لا يجوز أن يكون مثله لان النبي ﷺ لا يامر بتصديق من أخبر عنا مالم يقله وقد تفرد عنه يحيى بن آدم وهو ثقة ولكن اختلف عليه فيه وأرسله بعضهم وهو أشبه والخطأ في مراسيل المقبري متوهم. ثم ذكر البيهقي أحاديث أخر معللة الى ان ذكر الحديث المذكور في آخر الكتاب في كفارة المجلس والله اعلم. وسبق قبل هذا بنحو كراسة في طلب العلم حديث «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله»

فصل

(في علم الاعراب لصاحب الحديث)

قال ابن الجوزي ومن العلوم التي تلزم صاحب الحديث معرفته للاعراب لئلا يلحن وليورد الحديث على الصحة، كان ابن عمر يضرب ولده على اللحن، انتهى كلامه، وكذا قال ابن عبد البر: كان ابن عمر يضرب ولده

(١) هو بالفتح والضم الدرهم الزائف الملبس بالفضة

على اللحن قال وكتب عمر الى ابي موسى رضي الله عنهما: اما بعد فتفقهوا في السنة وتعلموا العربية، اما الاول فرواه ابو بكر بن أبي شيبة عن عبدالله ابن ادريس عن نافع عن ابن عمر، اسناد جيد. وروي الثاني عن عيسى بن يونس عن ثور عن يحيى بن سعد قال كتب عمر فذكره، وهو منقطع. وروى ابن أبي شيبة عن عمر انه قال تعلموا العربية فانها تثبت العقل وتزيد في المروءة واسناده ضعيف، قال ابن عبدالبر قال شعبة: مثل الذي يتعلم الحديث ولا يتعلم النحو مثل البرنس لا رأس له، وقال عبد الملك اللحن في الكلام اقبح من آثار الجدري في الوجه، وقال ابن شبرمة اذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيراً، أو يصغر في عينك من كان فيها كبيراً، فتعلم العربية فانها تجرئك على المنطق وتدنيك من السلطان، قال الشاعر

النحو يصلح من لسان الألكن والمرء تعظمه اذا لم يلحن
لحن الشريف محطة من قدره فتراه يسقط من لحاظ الاعين
وترى الدنيّ اذا تكلم معربا حاز النهاية باللسان المعلن
واذا طلبت من العلوم اجلها فاجلها منها مقيم الالسن

وذكر ابن عبدالبر في مكان آخر ان تالي هذا لو كان مهتديا لقال فاجلها منها مقيم الادين، وماتال حق قال: وقالوا العربية تزيد في المروءة وقالوا من احب ان يجد في نفسه الكبر فليتعلم النحو كذا قال، وقال ابو جعفر النحاس: ويروى أن المأمون كان ينتقد ما يكتب به الكتاب فيسقط من لحن ويحط اقدار من اتى بما غيره أجود منه في العربية، فكان الكتاب

يثابرون على النحو لما كان الرؤساء يتقدمون هذا منهم ويقربون العلماء كما قال الفضل بن محمد جاءني رسول الرشيد فنهضت ودخلت وسلمت عليه فأومأ بيده ومحمد عن يمينه والمأمون عن يساره والكسائي بين يديه يطارحهم معاني القرآن والشعر، فقال لي الرشيد كم اسم (١) (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فقلت ثلاثة اسماء يا أمير المؤمنين . اسم الله عز وجل ، والكاف الثانية اسم النبي ﷺ والهاء مع الميم اسم الكفار قال الرشيد كذا قال الرجل وأومأ بيده الى الكسائي ، ثم التفت الى محمد فقال افهمت قال نعم ، قال فاردده علي إن كنت صادقا ، فرده على ما لفظت به فقال أحسنت أمتع الله بك. ثم اقبل علي فقال من يقول

نفلّق هاما لم تنله أكفنا باسيافنا هام الملوك القماقم ؟

فقلت الفرزدق يا أمير المؤمنين قال كيف يفلق هاما لم تنله كفه ؟ قلت على التقديم والتأخير ، كأنه قال نفلق باسيافنا من الملوك القماقم هاما لم تنله اكفنا على التعجب والاستفهام، فقال أصبت، ثم اقبل على الكسائي فحادثه ساعة ثم التفت الي فقال اعندك مسئلة ؟ قلت نعم لصاحب هذا البيت قال هات ، فقلت

اخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

قال الرشيد أفادنا هذا الشيخ في هذه المسألة قال لا نعم ، علمنا علي بن حمزة أن القمرين هاهنا الشمس والقمر ، قلوا سيرة العمرين يريدون أبا

(١) أي كم اسم في هذه الآية ؟ ولعله سقط منها حرف «في»

بكر وعمر، كما قيل: ماطرد الاسودان، بر بدون الليل والنهار، قلت أزيد يا أمير المؤمنين في السؤال؛ قال زد، قلت فلم استحسنوا هذا؟ قال لما اجتمع شيئان من جنس واحد فكان أحدهما أشهر من الآخر غلب الاشهر لأن القمر أشهر عند العرب لانه وكثرة بروزهم فيه ومشاهدتهم إياه دون الشمس في أكثر الاوقات، وتلك القصة في قولهم العمران لطول خلافة عمر وكثرة الفتوح فيها، وكذلك الليل لانهم فيه أفرغ، وسمرهم فيه أكثر. قلت أفيه يا أمير المؤمنين غير هذا؟ قال ما أعلمه، ثم التفت الى الكسائي فقال أتعرف في هذا غير ماقلناه مما أفدتناه؟ قال لا يا أمير المؤمنين وهو وفاء المعنى فأمسك عني قليلا ثم قال أتعرف فيه أنت أكثر من هذا؟ قلت نعم يا أمير المؤمنين بقيت الغاية التي افتخر بها قائل هذا الشعر، قال فقل، قلت الشمس أرادبها ابراهيم الخليل، والقمر ابن عمك محمد ﷺ والنجوم أنت والخلفاء من أبائك ومن يكون من ولدك الى يوم القيامة؛ قال فتهلل وجهه وقال حسن والله، والعلم كثير لايحاط به، ولعل هذا الشيخ لم يسمع هذا فيفيدناه وان هذا لعمري لأبلغ الى غاية الفخر، ثم رفع رأسه الى الفضل بن الربيع فقال تحمل الى منزل الشيخ عشرة آلاف درهم. فتقدم بها من ساعته

قال أبو جعفر النحاس وغيره وممن امتنع من النحويين من ملازمة السلطان اجلالا للعلم وغنى نفس الخليل بن أحمد وبكر بن محمد المازني، وقال بعض العلماء، كان الخليل من ازهاد المنقطعين الى العلم، ومن خيار عباد الله المتقشفين في العبادة، أرسل اليه سليمان بن حبيب المهلبي لما ولي فنثر بين

يدي رسوله كثيرا وامتنع أن يأتيه وكتب اليه

أبلغ سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحا بنفسي إني لا أرى أحداً يموت هزلا (١) ولا يبقى على حال
والرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ولا يزيدن فيه حول محتال
والرزق يغشى أناسا لا طباخ لهم كالسيل يغشى أصول الدندن البالي
كل امرىء بسبيل الموت مرتهن فاعمل لبالك إني شاغل بالي
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

وأما المازني فأشخصه الواثق الى سر مرى لأن جارية غنت وراء ستاره

أظليم ان مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

فقال لها الواثق: رجل، فقالت لا أقول إلا كما علمت، فقال للفتح كيف هو يا فتح؟ فقال هو خبر ان كما قلت، فقالت الجارية علمني أعلم الناس بالعربية المازني فأمر باشخاصه فأشخص، قال أحمد بن يحيى فلقيني يعقوب ابن السكيت فسألني فأجبته بالنصب فقال فأين خبر ان؟ قلت ظلم، ثم أتى المازني، فأجابه بمقالة الجارية، قال المازني قلت لا بن قادم ولا بن سعد أن لما كابرني كيف تقول نفقتك دينارا أصلح من درهم؟ فقال دينارا، قلت كيف تقول ضربك زيدا خير لك؟ فنصب قلت فرق بينهما فانقطع، وكان ذلك عند الواثق وحضر ابن السكيت فقال لي الواثق هات مسألة فقلت ليعقوب (فأرسل معنا أخانا نكتل) ما وزنه من الفعل قال نفعل قال الواثق

(١) هزلا بالضم مصدر هزلت الدابة أهزلها من باب ضرب والاسم الهزال بالضم أيضا

غلطت، ثم قال لي فمره، فقلت نكتل تقديره نكتل نكتئل فانقلبت الياء ألفا لفتحة ماقبلها فصار لفظها نكتال فأسكنت اللام للجزم لانه جواب الامر وحذفت الالف لالتقاء الساكنين، فقال هذا هو الجواب، فلما خرجنا عاتبني يعقوب، فقلت والله ما قصدت تخطئتك ولكن كنت في نفسي هينة الجواب ولم أظن أنها تعزب عليك

قال وحضرت يوما آخر واجتمع جماعة نحويي الكوفة فقال لي الواثق يامازني هات مسألة فقلت ما تقولون في قول الله تعالى (وما كانت أمك بغيا) ولم يقل بغية وهي صفة لمؤنث فأجابوا بجوابات ليست بمرضية، فقال لي الواثق هات الجواب، فقلت لو كانت بغي على تقدير فعيل بمعنى فاعلة لحقتها الهاء اذا لكانت مفعولة بمعنى : امرأة قتيل وكف خضيب، وتقدير بغي ههنا ليس بفعيل انما هو فعول، وفعول لاتلحقه الهاء في وصف التأنيث نحو امرأة سكون وبئر شطون اذا كانت بعيدة الرشاء وتقدير بغي بغوي قلبت الواو ياء ثم ادغمت الياء في الياء نحو سيد وميت، فاستحسن الجواب ثم استأذنته في الخروج فقال الا أقمت عندنا: فقلت ياأمير المؤمنين ان لي بنية أشفق أغيب عنها، قال كأني بها قد قالت ماقالت ابنة الاعشى للأعشى

أرانا اذا اضمرتك البلاد نجفى وتقطع منا الرحم

وقلت أنت

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يارب جنب أبي الاوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي يوما فان لجنب المرء مضطجعا

فوالله ما أخطأ في نفسي فأمر لي بجائزة وأذن لي في الانصراف

قال أبو جعفر النحاس وفر أبو عمرو بن العلاء من الحجاج قال فبينا أنا أسير اذ سمعت رجلا ينشد

ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

قد مات الحجاج فلم أدر بأيهما كنت أشد فرحا؟ أبموت الحجاج أو قوله فرجة؟ قال أبو جعفر وعبيد الله بن اسحاق أحد القراء والنحويين كان ممتنع الجانب قليل الغشيان للسلطان حتى ذكره الفرزدق وغيره للكبر وهجاه، قال أبو جعفر ومن النحويين من سارع الى السلاطين ولم يحمد العاقبة، منهم سيبويه وابن السكيت كما حدثنا علي بن سليمان حدثنا أحمد ابن يحيى ومحمد بن يزيد قالا لما ورد سيبويه الى العراق شق أمره على الكسائي فأتى جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى فقال أنا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل قد قدم ليذهب محلي. فقالا فاحتمل لنفسك فسنجمع بينكما فجمعا عند البرامكة وحضر سيبويه وحده وحضر الكسائي ومعه الفراء وعلي الاحمر وغيرهما من أصحابه، فسألوه كيف تقول: كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي أو هو اياها؟ فقال أقول فاذا هو هي، فقال له أخطأت ولحنت فقال يحيى هذا موضع مشكل فمن يحكم بينكم قالوا هؤلاء الاعراب بالباب، فادخل أبو الجراح وجماعة معه فسئلوا فقالوا نقول فاذا هو إياها فانصرم المجلس على أن سيبويه قد أخطأ وحكم عليه

فأعطاه البرامكة وأخذ له من الرشيد وبعث به الى بلدة فيقال انه مالبث الا يسيرا ثم مات كذا قال علي بن سليمان وأصحاب سيبويه الى هذه الغاية لااختلاف بينهم أن الجواب على ماقال سيبويه وهو فاذا هو هي وهذا موضع الرفع

قال أبو جعفر وأما ابن السكيت فحدثني محمد بن الحسين ابن الحسن حدثني عبد الله بن عبد العزيز النحوي قال قال لي يعقوب بن السكيت أريد أشاورك في شيء ، قلت قل ، قال إن المتوكل قد أدناني وقربني وندبني الى منادمته فما ترى ؟ قلت لاتفعل وكرهت له النهايه فدافع به يعقوب ثم تطلعت نفسه اليه فشاورني، فقلت ياأخي احذرك على نفسك فانه سلطان واكره أن تزل بشيء ، فحمله حب ذلك على ان خالفني فقتله في أول مرة لشيء جرى بينه وبينه في أمر الحسن والحسين عليهما السلام وكان أوله مزاحا ، وكان ابن السكيت يتشيع فقتله

قال ابو جعفر ومن النحويين من قرب من السلاطين فحظي عندهم، منهم علي ابن حمزة قال يونس بن حبيب اقام الكسائي بالبصرة عشرين سنة ثم رحل الى الكوفة فاخذ عن اعراب ليسوا بفصحاء فافسد الحق بالباطل فقد صار النحو كله من البصرة لأن الكسائي منهم تعلم ثم قرأ على الاخفش كتاب سيبويه ويحكى انه دفع اليه مائة دينار قال ابو جعفر وليس احد من الرؤساء المتقدمين في النحو الا بصري حتى انهم حجج في اللغة يؤخذ عنهم لفصاحتهم وكانوا لا يأخذون الا عن الفصحاء من الاعراب ، ولهم السبق والتقديم

منهم أبو الاسود وابو عمرو ، وسمعت علي بن سليمان يقول ساءني ان خلفا البزار على جلالته ومحله ترك الكسائي وهو استاذه فلم يروعنه حرفا واحدا مع حاجته اليه في تصنيفه كتاب القراآت، قال ابو جعفر ثم عرفني غير ابي الحسن انه انما ترك الرواية عنه لانه سمعه يقول قال لي سيدي الرشيد فتركه ، وقال ان انسانا مقدار الدنيا عنده ان يجل من اجلها هذا الاجلال لحريّ ان لا يؤخذ عنه شيء من العلم، قال ابو جعفر وقد كان الاصمعي متصلا بالرشيد وكان يقدمه ويتكلم في مجلسه ، ، قد ذكر ابو جعفر عن القاسم ابن مخيمرة انه قال النحو أوله شغل، وآخره بغي، ورد أبو جعفر على ذلك وسبق في فصول السلام الكلام في الكتابة و يأتي بعد نصف كراسة ايضا

وذكر ابو جعفر في (باب الاصطلاح المحدث الذي استعماله خطأ) قال واستعملوا نفس ذلك بغير لام الامر ، وهذا من الخطأ القبيح لذي يقلب معه المعنى فيصير خبرا والمراد الامر، وان جزم أيضا كان خطأ . لان الامر لا يكون بغير لام الا في شذوذ ضرورة الشعر، انه حكي عن علي بن سليمان انه لا يجوز عنده ولا عند اصحابه حذف اللام من الامر للغائب لأن الحروف لا تضمر ولأن عوامل الافعال اضعف من عوامل الاسماء ، وأن ما انشد فيه من الشعر ليس بحجة [illegible] فيه [illegible] وهو * محمد تفد نفسك كل نفس * [illegible] وقد قال الله تعالى (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) فهو خبر من الله عن حالهم وقال الزجاج [illegible] اللهم بالحذر [illegible] قال ابن

الأنباري : والعرب ربما أخرجت الامر على لفظ الخبر فيقولون يرحم الله المؤمن ويعذب الكافر ، يريدون ليرحم ويعذب فيسقطون اللام ويجرونه مجرى الخبر في الرفع وهم لا ينوون الا الدعاء والدعاء مضارع للامر . وأما الجزم بلام الامر مقدرة فيجوز كثيرا مطردا بعد أمر كقوله تعالى (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة) والاشهر أنه جواب قل ، والتقدير قل لهم أقيموا الصلاة يقيموا ، أي إن تقل لهم يقيموا . ورده قوم بان قول النبي ﷺ لهم لا يوجب أن يقيموا ، واختار ابن مالك هذا الرد ولم يره أبو البقاء لانه لم يرد بالعباد الكفار بل المؤمنين يدل عليه قوله (لعبادي الذين آمنوا) واذا أمرهم الرسول قاموا ، وقيل يقيموا جواب أقيموا المحذوفة أي أن يقيموا يقيموا ، ورد بوجوب مخالفة جواب الشرط له في الفعل والفاعل أو فيهما فلا يجوز قم تقم وبان الامر المقدر للمواجهة ويقيموا على لفظ الغيبة وهو خطأ اذا كان الفاعل واحدا ، ويجوز الجزم بلام الامر مقدرة قليلا بعد قول بلا أمر ذكره ابن مالك ولا يجوز الجزم بها بلا أمر ولا قول ولا ضرورة والله أعلم وانما ذكرت ذلك لكثرة كتابة « يعتمد ذلك » ونحوها وكثرة من لا يعرف الا انكاره فينكره ويوافقه عليه من لا يعلم والله سبحانه أعلم



فصل

(في اصلاح اللحن العارض لمتن الحديث ومتى يجوز التحديث ومن يقدم؟)

قال اسحق بن ابراهيم سمعت ابن زنجويه يسأل أبا عبد الله : يجيء الحديث فيه اللحن وشيء فاحش فترى أن يغير أو يحدث به كما سمع؟ قال يغيره شديداً ان النبي ﷺ وأصحابه لم يكونوا يلحنون وانما يجيء اللحن ممن هو دونهم وقال ابن الجوزي وينبغي لصاحب الحديث أن يصلح اللحن في كتابه وذكر ذلك عن جماعة وكان احمد يفعله، قال ويصلح الغلط الذي لا يشك فيه ، وذكره عن جماعة. والاولى لا يحدث حتى أن يتم له اربعون سنة الا أن يحتاج اليه فقد حدث بندار وله ثلاث عشرة سنة، وحدث البخاري وما في وجهه شعرة، ويكره أن يحدث بحضرة من هو أسن منه أو أعلم فقد كان الشعبي اذا حضر مع ابراهيم لم يتكلم ابراهيم، وقال سفيان الثوري لسفيان بن عيينة : مالك لا تحدث ؟ قال أما وأنت حي فلا ، وقال سمرة بن جندب لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاما فكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول الا أن ههنا رجالا هم اسن مني، متفق عليه . قال ابن هبيرة فيه انه يتعين على المحدث أن يوقر الشيوخ ، وانه اذا أرى عندهم ما عنده لم يزاحمهم بالرواية له فانه يعرض أن يعيش بعدهم فيروى في حالة عدمهم فيكون ذلك في موقعه، وان مات قبلهم لم تكن تغني روايته لما يعرفه الشيوخ طائلا والله أعلم وسبق هذا المعنى بنحو كراسين في فصل قال ابن عباس اذا ترك العالم لا أدري وقد ظهر من ذلك انه يرد على القاريء الغلط الخطأ كما عليه عادة العلماء وقد

قال ابن طاهر المقدسي الحافظ: سمعت أبا اسحاق الحبال بمصر يقول لم يكن في الدنيا مثل أبي القاسم سعد بن علي الزنجاني في الفضل وكان يحضر معنا المجالس ويقرأ الخطأ بين يديه فلا يرد على أحد شيئا ولو قرىء بين يديه الكفر الا أن يسئل، فاذا سئل عن شيء أجاب، وأرى يوما بعض الصبيان يتبعون الاغلاط ويبادرون بالرد على المقرىء ولا يحسنون الادب. ومراد ابي اسحاق والله أعلم أن ابا القاسم لا يبادر بالرد ولعله يكتفي بغيره؛ ولهذا قال ولو قرىء بين يديه الكفر، ومعلوم أن مثل هذا لا يحل عدم بيانه والسكوت عنه، قال ابن طاهر سمعت الفقيه أبا محمد هياج بن عبيد امام الحرم ومفتيه يقول يوم لا أرى فيه سعد بن علي الزنجاني لا أعتد اني عملت خيرا، قال ابن طاهر وكان هياج يعتمر كل يوم ثلاث عمر، ويواصل الصوم ثلاثة أيام، ويدرس عدة دروس ومع هذا كله كان يعتقد أن نظره الى الشيخ سعد والجلوس بين يديه أجل من سائر عمله، قال ابن طاهر سمعت ابا عبد الله محمد بن احمد الكرخي يقول لما عزم الشيخ سعد على الاقامة بالحرم والمجاورة عزم على نفسه نيفا وعشرين عزيمة انه يلزم نفسه من المجاهدات والعبادات ومات بعد ذلك باربعين سنة ولم يخل منها عزيمة واحدة رحمه الله

فصل

في مكانة حفاظ الحديث واقبال الالوف على مجالسهم وحسد الخلفاء لهم

قال جعفر بن درستويه كنا نأخذ المجلس في مجلس علي بن المديني وقت العصر اليوم لمجلس غد فنقعد طول الليل مخافة أن لا نلحق من الغد

موضعا نسمع فيه فرأيت شيخا في المجلس يبول في طيلسانه ويدرج الطيلسان مخافة أن يؤخذ مكانه إن قام للبول، وذكر غير واحد انه كان في مجلس يزيد ابن هارون بحزر بسبعين الفا وأمر المعتصم بحزر مجلس عاصم بن علي فحزروا المجلس عشرين الفا ومائة الف، وأملى البخارى ببغداد فاجتمع له عشرون الفا. وقال أبو الفضل الزهري كان في مجلس جعفر الفريابي من أصحاب الحديث من يكتب حدود عشرة آلاف ما بقي منهم غيري سوى من لا يكتب، وأملى أبو مسلم الكجي في رحبة غسان فكان في مجلسه سبعة مستملين يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه، وكتب الناس عنه قياما بايديهم المحابر، ثم مسحت الرحبة وحسب من حضر بمحبرة فبلغ ذلك نيفا وأربعين الف محبرة سوى النظارة،

قال ابن الجوزي قد كانت الهمم في طلب العلم كما قد ذكرنا ثم مازالت تقل الرغبات حتى اضمحلت فحكى شيخنا أبو حفص عمر بن ظفر المغازلي قال كنا في حلقة ابن يوسف نسمع الحديث فطلبنا محبرة نكتب بها السماع فما وجدناها، قال وقد كان الخلفاء والكبراء يغبطون المحدثين على هذه المرتبة، ثم روى باسناده عن محمد بن سلام الجمحي انه قال قيل للمنصور هل من لذات الدنيا شيء لم تنله ؟ قال بقيت خصلة أن أقعد في مصطبة وحولي اصحاب الحديث فيقول المستملي من ذكرت رحمك الله، قال فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر فقال لستم بهم إنما هم الدنسة ثيابهم، المتشققة أرجلهم الطويلة شعورهم، برد الآفاق ونقلة الحديث

وقال يحيى بن أكثم ؟ قال لي الرشيد ماأنبل المراتب ؟ قلت ما أنت فيه ياأمير المؤمنين، قال فتعرف أجل مني ؟ قلت لا قال لكني أعرفه ، رجل في حلقة يقول حدثنا فلان عن فلان قال قال رسول الله ﷺ قلت ياأمير المؤمنين هذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله ﷺ وولي عهد المسلمين ؟ قال نعم ويلك هذا خير مني لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ﷺ لا يموت أبدا ، ونحن نموت ونفنى والعلماء باقون مابقي الدهر، وقال المأمون ماطلبت مني نفسي شيئا الا وقد نالته ماخلا هذا الحديث فاني كنت أحب أن اقعد على كرسي ويقال لي من حدثك فاقول حدثني فلان، قيل له ياأمير المؤمنين فلم لاتحدث، قال لا يصلح الملك والخلافة مع الحديث. وقال يحيى بن أكثم وليت القضاء وقضاء القضاء والوزارة وكذا وكذا ماسررت لشيء كسروري بقول المستملي من ذكرت رضي الله عنك

فصل

(في تقديم النية الصالحة والاخلاص قبل القول والعمل)

تقدم الكلام في النية للعلم والحذر من الرياء وقال في (صيد الخاطر) ياقوم قد علمتم أن الاعمال بالنيات ، وقد فهمتم قوله تعالى (الا لله الدين الخالص) وقد سمعتم عن السلف انهم كانوا لا يعملون ولا يقولون حتى تتقدم النية وتصح ، أيذهب زمانكم يافقهاء في الجدل والصياح، وترتفع اصواتكم عند اجتماع العوام تقصدون المغالبة ، ثم يقدم أحدكم على الفتوى وليس من

أهلها، وقد كان السلف يتدافعونها؟ ويا معشر المتزهدين انه يعلم السر وما يخفى، اتظهرون الفقر في لباسكم وأنتم تشتهون شهوات، وتظهرون التخشع والبكاء في الجلوات دون الخلوات، كان ابن سيرين يضحك ويقهقه فاذا خلا بكى فاكثر، وقال سفيان لصاحبه ما أوقحك تصلي والناس يرونك

افدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

آه للمرائي من يوم يحصل ما في الصدور، وهي النيات والعقائد فالجزاء عليهما لا على الظواهر، فافيقوا من سكرتكم، وتوبوا من زللكم واستقيموا علي الجادة (أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله)

فصل

(في جرح رواة الحديث لبيان الحقيقة ومعرفة الصحيح من غيره)

سأل رجل أبا عبد الله عن أبي البختري فقال كان كذابا يضع الحديث قال الرجل أنا ابن عمه لحا قال أبو عبد الله: الله المستعان ولكن ليس في الدين محاباة، وقال مهنا سألت ابن معين عن الواقدي قال أنت تعرفه واحب أن تعفيني، قلت لم؟ قال إن ابنه أخ لي، قلت فدعه، وسأل أحمد رجلا عن موت ابن المبارك فقال ما تصنع بهذا يا أبا عبد الله قال نعرف به الكذابين

وقال يحي بن سعيد سألت شعبة وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس عن الرجل يحدث بالحديث يخطيء فيه او يكذب فيه فقالوا جميعا بين امره، قال احمد في رواية مهنا هو كما قالوا فقلت له اما تخاف أن يكون هذا من الفاحشة؟ قال لا هذا دين ونقل غيره عن احمد

أنه سأله عن معنى الغيبة فقال اذا لم ترد عيب الرجل ، قلت قد جاء يقول فلان لم يسمع وفلان يخطيء؟ قال لو ترك هذا لم يعرف الصحيح من غيره. وقال شعبة وقيل له تمسك عن ابان بن أبي عياش؟ فقال ما أرى يسعني السكوت عنه. وقد سبق هذا المعنى في أول الكتاب ، وفي فصول الهجرة من الامر بالمعروف.

وقيل ليحي بن سعيد أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله ؟ قال ذاك أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ يقول لم حدثت عني حديثا ترى أنه كذب ؟ وقال بعض الصوفية لابن المبارك وقد تكلم في المعلى بن هلال يا أبا عبد الرحمن تغتاب ؟ فقال له اسكت إذا لم نبين كيف نعرف الحق من الباطل؟ وقال الشافعي ليس هذا من الغيبة ، وفي هذا المعنى أحاديث وآثار كثيرة

وقال ابو الحارث سمعت أبا عبد الله غير مرة يقول ما تكلم أحد في الناس الا سقط وذهب حديثه . قد كان بالبصرة رجل يقال له الافطس كان يروي عن الاعمش والناس وكانت له مجالس ، وكان صحيح الحديث إلا أنه كان لا يسلم على لسانه أحد فذهب حديثه وذكره ـ وقال في رواية الاثرم ـ وذكر الافطس واسمه عبد الله بن سلمة قال: انما سقط بلسانه فليس نسمع أحداً يذكره . وتكلم يحي بن معين في أبي بدر فدعا عليه قال أحمد فأراه استجيب له، والمراد بذلك والله أعلم عدم التثبت والغيبة بغير حق ، وقال ابو زرعة : عبدالله بن سلمة الافطس كان عندي

صدوقا لكنه كان يتكلم في عبد الواحد بن زياد ويحيى القطان وذكر له يونس ابن أبي إسحاق فقال لا ينتهي يونس حتى يقول سمعت البراء. قال ابو زرعة فانظر كيف يرد أمره ، كل من لم يتكلم في هذا الشأن على الديانة فانما يعطب نفسه وكان شوري يرى لك يتكلمون في الناس على الديانة فينفذ قولهم وكل من (١) لم يتكلم فيهم على غير الديانة يرجع الامر عليه، قال ابو زرعة وذكر أبا قتادة الحراني فقال سمعت أبا نعيم يقول : قرأ يعني أبا قتادة كتاب مسعر فبلغ : وشك أبو نعيم فقال ماهذا؟ فقال ابو زرعة وذكر ابن نفيل يوما مات فلان سنة كذا لشيوخه فقيل له متى مات ابو قتادة ؟ فقال انما نسأل عن تاريخ العلماء ، فظننت أنه سلط عليه ، وذلك أن ابن نفيل حدث فقيل لابي قتادة حدث ابن نفيل ، فقال ابن اخت ذاك الصبي ، يعني سعيد بن جعفر فجعلت أتعجب من استخفافه هذا به ثم سلط عليه ترى (٢) انتهى كلامه . واعلم أن أبا قتادة واسمه عبد الله بن واقد ضعيف متروك عند الائمة وكذبه بعضهم ، وقواه احمد وكذا ابن معين في رواية ولا رواية له في الكتب الستة ، ومات سنة عشر ومائتين ، فمن هذه حالة لايحل له أن يتكلم في الجرح والتعديل لاسيما بغير الانصاف فيمن عظمه الأئمة وأثنوا عليه واتفقوا عليه وهو أبو جعفر عبد الله

(١) كذا بالاصلين ولعل لفظ لم زائد سبق قلم من المؤلف أو النساخ
(٢) كذا بالاصلين ولعله كما ترى

ابن محمد بن نفيل النفيلي الحراني وسعيد بن حفص ثقة وتوفيا سنة بضع وثلاثين ومائتين فلم يضرهما كلام أبي قتادة وانضر هو ، فنسأل الله العفو والستر . وقد قال أبو زرعة : ذكرت لأبي جعفر النفيلي ان أحمد بن حنبل حدثنا عن أبي قتادة فاغتم وقال قد كتبت اليه أن لا يحدث عنه وانما كان أحمد حدثنا عنه في المذاكرة

فصل

﴿ في خطأ الثقات وكونه لا يسلم منه بشر ﴾

قال أحمد في رواية الاثرم ليس ينبغي لأحد أن ينكر حديثاً لقي عليه كان وكيع يقول ليس هذا عندنا ولا يقول لم أسمعه يسكت. قال أبو عبدالله وكان ابن مهدي ذكرته عن ابن المبارك عن ورقاء عن سعيد بن جبير إذا أقر بالحد ثم أنكر لم يقم عليه ، فانكره إنكاراً شديداً ثم نظر فوجده في كتابه. وقال مهنا لأحمد كان غندر يغلط ؟ قال أليس هو من الناس ؟

وقال البويطي سمعت الشافعي يقول : قد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها ، ولابد أن يوجد فيها الخطأ لان الله تعالى يقول (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه . وقال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول ما رأيت أحداً أقل خطأ من يحيى بن سعيد — يعني القطان — ولقد أخطأ في أحاديث. قال أبو عبدالله ومن يعرى من الخطأ والتصحيف ؟

ونقل اسحاق بن ابراهيم عن أحمد كان وكيع يحفظ عن المشايخ ولم يكن يصحف وكل من كتب يتكل على الكتاب يصحف. ونقل اسحاق أيضا عن أحمد ما أكثر ما يخطيء شعبة في أسامي. وقال عباس الدوري سمعت يحيى يقول من لا يخطىء في الحديث فهو كذاب. وقال عبد الرحمن بن مهدي من يبرىء نفسه من الخطأ فهو مجنون، وقال مالك ومن ذا الذي لا يخطىء

فصل

في صفات من يؤخذ عنهم الحديث والدين ومن لا يؤخذ عنهم

قال الصاغاني رأيت أحمد بن حنبل عند أبي سلمة الخزاعي وكنت قائما فقال أبو سلمة يا أبا عبد الله ههنا، فأبى حتى كتب المجلس وهو قائم. وقال أبو النضر العجلي سمعت أبا عبد الله يقول بلغني ان حماد بن زيد سئل عن حديث، فقال أي شيء تسأل؟ عن حديث رسول الله ﷺ وأنت قائم؟ وقال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول انما يحيا الناس بالمشايخ فاذا ذهب المشايخ فماذا بقي؟

وقال الحافظ تقي الدين بن الاخضر في تسمية من روى عن أحمد قال البخاري سمعت احمد بن حنبل يقول انما الناس بشيوخهم فاذا ذهب الشيوخ فمع من العيش؟ وصح عن ابن سيرين قال هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم؟ ذكره مسلم في مقدمة مسند عن أبي سعيد الاشج عن وكيع عن الاعمش عن المسيب بن رافع عن عامر بن عبدة

قال قال عبدالله هو ابن مسعود ان الشيطان ليتمثل في صورة فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلا اعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث . عامر تفرد عنه المسيب

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فاياكم واياهم » وفي لفظ « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » وقال مالك لرجل اطلب هذا الامر من عند أهله . وقال مالك أيضا لسفيان بن عيينة انك امرؤ ذو هيئة وكبر فانظر عمن تأخذ

وقال مالك لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ عمن سواهم، لا يؤخذ عن معلن بالسفه ، ولا عمن جرب عليه الكذب ، ولا عن صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا عن شيخ له فضل وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحدث به . وقال مالك أيضا ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ؛ لقد أدركنا ثلاثين في هذا المسجد سبعين من يقول قال فلان : قال رسول الله ﷺ وان أحدهم لو اؤتمن على بيت مال لكان أمينا عليه فما أخذت منهم شيئا ، لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، ويقدم علينا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وهو شاب فنزدحم على بابه

وقال يحيى بن القطان : كم من رجل صالح لو لم يحدث لكان خيراً له ، وقال أيضا : رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب الى الخير .

قال البيهقي لانهم اشتغلوا بالعبادة عن ضبط الحديث واتقانه فأدخل عليهم الكذابون ماليس من حديثهم ، ومنهم قوم توهموا أن في وضع الاحاديث في الترغيب والترهيب أجرا وجهلوا مافي الكذب على رسول الله ﷺ من كبير الاثم

وروى الخلال عن ابن عباس مرفوعا « لاتأخذوا العلم إلا ممن تجيزون شهادته » وروي عن الحسن وابن سيرين مرسلا ، وقال بهز بن أسد : دين الله أحق أن يطلب عليه العدول

وقال هشيم عن مغيرة عن ابراهيم النخعي قال كانوا اذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا الى سمته ، والى صلاته ، والى حاله ، ثم يأخذون عنه . وقال الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر لايؤخذ العلم الا عمن شهد له بطلب العلم . وقال ربيعة من اخواننا من نرجو بركة دعائه ولو شهد عندنا على شهادة ماقبلناها . واشترط الشافعي أن يكون حافظا إن حدث من حفظه ، حافظا لكتابه ان حدث من كتابه ، وروي عن مالك نحو هذا ، لئلا يدخل عليه ماليس من حديثه

وقال الامام مالك يكتب الحديث عن الناس كلهم الا عن ثلاثة : صاحب هوى يدعو اليه ، أو كذاب ، أو رجل يغلط في الحديث فيرد عليه فلا يقبل . وقال سفيان الثوري لا يؤخذ الحلال والحرام إلا عن الرؤساء المشهورين بالعلم الذين يعرفون الزيادة والنقصان ولا بأس بما سوى ذلك من المشايخ . وقال سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى قال

كانوا يقولون لا تأخذوا العلم عن الصحفيين (١)

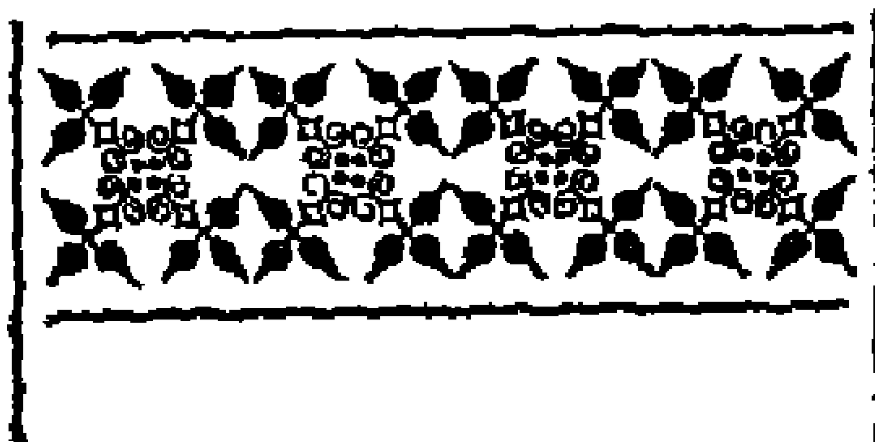
وقال عبد الله بن المبارك قال أبو حنيفة تكتب الآثار ممن كان عدلا في هواه إلا الشيعة فان أصل عقدهم تضليل أصحاب محمد ﷺ ومن أتى السلطان طائعا حتى انقادت العامة له فذاك لا ينبغي أن يكون من أئمة المسلمين . وقال حرملة سمعت الشافعي يقول ما في أهل الاهواء قوم أشهد بالزور من الرافضة

وقال شعبة عن أبي اسحاق عن سعيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن علمائهم وأمنائهم فاذا أخذوه من أصاغرهم وشرارهم هلكوا

وقال ابن طاهر المقدسي سمعت أبا محمد السمرقندي الحافظ الحسن ابن أحمد سمعت أبا العباس المستغفري الحافظ سمعت أبا عبد الله محمد بن اسحاق بن مندة الحافظ يقول اذا رأيت في اسناد : حدثنا فلان الزاهد فاغسل يدك من ذلك الاسناد

---

(١) الصحفيون نسبة الى الصحيفة وهم الذين يأخذون الحديث عن الصحف لا بالرواية لكثرة ما يقع لهم من الخطأ والتصحيف وعدم التميز ولا تعد كتب الائمه المروية بالاسانيد التي شرحها العلماء وضبطوا رواياتها من تلك الصحف التي عناها سليمان بن موسى وامثاله وان كان اخذها بالرواية اتم واكمل



فصل

في سمت العلماء الذين يؤخذ عنهم الحديث والعلم وهديهم

روى الخلال في أخلاق الامام أحمد بن إبراهيم قال كانوا اذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى سمته والى هيئته ثم يأخذون عنه وقد سبق . وعن الاعمش قال كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء حتى لباسه ونعليه . وقيل لابن المبارك أين تريد ؟ قال الى البصرة ، فقيل له من بقي ؟ فقال ابن عون آخذ من أخلاقه آخذ من آدابه

وقال عبد الرحمن بن مهدي كنا نأتي الرجل ما نريد علمه ليس إلا أن نتعلم من هديه وسمته ودله . وكان علي بن المديني وغير واحد يحضرون عند يحيي بن سعيد القطان ما يريدون أن يسمعوا شيئا إلا ينظروا الى هديه وسمته. وقال عبد الله بن أحمد سمعت ابن علي بن المديني يقول رأيت في كتب أبي ستة أجزاء مذهب أبي عبدالله وأخلاقه ورأيت أحمد يفعل كذا ويفعل كذا وبلغني عنه كذا وكذا قال الشاعر :

اذا أعجبتك طباع امرىء ... فكنه يكن منك ما يعجبك
فليس على الجود والمكرمات ... حجاب اذا جئته يحجبك

فصل

في الاقامة في بلاد العلم والرحلة عن غيرها

قال الفربري سمعت البخاري يقول دخلت بغداد آخر ثمان مرات في كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لي في آخر ما ودعته يا أبا عبدالله

تترك العلم والناس وتصير الى خراسان ، قال البخاري فأنا الآن أذكر قوله ، وقال ابراهيم بن خرزاذ دخل عليه أحمد بن حنبل وخلف بن سالم حلب ، فقال أحمد بن حنبل لخلف ارحل بنا من هذا البلد فان هذا بلد يضيع فيه العلم

فصل

(في خطر كتمان العلم وفضل التعليم وما قيل في اخذ الاجر عليه)

قال مثنى انه سأل أبا عبد الله عن الحديث الذى جاء «من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار» فرفعه ولم ير اذا سئلت عن شيء الا أن أجيب علمت ولم ير الجلوس في مسجد الجامع لمكان الشهرة ولم يكره أن أحدث فيه اذا من أراد ذلك مني وان كنت متعلما. وقال الخلال سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن صدقة يقول قال أبو عبد الله الاحاديث فيمن كتم علما ألجمه الله بلجام من نار لا يصح منها شيء

قال أبو داود (باب كراهية منع العلم) ثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد أنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » ورواه ابن ماجه والترمذى وحسنه من حديث علي بن الحكم له طرق عن علي بن الحكم وعلي من رجال البخاري ووثقه ابن سعد وأبو داود وغيرهما وقال أبو حاتم لا بأس به صالح الحديث وقد رواه صدقة بن موسى وهو ضعيف عندهم عن مالك بن دينار عن عطاء

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) قال وهذه الآية توجب إظهار علوم الدين منصوصة كانت أو مستنبطة، وتدل على امتناع جواز اخذ الاجرة على ذلك اذ غير جائز استحقاق الاجر على ما يجب فعله، كذا قال ابن الجوزي وقد يستحق الاجر على ما يجب فعله كاداء الشهادة ونحو ذلك على خلاف مشهور فيه ثم ذكر ابن الجوزي ما في الصحيحين عن أبي هريرة انه قال انكم تقولون أكثر أبو هريرة عن النبي ﷺ والله الموعد وايم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحدا بشيء أبدا ثم تلا (إن الذين يكتمون ما أنزلنا) الى آخرها وروى ابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم» وعن أبي الدرداء والحسن البصري وغيرهما هذا المعنى وقد ذكر الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ذلك في بعض كلامه، وقال إن كاتم العلم يلعنه الله ويلعنه اللاعنون ومراد هؤلاء اذا لم يكن لهم عذر و رض صحيح في كتمانه والله أعلم، وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه علم لا يقال به ككنز لا ينفق منه، وروي مرفوعا ولا يصح وقال الفضيل: أول باب من العلم الصمت ثم استماعه ثم العمل به ثم نشره. وعن المسيح من تعلم وعمل وعلم فذاك يسمى عظيما في ملكوت السماء، وعن المسيح عليه السلام علم مجانا كما علمت مجانا. وقال الزهري

إياكم وغلول الكتب . وقال ابن المبارك اذا كتم العالم علمه ابتلي إما بموت القلب ، أو ينسى ، أو يتبع السلطان ، ذكر ذلك البيهقي وغيره، وسبق هذا المعنى بنحو كراسة في فصل « جاء رجلان » وقبله بنحو كراسة في فصل « قال المروذي » (١)

ويشترط فهم المتعلم والسائل ويسقط الفرض بذلك ، على هذا يدل كلام امامنا وأصحابنا وهو مذهب الشافعي ، واشترط الحنفية حفظه وضبطه أيضا لانه افترض عليه التعليم بقدر ما يحتاج اليه لاقامة فرائضه ولا يتمكن الا بالحفظ، وقال مهنا سألت أحمد قال قال يحي بن سعيد ربما جاءني من يستأهل فلا أحدثه ويجيء من لا يستاهل أن أحدثه فاحدثه، وعن أحمد انه سئل عن شيء بعد ماضرب فقال هـذا زمان حديث ؟ فقال له السائل ياأبا عبدعبد الله تحل لك أن تمنعني حقي وتمنع هذا حقه ؟ لرجل آخر سأله عن شيء، فقال وما حقكم ؟ قال ميراث محمد ، قال فسكت أبو عبدالله، وعنه أيضا وقال له جماعة نسألك عن مسئلة، قال قد قلت اليوم لا أجيب في مسئلة ولكن ترجعون فاجيبكم إن شاء الله تعالى، وقال الاثرم أتينا أبا عبدالله في عشر الاضحى فقال قال أبو عوانة كنا نأتي الجريري في العشر فيقول هذه أيام شغل وللناس حاجات فابن آدم الى الملال ماهو؟ وقال محمد بن يحي الكحال قلت لابي عبد الله كاني أردت أن أحثه على الحديث قال ليس لهم كرام للشيوخ، وقال عبدالله جاء رجل الى بابنا فقال لي أبي اخرج اليه

(١) راجع ص١١٤ و١١٧ من هذا الجزء

فقل له لست أحدثك ولا أحدث قوما أنت فيهم، فقلت ماشأنه ياأبت؟ قال رأيته يجن على باب عفان، وعن أحمد أنه أخرج الى الكتاب ليحدث قال الراوي فاخرجنا الكتب فاطلع رجل صاحب هيئة ولباس فنظر اليه أحمد فاطبق الكتاب وغضب وقام، فقال الرجل انا اذهب فحدث القوم، فقال لدس أحدث اليوم. وعن مغيرة قال كنت أحدث الناس رغبة في الاجر فانا أمنعهم اليوم رغبة في الاجر، وعن الميموني انه سمع أبا عبد الله قال وخرج الينا فرأى جماعتنا فشكا ذلك الينا وأخبرنا بما يكره من ذلك لمكان السلطان، قال ولولا ذلك لخف على أن آتيهم في منازلهم، قال ابن منصور قلت لاحمد أيسعك الا تحدث؟ قال لم لا يسعني؟ انا قد حدثت، وقال له محمد بن مسلم بن فاره ياأبا عبدالله لم قطعت الحديث والناس يحتاجون فمن فعل هذا؟ فسمي رباح بن زيد، وحبان ابو حبيب، يعني ابن هلال حدثا ثم قطعا

وقال المروذي قال ابو عبدالله سألوني يعني في المسائل التي وردت عليه من قبل الخليفة فلم أجب، قلت فلأي شيء امتنعت أن تجيب؟ قال خفت أن تكون ذريعة الى غيرها، قال وسمعت أبا عبد الله - وسأله علي بن الجهم عن شيء فلم يجبه - وقال قد فقدت بعض ذهني، وسأله عبد الرحمن بن خاقان عن شيء فلم يجبه، وقال قد فقدت بعض ذهني

وقال ابن الجوزي في أوائل صيد الخاطر: أنا لا أرى ترك التحديث بعلة قول قائلهم إني أجد في نفسي شهوة للتحديث لانه لا بد من وجود شهوة الرياسة فانها جبلة في الطباع، وإنما ينبغي مجاهدتها، ولا يترك حق لباطل

وروى مسلم عن قزعة قال اتيت أبا سعيد الخدري وهو مكثور عنده،أي عنده ناس كثيرون ، فلما تفرق الناس عنه قلت أسألك عن صلاة رسول الله ﷺ فقال مالك في ذلك من خير ، فأعاد عليه فأجابه . وذكر الحديث . قال في شرح مسلم : معناه انك لا تستطيع الاتيان بمثلها وإن تكلفت ذلك شق عليك ولم تحصله فتكون قد علمت السنة وتركتها، وسبق مايتعلق بهذا في رمي العالم المسئلة وسؤال الناس له

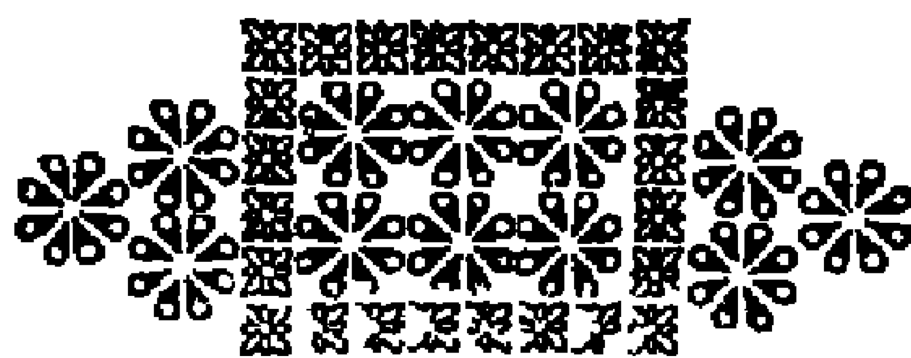
وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرت الشافعي يوما بحديث وأنا غلام فقال من حدثك ؟ فقلت أنت ، قال ما حدثتك من شيء فهو كما حدثتك وإياك والرواية عن الأحياء

فصل

في وضع العالم المحبرة بين يديه وجواز استمداد الرجل من محبرة غيره

وضع أبو عبدالله رحمه الله بين يديه محبرة فقيل له أستمد منها فتبسم وقال قد روي عن زهير بن أبي خيثمة انه كانت معه محبرة فقالوا نستمد منها فقال انها عارية . نقله المروذي. وقال حرب قلت لاسحاق بن راهويه يستمد الرجل من محبرة الرجل؟ قال لا يستمد إلا باذنه. قال الخلال (كراهية أن يستمد الرجل من محبرة الرجل الا باذنه) وذكر ذلك ، وقال محمد بن ابراهيم المعروف بمربع كنت عند أحمد بن حنبل وبين يديه محبرة فذكر أبو عبدالله حديثاً فاستأذنته بأن أكتب من محبرته، فقال اكتب ياهذا فهذا

ورع مظلم . وقال محمد بن طارق البغدادي كنت جالساً الى جانب أحمد بن حنبل فقلت يا أبا عبد الله أستمد من محبرتك؟ فنظر إلي وقال لم يبلغ ورعي ورعك هذا . وعن وكيع وجاء اليه رجل فقال له اني أمتُّ اليك بحرمة؟ قال وما حرمتك؟ قال كنت تكتب من محبرتي في مجلس الاعمش ، فوثب فدخل منزله فأخرج صرة فيها دنانير وقال له اعذرني فاني لا أملك غيرها . وقال يحيى بن زكريا بن يحيى الاحول جئت يوما وأحمد بن حنبل على فجلست أكتب فاستمديت من محبرة انسان فنظر إلي أحمد فقال يا يحيي استاذنته.؟ وقال ابراهيم الحربي لزمت احمد بن حنبل سنين فكان إذا خرج ليحدثنا يخرج معه محبرة مجلدة بجلد أحمر وقلما ، فاذا مر به سقط أو خطأ في كتابه أسقطه بقلمه من محبرته يتورع أن ياخذ من محبرة أحدنا شيئا . وحكى ابن عقيل في باب الغصب من الفصول عن القاضي انه قال روي عن أحمد منع الكتب من محبرة غيره بغير اذنه . وفي رواية قال لمن استاذنه هذا من الورع المظلم ، فحملنا الاول على كتب يطول ، والثاني على غمسه قلما لكتب كلمة ، أو في حق من ينبسط اليه وياذن له حكما وعرفا انتهى كلامه. والاولى أن يقال يحمل الاول على كتب يطول ، والثاني على كتب قليل ، لانه يتسامح به عادة وعرفا ، أو يحمل الاول على من يغلب على ظنه انه لا يطيب قلبه ولا ياذن فيه ، ويحمل الثاني على من يطيب به ويأذن فيه



فصل

(في الكتابة والكتب والكتاب وأدواتهم الكتابية)

قال الخلال (التوقي أن لا يترب الكتاب إلا من المباحات) ثم روى عن المروذي ان أباعبدالله كان يجيء معه بشيء ولا يأخذ من تراب المسجد قال المروذي سمعت عبدالصمد بن مقاتل سمعت أبي يقول رأيتهم يكتبون الكتاب في دور السبيل، فاذا أرادوا أن يختموه أرسلوا إلي البحر فاخذوا الطين. وذكر بعض الشافعية في كتاب فاتحة العلم مايدل على ان هذا لايحرم وعن جابر مرفوعا « تربوا صحفكم أنجح لها فان التراب مبارك » وعن زيد بن ثابت مرفوعا «ضع القلم على اذنك فانه أذكر للمالي » رواهما الترمذي وضعفهما، وروى ابن ماجه الاول

قال ابن عبد البر وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال «تربوا الكتب وسحوها من أسفلها فانه أنجح للحاجة » وذكر أيضا الخبر المشهور عن النبي ﷺ أنه قال « نحن أمة أمية لانكتب ولا نحسب » وروي عنه ﷺ أنه قال « من اشراط الساعة أن يرفع العلم، ويفيض المال، ويكثر التجار، ويظهر القلم » يعني الكتابة، كذا ذكره ابن عبد البر والصحيح المشهور « يرفع العلم ويفيض المال » حسب. قال الحسن البصري لقد أتى علينا زمان وانما يقال تاجر بني فلان وكاتب بني فلان مايكون في الحي الا التاجر الواحد والكاتب الواحد، وقال الحسن أيضا لقد كان الرجل يأتي الحي العظيم فما يجد به كاتباً

وفي الحديث المرفوع أيضا « فشو القلم وفشو التجارة من أشراط الساعة » يعني بقوله « فشو القلم » ظهور الكتابة وكثرة الكتاب

وعن بعض المفسرين في قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام (اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم) قال كاتب حاسب . وقد كتب لرسول الله ﷺ جماعة منهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت وعلي وعثمان وحنظلة الاسدى ومعاوية وعبدالله بن الارقم وكان كاتبه المواظب على الرسائل والاجوبة وهو الذي كتب الوحي كله وأمره رسول الله ﷺ أن يتعلم كتاب السريانية ليجيب عنه من كتب اليه بها فتعلمها في ثمانية عشر يوما

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكاتبه عبيد الله بن ابي رافع: اذا كتبت فالق دواتك ، وأطل سن قلمك ، وفرج السطور ، وقارب بين الحروف . وقالت العرب القلم أحد اللسانين ، وقالوا الخط الحسن يزيد الحق وضوحا . وقال المأمون الخط لسان اليد وهو أفضل أجزاء اليد . وأمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب عتب عليهم فكتب اليه بعضهم من طريق السجن

أطال الله عمرك في صلاح ... وعز يا أمير المؤمنينا
بعفوك نستجير فان تجرنا ... فانك رحمة للعالمينا
ونحن الكاتبون وقد أسأنا ... فهبنا للكرام الكاتبينا

قال فعفا عنهم وأمر بتخليتهم .واسم الكاتب بالفارسية ديوان أي شياطين لحذقهم بالامور ولطفهم فسمي الديوان باسمهم كذا ذكره ابن عبد البر . وقال أبو جعفر النحاس ـ واسمه أحمد بن محمد توفي في سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ـ قال معنى الديوان الاصل الذي يرجع اليه ويعمل بما فيه كما قال ابن عباس اذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فان الشعر ديوان العرب ، أي أصله ويقال دون هذا أي أثبته وجعله أصلا

وزعم بعض أهل اللغة ان أصله عجمي وبعضهم يقول عربي وقد ذكره سيبويه في كتابه وتكلم على أن أصله دوان ، واستدل على ذلك بقولهم في الجمع دواوين.وهذا قول حسن أبدلوا من أحد الواوين ياء . ونظيره دينار الاصل فيه دنار وكذا قيراط الاصل فيه قراط . فأما الفراء فيزعم انك إذا سميت رجلا بديوان وأنت تريد كلام الاعاجم لم تصرفه ، وهذا عندي غلط لانك إذا سميت رجلا ديوانا على انه أعجمي لم يجز الا صرفه لان الالف واللام لا يدخلان فيه فقد صار بمنزلة طاوس وراقود وما أشبههما وإن جعلته عربية صرفته أيضا لانه فعال،الدليل على ذلك قولهم دواوين، وديوان بالفتح غلط، ولو كان بالفتح لم يجز قلب الواو ياء.فان قيل الياء أصل قيل هذا خطأ ، ولو كان كذا لقيل في الجمع دياوين، فديوان لا يقال كما لا يقال دينار ولا قيراط . وزعم الاصمعي ان اصله أعجمي،وروي أن كسرى أمر الكتاب أن يجتمعوا في دار فيعملوا حساب السواد في ثلاثة أيام

فاجتمعوا في الدار واجتهدوا فاشـرف عليهم وبعضهم يعقد(١) وبعضهم يكتب فقال «ايشان ديو اشد» اي هؤلاء مجانين، فلزم موضع الكنابة هذا الاسم من ذلك الدهر ثم عربته العرب فقالت ديوان انتهى ماذكره أبو جعفر

قال والدفتر إسم عربي لا نعلم له اشتقاقا، وكان أبو إسحاق يذهب الى أن كل اسم عربي فهو مشتق الا انه ربما غاب عن العالم شيء وعرفه غيره ، يقال له دفتر ودفتر وتفتر ثلاث لغات" وقال الجوهري الدفتر واحد الدفاتر وهي الكراريس قال أبو جعفر والكراسة معناها الكتب المضمومة بعضها الى بعض والورق الذي ألصق بعضه الى بعض مشتق من قولهم رسم مكرس اذا ألصقت الريح التراب به ،وقال الخليل الكراسة مأخوذة من كراس الغنم وهو أن يبول في الموضع شيئا بعد شيء فيتلبد انتهى كلامه

وقال الماوردي أصل الكراس والكراريس العلم، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب: كراسة، وقال الجوهري: والكراسة واحدة الكراس والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف، قال ابو جعفر وقيل مصحف لانه يجمع الورق الذي يصحف فيه من أصحف كمكرم، ومن قال مصحف بفتح الميم جعله من صحفت مصحفا مثل جلست مجلسا، ومن كسر الميم شبهه بمنقل

وأما السفر فمشتق من أسفر الشي اذا تبين فهو الذي فيه البيان ، ومنه أسفر الصبح اذا تبين، وأسفر وجه المرأة اذا أضاء،

وسمي القلم قلما لانه يقلم أي يقطع منه، ومنه قلمت أظفاري، وقيل قطعه

(١) في النسخة المصرية يقعد

ليس بقلم ولكنه انبوب ، وقيل القلم مشتق من القلام وهو نبت ضعيف واهي الاصل، فقيل قلم لانه خمف واضعف بما أخذ منه، ورجل مقلم الاظفار من هذا ، أي ضعيف في الحرب ناقص، ويقال رعف القلم اذا قطر، وارعف الرجل القلم اذا أخذ فيه مدادا كثيرا حتى يقطر ويقال استمد ولا ترعف. أي لا تكثر المداد حتى يقطر، ويقال ذنبت القلم فهو مذنب، فاما الرطب فيقال فيه مذنب من ذنب هو (١) ويقال حفي القلم يحفى حفوة وحفوة وحفية وحفاوة وحفى مقصور فاما الحفاء ممدود فمشي الرجل بلا نقل

ويقال للقطعة التي تقطع من الانبوبة شظية مشتق من شظي القوم تفرقوا، ويقال قلم ذنوب اذا كان طويل الذنب، كما قال فرس ذنوب، وللقلم سنان فاذا كان الايمن ارفع قيل محرف، وان استويا قيل قلم مستوي السنين، واشحمت القلم تركت شحمه فلم آخذه فان أخذت شحمه قلت بطنته تبطينا، ويقال بريت القلم بريا وماسقط براية وقد يقال للقلم نفسه براية لان العرب تجعل فعاله لكل ماانتقص منه ، فيقولون قطاعة وقوارة ذكره أبو جعفر، وقال الجوهري قوره واقتوره واقتاره بمعنى قطعه مدورا ، ومنه قوارة القميص والبطيخ وقال والقطاعة بالضم ماسقط عن القطع، قال أبو جعفر يقال قططت القلم أي قطعت منه والقلم مقطوط، قططت وقطيط والمقط الذي يقط القلم عليه والمقط بفتح الميم الموضع الذي يقط من رأس القلم وهو مشتق من قططت أي قطعت ومارايته قط أي انقطعت الرؤية بيني وبينه، والقط

(١) كذا

الكتاب بالجائزة لانه يقطع، ومنه يعطي القطوط وثائق، وقط بمعنى حسب

والدواة جمعها دويات في العدد القليل كذا قال أبو جعفر وفي الكثير دوي بضم الدال ويقال بكسرها ودوى ودوايا، ويقال أدويت دواة اذا اتخذتها وقد دوى الدواة أي عملها فهو مدو مثل مقن للذي يعمل القنا، ويقال لمن يبيعها دواء مثل تبان للذي يبيع التبن والذي يحملها ويمسكها داو ومثله رامح للذي يحمل الرمح واشتقاق المداد من المدد للكاتب وهي جمع مدادة يذكر ويؤنث

قال الفراء واسمه يحيى بن زياد الكوفي توفي سنة [illegible] ومائتين ان جعلت المداد مصدرا لم تثنه ولم تجمعه، ويقال أمددت الدواة اذا جعلت فيها المداد، فان زدت على مدادها قلت مددتها. واستمددت منها أي أخذت فان أخذت مدادها كله قلت قعرت الدواة أقعرها قعرا، واشتقاقه أنك بلغت الى قعرها، وقد سمع أقعرت [illegible] اذا [illegible] قعرا. واذا [illegible] [illegible] شيء [illegible] فلان [illegible] أي ما يلصق به، ويقال ألقت [illegible] الاقة ولقتها [illegible] [illegible] [illegible] وقد [illegible] أي زدت في [illegible] [illegible] وان [illegible] زاد [illegible] حبرا [illegible] لا [illegible] ثم جعلوا [illegible] هذا الشيء

انما هو لتأثيره على أسنانه حبرة يقال اذا كثرت فيها الصفرة حتى تضرب الى السواد، قال محمد بن يزيد وأنا أحسب انه انما سمي حبرا لأنه تحبر به الكتب (١

قال أبو جعفر النحاس : من حسن تقدير الكاتب ألا يفرق بين المضاف والمضاف اليه في سطر ، وكذا اعزه الله، وكذا أحد عشر لأنه كاسم واحد ، ويستحسن المشق في الشين والسين إلا في أواخر الكلم نحو الناس ، وأصل المشق في اللغه الخفة يقال مشق بالرمح ومشق الرجل الرغيف اذا أكله أكلا خفيفا فمعنى مشق الكاتب اذا خفف يده وهذا اختيار محدث . وأما رؤساء الكتاب المتقدمين فكانوا يكرهون المشق كله وارسال اليد ويقول بعضهم هو للمبتدي مفسدة لخطه ودليل على تهاونه بما يكتبه . وقد ذكره الفقهاء أن يكتب بسم الله بغير سين

ويستحسنون اذا توالت السين والشين في كلمة أن يقدر الكاتب فصلا بعدة . ويستحسنون في كتابة نحو بين أن يرفع الوسطى من الثلاث فرقا بين ذلك وبين السين والشين ، ويستحبون أن تكون الكاف غير مشقوقة اذا كانت طرفا عندهم ويحبون تعليمها اذا كانت متوسطة ولا نعلم اذا كانت اطرفا، ويستحبون أن تكون الالفاظ سهلة سمحة غير بشعة

ومما يستحسنون لابراهيم بن مهدي توقيعه الى كاتبه إياك والتتبع لحوشى الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك العي الاكبر، وعليك بما يسهل مع تجنبك للالفاظ السفل . وكذا ماروي من صفة يحي بن زياد

١) أي تزين ومنه ثوب حبرة

الكاتب فانه قال: أخذ بذمام الكلام فقاده أسهل مقاد، وساقه أحسن مساق، فاسترجع به القلوب النافرة، واستصرف به الابصار الطامحة. وقال الجاحظ: لم أر قوما امثل طبقة في البلاغة من الكتاب وذلك لانهم التمسوا مالم يكن متوعرا من الالفاظ حوشيا، ولا ساقطا عاميا، وقال محمد بن الفضل صاحب كتاب الديباج يجب للكاتب أن يعدل بكلامه عن الغريب الحوشي، والعامي السوقي، والرذل السايقي، ويجانب التقعير، ويجب أن يعمل نفسه في تنزيل الالفاظ، وسئل أعرابي من ابلغ الناس؟ قال أسهلهم لفظا وأحسنهم بديهة، وقد سبق في فصول ردالسلام ردجواب الكتاب وما يتعلق بذلك، وروى أبو داود في الخراج عن عمرو بن عثمان عن محمد بن حرب عن أبي مسلمة سليمان بن سليم عن يحيي بن جابر عن صالح ابن يحيي بن المقدام عن جده وفي نسخة عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ ضرب على منكبه ثم قال له «افلحت ياقديم ان مت ولم تكن أميرا ولا كاتبا ولا عريفا» ورواه أحمد عن أحمد بن عبد الملك الحراني عن محمد بن حرب الابرش عن سليمان بن صالح عن جده صالح قال البخاري فيه نظر، وقال ابن حبان في الثقات يخطيء،

فصل

(في نظر الرجل في كتاب غيره باذنه أو رضاه)

قال الخلال (كراهية النظر في كتاب الرجل الا باذنه) قال أبوبكر ابن عسكر كنت عند أبي عبد الله وعنده الهيثم بن خارجة فذهبت انظر

كتاب أبي عبد الله فكره أبو عبد الله أن أنظر في كتابه واطلع عبد
حمن بن مهدي في كتاب أبي عوانة بغير أمره فاستغفر الله مرتين
ل أحمد في رواية مهنا في رجل رهن مصحفا هل يقرأ فيه ؟ قال اكره
ينتفع من الرهن بشيء ، وقال في رواية عبد الله في الرجل يكون
ه مصحف رهن لا يقرأ الا بأذنه وقال في رواية اسحاق بن ابراهيم
الرجل رهن عنده المصحف يستأذنه في القراءة فيه ، فان أذن له قرأ
، قال القاضي في الجامع الكبير : أ منعه من القراءة الا باذن صاحبه
قولنا إنه يلزمه بذله اذا طلبه للقراءة فيه ... قال بعد
هذا ... عند الحاجة ، وقال في ... مسألة
ن المصحف : ولا يقرأ أحد في المصحف بلا اذن ربه ، وقيل بلى
لم يضر ماليته . وان طلبه أحد ليقرأ فيه لم يجب بذله وقيل يجب ،
ل عند الحاجة اليه ، وذكر بعض الشافعية ما هو ظاهر في أن النظر
كتاب الغير من كتب العلم لا يحرم ، ... الحديث عن النبي ﷺ
ن نظر في كتاب أخيه بغير اذنه فكأنما ينظر في النار » قال ابن
ثير في النهاية : ... الكتاب الذي فيه سر وأمانة يكره
حبه أن يطلع عليه ، وقيل ... كل كتاب ، وقال البخاري (باب
نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره) وذكر كتاب
اب بن أبي بلتعة وقصته ، وهذا متجه ... النظر
... قضية عين ، وقال في شرح مسلم ، فيه هتك ستر

المفسد اذا كان فيه مصلحة(١) أو كان في الستر مفسدة، وانما يندب الستر اذا لم يكن فيه مفسدة ولا تفوت به مصلحة

فصل

في بذل العلم ومنه اعارة الكتب

قال الخلال (كراهية حبس الكتاب) قال المروذي قلت لأبي عبدالله رجل سقطت منه ورقة فيها احاديث فوائد فأخذتها ترى أن انسخها واسمعها ؟ قال لا الا باذن صاحبها . وقال يونس بن يزيد قال لي الزهرى إياك وغلول الكتب، قال حبسها عن أهلها . انتهى ماذكره الخلال

وقال الطحاوي كان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن كتاب السير فلم يجبه إلى الاعارة فكتب اليه

قل للذي لم تر عين من رآه مثله
حتى كأن من رآه قد رأى من قبله (٢)
العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله
لعله يبذله لأهله لعله

فوجه اليه به في الحال هدية لاعارية . وقال ابن الجوزي ينبغي لمن

(١) من هنا الى آخر الفصل ساقط من النسخة المصرية

(٢) الظاهر أنه يعني بمن قبله أستاذه الامام أبا حنيفة فانه هو الذي نقل الى الناس جل فقه ابي حنيفة مع التوسع والاستدلال فالحنفية كلهم عيال على كتب الامام محمد بن الحسن رحمهم الله اجمعين

ملك كتابا أن لا يبخل باعارته لمن هو أهله، وكذلك ينبغي افادة الطالبين بالدلالة على الاشياخ وتفهيم المشكل فان الطلبة قليل وقد عمهم الفقر فاذا بخل عليهم بالكتاب والافادة كان سببا لمنع العلم

قال سفيان تعجلوا بركة العلم، ليفد بعضكم بعضا فانكم لعلكم لا تبلغون ماتؤملون. وقال وكيع أول بركة الحديث اعارة الكتب، وقال ابن المبارك من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما أن يموت فيذهب علمه أو ينساه أو يتبع السلطان

فصل

《 في قيام أهل الحديث الليل وخشوعهم 》

بات عند الامام أحمد رجل فوضع عنده ماء قال الرجل فلم أقم بالليل ولم أستعمل الماء، فلما أصبحت قال لي لم لا تستعمل الماء؟ فاستحييت وسكت فقال سبحان الله سبحان الله: ماسمعت بصاحب حديث لا يقوم بالليل. وجرت هذه القصة معه لرجل آخر فقال له أنا مسافر، قال وإن كنت مسافرا، حج مسروق فما نام إلا ساجدا. قال الشيخ تقي الدين فيه أنه يكره لاهل العلم ترك قيام الليل وإن كانوا مسافرين

وقال بشر بن الحارث ينبغي لاصحاب الحديث أن ينزلوه بمنزلة الدراهم يعلمون من كل مائتين خمسة (١) وقال سفيان في الانجيل لا تطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم. وصح عن الحسن قال كان الرجل

(١) يعني ربع عشر المائتين وهو مقدار الزكاة من المال

يسمع الباب من أبواب العلم فيعلمه فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فوضعها في الآخرة

وقال أبو جعفر أحمد بن بديل لقد رأيتنا ونحن نكتب الحديث فما يسمع إلا صوت قلم أو باك ، وقال عبد الله كان أبي ساعة يصلي عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو ، وقال ابراهيم ابن شماس كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام وهو يحيي الليل

فصل

﴿ في الادب مع المحدث ومنه التجاهل والاقبال والاسماع ﴾

قال الخلال أخبرنا الدودي سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول إن من شكر العلم أن يجلس مع رجل فيذاكره بشيء لا يعرفه فيذكر له الحرف عند ذلك فيذكر ذلك الحرف الذي سمعت(١) من ذلك الرجل فيقول ماكان عندي من هذا شيء حتى سمعت فلانا يقول فيه كذا وكذا . فاذا فعلت ذلك فقد شكرت العلم ولا توهمهم أنك قلت هذا من نفسك

وقال ابن الجوزي : واذا روى المحدث حديثا قد عرفه السامع فلا ينبغي أن يداخله فيه ، قال عطاء بن أبي رباح إن الشاب ليحدثني بحديث فاستمع له كأني لم أسمعه ولقد سمعته قبل أن يولد ، ثم روى باسناده عن خالد بن صفوان قال اذا رأيت محدثا يحدث حديثا قد سمعته أو يخبر بخبر قد علمته فلا تشاركه فيه حرصا على أن يعلم من حضرك أنك قد علمته فان

---

(١) كذا في النسختين والظاهر أن يقال الذي سمعه

ذلك خفة فيك وسوء أدب. وروى أبو حفص العكبري في الادب له عن ابن وهب قال إني لأسمع من الرجل الحديث قد سمعته قبل أن يجتمع أبواه فأنصت له كأني لم أسمعه ثم روى ماتقدم عن عطاء ثم قال سمعت أبا علي الحسن بن عبد الله جليس أبي أحمد الفقيه البغدادي يقول يروي عن سفيان الثوري انه قال وتراه يعجب من حديث ولعله أدري به، وروى ماتقدم عن خالد بن صفوان وروى ذلك ابن بطة

قال ابن الجوزي ومتى اشكل شيء من الحديث على الطالب صبر حتى ينتهي الحديث ثم يستفهم الشيخ بادب ولطف ولا يقطع عليه في وسط الحديث قال وفي اصحاب الحديث من ينزل جزءا في جزء ويوهم الشيخ انه جزء واحد ومثل هذه الافعال لايجوز اعتمادها، وروى ابن بطة عن ابراهيم بن الجنيد قال حكيم لابنه تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام فان حسن الاستماع امهالك للمتكلم حتى يفضي اليك بحديثه والاقبال بالوجه والنظر وترك المشاركة له في حديث انت تعرفه وأنشد

ولا تشارك في الحديث أهله — وإن عرفت فرعه واصله

وروى أيضا عن الهيثم بن عدي قال قالت الحكماء من الاخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه، والاعتراض فيه لقطع حديثه وروى أيضا عن مجاهد قال لقمان لابنه اياك اذا سئل غيرك أن تكون أنت المجيب كانك أصبت غنيمة أو ظفرت بعطية، فانك ان فعلت ذلك أزريت بالمسئول وعنفت السائل ودللت السفهاء على سفاهة حلمك وسوء

ادبك، يابني ليشتد حرصك على الثناء من الاكفاء، والادب النافع، والاخوان الصالحين، قال ابن بطة كنت عند ابي عمر الزاهد فسئل عن مسئلة فبادرت أنا فاجبت السائل فالتفت الي فقال لي تعرف الفضوليات المنتقبات؟ يعني أنت فضولي فاخجلني. وذكر ذلك أيضا أبو جعفر العكبري في الآداب له

فصل

في طبقات القاضي ابي الحسين زهير بن أبي زهير نقل عن إمامنا أشياء منها قال قلت لاحمد إن فلانا يعني أبا يوسف ربما سعى في الامور مثل المصانع والمساجد والآبار، فقال لي أحمد: لالا، نفسه أولى به. وكره أن يبذل الرجل وجهه ونفسه لهذا، وذكره أيضا الخلال وأبو يوسف هو الغسولي

وقال مهنا سمعت بشر بن الحارث وذكر له أيضا رجل يسأل الناس فقال بشر من يقتدي به في هذا؟ فقال مالك بن دينار، فقال له بشر أريد أرفع من مالك بن دينار، فسمعت بشرا يقول له لا تفعل ولا تطلب من صاحب دنيا حاجة، دعه حتى يكون هو يطلب اليك،

وكان المتوكل على الله يبعث يحيى بن خاقان الى الامام أحمد كثيرا ويسأل عن أشياء قال المروذي وقال لي أبو عبد الله قد جاءني يحيى بن خاقان ومعه شوى، (١) فجعل يقلله أبو عبد الله، فقلت له قالوا انها الف دينار قال هكذا فرددتها عليه فبلغ

(١) الشوى بالفتح رذال (بضم الراء) المال والشيء الحقير والبقية اليسيرة منه. وقوله يقلله يصفه بالقلة

الباب ثم رجع فقال ان جاءك لاحد من أصحابك شيء تقبله؟ قلت لا، قال إنما أريد أن أخبر الخليفة بهذا، قلت لابي عبدالله أي شيء كان عليك لو أخذتها فقسمتها فكلح في وجهه وقال اذا أنا قسمتها أي شيء كنت أريد أكون له قهرمانا؟

وقال أبو طالب لابي عبدالله رجل جاءني ومعه دراهم فقال لي خذ هذه الدراهم فتصدق بها في جيرانك فابيت فلم يزل يطلب الي فابيت فقال لا يحل لك ولا يسعك أن تمنع المساكين والفقراء، فلم آخذها(٢) أكون قد أثمت اذا رددتها؟ قال لم لا تأثم؟ من يسلم من هذا؟ قد أحسنت، لو أخذتها لم تسلم وروى يعقوب عنه: ان لم يتعرض له كان اسلم له، وروى الخلال عن ابي الدرداء قال ما أحب أن معاوية بعث الي ثلاثة آلاف دينار فاتصدق بها، فقيل له أو لم تؤجر ولا ترد شيئا؟ قال إني أخاف وساوس نفسي وعواذل قومي، فيحبط ذلك أجري، والسلامة أحب الي. وقال الخلال في الاخلاق ثنا ابراهيم بن جعفر بن حاتم حدثني محمد بن الحسين بن الجنيد عن هارون ابن سفيان المستملي قال جئت الى احمد بن حنبل حين أراد أن يفرق الدراهم التي جاءته من المتوكل قال فاعطاني مائتي درهم فقلت لا تكفيني، قال ليس ههنا غيرها، ولكن هوذا اعمل بك شيئا أعطيك ثلاثمائة تفرقها، قال فلما أخذتها قلت يا أباعبدالله ليس والله أعطي احدا منها شيئا فتبسم. وقال صالح لابيه ماتقول في امرأة مسكينة تكون معي في داري فربما أتوني بشيء للمساكين فاعطيها منه اذا قسمت، فقال لا تحابها واعطها كما تعطي غيرها

---

(٢) أي أأكون قد أثمت؟ حذفت همزة الاستفهام

فصل

في الاشتغال بالمذاكرة عن النوافل، وفضل أهل السنة والاصدقاء

قال عبد الله بن أحمد لما قدم أبو زرعة نزل عند أبي فكان كثير المذاكرة له فسمعت أبي يوما يقول ماصليت غير الفرائض استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي . وروى الخلال في أخلاق أحمد أن اسحاق قال كنا عند عبد الرزاق أنا وأحمد بن حنبل قال فمضينا معه إلى المصلى يوم عيد قال فلم يكبر عبد الرزاق ولا أنا ولا أحمد بن حنبل قال فقال لنا رأيت معمرا والثوري في هذا اليوم كبرا فكبرت ورأيتكما لاتكبران فلم أكبر، قال (١) ورأيتكما لاتكبران فهبت ،قال عبد الرزاق فلم لم تكبرا ؟ قال فقلنا نحن نرى التكبير ولكن شغلنا بأي شيء نبتدىء من الكتب؟

وقال صالح بن موسى أبو الوجيه سمعت أبا عبد الله يقول ومن يفلت من التصحيف؟ لا يفلت أحد منه ؟ وقال الخلال أنبأنا طالب بن حرة الاذني قال حضرت أحمد بن حنبل فقال : علامة المريد، قطيعة كل خليط لا يريد ماتريد.

وفي طبقات القاضي أبي الحسين أنبأنا محمد بن أبي الصفر ثنا هبة الله الشيرازي ثنا علي بن محمد بن طلحة أنبأنا سليمان الطبراني ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي قال قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة ، وقبور أهل البدع من الزنادقة حفرة، فسّاق أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدعة

(١) لعل الاصل : أو قال الخ

أعداء الله (١) وقال عبد الله بن احمد سئل أبي لم لا تصحب الناس؟ قال لوحشة الفراق . وروى ابن بطة عن محمد بن الحنفية قال وحشة الانفراد ، أبقى للعز من مؤانسة اللقاء .

وقال عبد الله بن جعفر سمعت احمد بن حنبل يقول وسئل عن الرجل يكتب الحديث فيكثر ، قال ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب ، ثم قال سبيل العلم مثل سبيل المال إن المال اذا زاد زادت زكاته

وفي طبقات القاضي أبي الحسين وأنبأنا يوسف بن محمد المهرواني ثنا عبد الواحد بن عبد العزيز سمعت المطيع الخليفة على المنبر يقول في يوم عيد سمعت شيخي عبد الله البغوي يقول سمعت الامام احمد بن حنبل يقول اذا مات أصدقاء الرجل ذل. وقال عبدالله حدثني أبي ثنا سفيان بن عيينة قال : قال لي أيوب انه ليبلغني موت الرجل من اخواني فكأنما سقط عضو من أعضائي

(١) الفاسق لا يكون وليا لله تعالى فهو يقول ﴿ ان أولياؤه الا المتقون ﴾ ويقول في اوليائه ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وكلام الامام أحمد ليس على ظاهره وانما هو لبيان النسبة بين ضرر الفسق وأهله والبدعة وأهلها وقد بين المحققون أن البدع شر من المعاصي واضر لاعتقاد أهلها انها حق وطاعة وذلك كذب على الله وقول في دينه بغير علم ويندر أن يتوب صاحبها . ويتضح مراد الامام بما وقع لبعض كبار العلماء الاغنياء المنعمين مع كافر ساله عن حديث «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وقال فاي جنة انا فيها وأي سجن انت فيه ؟ فقال ان ما انا فيه سجن بالنسبة الى ما اعده الله للمؤمنين من نعيم الآخرة ، وما أنت فيه جنة بالنسبة الى ما أعده الله للكفار من عذاب جهنم. هذا وان من البدع ماهو كفر ومروق من الملة وأهله شر من سائر الكفار حتى المشركين عباد الاوثان لا من فساق الامة فقط

فصل

(في قضاء الحوائج والشفاعة فيها لدى الائمة والسلاطين)

قد سبق في الاستئذان كلام يتعلق بقضاء الحوائج والمساعدة عليها ، وجاء رجل إلى الحسن بن سهل يستشفع به في حاجة فقضاها فأقبل الرجل يشكره فقال له الحسن بن سهل : لام تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة ؟ وفي لفظ ونحن نرى كتب الشفاعات زكاة مروءاتنا ثم أنشأ يقول :

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي … وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا
فاذا ملكت فجد فان لم تستطع … فاجهد بوسعك كله ان تنفعا

قال القاضي المعافى بن زكريا ولله در القائل :

واذا امرؤ أهدى اليك صنيمة … من جاهه فكأنها من ماله

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه وابن ماجه من حديث موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف عن جهمان عن أبي هريرة مرفوعا «لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم» وقال بعضهم :

واذا السعادة أحرستك عيونها … نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل … واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان اذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال «اشفعوا فلتؤجروا ، ويقضي الله على لسان رسوله ماشاء» رواه البخاري ومسلم وفي لفظه «تؤجروا» ورواه احمد ، ولابي داود «اشفعوا اليّ لتؤجروا وليقض الله على لسان رسوله ماشاء» وعن معاوية

أن رسول الله ﷺ قال « إن الرجل ليسألني عن الشيء فامنعه كي تشفعوا له فتؤجروا » وقال رسول الله ﷺ « اشفعوا تؤجروا» رواه النسائي عن هارون بن سعيد الايلي عن سفيان عن عمرو بن دينار عن وهب بن منبه عن أخيه همام عن معاوية . اسناد جيد

وقال ابن عبد البر عن رسول الله ﷺ قال «استعينوا على حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود » وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم إني أتيتك في حاجة رفعتها الى الله قبلك فان يأذن الله فيها قضيتها وحمدناك، وإن لم يأذن فيها لم تقضها وعذرناك . وقال يونس :

أنزلت بالحر ابراهيم مسئلة أنزلتها قبل ابراهيم بالله
فان قضى حاجتي فالله يسرها هو المقدرها والآمر الناهي
اذا أ الله شيئا ضاق مذهبه عن الكبير العريض القدر والجاه

قال أبو العتاهية

خير المذاهب في الحاجات أنجحها وأضيق الامر أدناه الى الفرج

وكتب سوار بن عبد الله بن سوار القاضي إلى محمد بن عبدالله بن طاهر

لنا حاجة والعذر فيها مقدم خفيف ومعناها مضاعفة الاجر
فان تقضها فالحمد لله ربنا وإن تكن الاخرى ففي واسع العذر
على انه الرحمن معط ومانع وللرزق أسباب إلى قدر يجري

فأجابه محمد بن طاهر

فسلها تجدني موجبا لقضائها سريعا اليها لا يخاطبني فكر (١)
شكور بافضالي عليك بمثلها وإن لم يكن فيما حوته يدي شكر
فهذا قليل للذي قد رأيته لحقك لامنٌّ لدي ولا ذخر

وقال جعفر بن محمد حاجة الرجل الى أخيه فتنة لهما، ان أعطاه شكر من لم يعطه ، وإن منعه ذم من لم يمنعه . وقال خالد بن صفوان لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ، ولا تطلبوها في غير حينها ، ولا تطلبوا ما لا تستحقون منها، فانّ من طلب ما لا يستحق استوجب الحرمان

وقال رجل للعباس بن محمد او لعبدالله بن العباس أتيتك في حاجة صغيرة ، قال فاطلب لها رجلا صغيراً . وقيل لآخر أتيتك في حاجة صغيرة، قال اذكرها عند الحر يقوم بصغير الحاجات وكبيرها، كان يقال لا تستعن على حاجة بمن هي طعمته، ولا تستعن بكذاب فانه يقرب البعيد ويباعد القريب ، ولا تستعن على رجل بمن له اليه حاجة ، وقال بعضهم أصل العبادة أن لا تسأل سوى الله حاجة. فلكل أحد في الله عوض من كل أحد، وليس لاحد من الله عوض باحد، وقال ابو الاسود

واذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم
وإذا طلبت إلى لئيم حاجة فألحّ في رق وأنت مديم

وقال آخر

لا تطلبن الى لئيم حاجة واقعد فانك قائم كالقاعد

(١) أي لا يعرض لي فكر في ايجاب قضائها فاتردد فيه

ياخادع البخلاء عن أموالهم هيهات تضرب في حديد بارد

وقال أبو العتاهية

اقض الحوائج ما استطعـ ـت وكن لهم أخيك فارج
فلخير أيام الفتى يوم قضى فيه الحوائج

وقال بعضهم قالوا من صبر على حاجته ظفر بها ، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له، وقال علي بن أبي طالب

اصبر على مضض الادلاج في السحر وفي الرواح الى الحاجات والبكر
لاتضجرن ولا يعجزك مطلبها فالنجح يتلف بين العجز والقصر
اني رأيت وفي الايام تجربة للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقلّ من جد في شيء تطلبه واستشعر الصبر إلا فاز بالظفر

وقال سفيان الالحاح لا يصلح ولا يجمل الا على الله عز وجل، وقال مورق العجلي سألت ربي حاجة عشرين سنة فما انقضت لي ولا يئست منها ، وقال ابو العتاهية

في الناس من تسهل المطالب أحيـانا عليه وربما صعبت
ماكل ذي حاجة يدركها كم من يد لا تنال ماطلبت
من لم يسعه الكفاف معتدلا ضاقت عليه الدنيا بما رحبت

وقال بعضهم استعينوا على الناس في حوائجكم بالتثقيل فذلك نجح لكم، وقال آخر

من عف خف على الصديق لقاؤه واخو الحوائج وجهه مملول

وكتب أبو العتاهية الى بعض أصحابه يعاتبه فقال

لئن عدت بعد اليوم إني لظالم سأصرف نفسي حين تبغى المكارم
متى ينجح الغادي اليك بحاجة ونصفك محجوب ونصفك نائم

وسئل بعض الحكماء حاجة فامتنع فعوتب في ذلك فقال: لا ن يحمر وجهي مرة خير من أن يصفر مرارا. وقال منصور الفقيه

من قال لا في حاجة مطلوبة فما ظلم
وانما الظالم من قال لا بعد نعم (١

وقال آخر

ان لا بعد نعم فاحشة فبلا فابدأ اذا خفت الندم
واذا قلت نعم فاصبر لها بنجاز الوعد ان الخلف ذم

وسبق مايتعلق بهذا في الاستئذان، وقبله في فصول الامر بالمعروف في الانكار على ولاة الامور، وفي ترجمة عبد الله بن عثمان عبدان شيخ البخاري أنه قال ماسألني أحد حاجة الا قمت له بنفسي، فان تم والا قمت له بمالي، فان تم والا استعنا له بالاخوان، فان تم والا استعنت له بالسلطان

وينبغي أن لا يندم من ردت شفاعته. ولا يتأذى على من لم يقبلها، ويفتح باب العذر وسيد الخلائق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعظم حقا وأولى بكل مؤمن من نفسه باجماع العلماء، وقد روى البخاري عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان زوج

---

(١) ولعل الاصل يقول

بريرة عبداً يقال له مغيث كأني أنظر اليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ للعباس « ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا؟» فقال لها النبي ﷺ «لو راجعتيه فانه أبو ولدك» قالت يارسول الله تأمرني؟ قال « لا انما أشفع » قالت فلاحاجة لي فيه، والناس في هذا الامر ورد شفاعتهم وعدم قبولها متفاوتون جداً كما هو معلوم من أحوالهم والله أعلم

قال ابن الجوزي رحمه الله كان هارون الرقي قد عاهد الله أن لا يسأله أحد كتاب شفاعة إلا فعل ، فجاءه رجل فأخبره أن ابنه قد أسر بالروم وسأله أن يكتب إلى ملك الروم في إطلاقه، فقال له ويحك ومن أين يعرفني وإذا سأل عني قيل هو مسلم فكيف يقضي حقي؟ فقال له السائل اذكر العهد مع الله تعالى، فكتب له الى ملك الروم، فلما قرأ الكتاب قال من هذا الذي قد شفع الينا؟ قيل هذا رجل قد عاهد الله لا يسئل كتاب شفاعة إلا كتبه الى أي من كان . فقال ملك الروم هذا حقيق بالاسعاف اطلقوا أسيره واكتبوا جواب كتابه وقولوا له : اكتب بكل حاجة تعرض فانا نشفعك فيها .
ويأتي الكلام في الكرم والبخل

وقال الامام أحمد حدثني الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ان لله تعالى أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد ما بذلوها، فاذا منعوها نزعها

منهم وحولها الى غيرهم» ذكره الحافظ ابن الاخضر فيمن روى عن أحمد في ترجمة احمد بن محمد بن نصر اللباد أبي نصر رواه عن أحمد

فصل

قال أبو بكر محمد بن عبيد الله الخلال المذكور عن أحمد إذا سألتم الله حاجة فقولوا : في عافية . قال سليمان القصير قلت لأحمد بن حنبل يا أباعبدالله إيش تقول في رجل ليس عنده شيء وله قرابة ولهم وليمة ترى أن يستقرض ويهدي لهم؟ قال نعم .رواه الخلال

فصل

(في كراهة الشكوى من المرض والضير واستحباب حمد الله قبل ذكرها)

قال القاضي أبو الحسين في الطبقات في ترجمة أبي الفضل عبد الرحمن المتطبب: وقال أبو العباس محمد بن احمد بن الصلت سمعت عبد الرحمن المتطبب يعرف بطبيب السنة يقول دخلت على احمد بن حنبل أعوده فقلت كيف تجدك ؟ فقال أنا بعين الله، ثم دخلت على بشر بن الحارث فقلت كيف تجدك؟ قال أحمد الله اليك، أجد كذا، أجد كذا فقلت أما تخشى أن يكون هذا شكوى؟ فقال حدثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة والاسود قالا سمعنا عبد الله بن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ « إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاك » فدخلت على أحمد

ابن حنبل نحدثته فكان اذا سألته قال أحمد الله اليك أجد كذا اجد كذا

قال الخلال في عبدالرحمن هذا: كان يأنس به احمد وبشر بن الحارث ويختلف اليهما، وأظن أن أبا الحسين نقل هذا من كتاب الخلال ، وهذا الخبر السابق متفق عليه .وقال الشيخ مجد الدين في شرح الهداية ولا بأس أن يخبر بما يجده من ألم ووجع لغرض صحيح لا لقصد الشكوى. واحتج أحمد بقول النبي ﷺ لعائشة لما قالت وارأساه قال « بل أنا وارأساه» واحتج ابن المبارك بقول ابن مسعود للنبي ﷺ انك لتوعك وعكا شديداً فقال «أجل اني أوعك كما يوعك رجلان منكم » متفق عليه

وقال ابن عقيل في الفنون قوله تعالى (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) يدل على جواز الاستراحة الى نوع من الشكوى عند امساس البلوى ونظيره(ياأسفا على يوسف*مسني الضر)«مازالت أكلة خيبر تعاودني» انتهى كلام ابن عقيل،وقال رجل للامام أحمد كيف تجدك ياأبا عبدالله؟ قال بخير في عافية،فقال حممت البارحة؟ قال اذا قلت لك أنا في عافية فحسبك لا تخرجني الى ماأكره ، قال ابن الجوزي اذا كانت المصيبة مما يمكن كتمانها فكتمانها من اعمال الله الخفية

وقال ابن الجوزي في موضع آخر شكوى المريض مخرجة من التوكل وقد كانوا يكرهون أنين المريض لانه يترجم عن الشكوى وذكر هذا النص عن أحمد وقال فاما وصف المريض للطبيب مايجده فانه لا يضر انتهى كلامه

وقال عبد الله ان أخت بشر بن الحارث قالت للامام أحمد ياأبا

عبدالله انين المريض شكوى؟ قال ارجو انه لا يكون شكوى ولكنه اشتكى الى الله، وذكر غير واحد في كراهة الانين في المرض روايتين ورويت الكراهة عن طاوس، وذكر الشيخ تقي الدين ابن تيمية ماذكر غيره من أن الصبر واجب قال والصبر لا تنافيه الشكوى، وقال في مسئلة العبودية: والصبر الجميل صبر بغير شكوى الى المخلوق. ثم حكى عن أحمد تركه الانين لما حكي له عن طاوس كراهته، ثم قال وأما الشكوى الى الخالق فلا تنافي الصبر الجميل، وقال ابن الجوزي في قوله تعالى (يا أسفا على يوسف) فان قيل هذا لفظ الشكوى فأين الصبر؟ فالجواب من وجهين احدهما انه شكا الى الله لا منه(١) والثاني انه اراد به الدعاء فالمعنى يارب ارحم أسفي على يوسف وقال قال ابن الانباري والحزن ونفور النفوس من المكروه والبلاء لا عيب فيه ولا مأثم اذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم ولم يشك من ربه، فلما كان قوله يا أسفا شكوى الى ربه كان غير ملوم

فصل

(في شكر النعم والصبر على البلاء وفوائده في الالتجاء الى الله)

قال ابن عقيل في الفنون النعم اضياف وقراها الشكر، والبلايا ضياف

١) هذا هو الثابت في نص القصة اذ اعترض عليه أولاده فأجابهم (انما اشكوا بثي وحزني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون) عبر عن شكواه الى الله وحده بصيغة الحصر، وبين أنه فيها على علم من الله عز وجل لا يعلمونه وانهم لو علموه لما اعترضوا

وقراها الصبر، فاجتهد أن ترحل الاضياف شاكرة حسن القرى، شاهدة بما تسمع وترى. وقال من أحسن ظني به انه بلغ من لطفه أن وصى ولدي اذا كبرت فقال (ولا تقل لهما أف) فارجو اذا صرت عنده رميما أن لا يعسف لان افعاله، تشاكل اقواله، وقال الشيخ تقي الدين من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم من الشدة والضر ما يلجئهم الى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون احدا سواه، فتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والانابة اليه وحلاوة الايمان وذوق طعمه والبراءة من الشرك ماهو اعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف، أو الجدب أو الضر، وما يحصل لاهل التوحيد المخلصين لله الدين فاعظم من أن يعبر عنه مقال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر ايمانه، ولهذا قيل يا ابن آدم لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها من قرع باب سيدك. وقال بعض الشيوخ انه ليكون لي الى الله حاجة فادعوه فيفتح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته مالا أحب معه ان يعجل قضاء حاجتي ان ينصرف عني ذلك، لان النفس لا تريد الا حظها وقد قال ﷺ « ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا »

وقال أيضا «وجد طعم الايمان » فوجود المؤمن حلاوة الايمان في قلبه وذوق طعمه أمر يعرفه من حصل له هذا الوجه وهذا الذوق. فالذي يحصل لاهل الايمان عند تجريد التوحيد يجذب قلوبهم الى الله واقبالهم عليه دون ما سواه، بحيث يكونون حنفاء لله مخلصين له الدين - الى أن قال - وهذا هو

حقيقة الاسلام الذى بعثت به الرسل وأنزل به الكتب وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه والله أعلم

فصل

« فى الصبر والصابرين وفوائد المصائب والشدائد »

قال الله تعالى (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) إلى غير ذلك من الآيات. وصح عنه عليه السلام الامر بالصبر في أحاديث. وروى أحمد ومسلم وغيرهما من حديث أم سلمة « مامن عبد تصيبه مصيبة فيقول(إنا لله وإنا اليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها ، الا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها» وفي الصحيحين من حديث أبى سعيد «ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خير وأوسع من الصبر » وخير مرفوع خبر مبتدإ محذوف تقديره هو خير . وروي « خيراً » قال عليه السلام « واعلم أن النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا »

فاذا علم العبد (١) انه وما يملكه لله سبحانه حقيقة لانه أوجده من عدم ويعدمه أيضا ويحفظه في حال وجوده ولا يتصرف فيه العبد إلا بما يتاح له ؛

---

١) يجد القاريء جواب هذا الشرط في ص ٢٠١

وان مرجعه إلى الله ولا بد فرداً كما قال تعالى (ويأتينا فرداً) وقوله (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون) وان ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، كما قاله عليه السلام وكما قال تعالى (ماأصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور) وان الله لو شاء جعل مصيبته أعظم مما هي ، وانه إن صبر أخلف الله عليه أعظم من فوات مصيبته وان المصيبة لاتختص به فيتأسى بأهل المصائب ، ومصيبة بعضهم أعظم ، وان سرور الدنيا مع قلته وانقطاعه منغص

وقد روي عن ابن مسعود (رض) قال لكل فرحة ترحة ، وماملىء بيت فرحا إلا ملىء ترحا . وقال ابن سيرين رحمه الله : ما كان ضحك قط الا كان بعده بكاء ، وقد شاهد الناس من تغير الدنيا بأهلها في أسرع مايكون العجائب. وقالت هند بنت النعمان بن المنذر لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن من أقل الناس ، وانه حق على الله أن لايملأ داراً حيرة الا ملأها عبرة ، وبكت أختها حرقة بنت النعمان يوما وهي في عزها فقيل مايبكيك لعل أحداً آذاك ؟ قالت لا ولكن رأيت غضارة في أهلي وقلما امتلأت دار سروراً الا امتلأت حزنا . والغضارة طيب العيش : تقول بنو فلان مغضورون وقد غضرهم الله وانهم لفي غضارة

من العيش وفي غضراء من العيش أي في خصب وخير . قال الاصمعي لا يقال أباد الله غضراءهم ولكن أباد الله غضراءهم أي هلك خيرهم وغضارتهم. وقالت حرقة أيضا مانحن فيه اليوم خير مما كنا فيه بالامس، إنا نجد في الكتب انه ليس من أهل بيت يعيشون في حيرة ، الا سيعقبون بعدها عبرة، وان الدهر لم يظهر قوم بيوم يحبونه الا بطن لهم بيوم يكرهونه ، ثم قالت

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا اذا نحن فيهم سُوقة تتنصَّف

فأفٍّ لدنيا لايدوم نعيمها تَقَلَّبُ تارات بنا وتصرف

تنصف أي خدم وعلم العبد أن الجزع لا يرد المصيبة بل هو مرض يزيدها وأنه يسر عدوه ويسيء محبه ، وان فوات ثوابها بالجزع أعظم منها ومنه بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده واسترجاعه .

وفي البخارى عن أبي هريرة مرفوعا « يقول الله تعالى مالعبدي المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» وفي الترمذى وقال غريب عن جابر مرفوعا « يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء»

وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا« مايصيب المسلم من وصب ولا نصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى ، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله من خطاياه» وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أى الناس أشد بلاء ؛ قال « الانبياء ثم الصالحون ، ثم الامثل فالامثل من

الناس ، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه ، وإن كان في دينه رقة خفف عنه ، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الارض وليس عليه خطيئة ـ وعن أبي هريرة ـ بالمؤمن أو المؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة » صححهما الترمذى وروى الثاني مالك واحمد . ورويا أيضا والبخارى عن أبي هريرة مرفوعا « من أراد الله به خيرا يصيب منه »

وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « عجبا لامر المؤمن ان أمره كله له خير ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر كان خيرا له، وليس ذلك لاحد الا للمؤمن » رواه مسلم ولاحمد عن أنس مرفوعا «عجبت للمؤمن، ان الله تبارك وتعالى لم يقض له قضاء الا كان خيرا له» وعن أبي سعيد مرفوعا «أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون، ان كان أحدهم ليفرح بالبلاء ، كما يفرح أحدكم بالرخاء » مختصر من ابن ماجه. وعن شداد مرفوعا «يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمنا فحمدني على ما ابتليته فانه يقوم من مضجعه كيوم ولدته أمه من الخطايا » رواه احمد

وعن محمد بن اسحاق عن رجل من أهل الشام يقال له منظور عن عمه عامر مرفوعا « ان المؤمن اذا أصابه سقم ثم أعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل ، وان المنافق اذا مرض ثم أعفي كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه » رواه أبو داود . ولمسلم من حديث عائشة « مامن مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا

«رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة » وما كفى ان فات حتى عصى بذلك لانه أسخط ربه ، وفوات لذة عاقبة الصبر واحتسابه أعظم مما أصيب به لو بقي وعلم ان في الله خلفا ودركا فرجا الخلف منه

وقد روى الشافعي أن النبي ﷺ لما توفي سمعوا قائلا يقول «ان في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل ما فات ، فبالله فثقوا ، واياه فارجوا ، فان المصاب ، من حرم الثواب ، وعلم العبد أن حظه من المصيبة ما يحدثه من خير وشر ، وعن محمود بن لبيد مرفوعا «ان الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط» اسناده جيد وهو إسناد حديث « إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا» ولذلك اسناد آخر . قال البخاري وغيره في محمود له صحبة ، وقال أبو حاتم وغيره لا صحبة له ، رواه الترمذي واحمد وزاد «ومن جزع فله الجزع» وعن أنس مرفوعا «ان أعظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » وعنه أيضا « اذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا ، واذا أراد بعبده الشر أمسك عنه حتى يوافى ربه يوم القيامة » رواهما الترمذي ، وقال حسن غريب ، وروى ابن ماجه الاول وروى احمد الثاني من حديث عبدالله بن مغفل ـ وعلم ان آخر أمره الصبر وهو غير مثاب ، وفي الصحيحين من حديث أنس «انما الصبر عند الصدمة الاولى » وقال الاشعث بن قيس انك ان صبرت إيمانا واحتسابا والا سلوت سلو البهائم ، ـ وعلم أن الذي ابتلاه أحكم الحاكمين

وأرحم الراحمين ليمتحن صبره ويسمع تضرعه ، ويخوفه قال الله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) وقال تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون)

قال الشيخ محمد بن عبدالقادر (١) يابني المصيبة ماجاءت لتهلك ، وانما جاءت لتمتحن صبرك وايمانك ، يابني القدر سبع ، والسبع لا يأكل الميتة فالمصيبة كير العبد، فاما ان تخرج ذهبا أو خبثا كما قيل

سبكناه ونحسبه لجينا فأبدى الكير عن خبث الحديد

اللجين الفضة جاء مصغرا مثل الثريا وكميت — وعلم انه لولا المصائب لبطر العبد وبغى وطغى فيحميه بها من ذلك ويطهره مما فيه ، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه، كما قيل

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

واعلم ان مرارة الدنيا حلاوة الآخرة والعكس بالعكس، ولهذا قال عليه السلام «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وقال «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» ومعلوم أن العاقل من احتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد ، وذل ساعة لعز الابد ، هذا من لطف الله به حتى نظر في العواقب والغايات، والناس إلا من عصم الله آثروا العاجل لمشاهدته وضعف الايمان — وعلم انه يحب ربه وان المحب يوافق المحبوب وانه ان اسخطه فهو كاذب في محبته ولهذا كان عمران بن حصين رضي الله عنه يقول في مرضه احبه الي احبه اليه،

(١) في النسخة المصرية قال الشيخ عبدالقادر الخ وهو اذا اطلق يراد به الجيلاني

وكذا ابو العالية وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ان الله اذا قضى قضاء أحب أن يرضى به - وعلم أن مراتب الكمال منوطة بالصبر والعكس بالعكس وأقل الاحوال أن لا يتهم ربه في قضائه له كما روى أحمد: حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح انه سمع جنادة بن ابي أمية يقول سمعت عبادة بن الصامت يقول إن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يانبي الله أي العمل أفضل؟ قال «الايمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيله» قال أريد أهون من ذلك يارسول الله، قال «السماحة والصبر» قال أريد أهون من من ذلك يارسول الله، قال «لا تتهم الله في شيء قضى لك» ابن لهيعة فيه كلام مشهور، وعن محمد بن خالد السلمي عن ابيه عن جده مرفوعا «إن العبد اذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها ابتلاه الله تعالى في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل» رواه أحمد وأبو داود، وعن شيخ من بني مرة عن بلال بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى مرفوعا «لا يصيب المؤمن نكبة فما فوقها أو دونها الا بذنب ومايعفو الله عنه اكثر» رواه الترمذي وقال غريب

فاذا علم العبد هذه الأمور ونظر فيها وتأملها صبر واحتسب وحصل له من خير الدنيا والآخرة مالا يعلمه الا الله سبحانه (١) والناس في هذا متفاوتون

---

(١) هذا جواب : فاذا علم العبد - في ص ١٩٥ واعاد جملة الشرط لطول الفصل، وهو طول قلما يفعله غير ابن مفلح رحمه الله

كثيره من الامور وسيأتي آخر فصول التداوي (فصل في داء العشق) له مناسبة وتعلق بهذا والله أعلم وليس بجيد ما أنشده محمد بن داود الظاهري لنفسه

يقولون لي في الصبر روح وراحة ولا عهد لي بالصبر مذ خالق الحب
ولا شك أن الصبر كالصبر طعمه وأن سبيل الصبر ممتنع صعب

وقد قال أبو الفرج بن الجوزي في كتابه السر المصون اعلم أن من طلب أفعاله من حيث العقل المجرد فلم يجد يعترض، وهذه حالة قد شملت خلقا كثيرا من العلماء والجهال أولهم ابليس فانه نظر بمجرد عقله فقال كيف يفضل الطين على جوهر النار؟ وفي ضمن اعتراضه أن حكمتك قاصرة وان رأيي اجود، فلو لقيت انا إبليس كنت أقول له حدثني عن فهمك هذا الذي رفعت به امر النار على الطين أهو وهبه لك أم حصل لك من غير موهبته فانه سيقول وهب لي، فاقول افيه لك كمال الفهم الذي لا تدركه حكمته فترى انت الصواب ويرى هو الخطأ؟ وتبع ابليس في تغفيله واعتراضه خلق كثير مثل ابن الراوندي والمعرى ومن قوله

اذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنونا وترزق احمقا
فلا ذنب يارب السماء على امرىء رأى منك مالا يشتهي فتزندقا

وكان أبو علي بن مقلة يقول

أيارب تخلق اقمار ليل واغصان بان وكثبان رمل
وتبدع في كل طرف بسحر وفي كل قد (١) وسبق بشكل

(١) في النسخة المصرية قدر سبق

وتنهى عبادك ان يعشقوا ايا حاكم العدل ذا حكم عدل

وكان أبو طالب المكي يقول ليس على المخلوق اضر من الخالق قال ابن الجوزي دخلت على صدقة بن الحسين الحداد وكان فقيها غير انه كان كثير الاعتراض وكان عليه جرب فقال هذا ينبغي أن يكون على جمل لا علي ، وكان يتفقده بعض الاكابر بمأكول فيقول بعث لي هذا على الكبر وقت لا أقدر آكله. وكان رجل يصحبني قد قارب ثمانين سنة كثير الصلاة والصوم فمرض واشتد به المرض فقال لي ان كان يريد ان اموت فيميتني ، فاما هذا التعذيب فماله معنى. والله لو اعطاني الفردوس كان مكفورا. ورأيت آخر يتزيا بالعلم اذا ضاق عليه رزقه يقول ايش هذا التدبير. وعلى هذا كثير من العوام اذا ضاقت ارزاقهم اعترضوا ، وربما قالوا اما تريد نصلي. واذا رأوا رجلا صالحا يؤذى قالوا ما يستحق ، قدحا في القدر ، وكان قد جرى في زماننا تسلط من الظلمة فقال بعض من يتزيا بالدين هذا حكم بارد. وما فهم ذاك الاحمق ان الله يملي للظالم. وفي الحمقى من يقول اي فائدة في خلق الحيات والعقارب ؟ وما علم ان ذلك انموذج لعقوبة المخالف . وبلغني عن بعض من يتزيا بالعلم انه قال : اشتهيت أن يجعلني وزيرا فأدبر . وهذا أمر قد شاع فلهذا مددت النفس فيه .

واعلم أن المعترض قد ارتفع أن يكون شريكا وعلا على الخالق بالتحكم عليه ، وهؤلاء كلهم كفرة لانهم رأوا حكمة الخالق قاصرة. وإذا كان توقف القلب عن الرضا بحكم الرسول ﷺ يخرج عن الايمان

قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فكيف يصح الايمان مع الاعتراض على الله تعالى؟

وكان في زمن ابن عقيل رجل رأى بهيمة على غاية من السقم فقال : وارحمتي لك، واقلة حيلتي في اقامة التأويل لمعذبك . فقال له ابن عقيل : ان لم تقدر على حمل هذا الامر لاجل رقتك الحيوانية، ومناسبتك الجنسية ، فعندك عقل تعرف به تحكم الصانع وحكمته توجب عليك التأويل، فان لم تجد استطرحت لفاطر العقل ، حيث خانك العقل عن معرفة الحكمة في ذلك . واعلم أن رضا العقل بأفعال الخالق سبحانه وتعالى أوفى العبادات وأشدها وأصعبها . ثم ذكر كلام ابن عقيل وفيه : وقد نبهنا على العجز عن ملاحظة العواقب فقال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) ففي عقولنا قوة التسليم وليس فيها قدرة الاعتراض عليه . وقد يدعو الانسان فلا يجاب فيندم ، وهو يدعى الى الطاعة فيتوقف . فالعجب من عبيد يقتضون الموالي اقتضاء الغريم ولا يقتضون أنفسهم بحقوق الموالي

قال ابن الجوزي : ومن تأمل دقائق حكمته ومحاسن صفاته أخرجه حبه الى الهيمان فيه ، فان المعاني المستحسنة تحب أكثر من الصور ، ولهذا نحب أبابكر وعمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم لمعانيهم لا لصورهم ، فكيف لا تقع المحبة المختصة بالكمال المنزه عن نقص ؟ فوا أسفا للغافلين عنه ،

وواحسرتا للجاهلين به . وقال ابن الجوزي قبل ذلك : من نظر الى أفعاله بمجرد العقل أنكر ، فأما من علم انه مالك وحكيم وان حكمته قد تخفى سلم لما لم يعلم علته بأفعاله مسلما الى حكمته

وقد قال بعض الحكماء من لم يحترز بعقله من عقله هلك بعقله . وهذا كلام في غاية الحسن فانا اذا قلنا العقل هو حكيم قال لاشك في ذلك لاني قد رأيت عجائب أفعاله المحكمة فعلمت انه حكيم ، فاذا رأيت ما يصدر ماظاهره ينافي الحكمة نسبت العجز الي ولولم يكن في ذلك الا أن المراد تسليم العقول لما ينافيها وذلك عبادة العقول . قال وصار هذا كما خفي عن موسى حكمة فعل الخضر ، وقد يخفى على العامي حكمة ما يفعله الملك ، فقد قال المتنبي

* يدق عن الافكار ما أنت فاعل *

وقال ابن عقيل في الفنون : الواحد من العوام اذا رأى مراكب مقلدة بالذهب والفضة ، ودورا مشيدة مملوءة بالخدم والزينة ، قال انظر الى ما أعطاهم مع سوء أفعالهم ولا يزال يلعنهم ويذم معطيهم ويسقف حتى يقول فلان يصلي الجماعات والجمع ، ولا يذوق قطرة خمر ، ولا يؤذي الذر ، ولا يأخذ ماليس له ، ويؤدي الزكاة اذا كان له مال ، ويحج ويجاهد ، ولا ينال خلة بقلة ويظهر الاعجاب كأنه ينطق عن مخايله انه لو كانت الشرائع حقاً لكان الامر بخلاف مانرى ، وكان الصالح غنيا والفاسق فقيرا . ماذاك الا لانه لحظ ان الله أعطى هذا أموال الايتام والوقوف ، بأن يأكل الربا وبفاسد العقود وهذا

افتئات وتجوز وسخط في غير موضعه. فان لله كتابا قد ملأه بالنهي وحرمان أخذ المال الحرام وأكله بغير حق . فلو كان منصفا لقال له تدبر هذا كتاب الله مملوء بالنهي والوعيد فصار الفريقان ملعونين هذا بكفره وهذا بارتكاب النهي . ومن الفساد في هذا الاعتقاد انه لا يبقى في العقل ثقة الى دلالة قامت على شريعة أو حكم . فان ينبوع الثقة ومصدرها انما هو من قبيل انه سبحانه لا يؤيد غير الصادق ولا يلبس الحق بالباطل . فاذا لم تستقر هذه القاعدة فلا ثقة . وقال أيضا : اذا تأمل المتدين أفعال الخلق في مقابلة انعام الحق استكثر لهم شم الهواء ، واستقل لهم من الله سبحانه أكثر البلاء ، اذا رأى هذه الدار المزخرفة بانواع الزخاريف ، المعدة لجميع التصاريف واصطباغا وأشربة وأدوية ، وأقواتا وإداما وفاكهة ، الى غير ذلك من العقاقير ، ثم ارخاء السحاب بالغيوث في زمن الحاجات ثم تطييب الامزجة واحياء النبات ، وخلق هذه الابنية على أحسن اتقان ، وتسخير الرياح والنسيم المعد للانفاس ، الى غير ذلك من النعم ، ثم نعمة العقل والذهن ثم سائر الآيات الدالة على الصانع ، ثم انزال الكتب التي تحث على الطاعات وتردع عن المخالفة ، ثم اللطف بالمكلف ، وإباحة الشرك مع الاكراه ، وأمر بالجمعة فضايقوه في ساعة السعي بنفس ما نهى عنه من البيع في أنواع العبادات ، وعظموا كل ما هونه وارتكبوا كل ما هونه حتى استخفوا بحرمة كتابه فأنا استقل لهم كل محنة .

وقال أيضا لا تتم الرجلة في العبد حتى يكون في مقام

اختلال احواله ، واشباط اخلاطه وأفراحه ،وتسلط أعدائه ، ثابتا بثبوت المتلقي والمتوقي،فيتلقى النعم بالشكر لا بالبطر ، متماسكا عن تحرك لرعن،وعند المصائب مستسلما ناظراً الى المبتلي بعين الكمال،وعنداشتطاط الغضب متلقيا بالحلم ، وعندالشهوات مستحضراً للوعدوالوعيد، فسبحان من كمن جواهر الرجال في هذه الاجساد ، ثم أظهرها بابتلائه ليعطى عليها جزيل ثوابه،ويجعلها حجة على بقية عباده،

وقال:زنوا أنفسكم : من المبادي ماء وطين ، وفي الثواني ماء مهين ، وفي الوسط عبيد محاويج ،لو حبس عنكم نسيم الهواء لاصبحتم جيفا ،ولو مكنت منكم البقوق فضلاعن السباع لاكلتكم ، كونوا متعرفين لاعارفين.

وقال : لنا عندك ذخائر وودائع (١) بالله لاتضعها في الترّهات ، ودموع ودماء ونفوس ، بالله لاتجري الدموع إلا على مافات ويفوت ، ولا ترق الدماء ، إلا في مكافحة الاعداء ، واعلاء كلمتنا ، وانفاس من نفائس الذخائر ، فبحقنا لاتتنفس الصعداء إلا في الشوق الينا ، والتأسف علينا ، كم نخلع عليك خلعة نفيسة تبذلها في الاقذار ، وتخلقها في خدمة الاغيار، اشتغلت بالصور ، شغل الاطفال باللعب ، فاتتك أوقات لاتتلافى — الى أن قال — فإن كسرنا عليك لعبة مثل أن نسلبك ولدا منحناه ، أخذت تضيم الدموع وتخرق الجيوب ، وا أسفا على أوقات فاتت ، أما رأيت المتداركين هذا يقول هلكت واهلكت ، وهذا يقول زنيت

(١) أي يقول الله لعبده ، بلسان الحال المستنبط من شرعه ، وآياته في خلقه

فطهرني ، زاهدا في مصاحبة نفس خائنة فيما عاهدت ، وصاحب الشرع يقيم لها التأويل ويقول « لعلك قبلت » وذاك مصر على التشفي من النفس المخالفة للحق ، أتراه سلط هذه البلاوي الا ليظهر هذه الجواهر في الصبر عليه والغيرة ؟ ترى لو دام الخليل والذبيح في كتم العزم ، كان وجد لأحد قدم ـ الى أن قال ـ فصار الولد كالشاة المعدة للذبح ، أخجل والله هذا الجوهر الذي أظهره الامتحان ملائكة الرحمن (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح) أين التسبيح ، من عزم الذابح وبذل الذبيح ؟ لقد تركت هذه المكارم رءوس الكل منكسة خجلا ببخلهم شاة من أربعين ، ونصف دينار من عشرين . وتعجب من قول الدبوسي الحنفي ان الدنيا دار جزاء لحق الآدمي فأما لحقه فيتأخر الى الآخرة وان هذا خلاف العقل والشرع انتهى كلامه .

قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وقال تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وقيل لابي سليمان الداراني ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساءهم ؟ قال انهم علموا ان الله انما ابتلاهم بذنوبهم ، وقرأ هذه الآية . ولابن ماجه والترمذي من حديث أنس « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » ولاحمد عن ابن عباس مرفوعا « مامن أحد الا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا » وللترمذي وقال حسن صحيح ، عن ابن عباس (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) قال قال النبي ﷺ

« ان تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما »

فصل

﴿ في عيادة المريض ﴾

تستحب عيادة المريض . قال بعض الاصحاب وتكره وسط النهار، نص عليه . وقال الاثرم قيل لابي عبدالله فلان مريض وكان عند ارتفاع النهار في الصيف ، فقال ليس هذا وقت عيادة . قال القاضي وظاهر هذا كراهية العيادة في ذلك الوقت (١) انتهى كلام الاصحاب . والاولى أن يقال تستحب العيادة بكرة وعشية لما فيه من تكثير صلاة الملائكة . وقال المروذي عدت مع أبي عبد الله مريضا بالليل وكان في شهر رمضان ثم قال لي: في شهر رمضان يعاد بالليل

وروى أبو داود عن سهل بن بكار عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير عن أم العلاء عمة حزام بن حكيم الانصاري قالت عادني رسول الله

---

(١) هذا مبني على جعل كلام الامام رحمه الله تعالى كله فتاوى شرعية حتى في العادات والظاهر ان أوقات العيادة ونحوها من الزيارات المحمودة شرعا لأولي الارحام والاخوان تبنى على العرف فمراعاتها تناط بالعادات ، لا بالنصوص كالعبادات، ولذلك استحسن رحمه الله العيادة في ليالي رمضان لاعتياد الناس السهر فيها ، والظاهر أنه امتنع من العيادة عند ارتفاع النهار في الصيف لاستثقالها في وقت الحر لا لأنها مكروهة شرعا في هذا الوقت . فليتأمل هذا جدا فانه لا يجوز لأحد ان يكثر التكاليف الدينية بغير نص صريح من الشارع وكان ﷺ يكره كثرة السؤال حتى لا تكثر التكاليف على الامة

ﷺ وأنا مريضة وقال « ابشري يا أم العلاء فان مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الحديد » حديث حسن. وأنشد الشافعي رضي الله عنه

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه

فأتى الحبيب يعودني ... فشفيت من نظري اليه

فصل

(في التقاط ما يقع على الارض)

قال الحسن بن عبد الوهاب الوراق رأيت أبي إذا وقعت منه قطعة فأكثر لا يأخذها ولا يأمر احداً أن يأخذها فقلت له يوما: يا أبت الساعة سقطت منك هذه القطعة فلم لا تأخذها؟ فقال رأيتها ولكني لا أعود نفسي أخذ شيء من الارض كان لي أو لغيري . وهذا رأي من عبد الوهاب رحمه الله والأولى أخذ ما لا يجب التقاطه لما فيه من حصول النفع له أو لغيره من غير ضرورة وكذا أخذ ما وقع منه بل ينهى عن تركه لما فيه من إضاعة المال

فصل

﴿ في أدب الصحبة واتقاء أسباب الملل والقطيعة ﴾

قال علي بن المديني قال لي أحمد بن حنبل اني لأحب أن أصحبك الى مكة فما يمنعني من ذلك الا اني أخاف أملك أو تملني ، فلما ودعته قلت يا أبا عبد الله توصيني بشيء ؟ قال نعم ألزم التقوى قلبك ، واجعل الآخرة امامك

وروى الخلال في الادب عن مكحول قال قلت للحسن اني أريد ان اخرج الى مكة فقال فلا تصحب رجلا يكرم عليك فينقطع الذي بينك وبينه. وعن مجاهد قال قلت لصديق لي من قريش تعالى او اضعك الرأي فانظر اين رأيي من رأيك فقال لي دع المودة على حالها قال فغلبني القرشي بعقله. وعن طاوس انه اقام على صاحب له مرض حتى فاته الحج. وقال المروذي سمعت ابا عبد الله يقول قد كنت رافقت يحيى ونحن بالكوفة فمرض قال فتركت سماعي ورجعت معه الي بغداد قال فكان يحيى يشكر لي ذلك.

فصل

(في حسن الخلق)

قال ابن منصور سألت أبا عبدالله عن حسن الخلق؟ قال ان لا تغضب ولا تحتد. قيل له المعاملة بين الناس في الشراء والبيع؟ فلم ير ذلك قال اسحاق بن راهويه هو بسط الوجه وان لا تغضب ونحو ذلك ذكره الخلال. وروى البيهقي في مناقب الامام احمد عن اسحاق بن منصور أنه سأل أحمد بن حنبل عن حسن الخلق فقال هو ان يحتمل من الناس ما يكون اليه. وروى الخلال عن سلام بن ابي مطيع في تفسير حسن الخلق فانشد هذا البيت

تراه إذا ماجئته متهللا كانك معطيه الذى انت سائله

وروي ايضا عن الفضيل انه قال من ساء خلقه ساء دينه، وحسبه مودته وقال مهنا سألت احمد عن رجل ظلمني وتعدى علي ووقع في

شيء عند السلطان اعين عليه عند السلطان ؟ قال لا بل اشفع فيه ان قدرت قات سرقني في المكيال والميزان ادس اليه من يوقفه على السرقة؟ قال ان وقع في شيء فقدرت ان تشفع له فاشفع له انتهى كلامه

وروى غير واحد واسناده ضعيف عن أبي هريرة مرفوعا «انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» وروى ابو حفص العكبري في الادب له باسناده عن عائشة مرفوعا «انكم لن تسعوا الناس باموالكم فليسعهم منكم طلاقة الوجه وحسن البشر» وفي حسن الخلق أحاديث كثيرة ففي الصحيحين أو احدهما عن النبي ﷺ انه قال «إن من خياركم احاسنكم أخلاقا» وفي بعض طرق البخاري «إن خياركم احسنكم اخلاقا» باسقاط «من»(١) وقال أبو داود حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي أبو الجماهر ثنا أبو كعب ايوب بن محمد السعدي حدثني سليمان بن حبيب المحاربي عن أبي امامة قال قال رسول الله ﷺ «انا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وبيت في اعلا الجنة لمن حسن خلقه» ايوب تفرد عنه أبو الجماهر لكنه ثقة وعن سلمة بن وردان عن أنس مرفوعا «من ترك الكذب وهو باطل

(١) (ان من خياركم) في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو، وقال الحافظ ابن حجر في شرح رواية (ان خياركم) من صحيح البخاري: ووقع في الرواية الماضية «ان من خياركم» وهي مرادة هنا اهفقوله الماضية ظاهره انها في البخاري ولكنها ليست في هذا الباب من كتاب الادب ولا أعرفها فيه

بني له في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها ، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها » سلمة ضعيف تندهم، رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه .
وعن ابن مسعود ان رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم أحسنت خلقي فاحسن خلقي » وعن عائشة مرفوعا مثله رواهما أحمد ومسلم(١) وصحح ابن حبان خبر ابن مسعود ورواه البيهقي في كتاب الدعوات وقال فيه كان رسول الله ﷺ اذا نظر الى وجهه في المرآة وذكره . ورواه أبو بكر بن مردويه في كتاب الادعية من حديث أبي هريرة وعائشة وفي آخره « وحرم وجهي على النار » وقال الحسن والقرظي في قوله تعالى (وثيابك فطهر) أي وخلقك فحسن وعن عائشة مرفوعا « الشؤم سوء الخلق » رواه أحمد . والشؤم ضد اليمن يقال تشاءمت بالشيء وتيمنت به ، وعن ابن مسعود مرفوعا « حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس » رواه أحمد والترمذي . وقال البراء رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقا . رواه البخاري وغيره . قال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) قيل دين الاسلام . وقيل أدب القرآن . وقال الماوردي الطبع الكريم فسمي خلقا لانه يصير كالخلقة في صاحبه . فأما ما طبع عليه فيسمى الخيم فيكون الخيم الطبع الغريزي والخلق الطبع المتكلف . انتهى كلامه . قال الجوهري الخلق والخلق السجية ، وفلان يتخلق بغير خلقه

---

(١) ليس في صحيح مسلم قال في فتح الباري: وقد كان النبي ﷺ يقول (اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي) أخرجه أحمد وصححه ابن حبان

أي يتكلفه . قال الشاعر

يا أيتها المتحلي غير شيمته ان التخلق يأتي دونه الخلق

قال والخيم بالكسر السجية والطبيعة لا واحد له من لفظه فدل على الترادف خلاف ما قاله الماوردي . وقال في النهاية الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية . وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة ولهذا تكررت الاحاديث في حسن الخلق وذم سوء الخلق

ولمسلم عن عائشة أنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن. أي كان متمسكا بآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والالطاف . وفي حديث أبي قتادة في قصة نومهم عن صلاة الفجر لما لحقهم وقد عطشوا فقال « لا هلك عليكم » بضم الهاء الهلاك ثم قال « اطلقوا الي غمري » بضم الغين المعجمة وفتح الميم والراء وهو وهو القدح الصغير ، دعا بالميضأة فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضأة تكابوا عليها فقال رسول الله ﷺ « أحسنوا الملأ كلكم سيروى » قال ففعلوا فجعل رسول الله ﷺ

٦ يصب وأسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ فقال لي «اشرب» فقلت لا أشرب حتى تشرب يارسول الله قال «ان ساقي القوم آخرهم شربا»

قال فشربت وشرب رسول الله ﷺ رواه مسلم . الملأ بفتح الميم واللام وآخره همزة منصوب مفعول احسنوا والملأ الخلق والعشرة يقال ما أحسن ملأ فلان أي خلقه وعشرته وما أحسن ملأ بني فلان أي عشرتهم وأخلاقهم . كان يقال من ساء خلقه قل صديقه ، قال محمد بن حازم :

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق

وقال آخر

خالق الناس بخلق حسن لا تكن كلبا على الناس تهر

وقال آخر

وما حسن أن يمدح المرء نفسه ولكن أخلاقا تذم وتمدح

ولأبي داود عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن عائشة مرفوعا « ان الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم » كلهم ثقات والمطلب حسن الحديث وثقه الاكثر ، وقال أبو زرعة أرجو أن يكون سمع من عائشة . وقال أبو حاتم لم يدركها ، وعن أبي الدرداء مرفوعا « ما من شيء في الميزان أثقل من خلق حسن » اسناد جيد رواه أبو داود والترمذي وصححه وللترمذي في رواية باسناد حسن معنى حديث عائشة وقال غريب من هذا الوجه ، وعن أبي هريرة مرفوعا انه سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال « الفم والفرج » رواه جماعة منهم الترمذي وصححه ، وعن أم

سلمة انها قالت يارسول الله المرأة تتزوج الاثنين والثلاثة والاربعة ثم تدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها ؟ قال « انها تخير فتختار أحسنهم خلقا ـ ثم قال ـ ياأم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» في اسناده سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف ، وعن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ وأبي ذر مرفوعا « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » سنده جيد الى ميمون وميمون حسن الحديث وضعفه ابن معين ولم يسمع منهما رواه الترمذي وحسنه ورواه أحمد من حديث ميمون عن معاذ . وفي الصحيحين من حديث عدي بن حاتم « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » ولمسلم من حديث أبي ذر « لاتحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» روي بسكون اللام وكسرها وبزيادة ياء طليق ، ولابن ماجه من حديث ابن عمر : إن رجلا قال يارسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال « أحسنهم خلقا » وعن أسامة بن شريك قال أتيت النبي ﷺ وأصحابه عنده فكأن على رؤسهم الطير الحديث . وفي آخره قالوا ماخير ما أعطي الناس يارسول الله ؟ قال « خلق حسن » حديث صحيح ، رواه أحمد وابن ماجه ، ولابن ماجه باسناد ضعيف من حديث أبي ذر « لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق »

قال الحسن البصري حقيقة حسن الخلق بذل المعروف ، وكف الاذى وطلاقة الوجه ، ورواه الترمذي عن عبد الله بن المبارك وحكى في شرح مسلم

في باب كثرة حيائه ﷺ ان القاضي عياضا قال حكى الطبري خلافا للسلف هل هو غريزة أم مكتسب. وتقدم قول الماوردي فيكون هذا وهذا كما قيل: ان العقل غريزة، ومنه ما يستفاد بالتجارب وغير ذلك وهو متوجه. وعن الزهري عن أبي الدرداء مرفوعا «اذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا، واذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا به، فانه سيصير الى ما جبل عليه» منقطع وهو ثابت الى الزهري رواه أحمد. وروى هذا المعني أبو حفص العكبرى في الأدب له عن عبد الله بن مسعود وقال فانكم لا تستطيعون أن تغيروا خلقه. وروى أبو حفص أيضا عن هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة: ليكن وجهك بسطا وكلمتك طيبة تكن أحب إلى الناس من الذى يعطيهم العطاء.

وذكر ابن عبد البر قول سفيان بن عيينة من حسن خلقه ساء خلق خادمه. وكان بين سعيد بن العاص وقوم من أهل المدينة منازعة فلما ولاه معاوية رضي الله عنه المدينة ترك المنازعة وقال لا أنتصر لنفسي وأنا وال عليهم. قال ابن عقيل في الفنون هذه والله مكارم الاخلاق

وروى الخلال عن سهل بن سعد مرفوعا «ان الله كريم يحب الكريم ومعالي الاخلاق ويكره سفسافها» وروي أيضا عن جابر مرفوعا «ان الله يحب مكارم الاخلاق ويكره سفسافها» السفساف الامر الحقير، والرديء من كل شيء ضد المعالي والمكارم وقد قيل

اذا أنت جازيت المسيء بفعله ففعلك من فعل المسيء قريب

وقيل أيضا

واذا أردت منازل الاشراف فعليك بالاسعاف والانصاف

واذا بغى باغ عليك تخله والدهر فهو له مكاف كاف

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال « مامن ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع مايدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » رواه احمد وابو داود وابن ماجه والترمذي وصححه من رواية عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه ولم يرو عنه غير ابنه عيينة ووثقه ابو زرعة عن أبي بكرة مرفوعا ، ولمسلم وأبي داود وغيرهما عن عياض بن حمار عن النبي ﷺ أنه قال « ان الله تعالى أوحى الي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد » قال الشيخ تقي الدين في اقتضاء الصراط المستقيم جمع النبي ﷺ بين نوعي الاستطالة لان المستطيل ان استطال بحق فهو المفتخر ، وان استطال بغير حق فهو الباغي ، فلا يحل لا هذا ولا هذا ولمسلم من حديث ابي هريرة « ما تواضع أحد لله الا رفعه الله » ويأتي في أحاديث اللباس أواخر الكتاب « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا »

وقال محمد بن علي بن حسين عليهم السلام ياعجبا من المختال الفخور الذى خلق من نطفة ثم يصير جيفة لا يدري بعد ذلك مايفعل به ، وقيل لعيسى عليه السلام طوبى لبطن حملك ، فقال طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يكن

جباراً،وقال مالك بن دينار كيف يتيه من أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة . وقال منصور

تتيه وجسمك من نطفة وأنت وعاء لما تعلم

وكان يقول لولا ثلاث سلم الناس، شح مطاع، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه . وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما علم الله أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك لما ابتلي مؤمن بذنب . وقال الشاعر

ومن أمن الآفات عجبا برأيه أحاطت به الآفات من حيث يجهل

وذكر ابن عبدالبر الخبر عن رسول الله ﷺ « لا حسب الا في التواضع ، ولا نسب إلا بالتقوى ، ولا عمل إلا بالنية ، ولا عبادة إلا باليقين » وعن رسول الله ﷺ قال « من عظمت نعمة الله عليه فليطلب بالتواضع شكرها » وإنه لا يكون شكوراً حتى يكون متواضعا»

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ان من التواضع الرضا بالدون من شرف المجالس ، وأن تسلم على من لقيت ، وقال عبدالله بن المبارك التعزز على الاغنياء تواضع . كان يقال الغنى في النفس، والكرم في التقوى، والشرف في التواضع، وكان سليمان بن داود عليهما السلام يجيء الى أوضع مجالس بني إسرائيل ويقول: مسكين بين ظهراني مساكين، وكان يقال ثمرة القناعة الراحة ، وثمرة التواضع المحبة ، وقال لقمان لابنه يابني تواضع للحق تكن اعقل الناس ، وقال أبو الدرداء ليس الذي يقول الحق ويفعله بافضل من الذي يسمعه فيقبله ،

وقال بعض الفلاسفة إذا نسك الشريف تواضع ، واذا نسك الوضيع تكبر ، وقال بعض الفلاسفة أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب فيمن يبعده ، وقال بزرجمهر وجدنا التواضع مع الجهل والبخل ، أحمد من الكبر مع الادب والسخاء ، وقال ابن السماك للرشيد تواضعك في شرفك أشرف من شرفك ،

قال ابن عبد البر: روي من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ « لا يعجبنكم اسلام الرجل حتى تعلموا ما عقدة عقله » وهذا الخبر من رواية اسحاق بن أبي فروة مذكور في ترجمته وهو متروك قال ابن عبد البر وقد روي عن النبي ﷺ قال « في صحف موسى وحكمة داود عليهما السلام: حق على العاقل أن يكون له أربع ساعات، ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يناجي فيها ربه، وساعة يفضي فيها إلى اخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه ولذاتها فيما يحل ويجمل، فان هذه الساعة عون له . قال وعلى العاقل أن يكون عارفا بزمانه، مالكا للسانه ، مقبلا على شانه ،

وقال بعضهم أوحى الله الى موسى عليه السلام أتدري لم رزقت الاحمق ؟ قال لا ، قال ليعلم العاقل أن الرزق ليس باحتيال، وقال ﷺ « ثلاث من حرمهن فقد حرم خير الدنيا والآخرة ، عقل يداري به الناس، وحلم يداري به السفيه، وورع يحجزه عن المحارم » افتخر رجلان عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أتفتخران بأجساد بالية، وأرواح في النار ؟ ان يكن لكما عمل فلكما أصل، وان يكن لكما خلق فلكما شرف، وان يكن لكما تقوى فلكما كرم. وإلا فالحمار

خير منكما ولستما خيرا من أحد ، وقال أيضا رضي الله عنه : العاقل الذي لم يحرمه نصيبه من الدنيا حظه من الآخرة ، وقال أيضا في وصيته لابنه لامال أعود من العقل ، ولا فقر أشد من الجهل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا مظاهرة كالمشاورة ، ولا حسب كحسن الخلق ، وكان يقال إذا كان علم الرجل أكثر من عقله كان قمنا ان يضره علمه . قال الشاعر

ولا خير في حسن الجسوم وطولها اذا لم يزن حسن الجسوم عقول

وقال مطرف بن الشخير عقول كل قوم على قدر زمانهم ، كان يقال خصال ست تعرف في الجاهل : الغضب في غير شيء ، والكلام في غير نفع ، والعطية في غير موضعها ، وإفشاء السر ، والثقة بكل أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه ، وقال يحيى بن خالد ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب على مقدار عقل كاتبه ، والرسول على مقدار عقل مرسله ، والهدية على مقدار عقل مهديها ،

وقيل لابن هبيرة ما حد الحمق ؟ قال لا حد له ، وقال بعضهم الحمق الكساد ، يقال انحمقت السوق إذا كسدت ، ومنه الرجل الاحمق لانه كاسد العقل لا ينتفع برأيه ولا بعقله ، والحمق ايضا الغرور ، يقال سرنا في ليال محمقات : إذا كان القمر فيهن يسير بغيم أبيض دقيق فيغتر الناس بذلك يظنون أن قد أصبحوا فيسيرون حتى يملوا ، قال ومنه أخذ الاسم «الاحمق» لانه يغرك في اول مجلسه بتعاقله فاذا انتهى الى آخر كلامه تبين حمقه

وقال الجوهري في الصحاح الحمق والحمق قلة العقل ، وقد حمق الرجل

حماقة بالضم فهو أحمق وحمق أيضا بالكسر يحمق حمقا مثل غنم غنما فهو حمق، وامرأة حمقاء وقوم ونسوة حمق وحمقى وحماقى، وحمقت السوق بالضم أي كسدت، وأحمقت المرأة أي جاءت بولد أحمق فهي محمق ومحمقة، فان كان من عادتها ان تلد الحمقى فهي محماق، ويقال أحمقت الرجل اذا وجدته أحمق، وحمقته تحميقا نسبته الى الحمق، وحامقته إذا ساعدته على حمقه، واستحمقته أي عددته أحمق، وتحامق فلان اذا تكلف الحماقة، ويقال حمقت السوق بالكسر وانحمقت أي كسدت، وانحمق الثوب أي اخلق.

ذكر المغيرة ابن شعبة يوما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان والله أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع. وقال الحجاج يوما: العاقل من يعرف عيب نفسه، فقال له عبد الملك فما عيبك؟ قال أنا حسود حقود، فقال عبد الملك ما في ابليس شر من هاتين. وقال الحسن البصري صلة العاقل اقامة دين الله، وهجران الاحمق قربة الى الله، واكرام المؤمن خدمة لله وتواضع له، كان يقال اذا تم العقل نقص الكلام قال الشاعر

ألا انما الانسان غمد لعقله ولا خير في غمد اذا لم يكن نصل
فان كان للانسان عقل فانه هو النصل والانسان من بعده فضل

وقال آخر

وليس عتاب المرء للمرء نافعا إذا لم يكن للمرء عقل يعاتبه

وقال آخر

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل إذا كنت ذا عقل

فاني رأيت المرء يشقى بعقله كما كان دون اليوم يسعد بالعقل

وكان الحسن البصري اذا أخبر عن أحد بصلاح قال كيف عقله؟ ما يتم دين امرىء حتى يتم عقله ، وقال الازاعي قيل لعيسى عليه السلام يا روح الله أنت تبرىء الاكمه والابرص وتحيي الموتى باذن الله فما دواء الاحمق ؟ قال ذلك أعياني ، وقال زيد بن أسلم : قال لقمان لابنه يابني لأن يضربك الحليم خير من أن يدهنك الاحمق . وقال عمر بن عبد العزيز خصلتان لاتعدمك من الاحمق أو قال من الجاهل : كثرة الالتفات وسرعة الجواب . وقال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء ، الغضبان والعريان والسكران . سمع الاحنف رجلا يقول ما أبالي أمدحت أم هجيت ، فقال استرحت من حيث تعب الكرام . وقالت العرب : استراح من لاعقل له ، وقالت الفرس : مات من لاعقل له . قال الشاعر

كم كافر بالله أمواله تزداد أضعافا على كفره
ومؤمن ليس له درهم يزداد ايمانا على فقره
لا خير فيمن لم يكن عاقلا يمد رجليه على قدره

وروى الحاكم في تاريخه عن ابن المبارك وقيل له ماخير ما أعطي الانسان ؟ قال غريزة عقل . قلت فان لم يكن ؟ قال حسن أدب . قلت فان لم يكن ؟ قال أخ شفيق يستشيره فيشير عليه . قلت فان لم يكن ؟ قال صمت طويل . قلت فان لم يكن ؟ قال موت عاجل .

ومن كلام الحمقى : استعمل معاوية رجلا من كلب فذكر المجوس يوما فقال

لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم مانكحت أمي ، فبلغ ذلك معاوية قال قبحه الله أترونه لو زيد فعل ؟ قيل لبردعة الموسوس أيما أفضل غيلان أم معلى ؟ قال معلى. قال ومن أين ؟ قال لانه لما مات غيلان ذهب معلى الى جنازته ، فلما مات معلى لم يذهب غيلان الى جنازته.

رفع رجل من العامة ببغداد الى بعض ولاتها على جار له انه يتزندق ، فسأله الوالي عن قوله الذي نسبه به الى الزندقة؟ فقال هو مرجيء ناصبي رافضي من الخوارج يبغض معاوية بن الخطاب الذي قتل علي بن العاص . فقال له ذلك الوالي ماأدري على أي شيء أحسدك ؟ أعلى علمك بالمقالات أم على بصرك بالانساب ؟

دخل رجل من العامة الجهلة الحمقى على شيخ من شيوخ أهل العلم فقال له أصلح الله الشيخ قد سمعت في السوق الساعة شيئا منكراً ولا ينكره أحد ؟ قال وما سمعت ؟ قال سمعتهم يسبون الانبياء . قال الشيخ ومن المشتوم من الانبياء ؟ قال سمعتهم يشتمون معاوية . قال ياأخي ليس معاوية بنبي . قال فهبه نصف نبي لم يشتم ؟

وقال عمرو بن بحر ذكر لي بعض الاباضية انه جرى عنده ذكر الشيعة يوما فغضب وشتمهم وذكر ذلك كالمنكر عليهم فحاتهم إنكاراً شديداً ، قال فسألته يوما عن سبب انكاره على الشيعة ولعنه لهم ؟ فقال لمكان الشين في أول كلمة لاني لم أجد ذلك قط إلا في مسخوطة مثل شؤم وشر وشيطان وشيخ وشعث وشعب وشرك وشتم وشقاق وشطرنج وشين وشن

وشانىء وشوصة وشوك وشكوى وشنان ، فقلت له ان هذا كثير ما أظن ان هذا القوم يقيم الله لهم علما مع هذا أبدا .

سلم فزارة ـ صاحب المظالم بالبصرة ـ على يساره في الصلاة فقيل له في ذلك ، فقال كان على يميني انسان لا أكلمه . قال فزارة يوما في مجلسه لو غسلت يدي مائتي مرة ما تنظفت حتى أغليها مرتين ، وفيه يقول الشاعر :

ومن المظالم أن تكو   ن على المظالم يا فزارة

ولي رجل مغفل قضاء الاهواز فأبطأ عليه رزقه وحضر عيد الاضحى وليس عنده ما يضحي به ولا ما ينفق فشكا ذلك الى زوجته فقالت لا تغتم فان عندي ديكا جليلا قد سمنته فاذا كان عيد الاضحى ذبحناه فلما كان يوم الاضحى وأرادوا الديك للذبح طار على سقوف الجيران فطلبوه وفشى الخبر في الجيران وكانوا مياسير فرقوا للقاضي ورقوا لقلة ذات يده فأهدى اليه كل واحد كبشا فاجتمعت في داره أكبش كثيرة وهو في المصلى لا يعلم ، فلما صار الى منزله ورأى ما فيه من الاضاحي قال لامرأته من أين هذا ؟ فقالت أهدى الينا فلان وفلان حتى سمت جماعتهم ما ترى ؟ قال ويحك احتفظي بديكنا هذا فما فدي إسحاق بن ابراهيم(١) إلا بكبش

(١) كان هذا القاضي من المقلدين لمن قال ان الذبيح اسحق وشبهته بعض الروايات الاسرائلية والحق انه اسماعيل (ع م) بدليل قوله تعالى بعد القصة من سورة الصافات « وبشرناه باسحق » الآية وبدليل ما تواتر عند العرب وأقره الاسلام من أن القصة وقعت بمنى وكانت سبب مشروعية التضحية المعبر عنها بسنة ابراهيم (ص) واسحق لم ينقل انه جاء الحجاز وان اسماعيل هو الذي نشأ هنا لك

واحد ، وقد فدي ديكنا بهذا العدد .

قال الحسن رحمه الله تعالى الاخلاق للؤمن قوة في لين، وحزم في دين، وإيمان في يقين، وحرص على العلم، واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة، وقناعة في الفاقة، ورحمة للجمهور، واعطاء في كرم، وبر في استقامة . وقال الاشعث بن قيس يوما لقومه إنما أنا رجل منكم ليس في فضل عليكم ، ولكني أبسط لكم وجهي ، وأبذل لكم مالي ، وأقضي حقوقكم ، وأحوط حريمكم فمن فعل مثل فعلي فهو خير مني ، ومن زدت عليه فأنا خير منه . قيل له يا أبا محمد ما يدعوك الى هذا الكلام ؟ قال أحضهم على مكارم الاخلاق .

وسئل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن السؤدد فقال الحلم السؤدد . وقال أيضا نحن معشر قريش نعد الحلم والجود السؤدد ، ونعد العفاف واصلاح المال المروءة . وقال أبو عمرو بن العلاء كان أهل الجاهلية لا يسوّدون إلا من كانت فيه ست خصال وتمامها في الاسلام سابعة: السخاء والنجدة والصبر والحلم والبيان والحسب، وفي الاسلام زيادة العفاف. ذكر لعبدالله بن عمر أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية رضى الله عنهم فقال كان معاوية أسود منهم وكانوا اخيراً منه

وذكر ابن عبدالبر عن النبي ﷺ قال « من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد » وقال ﷺ يوما للانصار «من سيدكم»؟ قالوا الجد بن قيس على بخل فيه، فقال النبي ﷺ « أي داء أدوأ من البخل ؟ بل سيدكم الجعد الابيض عمرو بن الجموح» فقال شاعرهم في ذلك

وقال رسول الله والحق قوله ... لمن قال منا : من تسمون سيداً ؟
فقالوا له الجد بن قيس على التي ... نبخله فيها وان كان أسودا
فتى ما تخطى خطوة لدنية ... ولا مد في يوم إلى سوأة يداً
فسوّد عمرو بن الجموح بجوده ... وحق لعمرو بالندى أن يسودا

وقال بعضهم السؤدد بالبخت، كم من فقير ساد وليس له بذل بالمال الى غيره كعتبة بن ربيعة وغيره . سب الشعبي رجل فقال له إن كنت كاذبا يغفر الله لك، وان كنت صادقا يغفر الله لي ،وقال خالد بن صفوان شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه فقال له آجرك الله على ماذكرت من خطأ، قال فما حسدت أحداً حسدي عمرو بن عبيد على هاتين الكلمتين ، وقال الاحنف بن قيس ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره باحدى ثلاث خصال ان كان فوقي عرفت له قدره، وان كان دوني كرمت نفسي عنه، وان كان مثلي تفضلت عليه . أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال

سألزم نفسي الصبر عن كل مذنب ... وان كثرت منه علي الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف فضله ... وألزم فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فان قال صنت عن ... اجابته عرضي وان لام لائم
وأما الذي مثلي فان زل أو هفا ... تفضلت ان الفضل بالعز حاكم

وقال عبيد بن الابرص

إذا أنت لم تعمل برأي ولم تطع ... أولي الرأي لم تركن الى أمر مرشد

ولم تجتنب ذم العشيرة كلها وتدفع عنها باللسان وباليد
وتحلم عن جهالها وتحوطها وتقمع عنها نخوة المتهدد
فلست ولو عللت نفسك بالمنى بذي سؤدد باد ولا قرب سؤدد

وقال آخر

اذا هلكت أسد العرين ولم يكن لها خلف في الغيل ساد الثعالب
كذا القمر الساري اذا غاب لم يكن له خلف في الجو الا الكواكب

وقال بعض الحكماء من ابتغى المكارم ، فليجتنب المحارم ، قال رسول الله ﷺ لاشج عبد القيس « فيك خلتان يحبهما الله ورسوله ـ او قال يرضاها الله ورسوله ـ الحلم والاناة » قال يارسول الله أشيء جبلني الله عليه أم شيء اخترعته من نفسي ؟ قال « بل شيء جبلك الله عليه » فقال الحمد لله الذي جبلني على شيء أو على خلق يرضاه الله ورسوله . والحديث صحيح في الصحيحين او في الصحيح(١) قال الشعبي زين العلم حلم أهله ، وقال رجاء ابن أبي سلمة الحلم أرفع من العقل لان الله تعالى تسمى به ، كان الاحنف

(١) هو في كتاب الايمان من صحيح مسلم عن ابن عباس « ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة » وفي رواية له « لخصلتين » ورواه الترمذي عنه بلفظ مسلم وقال الحافظ في شرح البخاري عند الكلام في الخلق : وقد وقع في حديث الاشج العصري عند أحمد والنسائي والبخاري في الادب المفرد وصححه ابن حبان ان النبي ﷺ قال له ـ وذكر الحديث بلفظ مسلم وزاد ـ قال يارسول الله قديما كانا في أو حديثا قال « قديما » قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما اه وهذا يدل على ان هذه الزيادة عما في مسلم والترمذي رواها أحمد والنسائي والبخاري في الادب المفرد لا في الصحيح .

اذا عجبوا من حلمه قال : إني لا أجد ما تجدون ولكني صبور. وقال معاوية
إني لارفع نفسي أن يكون ذنب أرجح من حلمي

وقال عمر بن عبد العزيز ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم ومن عفو إلى قدرة . وقال أبو العتاهية

فيارب هب لي منك حلما فانني أرى الحلم لم يندم عليه حليم
ويارب هب لي منك عزما على التقى أقيم به ما عشت حيث أقيم
ألا أن تقوى الله أكرم نسبة تسامى بها عند الفخار كريم

وقال آخر

أرى الحلم في بعض المواطن ذلة وفي بعضها عزا يسوّد فاعلَه

وقال آخر

وانك تلقى صاحب الجهل نادما عليه ولا يأسى على الحلم صاحبه

كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا سافر سافر معه بسفيه فقيل له في ذلك فقال ان جاءنا سفيه لانا ما ندري ما يقابل به السفهاء

قال عمرو بن ام كلثوم

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

وقال بعضهم

ولربما اعتضد الحليم بجاهل لا خير في اليمنى بغير يسار

ومر قوم بدير راهب وفيهم عالم كبير مشار اليه فأنزلهم الراهب في صومعة ورحب بهم وتلقاهم بالبشر والكرامة فأقاموا عنده كل النهار

الى الليل فقام رجل منهم في حالهم واصلاح شأنهم، فلما أن أراد أن يضيء لهم جاء بالقداح فقدح لهم ، فلما أضاء الضوء التفت الى أحدهم فقال أيكم الشيخ المشار اليه؟ فأشار أحدهم الى الشيخ فتكلم حينئذ الراهب بكلام فصيح ثم قال للشيخ يا سيدى هذه النار التي طلعت واشعلت منها أهي من الصوانة أم من الحراقة أم من الحديدة ؟ فسكت الشيخ فلم يتكلم وكان في جمع الشيخ رجل سفيه فتكلم وأبلغ ، وقال أيها الراهب لقد تهجمت على مقام لم يكن لك ، ألا سألتني عن هذا السؤال؟ فقال لم أعرف أن عندك علما من ذلك ،قال بلى ، فعند ذلك تكلم الراهب فلما فرغ من ذلك قال له السفيه وكانوا في قبة ما هذا الذي على صدرك ؟ فطأطأ الراهب راسه ينظر الى ما أشار اليه السفيه فصفعه السفيه صفعة علا حسها علوا شديدا ثم قال للراهب أهذا الحس من ساحلك أم من يدي أم من القبة؟ قال فافحم الراهب فلم يستطع جوابا.

واعلم ان الحلم بضم الحاء مايراه النائم تقول منه حلم واحتلم وتقول حلمت بكذا وحلمته أيضا ، والحلم بالكسر الاناءة تقول منه حلم الرجل بالضم ، وتحلم تكلف الحلم قال الشاعر

تحلمْ عن الادنين واستبق ودهم ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

وتحالم أي رأى من نفسه ذلك وليس به . وحلمت الرجل تحليما جعلته حليما . والمحلم الذى يأمر بالحلم. والحلم بالتحريك يدان تفسد(١) الاهاب

(١) في الاصل أن تفسدان : ـ وبعده في المصرية الاهاب وفي النجدية الادهان

تقول منه -لم الاديم بالكسر ،

وينبغي لمن استعان بسفيه أن يأخذ على يديه ولا يطلق عنانه ويسلطه فان ذلك في الغالب يكون ضرره أكثر من نفعه لاسيما بالنسبة الى الآخرة وربما انتشر الفساد وعظم وتعب الكبير في استدراكه ، وقد لا يمكنه ذلك فقطع هذا من الابتداء هو الواجب وهذا أمر واضح معلوم لايخفى على عاقل نظر فيه . وقد قال جرير الشاعر المشهور :

ابني حنيفة احكموا سفهاءكم   اني أخاف عليكم أن أغضبا

وسبق مايتعلق بهذا بكراريس في ذكر مناقب الامام أحمد بعد ومايتعلق بطاعة الوالي وغيره وفي الامر بالمعروف في الانكار على السلطان

وذكر ابن عبد البر عن النبي ﷺ قال « حسب المرء دينه وكرمه تقواه مروءته عقله » ويروى نحو هذا عن عمر ، وعن النبي ﷺ انه قال لرجل من ثقيف « ما المروءة ؟ » قال الصلاح في الدين وإصلاح المعيشة وسخاء النفس وصلة الرحم . فقال عليه السلام « هكذا هي عندنا في حكمة آل داود » تذاكروا المروءة عند رسول الله ﷺ فقال اما مروأتنا فان نغفر لمن ظلمنا ونعطي من حرمنا ونصل من قطعنا ، ونعطي من حرمنا » سئل عبدالله بن عمر عن المروءة فقال العفاف واصلاح المال

سأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن المروءة والكرم والنجدة ، فقال أما المروءة فحفظ الرجل نفسه ، واحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعته ، وترك المنازعة ، وافشاء السلام ، وأما الكرم فالتبرع بالمعروف ،

واعطاؤك قبل السؤال، والاطعام في المحل ، وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن ، والاقدام على الكريهة (١) قال طلحة بن عبد الله جلوس الرجل ببابه من المروءة وليس من المروءة حمل الكيس في الكم .

وسئل الاحنف عن المروءة فقال التفقه في الدين وبر الوالدين والصبر على النوائب ، ويروى عن الاحنف قال لا مروءة لكذوب، ولا اخاء لملول، ولا سؤدد لسيء الخلق . سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة فقال اجتناب الريب واصلاح المال والقيام بحوائج الاهل. وقال الزهري أيضا : الفصاحة من المروءة ، وقال ابراهيم النخعي ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق. وقال غيره من كمال المروءة أن تصون عرضك وتكرم اخوانك، وتقيل في منزلك .

وذكرت الفتوة عند سفيان الثوري فقال ليست الفتوة بالفسق ولا الفجور، ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد طعام موضوع، وحجاب مرفوع، ونائل مبذول، وبشر مقبول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف. قال محمد بن داود من كان ظريفا ، فليكن عفيفا (٢) قال منصور الفقيه: فضل التقى أفضل من فضل اللسان والحسب، اذا هما لم يجمعا الى العفاف والادب ، وقال آخر

(١) هذا الاثر عن الحسن (رض) ساقط من النسخة المصرية

(٢) نظم هذا المعنى بعضهم فقال

ليس الظريف بكامل في ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تعفف عن معاصي ربه فهناك يدعى في الانام ظريفا

وليس فتى الفتيان من راح واغتدى لشرب صبوح أو لشرب غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضر عـدو أو لنفع صـديق

وروى الخلال عن أحمـد وجماعة من السلف الممازحة في بعض الاوقات وحديث ابن عمر مرفوعا « انى لاَ أمزح ولا أقول إلا حقا » ولاحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة «اني لا أقول إلا حقا» فقال بعض أصحابه فانك تداعبنا قال «اني لا أقول إلا حقا » هو حديث ابن المبارك عن أسامة بن زيد الليثي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة وأسامة وإن كان من رجال مسلم فقد ضعفه الاكثر . وعن أنس ان رجلا أتى النبي ﷺ فاستحمله فقال «إنا حاملوك على ولد الناقة » فقال يارسول الله ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال « وهل تلد الابل إلا النوق » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال صحيح غريب ، ولابي داود والترمذي عن أنس ان النبي ﷺ قال له « يا ذا الاذنين » يعني يمازحه ، وكان رجل من أهل البادية اسمه زاهر يهدي للنبي ﷺ الهـدية من البادية فيجهزه اذا أراد أن يخرج ، فقال « ان زاهر بادينا ونحن حاضرته » وكان دميما فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل فقال ارسلني من هذا ؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعـل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه وجعل النبي ﷺ يقول « من يشتري العبد » (١) فقال يارسول الله اذاً والله تجدني كاسدا ؟ فقال « لـكن عند الله

(١) في الاصابة «من يشتري مني هذا العبد؟»

لست بكاسد - أو قال - لكن عند الله أنت غال » رواه أحمد من حديث أنس، الدميم بالدال المهملة في الخلق بفتح الخاء القصر والقبح وبالذال المعجمة في الخلق بضمها . وقال محمود بن الربيع اني لأعقل مجة مجها رسول الله ﷺ في وجهي رواه مسلم والبخاري وزاد في وجهي ، قال في شرح مسلم قال العلماء المج طرح الماء من الفم بالتزريق وهذا في ملاطفة الصبيان وتأنيسهم واكرام آبائهم بذلك وجواز المزح .

وروى الترمذي عن زياد ابن أيوب عن عبد الرحمن المحاربي عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا « لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه » عبد الملك هو ابن جريج لم يسمع من عكرمة قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وسبق ما يتعلق بهذا في فصول الكذب

وذكر ابن عبد البر قول ابن عباس: المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح النبي ﷺ فلم يقل إلا حقا . قال غالب القطان أتيت محمد بن سيرين وكان مزاحا فسألته عن هشام بن حسان فقال توفي البارحة أما شعرت؟ (انا لله وانا اليه راجعون) وقال (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) وفي الحديث المأثور أن عيسى عليه السلام كان يبكي ويضحك ، وكان يحيى عليه السلام يبكي ولا يضحك ، فكان خيرهما المسيح. وقال الخليل ابن أحمد الناس في سجن ما لم يتمازحوا. مزح الشعبي يوما فقيل له يا أبا عمرو أتمزح ؟ قال ان لم يكن هذا متنا من الغم ، كان محمد بن سيرين يدعب ويضحك

حتى يسيل لعابه فاذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب اليك من ذلك ،

قال ابن عبد البر وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة، ومن التوصل الى الاعراض واستجلاب الضغائن وافساد الاخاء، كان يقال لكل شيء بدء وبدء العداوة المزاح ، وكان يقال لو كان المزاح فحلا ما ألقح الا الشر ، قال سعيد بن العاص لا تمازح الشريف فيحقد ، ولا الدنيء فيجترىء عليك ، وقال ميمون بن مهران اذا كان المزاح امام الكلام، فآخره الشتم واللطام ، وقال جعفر بن محمد اياكم والمزاح فانه يذهب بماء الوجه ، كان خالد بن صفوان يكره المزاح ويقول يسعط أحدهم أخاه باحر من الخردل ، ويفرغ عليه أشد من غلي المرجل، ويقول مازحته. وقال ابراهيم النخعي لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر. السخف بضم السين رقة العقل، وقد سخف الرجل بالضم سخافة فهو سخيف، وساخفته مثل حامقته . قال أبو هفان

مازح صديقك ما أحب مزاحا   وتوق منه في المزاح مزاحا
فربما مزح الصديق بمزحة   كانت لباب عداوة مفتاحا

وقال آخر

لا تمزحن فاذا مزحت فلا يكن   مزحا تضاف به الى سوء الادب
واحذر ممازحة تعود عداوة   ان المزاح على مقدمة الغضب

وقد روي عن النبي ﷺ « اياكم وكثرة الضحك فانه يميت القلب

ويذهب بنور الوجه » قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كثر ضحكه استخف به وذهب بهاؤه وقال ، بعض الحكماء اياك والمشي في غير أدب ، والضحك من غير سبب ، وقال بعض الشعراء

الكبر ذل والتواضع رفعة — والمزح والضحك الكثير سقوط
والحرص فقر والقناعة عزة — واليأس من صنع الاله قنوط

وقال آخر

فاياك اياك المزاح فانه — يجرّي عليك الطفل والدنس النذلا
ويُذهب ماء الوجه بعد بهائه — ويورثه من بعد عزته ذلا

وقال محمود الوراق

تلقى الفتى يلقى أخاه وخدنه — في لحن منطقه بما لا يغفر
ويقول كنت ممازحا وملاعبا — هيهات نارك في الحشا تتسعر
ألهبتها وطفقت تضحك لاهيا — مما به وفؤاده يتفطر
أوما علمت ومثل جهلك غالب — ان المزاح هو السباب الاكبر

قال الجوهري : المزح الدعابة وقد مزح يمزح والاسم المزاح والمزاحة أيضا ، وأما المزاح بالكسر فهو مصدر مازحه . وهما يتمازحان قال ابن عبدالبر قالوا من أراد أن يدوم له ود أخيه فلا يمازحه ولا يعده موعدا فيخلفه

وسبق الكلام في ضحكه عليه السلام حتى بدت نواجذه في فصول التوبة في ان سيئة التائب هل تبدل حسنة ، وقد ضحك المقداد بحضرة النبي

ﷺ حتى ألقي إلى الارض رواه مسلم من حديث المقداد في قصة طويلة في آداب الاطعمة ، وروى ابن الاخضر فيمن روى عن أحمد باسناده عن أبي مسعود الاصبهاني أحمد بن الفرات قال كنا نتذاكر الابواب فخاضوا في باب فجاءوا فيه بخمسة أحاديث قال فجئتهم بسادس فنخس أبو عبدالله احمد بن حنبل في صدري لاعجابه به ،

وقال أبو الفرج في أوائل صيد الخاطر ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزا ولا شرفا ولا راحة وسلامة أفضل من العزلة فانه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله عز وجل وعند الخلق ، لان الخلق يهون عليهم من يخالطهم ولا يعظم عندهم قول المخالط لهم ، ولهذا عظم عليهم قدر الخلفاء لاحتجابهم ، واذا رأى العوام أحد العلماء مترخصاً في أمر هان عندهم، فالواجب عليه صيانة علمه واقامة قدر العلم عندهم ، فقد قال بعض السلف كنا نمزح ونضحك فاذا صرنا يقتدى بنا فما أراه يسعنا . وقال سفيان تعلموا هذا العلم واكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب ، فمراعاة الناس لا ينبغي أن تنكر فقد قال عليه السلام لعائشة « لولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين » وقال أحمد في الركعتين قبل المغرب رأيت الناس يكرهونها فتركتها فلا نسمع من جاهل يرى مثل هذه الاشياء رياء ، انما هذه صيانة للعلم ، الى أن قال فيصير بمثابة تخليط الطبيب الآمر بالحمية ، فلا ينبغي للعالم أن يتبسط عند العوام حفظا لهم ، ومتى أراد مباحا فليستتر به عنهم . وهذا القدر الذي لاحظه أبو عبيدة حين رأى عمر بن الخطاب

قد قدم الشام راكبا على حمار ورجلاه من جانب فقال يا أمير المؤمنين يلقاك عظماء الناس ، فما أحسن ما لاحظ ، إلا ان عمر رضي الله عنه أراد به تأديب أبي عبيدة بحفظ الاصل فقال ان الله أعزكم بالاسلام فمهما طلبتم العز في غيره أذلكم . والمعنى ينبغي أن يكون طلبكم العز بالدين لا بصور الافعال وان كانت الصور تلاحظ انتهى كلامه ، وقد سبق هذا المعنى بنحو ثلاث كراريس في فصول العلم

فصل

عن عمران مرفوعا « الحياء لا يأتي إلا بخير ، الحياء خير كله » وعن ابن عمر ان النبي ﷺ مر على رجل من الانصار وهو يعظ أخاه في الحياء يقول : حتى انك تستحي كأنه يقول قد أضر بك فقال رسول الله ﷺ « دعه فان الحياء من الايمان » رواهما أحمد والبخاري ومسلم ، وفي الصحيحين ان عمران لما حدث قال له بشير . بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة ـ ابن كعب انه مكتوب في الحكمة ان منه وقاراً ومنه سكينة ، فقال عمران أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن صحيفتك ؟ ولمسلم ان بشيرا قال إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة ان منه سكينة ووقارا لله ومنه ضعف ، بفتح الضاد وضمها . فغضب عمران حتى احمرتا عيناه . وفي بعض النسخ ورواه أبو داود وغيره احمرت وقال ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه ، فأعاد عمران الحديث ، فأعاد بشير فغضب عمران فما زلنا نقول انه منا يا أبا نجيد انه لا بأس به ، وفي الصحيحين

عن أبي سعيد قال كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فاذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه، وعن أنس مرفوعا « ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه » رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب

وعن أبي هريرة مرفوعا « الحياء من الايمان والايمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء من النار » رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح ولابن ماجه من حديث أبي بكرة مثله، وفي الموطأ مرسلا « ان لكل دين خلقا وان خلق الاسلام الحياء » ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس ومن حديث أنس، والحياء ممدود الاستحياء، قال الواحدي: قال أهل اللغة الاستحياء من الحياء، واستحيا الرجل من قوة الحياء فيه لشدة علمه بمواقع العيب، قال غير واحد قد يكون الحياء تخلقا واكتسابا كسائر أعمال البر وقد يكون غريزة، واستعماله على مقتضى الشرع يحتاج الى كسب ونية وعلم وان حمل شيء على ترك الامر والنهي والاخلال بحق فهو عجز ومهانة، وتسميته حياء مجاز، وحقيقة الحياء خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح والله أعلم.

وذكر ابن عبد البر عن سلمان عليه السلام الحياء نظام الايمان فاذا انحل النظام ذهب ما فيه، وفي التفسير (ولباس التقوى) قالوا الحياء وقالوا الوقار من الله فمن رزقه الله الوقار فقد وسمه بسيما الخير وقالوا من تكلم بالحكمة لاحظته العيون بالوقار، وقال الحسن أربع من كن فيه

كان كاملا ، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحي قومه ، دين يرشده ، وعقل يسدده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده ، وفي الصحيحين أو في الصحيح عن عائشة قالت رحم الله نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن ، وان يتفقهن في الدين ، وقالت أيضا رأس مكارم الاخلاق الحياء وفي الصحيحين عن أبي مسعود عن النبي ﷺ قال « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت » وقال حبيب :

إذا لم تخش عاقبة الليالي   ولم تستحي فافعل ما تشاء
فلا والله مافي العيش خير   ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير   ويبقى العود ما بقي اللحاء

وقال أبو دُلف العجلي

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا   ولم ترع مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال صالح بن جناح

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه   ولا خير في وجه اذا قل ماؤه

وقال آخر

اذا رزق الفتى وجها وقاحا   تقلب في الوجوه كما يشاء

وقال آخر كأنه الفرزدق (١)

---

(١) انه هو والبيت من قصيدته المشهورة الغراء التي مدح بها علياً زين العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام حين أخلى له الناس المطاف أمام هشام بن عبد الملك فقال هشام من هذا؟ فقال الفرزدق شاعرهم في جوابه تلك القصيدة التي مطلعها

هذا ابن خير عباد الله كلهم   هذا التقي النقي الطاهر العلم

يغضي حياء ويُغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

قال الاصمعي سمعت أعرابيا يقول: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه

فصل

(في البصيرة والنظر في العواقب)

كان ملوك فارس يعتبرون أحوال الحواشي بإنفاد التحف على أيدي مستحسنات الجوارى ويأمرونهن بالتدريج حتى اذا أطالوا الجلوس فتدب بوادي الشهوة قتلوا أولئك، واذا أرادوا مطالعة عقائد النساك دسوا من يتابعهم على ذم الدولة فاذا أظهروا ما في نفوسهم استأصلوهم، قال ابن عقيل في الفنون: فينبغي الحذر من هذه الاحوال، ومن مخض الرأي كانت زبدته الصواب.

وذكر ابن الجوزي هذا المعنى في غير موضع، وذكر من ذلك حكايات وقال ليحذر الحازم من الاشتراك وقال الرجل: من عمل بالحزم وحذر الجائزات، والابله لذى يعمل على الظواهر ويثق من لم يجرب. وقال أيضا أبو الفرج في كتابه السر المصون (فصل مهم) اعا فضل العقل على الحس بالنظر في العواقب، فان الحس لا يرى الحاضر، والعقل يلاحظ الآخرة ويعمل على ما يتصور ان يقع، فلا ينبغي للعاقل أن يغفل عن تلمح العواقب، فمن ذلك ان التكاسل في طلب العلم وإيثار عاجل الراحة يوجب حسرات دائمة لا تفي لذة البطالة بمعشار تلك الحسرة، ولقد كان يجلس الي اخي وهو

عامي فقير، فأقول في نفسي قد تساوينا في هذه اللحظة فأين تعبي في طلب العلم؟ وأين لذة بطالته؟

ومن ذلك ان الانسان قد يجهل بعض العلم فيستحي من السؤال والطلب لكبر سنه ولئلا يرى بعين الجهل فيلقى من الفضيحة إن سئل عن ذلك اضعاف ما آثر من الحياء.

ومن ذلك الطبع يطالب بالعمل بمقتضى الحالة الحاضرة مثل جواب جاهل وقت الغضب، ثم يقع الندم في ثاني الحال، على ان لذة الحلم أوفى من الانتقام، وربما اثر ذلك الحقد من الجاهل فتمكن فبالغ في الاذى له.

ومن ذلك أن يعادي الناس وما يأمن ان يرتفع المعادى فيؤذيه، وانما ينبغي ان يضمر عداوة العدو

ومن ذلك أن يحب شخصا فيفشي اليه اسراره ثم تقع بينهما عداوة فيظهر ذلك عليه.

ومن ذلك أن يرى المال الكثير فينفق ناسيا ان ذلك يفنى فيقع له في ثاني الحال حوائج فيلقى من الندم اضعاف ما التذ به في النفقة، فينبغي لمن رزق مالا ان يصور السن والعجز عن الكسب، ويمثل ذهاب الجاه في الطلب من الناس، ليحفظ ما معه

ومن ذلك أن ينسبط ذو دولة في دولته فاذا عزل ندم على ما فعل وانما ينبغي أن يصور العزل ويعمل بمقتضاه،

ومن ذلك أن يؤثر لذة مطعم فيشبع فيفوته قيام الليل، أو يؤثر لذة النوم فيفوته التهجد، أو يأكل أو يجامع بشره فيمرض، أو يشتهي جماع

سوداء ويدي انها ربما حملت فجاءت ببنت سوداء ، فكم من حسرة تقع له على مدى الزمان كلما رأي تلك البنت ، وقد كان في زماننا من جامع سوداء (١) فجاءت بولدفافتضح به ، منهم صاحب المخزن ، وقاضي القضاة الدامغاني وكان تاجرا قد ولد له ابن اسود فلما رآه قال لعن الله شهوتي ،

ومن ذلك اشتغال العالم بصورة العلم واعما يراد العمل به والاخلاص في طلبه فيذهب الزمان في حب الصيت وطلب مدح الناس فيقع الخسران اذا حصل ما في الصدور ،

ومن ذلك اقتناع العالم بطرف من العلم ، فاين مزاحمة الكاملين والنظر في عواقب أحوالهم ؟ وقد يؤثر الاسهل كايثار علم الحديث على الفقه ومعاناة الدرج تسهل عند العلو ،

ومن ذلك الاكثار من الجماع ناسيا منبته وأنه يضعف البدن ويؤذي فالطبع يرى اللذة الحاضرة والعقل يتأمل ، وشرح هذا يطول لكن قد نبهت على أصوله ، ولقد جئت يوما من حر شديد فتعجلت راحة البرودة فنزعت ثوبي فاصابني زكام اشرفت منه على الموت ، ولو صبرت ساعة ربحت ما لقيت ، فقس كل لذة عاجلة ودع العقل يتلمح عواقبها والله أعلم ،

وقال أيضا تأملت اللذات فرأيتها بين حسي ومعنوي فاما الحسيات فليست بشيء عند النفوس الشريفة ، انما تراد لغيرها كالنكاح للولد ولزوال الفضول المؤذية ، والطعام للتغذي والتداوي ، والمال للاعداد وللحوائج

(١) يعني من جواريه وكان هذ مما يندر اتيان الكبراء له

والاستغناء عن الخلق، وانما جعلت اللذات في تحصيل هذه الاشياء كالبرطيل حتى يحصلها وان طلب منها شيء انفس الا لتذاذ فان للطبع حظا ، الا أن كل لذة حسية تلازمها آفات لا تكاد تفي باللذة فان النكاح لذة ساعة فيلازمه عاجلا ذهاب القوة وتكلف الغسل ومداراة المرأة والنفقة عليها وعلى الاولاد ، فاللذة خطفت خطف برق وما لازمها صواعق ، وما يلازم المطعم معلوم من الطهارة وغير ذلك، ومعلوم ما يلازم حب المال من معاناة الكسب والخوض في الشبهات وصرف القلب عن الفكر في الآخرة شغلا بالاكتساب، وعلى هذا جميع اللذات الحسية فينبغي أن يتناول منها الضروري فتقع معاناة ضرورية فتحصل قناعة بمقدار الكفاية والعفة عن فضول الشهوات

وانما اللذة الكاملة الامور المعنوية وهي العلم والادراك لحقائق الامور والارتفاع بالكمال على الناقصين، والانتقام من الاعداء ، إلا انه قد تكون لذة العفو أطيب لانها لا تقع إلا في حق ذليل قد قهر، والصبر على نيل كل فضيلة وعن كل رذيلة ، والملاحظة لعواقب الامور، وعلو الهمة فلا تقصر عن بلوغ غاية تراد بها فضيلة ، ومن علم أن الدنيا تزول، وان مراتب الناس في الجنة على قدر أعمالهم في الدنيا ، نافس أولئك قبل أن يصل إلى هناك ليقدم على مفضولين له ، ومن تفكر علم أن كثيرا من أهل الجنة في نقص بالاضافة الى من هو أعلى منهم، غير أنهم لا يعلمون بنقصهم قد رضوا بحالهم وانما اليوم نعلم ذلك ، فالبدار البدار الى تحصيل أفضل الفضائل ، واغتنام الزمن السريع مرة قبل أن تجرع شراب الندم الفظيع مرة ، وقل لنفسك أي شيء

الى فلان وفلان من الموتى فلهم فنافس

اذا أعجبتك خصال امرىء   فكنه تكن مثل ما يعجبك

فليس على الجود والمكرمات   اذا جئتها حاجب يحجبك

وقال أيضا لذات الحس شهوانية وكلها معجون بالكدر، وأما اللذات النفسانية فلا كدر فيها كالارايح الطيبة والصوت الحسن والعلم ، وأعلاه معرفة الخالق سبحانه، فمن غلب عليه شهوات الحس شارك البهائم، ومن غلب عليه شهوات النفس زاحم الملائكة

وقال أيضا: تفكرت يوما فرأيت اننا في دار المعاملة والارباح والفضائل فمثلنا كمثل مزرعة من أحسن بذرها والقيام عليها واتفقت الارض زكية والشرب متوفرا كثر الريع ، ومتى اختل شيء من ذلك أثر يوم الحصاد، فالاعمال في الدنيا منها فرض وقد وقع فيه تفريط كثير من الناس ، ومنها فضيلة واكثر الناس متكاسل عن طلب الفضائل، والناس على ضربين عالم يغلبه هواه فيتوانى عن العمل، وجاهل يظن أنه على الصواب، وهذا الاغلب على الخلق، فالامير يراعي سلطنته ولا يبالي بمخالفة الشرع ، أو يرى بجهله جواز ما يفعله، والفقيه همته ترتيب الاسئلة ليقهر الخصم، والقاص همته تزويق الكلام ليعجب السامعين، والزاهد مقصوده تزيين ظاهره بالخشوع لتقبل يده ويتبرك به ، والتاجر يمضي عمره في جمع المال كيف اتفق ففكره مصروف الى ذلك عن النظر الى صحة العقود ، والمغرى بالشهوات منهمك على تحصيل غرضه تارة بالمطعم وتارة بالوطء وغير ذلك فاذا ذهب

العمر في هذه الاشياء وكان القلب مشغولا بالفكر في تحصيلها، فمتى تفرغ لاخراج زيف القصد من خالصه، ومحاسبة النفس في أفعالها، ودفع الكدر عن باطن السر، وجمع الزاد للرحيل، والبدار الى تحصيل الفضائل والمعالي؟ فالظاهر قدوم الاكثرين على حسرات، اما في التفريط للواجب أو للتأسف على فوات الفضائل، فالله الله يا أهل الفهم اقطعوا القواطع عن المهم قبل أن يقع الاستلاب بغتة على شتات القلب وضياع الامر

فصل

لما صعد أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله من واسط الى بغداد في سنة خمس وتسعين خلع عليه وجلس للناس يوم السبت وأحسن الكلام وكان مما أنشد قول الرضي الموسوي

لا تعطش الروض الذي نبته   بصوب أنعامك قد روّضا
لا تبر عودا أنت رشيته   حاشا لباني المجد أن ينقضا
إن كان لي ذنب تجرمته   فاستأنف العفو وهب ما مضى
قد كنت أرجوك لنيل المنى   فاليوم لا أطلب إلا الرضا

ثم أنشد أيضا

شقينا بالنوى زمنا فلما   تلاقينا كأنا ما شقينا
سخطنا عند ما جنت الليالي   وما زالت بنا حتى رضينا
ومن لم يحي بعد الموت يوما   فانا بعد ما متنا حيينا

فصل

انكار أحمد للتبرك به وتواضعه وثناؤه على معروف الكرخي

روى الخلال في اخلاق احمد عن علي بن عبد الصمد الطيالسي قال مسحت يدي على احمد بن حنبل ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر فغضب غضبا شديدا وجعل ينفض يده ويقول عمن اخذتم هذا؟ وانكره انكارا شديدا . وقال المروذي في كتاب الورع سمعت ابا عبدالله يقول قد قد كان يحيى بن يحيى أوصى لي بجبته فجاءني بها ابنه فقال لي فقلت رجل صالح قد أطاع الله فيها أتبرك بها؟ قال فذهب فجاءني بمنديل ثياب فردتها(١) مع الثياب ، وقال محمد بن الحسن بن هارون رأيت اباعبد الله اذا مشى في طريق يكره أن يتبعه احد ، يعني الامام أحمد ، وقال عبد الكريم بن الهيثم ابو يحيى القطان العاقولي قال أبو بكر الخلال جليل القدر قال واخبرني انه قال كنت مع أحمد فجعلت اتأخر عنه في الصف اجلالا له فوضع يده على يدي فقدمني الي الصف ، وقال أحمد بن داود المصيصي كنا عند أحمد ابن حنبل وهم يذكرون الحديث فذكر محمد بن يحيى النيسابوري حديثا فيه ضعف فقال له أحمد لا تذكر مثل هذا ، فكأن محمد بن يحيى دخله خجلة فقال له أحمد انما قلت هذا إجلالا لك ياأبا عبد الله .

وعن أحمد انه قال كان معروف الكرخي من الابدال مجاب الدعوة ،

---

١) أي رد الجبة مع الثياب التي في المنديل

وذكر في مجلس أحمد فقال بعض من حضر هو قصير العلم فقال له أحمد امسك عافاك الله وهل يراد من العلم الا ماوصل اليه معروف . وقال عبد الله قلت لابي هل كان مع معروف شيء من العلم؟ فقال لي يابني كان معه رأس العلم خشية الله تعالى، وقد أثنى معروف على الامام أحمد ، وقال سمعت منه كلمتين ازعجتاني : من علم انه اذا مات نسي ، فليحسن ولا يسيء

فصل

(في دعاء المظلوم على ظالمه وشيء من مناقب أحمد)

قال هشام بن منصور سمعت أحمد بن حنبل يقول تدري ماقال لي يحيى بن آدم؟ قلت لا، قال يجيئني الرجل ممن ابغضه وأكره مجيئه فاقرأ عليه كل شيء معه حتى استريح منه ، ويجيء الرجل الذي أوده فأرده حتى يرجع الي، وقال يحيى بن نعيم لما خرج أبو عبدالله أحمد بن حنبل الى المعتصم يوم ضرب قال له العون الموكل به ادع على ظالمك ، قال ليس بصابر من دعا على ظالمه ، يعني الامام أحمد أن المظلوم اذا ادعا على من ظلمه فقد انتصر كما رواه الترمذي من رواية ابي حمزة عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة مرفوعا « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » قال الترمذي حديث لا نعرفه إلا من حديث ابي حمزة وهو ميمون الاعور، ضعفوه لاسيما فيما رواه عن ابراهيم النخعي، واذا انتصر فقد استوفى حقه وفاته الدرجة العليا، قال تعالى (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل ـ الى قوله ـ ولمن صبر

وغفر ان ذلك لمن عزم الامور)

وقال ابن الزاغوني : رأيت في المنام كأني أمضي الى قبر الامام أحمد فاذا به جالس على قبره وهو شيخ كبير السن فقال لي يافلان قل انصارنا ومات اصحابنا ، ثم قال لي اذا أردت أن تنصر فاذا دعوت فقل ياعظيم ياعظيم كل عظيم وادع بما شئت تنصر وقال يحيى بن ا كتم ذكرت لاحمد بن حنبل يوما بعض اخواننا وتغيره علينا فانشأ ابو عبدالله يقول

وليس خليلي بالملول ولا الذي اذا غبت عنه باعني بخليل
ولكن خليلي من يدوم وصاله ويحفظ سري عند كل خليل

ونقل غيره عن أحمد أنه كان يقول

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

وقد رأيت هذين البيتين لمسعر بن كدام الامام المشهور قال ابن عبدالبر في كتاب بهجة المجالس كان المتمني بالكوفة اذا تمنى يقول أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة وحفظ سفيان وورع مسعر بن كدام وجواب شريك وقال أبو عبدالله بن أبي هشام يوما عند أحمد فذكروا الكتاب ودقة ذهنهم فقال انما هو التوفيق ، وقال عبد الله بن أحمد ولد لأبي مولود فأعطاني عبد الاعلى رقعة الى أبي يهنئه فرمى بالرقعة الي وقال ليس هذا كتاب عالم ولا محدث هذا كتاب كاتب

وقال أحمد أقامت أم صالح معي عشرين سنة فما اختلفت أنا وهي في كلمة ، وقال المروذي دخلت يوما على أحمد فقلت كيف أصبحت ؟ قال كيف أصبح من ربه يطالبه باداء الفرائض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطالبانه بتصحيح العمل ، ونفسه تطالبه بهواها ، وابليس يطالبه بالفحشاء ، وملك الموت يطالبه بقبض روحه ، وعياله يطالبونه بنفقتهم ؟ وقال رجل لبشر بن الحارث أبا نصر اني والله أحبك، فقال وكيف لا تحبني ولست لي بجار ولا قرابة، وقال ابراهيم بن جعفر قلت لاحمد بن حنبل الرجل يبلغني عنه صلاح أفأذهب أصلي خلفه ؟ قال لي أحمد انظر الى ما هو أصلح لقلبك فافعله

فصل

(في الاستخارة وهل هي فيما يخفى أو في كل شيء)

قال جعفر بن محمد الصائغ سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول كل شيء من الخير يبادر به . وقال محمد بن نصر العابد سمعت أحمد بن حنبل يقول كل شيء من الخير يبادر فيه . قال وشاورته في الخروج الى الثغر فقال لي بادر بادر، وهذا يحتمل أنه لا استخارة فيه كما قاله بعض الفقهاء لظهور المصلحة ويحتمل أن مراده بعد فعل ماينبغي فعله من صلاة الاستخارة وغيره وقول جابر كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الامور كلها حديث صحيح رواه البخاري وغيره ، وقد استخارت زينب لما أراد النبي ﷺ أن يتزوجها قال في شرح مسلم فيه استحباب صلاة الاستخارة لمن هم بامر

سواء كان الامر ظاهر الخيرام لا، قال ولعلها استخارت لخوفها من تقصيرها في حقه ﷺ

وقال شيخ الاسلام عبد الله بن محمد الانصارى أخبرنا أحمد بن علي الاصبهاني احفظ من رأيت من البشر ثنا أحمد بن محمد بن ابراهيم ثنا اسمعيل بن ابراهيم القطان ثنا سلمة بن شبيب ثنا ابراهيم بن خالد الصيغاني حدثني عمر بن عبد الرحمن سمعت وهب بن منبه يقول قال داود يارب أي عبادك أبغض اليك؟ قال عبد استخارنى في أمر نخرت له فلم يرض الظاهر أنه اسناد حسن وقال الخلال في الادب (كراهة العجلة) وروى عن عبد الله بن أحمد حدثني أبي ثنا اسحاق بن عيسى الطباع سمعت مالك بن أنس عاب العجلة في الامور، ثم قال قرأ ابن عمر البقرة في ثمان سنين وظاهر هذا من الخلال مخالفته لما تقدم، وقد قال أبو داود حدثنا الحسن بن محمد الصباح ثنا عفان ثنا عبد الواحد ثنا سليمان الاعمش عن مالك بن الحارث قال الاعمش وقد سمعتهم يذكرون عن مصعب بن سعد عن أبيه قال الاعمش ولا أعلمه الا عن النبي ﷺ قال «التوءدة في كل شيء الا في عمل الآخرة» كلهم ثقات واتأد في مشيه وتوأد في مشيه وهو افتعل وتفعل من التؤدة وأصل التاء في «اتئد» واو، يقال اتئد في أمرك. وقد سبق التثبت والتأني في الفتيا في فصول العلم وقول مالك إنه نوع من الجهل والخرق وما رواه البيهقي وغيره عن سعد بن سنان وهو ضعيف عندهم وحسن له الترمذي عن أنس مرفوعا «التأني

من الله والعجلة من الشيطان » وذكرت في مكان آخر ما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله رفيق يحب الرفق » وقوله « من يحرم الرفق يحرم الخير »

فصل

(في حقيقة الزهد)

قال الخلال بلغني أن أحمد سئل عن الزاهد يكون زاهداً ومعه مائة دينار ؟ قال نعم على شريطة اذ زادت لم يفرح ، واذا نقصت لم يحزن. قال وبلغني أن أحمد قال لسفيان حب الرياسة أعجب الى الرجل من الذهب والفضة ، ومن أحب الرياسة طلب عيوب الناس أو عاب الناس أو نحو هذا ، وقال ابو الخطاب سئل أحمد وأنا شاهد : ما الزهد في الدنيا ؟ قال قصر الامل والاياس مما في أيدي الناس ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ إن هذا المال حلوة خضرة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع » وعن أبي ذر مرفوعا « ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ولكن الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك ، وأن تكون في ثواب المصيبة اذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها نقيت عنك ، لان الله تعالى يقول (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) رواه الترمذي وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وعمرو بن واقد منكر الحديث ،

---

(١) روي بلفظ « الأناة » واشتهر بلفظ الثاني

يعني الذي في اسناده وكذا قال البخاري منكر الحديث وقال النسائي والدار قطني متروك، وضعفه أيضا غيرهم، ورواه ابن ماجة من حديثه

قال الشيخ تقي الدين اذا سلم فيه القلب من الهلع واليد من العدوان كان صاحبه محمودا وان كان معه مال عظيم، بل قد يكون مع هـذا زاهدا أزهد من فقير هلوع كما قيل للامام أحمد ـ وذكر ماسبق في أول الفصل ـ وذكر الخبرين السابقين وما رواه الترمذي وحسنه واسناده جيد عن الحسن عن أبي سعيد مرفوعا « التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء » وعن سفيان انه قيل له يكون الرجل زاهدا وله مال؟ قال نعم إن ابتلي صبر، وان أعطي شكر، وقال سفيان اذا بلغك عن رجل بالمشرق انه صاحب سنة وبالمغرب صاحب سنة فابعث اليهما بالسلام وادع الله لهما فما أقل أهل السنة والجماعة .

قال القاضي أبو يعلى وذكر أبو القاسم القشيري في كتاب الرسالة الى الصوفية : وقال أحمد بن حنبل الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام (والثاني) ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص (والثالث) ترك ما يشغل العبد عن الله عز وجل وهو زهد العارفين . قال وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت علي بن عمر الحافظ سمعت أبا سهل بن زياد يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سئل أبي ما الفتوة؟ فقال ترك ماتهوى لما تخشى. وقال أبو العتاهية قد قلت عشرين ألف بيت في الزهد ووددت ان لي منها الابيات الثلاثة التي لابي نواس

يانواس توقر . وتعز وتصبر
ان يكن ساءك دهر فلما سرك أكثر
يا كثير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر

ورأى بعض اخوان أبي نواس له في النوم بعد أيام فقال له ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي بابيات قلتها وهي الآن تحت وسادتي فنظروا فاذا برقعة تحت وسادته في بيته مكتوب فيها

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن فمن الذي يدعو اليه المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي اليك وسيلة الا الرجا وجميل ظني ثم اني مسلم

وروى عن الامام أحمد انه سئل عن الزهد قال قصر الأمل . ورواه في موضع آخر عن سفيان عن الزهري انه قال ذلك ، وقال عبدالله ابن أحمد حدثني أبى سمعت سفيان يقول ما ازداد رجل علما فازداد من الدنيا قربا الا ازداد من الله بعدا ، وقال أحمد بن عبدالله بن خالد بن ماهان المعروف بابن أسد : سئل أحمد بن حنبل عن مسئلة في الورع فقال أنا أستغفر الله لا يحل لي أن أتكلم في الورع ، وأنا آكل من غلة بغداد ، لو كان بشر ابن الحارث صلح أن يجيبك عنه لانه كان لا يأكل من غلة بغداد ، ولا من طعام السواد ، ذكره ابن الاخضر فيمن روى عن أحمد ، وروى الترمذي عن زيد بن أخرم عن ابراهيم بن أبي الوزير عن عبدالله بن جعفر المخرمي

عن محمد بن عبد الرحمن بن نبيه عن ابن المنكدر عن جابر قال ذكر رجل عند النبي ﷺ بعبادة واجتهاد وذكر آخر برعة فقال النبي ﷺ «لا يعدل بالرعة شيء» ابن نبيه تفرد عنه المخرمي وبقيه جيد قال الترمذى غريب لانعرفه الا من هذا الوجه . وروى الخلال عن الفضل قال علامة الزهد في الناس اذا لم يحب ثناء الناس عليه ولم يبال بمذمتهم وان قدرت أن لا تُعرَف فافعل ، وما عليك ألاّ يثنى عليك ، وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محموداً عند الله عز وجل، ومن أحب أن يذكر لم يذكر ، وقال اسحاق بن بنان قال أحمد سمعته يقول — يعني بشرا — قال ابراهيم بن أدهم ماصدق اللهَ عبد أحب الشهرة . وقال المروذي سمعت أبا عبد الله يقول من بلي بالشهرة لم يأمن أن يفتنوه لاني لا أفكر في بدء أمري، طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة

قال ابن عقيل في الفنون هجران الدنيا في عصرنا هذا ليس من الزهد في شيء، وانما المنقطع آنف من الذل فان مخالطة القدرى والتخلي عنهم ثراعة(١). ومن طلق عجوزا امناترد فلا عجب، وقال ماقطع عن الله وحمل النفس على محارم الله فهو الدنيا المذمومة وان كان املاقا وفقراء، وما أوصل الى طاعة الله فذاك ليس بالدنيا المذمومة وان كان اكثاراً، وقال الواجب شكرها من حيث هي نعمة الله وطريق الى الآخرة وذريعة الى طاعة الله، وكل خير يعود بالافراط فيه شر، كالسخاء يعود إسرافا، والتواضع يعود ذلا ، والشجاعة تعود تهورا. وقال بعضهم في قوله تعالى (فلنحيينه حياة طيبة) قال القناعة .قال ابن عقيل

(١) هكذا في الأصلين وضبط القدري في المصرية بضم القاف وفتح الراء ولا نعلم معناه واما قوله ثراعة فهو من ثرع على القوم اذا تطفل عليهم

لو علمت قدر الراحة في القناعة والعز الذي في مدارجها علمت انها العيشة الطيبة لان القنوع قد كفيَ تكاب طباعه ، والطبع كالصبيان الرعن ومن بلي بذلك أذهب وقته في أخس المطالب وفاتته الفضائل فأصبح كمربي طفل يتصابى له ويجتهد في تسكين طباعه تارة بلعبة تلهيه وتارة بشهوة، وتارة بكلام الاطفال، ومن كان دأبه التصابي متى يذوق طعم الراحة ، ومن كان في طبعه كذا فمتى يستعمل عقله؟ قال ابن عقيل والحياة الطيبة التفويض الى الله كالصبي حال التربية يفوض أمره الى والديه ويثق بهما مستريحا من كد التخير، فلا يتخير لنفسه مع تفويضه الى من يختار له ، المفوّض وثق بالمفوّض اليه ، قال ابن عقيل وعندي انها في الجنة أعني الحياة الطيبة لان الطيب الصافي والصفاء في الجنة

وقال أيضا من عجيب ما نقدت أحوال الناس كثرة ما ناحوا على خراب الديار وموت الاقارب والاسلاف والتحسر على الارزاق بذم الزمان وأهله، وذكر نكد العيش فيه، وقد رأوا من انهدام الاسلام، وتشعث الاديان، وموت السنن ، وظهور البدع ، وارتكاب المعاصي، وتقضي العمر في الفارغ الذي لا يجدي، فلا أحد منهم ناح على دينه ، ولا بكى على فارط عمره ولا تأسى على فائت دهره، ولا أرى لذلك سببا إلا قلة مبالاتهم بالاديان وعظم الدنيا في عيونهم، ضد ما كان عليه السلف الصالح: يرضون بالبلاغ وينوحون على الدين انتهى كلامه

وقد تقدم في اول فصول طلب العلم حديث «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها» ولمسلم من حديث ابي هريرة «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وعن

عائشة مرفوعا «الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له» وأخذ ابن لعمر خاتما فادخله في فيه فانتزعه عمر منه ثم بكى عمر وعنده نفر من المهاجرين الاولين، فقالوا له لم تبكي وقد فتح الله لك واظهرك على عدوك وأقر عينك؟ فقال عمر اني سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تفتح الدنيا على احد الا القى الله عز وجل بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة» وأنا مشفق من ذلك، وعن الضحاك بن سفيان أن النبي ﷺ قال له «يا ضحاك ما طعامك؟» قال اللحم واللبن قال «ثم يصير الى ماذا» قال الى ما قد علمت، قال «فان الله عز وجل ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا» وعن أبي بن كعب مرفوعا «إن مطعم ابن آدم مثل للدنيا، وان قزحه وملحه فانظر الى ماذا يصير» وعن مطرف بن الشخير عن رجل من الصحابة كان بالكوفة أميرا فخطب يوما فقال ان إعطاء هذا المال فتنة، وإن إمساكه فتنة، وبذلك قام رسول الله ﷺ حتى فرغ. ثم نزل اسناده جيد. وعن أبي موسى مرفوعا «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى» وعن ابي مالك الاشعري مرفوعا «حلوة الدنيا مرة الآخرة، ومرة الدنيا حلوة الآخرة» وعن معاذ أن النبي ﷺ لما بعثه الى اليمن قال «وإياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين» وعن معاوية مرفوعا «انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة» وعن ابن مسعود مرفوعا انه نهى عن التبقر في الاهل والمال، التبقر التوسع وأصله من البقر الشق. وعن عتبة بن عبد

السلمي مرفوعا «لو أن رجلا يجر (١) على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت هرما في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيمة» رواهن أحمد وأنشد ابن هبيرة الوزير الحنبلي لنفسه

يلذ بذى الدنيا الغني ويطرب ويزهد فيها الالمعي المجرب
وما عرف الايام والناس عاقل ووفق الا كان في الموت يرغب
الى الله اشكو همة لعبت بها أباطيل آمال تغر وتخلب
فوا عجبا من عاقل يعرف الدنا فيصبح فيها بعد ذلك يرغب

وأنشد أيضا

الحمد لله هذي العين والاثر فما الذي باتباع الحق ينتظر؟
وقت يفوت وأشغال معوقة وضعف عزم ودار شأنها الغير
والناس ركضا الى مأوى مصارعهم وليس عندهم من ركضهم خبر
تسعى بهم حادثات من نفوسهم فيبلغون الى المهوى وما شعروا
والجهل أصل فساد الناس كلهم والجهل اصل عليه يخلق البشر

في أبيات ذكرها وأنشد أيضا

يا أيها الناس اني ناصح لكم فعوا كلامي فاني ذو تجاريب
لا تلهينكم الدنيا بزهرتها فما تدوم على حسن ولا طيب

وأنشد أيضا

إذا قل مال المرء قل صديقه وقبح منه كل ما كان يجمل

(١) في النسخة المصرية يخر

وأنشد أيضا

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع

وقد قال ابن هانيء (١) الشاعر في قصيدته التي يرثي فيها ولده

حكم المنية في البرية جار ... ما هذه الدنيا بدار قرار

بينا يرى الانسان فيها مخبرا ... حتى يرى خبرا من الاخبار

طبعت على كدر وانت تريدها ... صفوا من الاقذار والاكدار

ومكلف الايام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

العيش نوم والمنية يقظة ... والمرء بينهما خيال سار

ليس الزمان وان حرصت مساعدا ... خُلُقُ الزمان عداوة الاحرار

ومنها

وتلهب الاحشاء شيب مفرقي ... هذا الضياء شواظ تلك النار

لا حبذا الشيب الوفي وحبذا ... شرخ الشباب الخائن الغدار

وطري من الدنيا الشباب وروقه ... فاذا انقضى فقد انقضت أوطاري

ومنها

ذهب التكرم والوفاء من الورى ... وتصرما الا من الاشعار

وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى يتمثل كثيرا بالبيت

الثالث والرابع ، وذكرهما القاضي السروجي الحنفي في شرحه في الجنائز

(١) هذه القصيدة لابي الحسن علي بن محمد التهامي لالابن هانيء الاندلسي فعزوها اليه سهو من المصنف

في المصاب ولابن هانىء أيضا مما قد يتعلق بغير هذا الموضع

لا أنت عند اليسر من زواره يوما ولا في العسر من عواده

وله منها

افدي الكتاب بناظري فبياضه ببياضه وسواده بسواده

وله

قد كان يرجف في ليالي وصله قلبي فكيف يكون يوم صدوده

وله

كم عاهد الدمع لا يغري بجريته الا واشي فلما استقلت ظعنهم غدرا

وللترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن عوف قال ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر

فصل

﴿ في اخبار العابدات والعابدين والزهاد ﴾

قال الحسن بن الليث الرازي قيل لاحمد يجيئك بشر يعنون بن الحارث قال لا، تعنون الشيخ نحن أحق أن نذهب اليه، قيل له نجيء بك، قال لا أكره أن يجيء الى أو أذهب اليه فيتصنع لي وأتصنع له فنهلك

وقال المروذي سمعت أبا عبدالله وذكر بشر بن الحارث فقال لقد كان فيه أنس وقال ما كلمته قط لقلته من الورع وقد قال البيهقي في مناقب الامام أحمد انبأنا أبو عبدالله الحافظ ثنا أبو بكر بن أبي دارم الحافظ بالكوفة

حدثني أبو محمد المقري البغدادي ثنا جعفر بن محمد صاحب بشر قال اعتل بشر بن الحارث فعادته امنة الرملية من الرملة فانها لعنده اذ دخل أحمد بن حنبل يعوده فقال من هذه؟ فقال هذه آمنة الرملية بلغها علتي فجاءت من الرملة تعودني، فقال فسلها تدعو لنا. فقالت اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فاجرهما، قال أحمد فانصرفت فلما كان في الليل طرحت الي رقعة فيها مكتوب: باسم الله الرحمن الرحيم، قد فعلنا ولدينا مزيد، وقال المروذي قال ابو عبدالله جاءتني امرأة من هؤلاء المتعبدات فأخبرتني عن امرأة أخرى أنها عمدت الى بيتها ففوتته على نفسها واقتصرت على قرصين وتركت الدنيا وهي تسألك أن تدعو لها قال فقلت لها قولي لصاحبة القرصين تدعولي، وقال المروذي سمعت أبا عبدالله يقول ماأعدل بفضل الفقر شيئا أتدري اذا سألك أهلك حاجة لاتقدر عليها أي شيء لك من الاجر؟ ماقلّ من الدنيا كان أقلّ للحساب

وقال المروذي سمعت أحمد يقول إن لكل شيء كرما وكرم القلب الرضا عن الله تعالى، سمعت أبا عبد الله يقول لشجاع بن مخلد يا أبا الفضل انما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس، وانها أيام قلائل

وقال أيضا عن أحمد ماأعدل بالصبر على الفقر شيئا، كم بين من يعطى من الدنيا ليفتتن الى آخر تزوى عنه، قال وذكرت لأبي عبدالله عن بعض المفتين شيئا في الورع فشدد على السائل وهو عبد الوهاب فقال أبو عبد الله ليس ينبغي للرجل أن يحمل الناس على مايفعل أو كلا ما ذا معناه

اذا كان يفتي(١)وقال سمعت أباعبدالله وذكر قوما من المترفين فقال الدنو منهم فتنة والجلوس معهم فتنة ، وروى الترمذي وقال غريب عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ «إن أردت اللحوق بي فليكفيك من الدنيا كزاد راكب ، وإياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه» وعن مكحول قال قلت للحسن إني أريد الخروج الى مكة ، قال اياك أن تصحب رجلا يكرم عليك فيفسد الذي بينه وبينك ،وقال أحمد انما قوي بشر لانه كان وحده ولم يكن له عيال،ليس من كان معيلا كمن كان وحده، لو كان الي ماباليت ما اكلت

وقال أيضا لو ترك الناس التزويج من كان يدفع العدو؟ لبكاء الصبي بين يدي أبيه متسخطا يطلب منه خبزا أفضل من كذا وكذا يراه الله بين أن يلحق المتعبد الاعزب (٢) وقال في الفنون حديث مسند إن النبي ﷺ قال « اذا طلب الى ذي العيلة عيلته شهوة فاين يلحقه القائم الصائم؟ »

وذكر أبو عبدالله من المحدثين علي بن المديني وغيره تمتعوا من الدنيا: اني لاعجب من هؤلاء المحدثين حرصهم على الدنيا. قال المروذي وذكرت رجلا من المحدثين فقال أنا أشرت به أن يكتب عنه وانما انكرت عليه حبه الدنيا. وقد سبق معنى هذا في فصول العلم وان العالم ليس كغيره لانه يقتدى به قال المروذى

(١) يعني الامام أحمد (رض) أنه لا ينبغي للمفتي ان يفتي الناس بحسب حاله هو في الزهد والورع والتقشف مثلا وانما يفتيهم بأحكام الشرع المعتدلة

(٢) كذا في النسختين

وسمعت أبا عبد الله يقول قد تفكرت في هذه الآية (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) ثم قال تفكرت فيّ وفيهم وأشار نحو العسكر وقال (ورزق ربك خير وابقى) قال رزق يوم بيوم خير، قال ولا يهتم لرزق غد وقال أبو داود كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة لا يذكر شيئا من أمر الدنيا وما رأيته ذكر الدنيا قط وقال أحمد لرجل لو صححت ما خفت أحدا وسبق بنحو أربعة كراريس في فضائله

وسئل عن الحب في الله فقال هو أن لا يحبه لطمع الدنيا. وفيه أخبار كثيرة منها ما روى مسلم من حديث ابي هريرة «يقول الله يوم القيامة: اين المتحابون بجلالي؟ اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي» وللترمذي وقال حسن صحيح عن معاذ مرفوعا «قال الله المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» ولابي داود هذا المعنى من حديث عمر وفيه «قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها» ولمالك واحمد من حديث معاذ إن الله يقول : وجبت جنتي للمتحابين في والمتجالسين في » ولمسلم من حديث أبي هريرة أن الملك قال للذي زار أخاه : اني رسول الله اليك إن الله قد أحبك كما أحببته فيه » ولاحمد من حديث ابي امامة « ما أحب عبد عبداً إلا أكرم ربه » وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود وغيره أن رجلا قال يارسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ؟ قال « المرء مع من أحب » وذكر احمد الدنيا فقال قليلها يجزى وكثيرها

لا يجزى ، وقال « لو ان الدنيا حتى تكون في مقدار لقمة ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها في فم أخيه المسلم لما كان مسرفا

فصل

قال محمد بن عمران أبو جعفر الخياط سمعت أحمد بن حنبل يقول بلغني عن أخي منصور بن عمران أنه كان يقول اللهم قد أحاطت بنا الشدائد وأنت ذخر لها فلا تعذبنا وأنت قادر على العفو ، سيدي قد أريتنا قدرتك ولم تزل قادرا فأرنا عفوك فلم تزل عفوًّا . قال أبو جعفر أحمد بن الحسين المنادي فلو كان عند أبي عبدالله في منصور أدنى شيء من التهمة في البدعة لما حكي عنه شيئا ولا خصه بالاخوة قال ابن المنادى ان أباعبدالله النواوى قال قلت لبشر بن الحارث ان منصور بن عمار يقول في بعض كلامه : ياعبيد ما يفنى ، كيف رأيتم ذل ملكة الدنيا ؟ ألم تصحبوها بالائتمان لها فأذاقتكم الغش من مكروهها ؟ قال فوجم لذلك بشر وسكت ، فأردت أن أزيده فقال قد أشغلت علي قلبي

فصل

﴿ في تعبد الجهل وتقشف الرياء وزهد الشهرة وعبودية العلم والحكمة ﴾

قال محمد بن احمد بن اسماعيل أبو الحسين بن سمعون وسأله البرقاني : أيها الشيخ تدعو الناس الى الزهد في الدنيا والترك لها وتلبس أحسن الثياب وتأكل أطيب الطعام فكيف هذا ؟ قال كلُّ ما يصلحك مع الله فافعله ، إذا صلح

حالك مع الله تلبس لين الثياب وتأكل طيب الطعام فلا يضرك

وقال ابن الجوزي قد تقع لكثير من الناس يقظة عند سماع المواعظ وأخبار الزهاد والصالحين فيقومون على اقدام العزائم على الزهد وانتظار الموت بما يصلح لهم ، ففيهم من يقتدي بزاهد من المتزهدين او يعمل على ما في كتاب بعض الزهاد فيرى فيه التقلل من الطعام بالتدريج وترك الشهوات وأشياء قد وضعها من قلة علمه بالشريعة والحكمة فيديم الصوم والسهر والتقلل ، ويدوم على المآكل الردية ، فتجف المعدة وتضيق ، وتقوى السوداء ، وتنصب الاخلاط الى الكبد والطحال وربما تصاعدت الى الدماغ فيبس أو فسد الطبع وربما تغير ذهنه فاستوحش من الخلق وحشة يعتقدها انسا بالحق ، فاعرض عن مجالسة العلماء ظنا منه أن قد بلغ المقصود ، فهذه الاشياء تعكر أولا المطلوب من التعبد فينقطع الانسان بضعف القوة عنه ، ويبقى معالجا للامراض فيشتغل الفكر فيها عما هو أهم ، ولقد تخبط في هذا الامر خلق كثير من الصالحين صحت مقاصدهم وجهلوا الجادة فمشوا في غيرها ، وفي هؤلاء الذين حملوا على أنفسهم من عاجله المرض والموت ، وفيهم من رجع القهقرى ، ومنهم من تخبط فلا من هؤلاء ولا من هؤلاء . فاما العلماء الفهماء فانهم على قانون الحكمة سبيل العلم ، فاياك أن تعرض عن الجادة السليمة ، واحذر من الاقتداء بجهال المتصوفة والمتزهدين الذين تركوا الدنيا على زعمهم ، فالصادق منهم في تركها عامل بواقعه(١) لا بالعلم والمبهرج منهم خسر الدنيا والآخرة . ومن

(١) أي بما هو واقع من نفسه ووجدانه الذي حدث له من مطالعة تلك الكتب لا بالعلم المستفاد من الكتاب والسنة وحقائق الحكمة .

جهل هؤلاء أنهم لو رأوا عاملا يرفق بنفسه عابوه ، ولو رأوا عليه قميص كتان قال زاهدهم هذا ما يعمل بعلمه؟ ولو رأوه راكبا فرسا قالوا هذا جبار فاياك أن تحملك وثبة عزم على أن تروم ما لا تناله فتزلق ، وان نلته أثمر تلفا أو رد الى وراء ، واستضىء بمصباح العلم ، فان قل علمك فاقتد بعالم محكم ، وراع بدنك مراعاة المطية ، وليكن همك تقويم أخلاقك، والمقصود صدق النية لا تعذيب الابدان . وأكثر الكلام في هذا المعني في مواضع وأن الجادة طريق رسول الله ﷺ

وقال أيضا أما ترى زهاد زماننا الا من عصمه الله باتباع السنة يغشاهم ابناء الدنيا والظلمة فلا ينهونهم عما هم فيه الا بطرف اللسان ؟ أين هؤلاء من سفيان حيث كان لا يكلم من يكلم ظالما ؟ ولو قيل لزهادنا اخرجوا فاشتروا حاجة من السوق صعب عليهم حفظا لرياستهم كأنهم ما علموا أن رسول الله ﷺ كان يشتري حاجته ويحملها بنفسه، ولو قيل لزهادنا زماننا كلوا معنا لقمة لخافوا من انكسار الجاه لان الناس يعتقدون فيهم دوام الصوم وأين هم من معروف ، أصبح يوما صائما فسمع سافيا يقول رحم الله من شرب ، فشرب فقيل له أما كنت صائما ؟ فقال بلى ولكن رجوت دعوته

افدي ظباء فلات ما عرفن بها   مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا خرجن من الحمام مائلة   أوراكهن صقيلات العراقيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية   وفي البداوة حسن غير مجلوب

والله لا يبقى في القيامة إلا الاخلاص ، وقبل القيامة لا يبقى إلا ذكر

المخلصين ، كم حول معروف من عالم لا يعرف قبره ، ومن زاهد لا يدرى أين هو ؟ ومعروف معروف (١) بالله عليكم اقبلوا انصحي يا اخواني عاملوا الله سبحانه وتعالى في الباطن حتى لا يدرى أنكم أهل معاملة ـ الى أن قال ـ ان النبي ﷺ لم يكن معه يبس الزهاد وحده ، ولا الانبساط في الدنيا وحده ، بل حاله جامعة لكل خلق صالح ـ الى أن قال ـ ان الربا يكون في التعبدات فالعلم أصل كل خير ، ومعدنه أخلاق الرسول ﷺ وآدابه ﷺ

وقال أيضا أعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم لا نرى فيهم ذا همة عالية فيقتدى بها المبتدى ، ولا صاحب ورع فيستفيد منه المتزهد ، فالله الله ، عليكم بملاحظة سير القوم ومطالعة تصانيفهم واخبارهم . والاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم كما قال

فاتني ان أرى الديار بطرفي فلعلي أرى الديار بسمعي

واني أخبر عن حالي ، ما أشبع من مطالعة الكتب ، واذا رأيت كتابا لم أره فكأني وقعت على كنز ، فلو قلت اني قد طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر ، وأنا بعد في طلب الكتب فاستفدت بالنظر فيها ملاحظة سير القوم وقدر هممهم وحفظهم وعاداتهم وغرائب علوم لا يعرفها من لم يطالع

(١) يعني معروف الكرخي الزاهد الشهير وانما اشتهر في ذلك العصر الذي يكثر فيه العلماء والعارفون النقادون باخلاصه لاخلاصه ، وعرف قبره من بعده ، وخفيت اسماء من لا يحصى من العباد المرائين والزهاد المتصنعين والعلماء المتجرين وخفيت قبورهم من حول قبره ، وبقي معروف رحمه الله معروفا لا ينسى ذكره ، ولا يخفى قبره .

فصل

روى أبو حفص البرمكي باسناد عن عمر رضي الله عنه قال : من خاف من الله عز وجل لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ، ولولا يوم القيامة كان غير ما ترون(١)

فصل

قال أبو حفص العكبري سمعت أبا بكر بن مليح يقول بلغني عن أحمد أنه قال إذا أراد الرجل أن يزوج رجلا فأراد أن يجتمع له الدنيا والدين فليبدأ فيسأل عن الدنيا ، فان حمدت سأل عن الدين فان حمد فقد اجتمعا ، وان لم يحمد كان فيه رد الدنيا من أجل الدين ، ولا يبدأ فيسأل عن الدين فان حمد ثم سأل عن الدنيا فلم يحمد . كان فيه رد الدين من أجل الدنيا.

وقال اسحاق بن حسان كتبت الى أبي عبد الله أحمد بن حنبل أشاوره في التزويج فكتب الي تزوج ببكر واحرص على أن لا يكون لها أم

(١) ان هذا الاثر عن أمير المؤمنين عمر لجدير بان يكون وحده مستقلا من فصول هذا الكتاب ، بل هو يغني عن سفر كبير بما فيه من الحكمة وفصل الخطاب ، فأمر الدين كله دائر على الخوف من الله وتقوى الله ، ولولا يوم القيامة وما أعده الله فيه لمن طغى وآثر الحياة الدنيا في الجحيم ، ولمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى في دار النعيم ، لكان العالم كله غير ما كانوا يرون ، وانظر ما كانوا يرونه من امارته رضي الله عنه ان تجيء اليه كنوز كسرى وقيصر فلا تروقه زينتها ولا نعيمها بل يبقى لابساً مرقعته ، متقشفا في معيشته ، ليكون قدوة لامرائه وقواده ، ولمن يأتي من بعده

فصل

﴿ في سنة المصافحة بين الرجال والنساء وما قيل في التقبيل والمعانقة ﴾

وتسن المصافحة في اللقاء للخبر، قال الفضل بن زياد صافحت أباعبدالله غير مرة . وابتدأني بالمصافحة، ورأيته يصافح الناس كثيرا. وقال ابراهيم بن سعيد الجوهري دخلت على أحمد بن حنبل أسلم عليه فمددت يدى اليه فصافحني، فلما خرجت قال ما أحسن أدب هذا الفتى لو انكب علينا كنا نحتاج أن نقوم . وصافح حماد بن زيد بن المبارك بيديه. واحتج البخاري بقول ابن مسعود علمني رسول الله ﷺ التشهد كفي بين كفيه فتصافح المرأة المرأة والرجل الرجل والعجوز والبرزة (١) غير الشابة فانه يحرم مصافحتها للرجل ذكره في الفصول والرعاية ، وقال ابن منصور لابى عبد الله : تكره مصافحة النساء ؟ قال اكرهه . قال اسحاق ابن راهويه كما قال وقال محمد بن عبدالله بن مهران إن أبا عبدالله سئل عن الرجل يصافح المرأة قال لا وشدد فيه جدا ، قلت فيصافحها بثوبه ؟ قال لا ، قال رجل فان كان ذا محرم قال لا ، قلت ابنته ؟ قال اذا كانت ابنته فلا بأس. فهذان روايتان في تحريم المصافحة وكراهتها للنساء، والتحريم اختيار الشيخ تقي الدين وعلل بأن الملامسة أبلغ من النظر، ويتوجه تفصيل بين المحرم وغيره فأما الوالد فيجوز

(١) البرزة المرأة الكهلة العاقلة العفيفة التي لا تحتجب احتجاب الشواب بل تبرز للناس تجالسهم وتحدثهم

وفي صحيح البخارى في هجرة النبي ﷺ أن أبا بكر اشترى من عازب رحلا فحمله معه ابنه البراء رضي الله عنهم قال البراء فدخلت مع أبي بكر على أهله فاذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى فرأيت أباها يقبل خدها وقال كيف أنت يا بنية؟ورواه أحمد ومسلم ، وذكر صاحب النظم : تكره مصافحة العجوز وتجوز مصافحة الصبي لمن يعلم من نفسه الثقة اذا قصد تعليمه حسن الخلق ذكره في الفصول والرعاية . وقال الشيخ تقي الدين كلام الثوري وغيره يمنع ذلك ، والمصافحة شر من النظر .

وتباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تدينا واكراما واحتراما مع أمن الشهوة،وظاهر هذا عدم اباحته لامر الدنيا ،واختاره بعض الشافعية، والكراهة أولى وكذا عند الشافعية تقبيل رجله ، وقال المروذى سألت أبا عبدالله عن قبلة اليد فقال ان كان على طريق التدين فلا بأس قد قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وان كان على طريق الدنيا فلا ، إلا رجلا يخاف سيفه أوسوطه . وقال المروذى أيضا : وكرهها على طريق الدنيا وقال تميم بن سلمة التابعي القبلة سنة ، وقال مهنا بن يحي رأيت أبا عبد الله كثيرا يُقبل وجهه ورأسه وخده ولا يقول شيئا ، ورأيته لا يمتنع من ذلك ولا يكرهه،ورأيت سليمان بن داود الهاشمي يقبل جبهته ورأسه ولا يمتنع من ذلك ولا يكرهه ورأيت يعقوب بن ابراهيم يقبل وجهه وجبهته ، وقال عبد الله بن أحمد رأيت كثيرا من العلماء والفقهاء والمحدثين وبني هاشم وقريش والانصار يقبلونه

- يعني أباه - بعضهم يديه وبعضهم رأسه، ويعظمونه تعظيما لم أرهم يفعلون ذلك بأحد من الفقهاء غيره، لم أره يشتهي أن يفعل به ذلك.

وقال الخلال أخبرني إسماعيل بن اسحاق السراج قال قلت لابي عبد الله أول مارأيته ياأبا عبد الله آءذن لي أن أقبل رأسك قال لم ابلغ أنا ذاك، وقال إسحاق بن منصور لابى عبدالله تقبل يد الرجل؟ قال على الاخاء

وقال اسماعيل بن اسحاق الثقفي سألت أبا عبد الله قلت ترى أن يقبل الرجل رأس الرجل أو يده؟ قال نعم، وقال الشيخ تقي الدين تقبيل اليد لم يكونوا يعتادونه الا قليلا، وذكر مارواه أبو داود وغيره عن ابن عمر انهم لما قدموا على النبي ﷺ عام موته قبلوا يده، ورخص فيه أكثر العلماء كاحمد وغيره على وجه الدين وكرهه آخرون كمالك وغيره

وقال سليمان بن حرب هي السجدة الصغرى، وأما ابتداء الانسان يمد يده للناس ليقبلوها وقصده لذلك فهذا ينهى عنه بلا نزاع كائنا من كان، بخلاف مااذا كان المقبل هو المبتدي بذلك انتهى كلامه

وقال ابن عبد البر كان يقال تقبيل اليد إحدى السجدتين، وتناول أبو عبيدة يد عمر رضي الله عنهما ليقبلها فقبضها، فتناول رجله فقال مارضيت منك بتلك فكيف بهذه؟ وقبض هشام بن عبد الملك يده من رجل أراد أن يقبلها وقال مه فانه لم يفعل هذا من العرب الا هلوع، ومن العجم الا خضوع وقال الحسن البصري قبلة يد الامام العادل طاعة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قبلة الوالد عبادة وقبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة، وقبلة

الرجل أخاه دين . وفي ترجمة هشام بن عروة بن الزبير أنه أراد أن يقبل يد المنصور فمنعه وقال نكرمك عنها ونكرمها عن غيرك . وصرح ابن الجوزي بان تقبيل يد الظالم معصية الا أن يكون عند خوف . وقال في مناقب أصحاب الحديث ينبغي للطالب أن يبالغ في التواضع للعالم ويذل نفسه له ، قال ومن التواضع للعالم تقبيل يده ، وقبل سفيان بن عيينة والفضيل ابن عياض أحدهما يد حسين بن علي الجعفي والآخر رجله ،

وقال اسحاق ابن ابراهيم ان أبا عبد الله احتج في المعانقة بحديث أبي ذر أن النبي ﷺ عانقه قال وسألت أبا عبد الله عن الرجل يلقى الرجل يعانقه قال نعم فعله أبو الدرداء . وقال في الارشاد المعانقة عند القدوم من السفر حسنة و قال الشيخ تقي الدين فقيدها بالقدوم من السفر ، وقال القاضي اطلق والمنصوص في السفر انتهى كلامه

وروى البيهقي في السنن الكبير اخبرنا أبو نصر ابن قتادة أنبأنا أبو الحسن بن اسماعيل السراج ثنا يوسف بن يعقوب القاضي ثنا سليمان بن يعقوب ثنا شعبة عن غالب التمار قال كان محمد بن سيرين يكره المصافحة وذكرت ذلك للشعبي فقال كان أصحاب محمد ﷺ اذا التقوا صافحوا ، فاذا قدموا من السفر عانق بعضهم بعضا . اسناد جيد

وتكره مصافحة الكافر وذكر ابو زكريا النواوي معانقة القادم من السفر مستحبة وان الانحناء مكروه وان تقبيل يد الرجل الصالح مستحب ،

وقال الشيخ وجيه الدين ابو المعالي في شرح الهداية تستحب زيارة

القادم ومعانقته والسلام عليه. قالوا كرام العلماء وأشراف القوم بالقيام سنة مستحبة ، قال ويكره أن يطمع في قيام الناس له لقوله ﷺ « من أحب أن يتمثل الناس له فليتبوء مقعده من النار » وفي بعض الفاظه « صفوفا » كذا قال وسبق في القيام ماظاهره أو صريحه التحريم لهذا الخبر، قال أبو المعالي وهذا محمول على مايفعله الملوك من استدامة قيام الناس لهم، لانه يراوح بين رجليه كما تقف الدابة على ثلاث وتريح واحدة ، قال فاما تقبيل يد العالم والكريم لرفده والسيد لسلطانه فجائز ، فاما إن قبل يده لغناه فقد روي : من تواضع لغني لغناه فقــد ذهب ثلثا دينه (١) وقال التحية بانحناء الظهر جائز وقيل هو سجود الملائكة لآدم ، وقيل السجود حقيقة. ولما قدم ابن عمر الشام حياه أهل الذمة كذلك فلم ينههم ، وقال هذا تعظيم المسلمين انتهى كلامه وفي بعضه نظر

وأما السجود اكراما واعظاما فلا يجوز كما دلت عليه الاخبار المشهورة . وأما تقبيل الارض فقال صاحب النظم يكره كراهة شديدة لانه يشبه السجود لكنه ليس بسجود لان السجود الشرعي وضع الجبهة بالارض على طهارة لله تعالى وحده الى جهة مخصوصة، وهذا انما يصيب الارض منه فمه وذلك لا يجزىء في السجود انتهى كلامه وهذا لا يفعل غالبا

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وذكر غيره أنه من كلام عبد الله ابن مسعود . وما اراه قاله فانه مخالف لقواعد الشرع اذ التواضع للغني عادة غاية قبحها أنها لا تليق بعزة المؤمن ولكنها ليست بمعصية وما كل معصية يذهب بها ثلثا الدين ؟

إلا للدنيا ، وقد ذكر صاحب النظم أنه يكره الانحناء مسلماً، وذكر أبو بكر ابن الانباري الحنبلي المشهور في قوله تعالى (وخروا له سجدا) انهم سجدوا ليوسف اكراما وتحية ، وانه كان يحيي بعضهم بعضا بذلك وبالانحناء فحظره رسول الله ﷺ وذكر الخبر الآتي «أينحني له» قال لا ذكره ابن الجوزي ولم يخالفه فدل على الموافقة فهذه ثلاثة أقوال

وجزم في كتاب الهدي بتحريم السجود والانحناء والقيام على الرأس وهو جالس . وفي مسلم عن جابر قال: اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يسمع الناس تكبيره فالتفت الينا فرآنا قياما فأشار الينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً . فلما سلم قال « إن كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود ، فلا تفعلوا إئتموا بأئمتكم إن صلوا قياما فصلوا قياما وان صلوا قعودا فصلوا قعودا » فهذا نهي ، وظاهره التحريم لا سيما مذهب الامام أحمد أنه لا يجوز أن يصلي قائما خلف قاعد ، واحتجوا بهذا النهي

وقال الحافظ تقي الدين بن الاخضر (فيمن روى عن احمد) محمد بن احمد بن المثنى أبو جعفر البزار قال : أتيت احمد بن حنبل فجلست على بابه أنتظر خروجه فلما خرج قمت اليه فقال لي أما علمت أن النبي ﷺ قال « من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » فقلت إنما قمت اليك ، فاستحسن ذلك انتهى كلامه ، ومدلول هذا واضح فان النهي دل على القيام له ، ومن قام اليه لم يتناوله النهي مع أن النهي لمن أحب

ذلك وسبق الكلام في القيام، وقد تقدم بعد فصول السلام (فصل في ذكر القيام)

ويكره تقبيل الفم لانه قل أن يقع كرامة ، ونزع يده من يد من صافحه قبل نزعه هو ، الا مع حياء أو مضرة التأخير، ذكره في الفصول والرعاية وقال الشيخ عبد القادر ولا ينزع يده حتى ينزع الآخر يده اذا كان هو المبتدىء . قال الشيخ تقي الدين الضابط ان من غلب على ظنه أن الآخر ينزع امسك ، والا فلو استحب الامساك لكل منهما أفضى الى دوام المعاقدة ، لكن تقييد عبد القادر حسن أن النازع هو المبتدىء انتهى كلامه

وقال ابو داود حدثنا احمد بن منيع ثنا ابو قطن أنبأنا مبارك عن ثابت عن أنس قال : ما رأيت رجلا التقم اذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو ينحي رأسه، وما رأيت رجلا أخذ بيده فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده . مبارك هو ابن فضالة ثقة مدلس

وقال أيضا (باب في المعانقة) ثم روى من رواية أيوب بن بشير بن كعب عن رجل من عنزة أنه قال لابي ذر هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم اذا لقيتموه ؟ قال ما لقيته قط الا صافحني، وبعث الي يوما فلم اكن في أهلي فلما جئت أخبرت أنه أرسل الي فاتيته وهو على سريره فالتزمني فكانت تلك أجود وأجود هذا الرجل مجهول وأيوب روى عنه جماعة وقال ابن خراش مجهول. ورواه أحمد. وروى الترمذي وحسنه عن أنس قال قال رجل يارسول الله الرجل منا يلقاه أخوه أو صديقه أينحني له؟ قال «لا» قال افيلتزمه ويقبله؟ قال «لا» قال فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال «نعم» ورواه

أحمد وابن ماجه. وعن عبدالله بن سلمة المرادي وحديثه حسن عن صفوان ابن عسال قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي ﷺ قال فاتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات فذكر الحديث الى قوله فقبلوا يده ورجله وقالا نشهد انك نبي. رواه أحمد والنسائي والترمذي وغيرهم باسانيد صحيحة وصححه الترمذي

وقال أبو داود حدثنا محمد بن عيسى ثنا مطر بن عبدالرحمن الاعنق حدثتني ام ابان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع كان في وفد عبد القيس قال لما جئنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجليه، قال وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبيه ثم اتى النبي ﷺ فقال «ان فيك خلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة» الحديث. أم أبان تفرد عنها مطر

وروى أيضاً ثنا عمرو بن عون أنبأنا خالد عن حصين عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أسيد بن حضير رجل من الانصار قال بينما هو يحدث القوم وكان فيه مزاح (١) يضحكهم فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود فقال اصبرني فقال «اصطبر» قال ان عليك قميصا وليس علي قميص، فرفع النبي ﷺ عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه قال انما أردت هذا يا رسول الله. اسناده حسن، ومات أسيد بعد عبد الرحمن بنحو ثلاث سنين ترجم عليه أبو داود (باب في قصاص الجسد) أي أقدني (٢) من نفسك قال استقد. يقال صبر فلان

---

(١) في السنن هنا كلمة (بينا) (٢) هذا تفسير من المصنف لقول الصحابي [illegible] «اصطبر» فالاول ثلاثي بوزن نصر ومعناه أقدني من نفسك [illegible] «اصطبر» افتعال منه معناه أي استقد واقتص

من خصمه واصطبر أي اقتص منه ، وأصبره الحاكم أي تصه من خصمه ،

وعن عائشة قالت قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي فأتاه فقرع الباب فقام اليه النبي ﷺ يجر ثوبه فاعتنقه وقبله. رواه الترمذي وحسنه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي فقال الاقرع بن حابس ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فقال النبي ﷺ « من لا يَرحم لا يُرحم » متفق عليه ، وعن البراء مرفوعا «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي ، وقال غريب من حديث أبي اسحاق عن البراء وهو من رواية الاجلح عن أبي اسحاق وهو مختلف فيه

وعن البراء مرفوعا « اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله عز وجل واستغفرا غفر لهما » اسناده حسن رواه أبو داود ، وفي الحديث الصحيح عن حميد عن أنس قال لما جاء أهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد جاءكم أهل اليمن » وهم أول من جاء بالمصافحة رواه أبو داود وسأله قتادة أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال « نعم » رواه البخاري ، وفي الموطأ عن عطاء الخراساني « تصافحوا يذهب الغل ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » وقال ابن عبد البر : قال أبو مجلز : المصافحة تجلب المودة ، وقد قال أبو الحسين الرازي فيما ألفه في ابتداء الشافعي ولقيه مالك (١) أخبرني أبو رافع أسامة بن علي بن سعد بمصر

(١) كذا في الأصل والوجه ان يكون « ولقيه مالكا — لقي بتشديد الياء مصدر مضاف الى ضمير الشافعي ومالك مفعول له

ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال سألت الشافعي عن الاعتناق في الحمام الغائب ، فقال لايجوز لاداخل ولا خارج ، قال وكان مالك يكره المصافحة فكيف الاعتناق ؟ وقال ابن حزم اتفقوا أن مصافحة الرجل حلال ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ في طائفة من النهار لايكلمني ولا أكلمه حتى جاء سوق بني قينقاع ثم انصرف حتى أتى خباء فاطمة فقال «اثم لكع؟ اثم لكع؟» يعني حسنا فظننا انه انما تحبسه أمه لان تغسله وتلبسه سخابا فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم اني أحبه فأحبه وأحب من يحبه » قوله في طائفة أي قطعة منه وقينقاع مثلث النون، ولكع هنا الصغير، والخباء بكسر الخاء والمد بيتها ، والسخاب بكسر السين جمعه سخب القلادة من القرنفل والسك والعود ونحوها من اخلاط الطيب يعمل على هيئة السبحة ويجعل قلادة للصبيان والجواري . وقيل هو خيط سمي سخابا لصوت خرزه عند حركته من السخب بفتح السين والخاء ويقال الصخب وهو اختلاط الاصوات . وفيه جواز لباس الصبيان القلائد والسخب من الزينة ، وتنظيفهم ولا سيما عند لقاء أهل الفضل ، وملاطفة الصبي والتواضع

وكره مالك معانقة القادم من سفر ،وقال بدعة ، واعتذر عن فعل النبي ﷺ ذلك بجعفر حين قدم بانه خاص له ،فقال له سفيان ماتخصه بغير دليل فسكت مالك . قال القاضي عياض وسكوته دليل لتسليم قول سفيان وموافقته وهو الصواب حتى يقوم دليل على التخصيص

فصل

(في تقبيل المحارم من النساء في الجبهة والرأس)

قال ابن منصور لابي عبدالله يقبل الرجل ذات محرم منه ؟ قال اذا قدم من سفر ولم يخف على نفسه ، وذكر حديث خالد بن الوليد قال اسحاق بن راهويه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم من الغزو فقبل فاطمة ولكن لا يفعله على الفم أبدا ، الجبهة او الرأس ، وقال بكر بن محمد عن أبيه عن أبي عبدالله وسئل عن الرجل يقبل اخته قال قد قبل خالد ابن الوليد اخته ، وهذه المسئلة تشبه مسئلة المصافحة لذي محرم وقد تقدم في القيام حديث عائشة في تقبيله عليه السلام لفاطمة

فصل

(في التناجي وكلام السر وامانة المجالس)

ويكره أن يتناجى اثنان دون ثالثهما قاله في الرعاية ، وقال في المجرد ولا يتناجى اثنان دون واحد ، وقد يؤخذ منه التحريم وجزم به النواوي وعن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعا « لا يحل لثلاثة يكونون بارض فلاة يتناجى اثنان دون الثالث » رواه أحمد والنهي عام وفاقا للمالكية والشافعية ، وخصه بعض العلماء بالسفر ، وزعم بعضهم أنه منسوخ وأنه كان في أول الاسلام ، ومرادهم جماعة دون واحد ، وانه ان أذن فلا نهي لان الحق له . وقد قال صاحب النظم يكره أن يتناجى الجمع دون مفرد ، وقال في الرعاية وأن يدخل أحد في سر قوم لم يدخلوه فيه والجلوس والاصغاء

الى من يتحدث سراً بدون إذنه ، وقيل يحرم وظاهره عوده الى ماتقدم والاول هو الذي ذكره في المجرد والفصول وعيون المسائل ، وان كان اذنه استحياء فذكر صاحب النظم يكره ، وقد ذكر ابن الجوزي ان من أعطى مالا حياء لم يجز الاخذ ، قال في الرعاية وهو معنى مافي الفصول

ولا يجوز الاستماع الى كلام قوم يتشاورون ويجب حفظ سر من يلتفت في حديثه حذرا من اشاعته لانه كالمستودع لحديثه . وروى أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه من حديث ابن أبي ذيب عن عبد الرحمن بن عطاء وهو ثقة وقال البخاري فيه نظر عن عبد الملك بن جابر بن عتيك عن جابر بن عبد الله مرفوعا « اذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فاذا هي أمانة » ثم قال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح قرأت على عبدالله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن ابن أخي عن جابر بن عبدالله عن جابر (١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس : سفك دم حرام ، وفرج حرام ، واقتطاع مال بغير حق » ولاحمد من حديث أبي الدرداء « من سمع من رجل حديثا لا يشتهي أن يذكر عنه فهو أمانة وان لم يستكتمه » وهو من رواية عبيد الله بن الوليد الوصافي بتشديد الصاد وهو ضعيف عندهم . وله عن أنس قال ماخطب النبي صلى الله عليه وسلم الا قال « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » وللبخاري من حديث أبي هريرة ان أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة ؟

«١» كذا بتكرار جابر

قال « اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة» قال كيف إضاعتها يارسول الله؟ قال « اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة » وسبق في أول الكتاب عند ذكر الغيبة والكذب أنه يحرم افشاء السر زاد في الرعاية: المضر

وفي مسند أحمد والصحيحين أن بلالا رضي الله عنه أخبر النبي ﷺ عن زينب امرأة ابن مسعود والمرأة الانصارية لما سأله «من هما ؟ » بعد قولهما لاتخبره من نحن ، وكانتا ذهبتا تستفتيانه ، قال في شرح مسلم جوابه صلى الله عليه وسلم واجب ولا يقدم عليه غيره واذا تعارضت المصالح بدىء بأهمها وذكر ابن عبد البر الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أسر الى أخيه سرا لم يحل له أن يفشيه عليه »وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه لابنه عبدالله رضى الله عنه : يابني ان أمير المؤمنين يدنيك يعني عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاحفظ عني ثلاثا : لا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يطلعن منك علي كذبة .وقال اكثم ابن صيفي : إن سرك من دمك فانظر أين تريقه وكان يقال أكثر ما يتم التدبير الكتمان ولهذا كان عليه السلام اذا أراد غزوة ورى بغيرها

قال الشاعر

وسرك ماكان عند امرىء وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر

فلا تخبر بسرك كل سر اذا ماجاوز الاثنين فاش

وذهبت طائفة الى أن السر ما أسررته في نفسك ولم تبده الى احد. قال عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا فافشاه فلمته لاني كنت أضيق صدرا منه حيث استودعته اياه ، والى هذا ذهب القائل

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يُستودَع السر أضيق

وأنشد بعض الاعراب

ولا أكتم الاسرار لـكن أنمها ولا أدع الاسرار تقتلني غما
وان سخيف الرأى من بات ليله حـزينا بـكتمان كأن به حمّى
وفي بثك الاسرار للقلب راحة وتـكشف بالافشاء عن قلبك الهما

وقال آخر

ولا أكتم الاسرار لـكن أذيعها ولا أدع الاسرار تغلي على قلبي
وان ضعيف القلب من بات ليله تقلبه الاسرار جنبا على جنب

وكان يقال لا تطلعوا النساء على سركم ، يصلح لـكم أمركم ، وكان يقال كل شيء تـكتمه عن عدوك فلا تظهر عليه صديقك . قال الشاعر:

اذا كتم الصديق أخاه سرا فما فضل العدو على الصديق

وقال آخر

اداري خليلي ما استقام بوده وامنحه ودي اذا يتجنب
ولست بباد صاحبي بقطيعة ولا أنا مبد سره حين يغضب

وقال آخر

اذا ماضاق صدرك عن حديث فأفشته الرجال فمن تلوم؟

اذا عاتبت من أفشى حديثي | وسري عنده فأنا الظلوم
واني حين أسأم حمل سري | وقد ضمنته صدرى سئوم
ولست محدثا سرى خليلا | ولا عرسي إذا خطرت هموم
واطوى السر دون الناس اني | لما استودعت من سرى كتوم

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتناجى اثنان دون ثالث ، وعن ابن مسعود مرفوعا « اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من اجل أن يحزنه » متفق عليهما

فصل

(مايستحب فعله لاسكات الغضب)

قال القاضي ويستحب لمن غضب ان كان قائما جلس، وان كان جالسا اضطجع ، وقال ابن عقيل : ويستحب لمن غضب أن يغير حاله ، فان كان جالسا قام واضطجع ، وان كان قائما مشى، وقول القاضي هو الصواب قاله الشيخ تقي الدين وهو كما قال ولاحمد وأبي داود من حديث أبى ذر « اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فان ذهب عنه الغضب والا فليضجع » اسناده صحيح ، وقد استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم واشتد غضب أحدهما فقال عليه السلام « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد ففى خبر معاذ « اللهم انى أعوذ بك من الشيطان الرجيم » وفي خبر سليمان ابن صرد « أعوذ بك من الشيطان الرجيم » قال في خبر معاذ فأبى ومحك وجعل يزداد غضبا ، وفي خبر سليمان فقال الرجل هل ترى بى من جنون

رواهما أبو داود ، وروى البخاري ومسلم خبر سليمان ، وروى أحمد والترمذي خبر معاذ ،ويستحب أن يتوضأ لخبر عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ »رواه أبو داود وغيره

فصل

(في الدعاء وآدابه والاسرار والجهر به)

يكره رفع الصوت بالدعاء مطلقا ، قال المروذي : سمعت أبا عبدالله يقول ينبغي أن يُسر دعاءه لقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها)قال هذا الدعاء . قال وسمعت أبا عبد الله يقول وكان يكره أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء لا سيما عند شدة الحرب وحمل الجنازة والمشي بها وقيل يسنُّ أن يسمع المأموم الدعاء،قدمه ابن تميم ،وقيل مع قصد تعليمه. ولا يجب له الانصات في أصح الوجهين ذكره ابن تميم وابن حمدان،وقيل خفض الصوت بالدعاء أولى قال في المستوعب يكره رفع الصوت بالدعاء وينبغي أن يخفي ذلك لان الله تعالى قال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) فامر بذلك

وعن سعد مرفوعا « خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي»رواه أحمد ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني » ولاحمد وابن ماجه « انا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت بي شفتاه » ولاحمد «أنا عندظن عبدي بي إن ظن بي خيرا فله ، وان ظن بي شرا فله » تولـه عن أنس مرفوعا « أنا عندظن عبدي بي

وأنا معه اذا دعاني » وعن أبي صالح الخوزى ولم يرو عنه غير أبي المليح الفارسي وضعفه بن معين ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « من لم يسأل الله يغضب عليه » وعنه أيضا مرفوعا « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » وفيه عمران القطان مختلف فيه قال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديثه، رواهما الترمذي وابن ماجه ، وروى أحمد الثاني من حديث عمران . وروى أبو يعلى الموصلي ثنا مرزوق بن المزربان ثنا حفص بن غياث عن عاصم الاحول عن أبي عثمان النهدى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعجز الناس من عجز بالدعاء ، وأبخل الناس من بخل بالسلام » حديث حسن ومسروق وثقه ابن حبان ، وقال أبو حاتم ليس بقوي : يكتب حديثه، ويكره رفع الصوت عند حمل الجنازة وعند شدة القتال ، ولا يكره الالحاح به للاثر ذكره في الرعاية ودعاء الرغبة ببطن الكف ودعاء الرهبة بظهره مع قيام السبابة كدعاء النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستسقاء ، قال القاضي أبو يعلى تستحب الاشارة الى نحو السماء في الدعاء ، قال صالح في مسائله سألت أبي عن الاعتداء في الدعاء قال يدعو بدعاء معروف (١)

(١) المعروف خلاف المنكر فمن دعا بما يخالف الشرع أو سنن الله في الخلق كان دعاؤه منكرا وكان به معتديا فان الاعتداء مجاوزة الحد الشرعي أو العرفي ومنه قوله تعالى « كلوا واشربوا ولا تعتدوا » أي لا تتجاوزوا فيهما الحلال الى الحرام شرعا ولا حد الشبع المعتدل والري المعتاد عرفا . فكلمة الامام « معروف » تشتمل الأمرين في الدعاء ولكنها لا تقال الا لعالم يفهم اجمالها كولده صالح

فصل

(في الدعاء والتوكل ومراعاة الاسباب وسؤال المخلوق)

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله هو الذي خلق السبب والمسبب، والدعاء من جملة الاسباب التي يقدرها ، فالالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد، ومحو الاسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل ، والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع ، بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته الى الله سبحانه وتعالى والله يقدر له من الاسباب من دعاء الخلق وغير ذلك ما يشاء ، والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى والأدنى للأعلى . ومن ذلك طلب الشفاعة والدعاء من الانبياء ، وذكر الاخبار في ذلك الى أن قال: فالدعاء للغير ينتفع به الداعي والمدعو له ، فمن قال لغيره ادع لي . قصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى ، فهو نبه المسئول وأشار اليه بما ينفعهما ، والمسئول فعل ماينفعهما ، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى فيثاب المأمور على فعله والآمر أيضا يثاب مثل ثوابه لكونه دعاه اليه ـ الى أن قال ولم يأمر الله مخلوقا أن يسأل مخلوقا شيئا لم يأمر الله المخلوق المسئول بما أمر الله العبد به أمر ايجاب أو استحباب الى أن قال :

والمقصود ان الله لم يأمر مخلوقا أن يسأل مخلوقا إلا ما كان مصلحة لذلك المخلوق المسئول إما واجب واما مستحب ، فانه سبحانه لا يطلب من العبد الا ذلك فكيف يأمر غيره أن يطلب منه غير ذلك ، بل قد حرم على العبد أن

يسأل العبد مسألة الا عند الضرورة وان كان اعطاء المال مستحبا، ثم من طلب من غيره واجبا أو مستحبا ان كان قصده مصلحة المأمور أيضا فهذا مثاب على ذلك، وان كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المأمور فهذا مثاب على ذلك وان كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المأمور فهذا من نفسه أتي، ومثل هذا السؤال لا يأمر الله به قط بل قد نهى عنه اذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته، والله تعالى يأمرنا أن نعبده ونرغب اليه ويأمرنا أن نحسن الى عباده، وهذا لم يقصد هذا ولا هذا ـ الى أن قال ـ وان كان العبد قد لا يأثم بمثل هذا السؤال لكن فرق بين ما يؤمر العبد به وما يؤذن له فيه ألا ترى أنه قال في حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب «انهم لا يسترقون» وان كان الاسترقاء جائزا الى أن قال:

الاصل في سؤال الخلق أن يكون محرما وانما يباح للحاجة فان فيه الظلم المتعلق بحق الله تعالى، وظلم العباد، وظلم العبد لنفسه ـ الى أن قال ـ الطاعة والاتباع لله ورسوله والخشية والتحسب لله وحده الى أن قال ينبغي أن يعرف في الاسباب ثلاثة أمور (أحدها) أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب بل لابد معه من أسباب أخر، ومع هذا فلها موانع، فان لم يكمل الله الاسباب ويدفع الموانع لم يحصل المقصود (الثاني) أنه لا يجوز أن الشيء سبب الا بعلم كمن يظن ان النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء (الثالث) ان الاعمال الدينية لا يجوز

أن يتخذ شيء (١) سببا إلا أن تكون مشروعة فإن العبادات مبناها على التوقيف والله أعلم.

فصل

(في كون التوكل والدعاء نافعين في الدنيا لا عبادتين لنفع الآخرة وحده)

قال الشيخ أيضا: ظن طائفة أن التوكل لا يحصل به جلب منفعة ولا دفع مضرة، بل ما كان مقدورا بدون التوكل فهو مقدور معه ولكن التوكل عبادة يثاب عليها من جنس الرضا بالقضاء وقول هؤلاء يشبه قول من قال إن الدعاء لا يحصل به جلب منفعة ولا دفع مضرة بل هو عبادة يثاب عليها — إلى أن قال الذي عليه الجمهور أن المتوكل والداعي يحصل له من جلب المنفعة ودفع المضرة ما لا يحصل لغيره، والقرآن يدل على ذلك، ثم هو سبب عند الأكثرين وعلامة وأمارة عند من ينفي الأسباب ويقول

(١) أي شيء منها ولعل لفظ منها سقط من النساخ. وحاصل كلام شيخ الإسلام في هذا الفصل أن مراعاة الأسباب مطلوبة شرعا وعقلا وتجربة وهي من سنن الله تعالى في خلقه فمراعاتها لا تنافي التوكل عليه لأنها من فضله ولكن الأسباب قسمان دنيوية تعرف بالتجارب كالدواء وشرعية تعرف بنص الشرع كالدعاء، ومعنى كون الدعاء سببا ليس معناه أنه سبب طبيعي مباشر لكل ما يدعى به بل المراد أنه نافع تارة بتأثيره في النفس بالصبر وقوة العزيمة اللذين هما من أسباب النصر والغلب وتارة بالتنبه والفطنة للأسباب الخارجية وهو نوع من استجابة الدعاء. وبين شيخ الإسلام أن السبب إنما يثبت بالعلم فالدنيوي بعلم التجارب كأسباب الزراعة والديني بعلم الشرع:

ان الله يفعل عندها لا بها (١) ويقولون ذلك في جميع العبادات وذكر كلاما كثيرا احتج بالآيات المشهورة

وذكر في التحفة العراقية ان التوكل واجب باتفاق أئمة الدين ،

وقال في شرح مسلم : قال العلماء رحمهم الله استعاذته ﷺ من هذه الاشياء (٢) لتكمل صفاته في كل أحواله، وشرعه أيضا تعليما لأمته . وفي هذه الاحاديث دليل لاستحباب الدعاء والاستعاذة من هذه الاشياء المذكورة وما في معناها ، وهذا هو الصحيح والذي أجمع عليه العلماء وأهل الفتاوى في الامصار في كل الاعصار (٣) وذهب طائفة من الزهاد وأهل المعارف الى أن ترك الدعاء أفضل استسلاما للقضاء ، وقال آخرون منهم ان دعا للمسلمين فحسن ، وان دعا لنفسه فالاولى تركه ، وقال آخرون منهم ان وجد في نفسه باعثا للدعاء استحب وإلا فلا ، ودليل الفقهاء ظواهر القرآن والسنة في الامر بالدعاء وفعله والاخبار عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بفعله

وقال الشيخ تقي الدين في مواضع: أعمال القلوب كمحبة الله ورسوله والتوكل على الله واخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف

(١) أي كالاشاعرة (٢) هي العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وفتنة المحيا والممات الخ فانه ذكره في شرح احاديث الاستعاذة مما ذكر وغيره (٣) قوله في كل الاعصار ليست في شرح مسلم الذي بين الايدي وقد صححنا عبارة المصنف عليه وأبقينا هذه العبارة لاحتمال وجودها في بعض النسخ المخطوطة

منه والرجاء له وما يتبع ذلك واجب على جميع الخلق مأمورون (١) باتفاق أئمة الدين لا يكون تركها محموداً في حال أحد وان ارتقى مقامه والذي ظن ان التوكل من المقامات العامة ظن ان التوكل لا يطلب به إلا حظوظ الدنيا وهو غلط ، بل التوكل في الأمور الدينية أعظم.

قال وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله بل قد نهى عنه في مواضع وان تعلق بامر الدين كقوله (ولا تهنوا ولا تحزنوا - لا تحزن ان الله معنا - فلا يحزنك قولهم - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وذلك لانه لا فائدة فيه وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به ، نعم ولا يأثم به صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم وقد يقترن الحزن بما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون محموداً من تلك الجهة لا من جهة الحزن ، كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب عليه على قدر ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك ، ولكن الحزن على ذلك اذا أفضى الى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة نهي عنه والا كان حسب صاحبه رفع الاثم عنه من جهة الحزن ، وأما اذا أفضى الى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر الله به ورسوله كان مذموما مردودا عليه من تلك الجهة وان كان محموداً من جهة أخرى

وأما المحبة له والتوكل عليه والاخلاص له فهذه كلها خير محض وهي محبوبة . ومن قال ان هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط ان

(١) كذا في نسخة مأمورين. ولعل الاصل واجبة على جميع الخلق مأمورون بها

أراد خروج الخاصة عنها فاز هذه لا يخرج منها مؤمن قط، انما يخرج عنها الكافر والمنافق، وذكر كلاما كثيرا، وقال ابن عقيل في الفنون: العقلاء يعلمون أن الاحتراز لا يقدح في التوكل وان دقيق الحيل من الاعداء يدفع بلطيف التحرز والمبالغة في التحفظ ، وروى الخلال في الجامع في آخر الجنائز عن سعيد بن المسيب ان سلمان الفارسي وعبدالله بن سلام رضي الله عنهما قال أحدهما لصاحبه إن لقيت ربك فاخبرني ما لقيت وإن لقيته قبلك أخبرتك، فذكر سعيد ان أحدهما توفي فلقي صاحبه في المنام فقال له الميت توكل وابشر فاني ما رأيت مثل التوكل ، وروى فيه أيضا في التجارة والتكسب : أخبرنا محمد بن أحمد بن منصور قال سأل المازني بشر بن الحارث عن التوكل فقال : المتوكل لا يتوكل على الله ليكفى ولو حلت هذه القصة في قلوب المتوكلة لضجوا الى الله بالندم والتوبة، ولكن المتوكل يحل بقلبه الكفاية من الله فيصدق الله عز وجل فيما ضمن . ولم يذكر الخلال ما يخالف كلام بشر لا من عنده ولا من عند غيره ، فبشر رحمه الله يقول من توكل ليكفى لم يخلص التوكل لله فيقدح فيه ويكون لغير الله، ونظيره من اتقى الله ليجعل الله له مخرجا ، ومن اتقى الله ليجعل له فرقانا ، ومن تواضع ليرتفع. ولهذا قال عليه السلام « وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» ولهذا قال بعضهم لبعض من تواضع ليرتفع: لا يرتفع بالتواضع أي لا يقصده هذا وهو نظير الكلام المشهور: من أخلص لله أربعين يوما نطق بالحكمة. وفعل بعض الناس له لينطق بالحكمة وانه لم ينطق بها ، وسأله بعض

المشايخ عن هذا فقال له: لم تخلص انما فعلت هذا لاجل هذا ، وهذا الكلام « من أخلص لله » يروى عن مكحول عن النبي ﷺ مرسلا وسبق في فصول التوبة ما يتعلق بهذا وهو مذكور في الفقه في باب ما يبطل الصلاة

فصل

(التسليم لله في استجابة الدعاء وقضاء الحوائج)

قال ابن عقيل في الفنون : قد ندب الله الى الدعاء وفيه معان: الوجود والغنى والسمع والكرم والرحمة والقدرة ، فان من ليس كذلك لا يدعى ، ومن يقول بالطبائع يعلم ان النار لا يقال لها كفي، ولا النجم لا يقال له أصلح مزاجي، لان هذه عندهم مؤثرة طبعا لا اختيارا ، فشرع الدعاء والاستشفاء ليبين كذب أهل الطبائع وقال (وان من شيء إلا عندنا خزائنه) حتى لا يُطلبَ إلا منه ، ثم أحب أن يظهر جواهر أهل الابتلاء فقال لذا اذبح ولدك ، وقرص هذا بالبلاء ليحملهم على الدعاء واللجاء

وقال أيضا في الفنون : تستبطىء الاجابة من الله تعالى لأ دعيتك في أغراضك التي يجوز أن يكون في باطنها المفاسد في دينك ودنياك، وتتسخط بإبطاء مرادك مع القطع على انه سبحانه لا يمنعك شحاً ولا بخلا ولا نسيانا، وقد شهد لصحة ذلك مراعاته لك . ولا لسان ينطق بدعاء ، ولا أركان مبدء ، ولا قوة تتحرك بها في طاعة من طاعاته، فكيف وجملتك وأبعاضك وقف على خدمته، ولسانك رطب بأذكاره ؟ لكن انما أخر رحمة لك وحكمة ومصلحة ، وقد تقدم اليك بذلك تقدمة، فقال سبحانه (وعسى أن تكرهوا

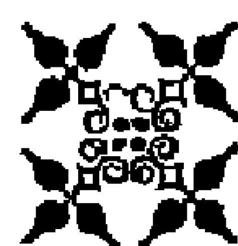
شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) وأنت العبد المحتاج تتخلف عن أكثر أوامره ، ولا تستبطىء نفسك في أداء حقوقه ، هل هذا إنصاف أن يكون مثلك يبطىء عن الحقوق ولا تنكر ذلك من نفسك ، ثم تستبطىء الحكيم الازلي الخالق في باب الحظوظ التي لا تدري كيف حالك فيها هل طلبها عطب وهلاك ، أو غبطة وصلاح

وقال أيضاً بعد أن تكلم على قوله تعالى (وابتلوا اليتامى) الآية والله سبحانه ينبهك على الاحتياط لنفسك وسرك ومالك ، بالاحتياط لمال غيرك ، لقد أوجب عليك ذلك التحرز والتحفظ والارتياد والمبالغة في الانتقاد لكل محل تودعه سراً أو مالا أو ترجع اليه ، أو مشورة تقتبس بها رأيا ، ونبهك على ما هو أوكد من ذلك وهو أن تعلم بأنك وان بلغت الغاية من الفهم والعقل والتجربة يجوز أن يعلم البارىء سبحانه تقصيرك عن تدبير نفسك ، فاذا بالغت في الدعاء المحبوب نفسك جاز له سبحانه أن يعطيك بحسب ما طلبت ، ولا يرخي لذلك العنان بحكم ماله أردت ، بل يحبس عنك لصلاحك ، ويضيق عليك ما وسعه على غيرك نظراً لك ، لانك في حجر الربوبية مادمت عبداً ، فاذا أخرجك عن ربقة التكليف سرحك تسريحاً ، ولا تطالب التخلية حال حبسك ، ولا التصرف بحسب مرادك حال حجرك فلست رشيداً في مصالحك ، فكن بالله كاليتيم مع الولي الحميم ، تسترح من كد التسخط ، وتنجو من مأثم الاعتراض والتحير ، وليس يمكنك هذا

إلا بشدة بحث ونظر في حبك وقدرك . فاذا علمت انك بالاضافة الى الحكمة الربانية والتدبير الالهي دون اليتيم بالاضافة الى الولي بكثير ، صح لك التفويض والتسليم ، واسترحت من كد الاعتراض ومرارة التسخط والتدبير . وقد أشار الى ذلك بقوله تعالى (وكفى بربك وكيلا)

واعلم انك في أسر الاقدار تصرف فان اعترضت صرت في اسر الشيطان ، فلأن تكون في اسر من لا يتهم عليك خير من أن تكون في اسرين ، أحدهما لا محيص لك عنه، والآخر أنت أوقعت نفسك فيه . ولا أقبح من عاقل حماه الله وحجر عليه حميمه نظراً له أدخل على نفسه عدوا يقبح آثار وليه عنده ، ويسخطه عليه ليفسد عليه حاله مع الولي . وذكر كلاما كثيرا

وقال أيضا كل حال خص الله تعالى في قلب المؤمن فينبغي أن يغتنم تلك اللحظة فانها ساعة اجابة، فحضور ذكر الله تعالى بقلب العبد حضور واستحضار ، وخير أوقات الطلب استحضار الملوك، ومن اشتدت فاقته فدعا، أو اشتد خوفه فبكى ، فذلك الوقت الذي ينبغي أن يدعو فيه فانه ساعة اجابة وساعة صدق في الطلب ، وما دعا صادق الا أجيب . وسبق ما يستعمل لازالة الهم والغم قبيل فصول الامر بالمعروف وفي الكلام على دعوة ذي النون عليه السلام . ويأتي أدعية في فصول التداوي



الفصول الخاصة بالقرآن والمصحف

فصل

(في كراهة نقط المصحف وشكله وكتابة الاخماس والاعشار وأسماء السور) (١)

وعدد الآيات فيه روايتان . وعنه يستحب نقطه . وقال ابن حمدان ومثله شكله ، ويكره التغيير فيه وعنه لا بأس به، وتحرم مخالفة خط عثمان في واو وياء وألف أوغير ذلك ، نص عليه . ويجوز تقبيل المصحف، قدمه في الرعاية وغيرها . وعنه يستحب لان عكرمة بن أبي جهل كان يفعل ذلك رواه جماعة منهم الدارمي وأبو بكر عبد العزيز، وعنه التوقف فيه وفي جعله على عينيه . قال القاضي في الجامع الكبير انما توقف عن ذلك وان كان فيه رفعة وإكرام لان ما طريقه القرب إذا لم يكن للقياس فيه مدخل لا يستحب فعله وان كان فيه تعظيم إلا بتوقيف(٢) ألا ترى أن عمر لما رأى الحجر قال لا تضر ولا تنفع ولولا أن رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك . وكذلك معاوية لما طاف فقبل الاركان كلها أنكر عليه ابن عباس ،فقال ليس في البيت شيء مهجور ، فقال انما هي السنة فأنكر عليه الزيادة على فعل النبي

---

(١) هذا العنوان للمصنف رحمه الله وهو لعدة فصول

(٢) هذه قاعدة من اهم اصول الفقه لورعاها المسلمون حق رعايتها لسلموا من دخول مالا عليهم من البدع والغلو في الدين من باب تعظيم الانبياء والصالحين وآل البيت متبعين في هذا الفلوسنن من قبلهم من اليهود والنصارى

ﷺ . وسبق بنحو ثلاثة كراريس ان احمد استوى جالسا لما ذكر عنده ابراهيم بن طهمان، وقول ابن عقيل أخذت من هذا أحسن الادب فيما يفعله الناس عند امام العصر من النهوض لسماع توقيعاته . ومعلوم أن القيام للمصحف أولى من ذلك . وكلام القاضي السابق يدل على العمل بالتوقيف . وقال الشيخ تقي الدين اذا اعتاد الناس قيام بعضهم لبعض فقيامهم لكتاب الله أحق

فصل

﴿ في اسماء السور وما تجب صيانة المصحف عنه ﴾

توقف أحمد أن يقال سورة كذا . قال الخلال لا بأس به وهو الذي قدمه في الرعاية . وقال القاضي الأشبه ان يكره بل يقال السورة التي يذكر فيها كذا . ويحرم أن يكتب القرآن وذكر الله تعالى بشيء نجس أو عليه أو فيه فان كتبابه أو عليه أو فيه غسلا . وقيل ان نجس ورقة المكتوب فيه أو كتب بشيء نجس أو بلى واندرس أو غرق دفن كالمصحف نص عليه في المصحف إذا بلي . وقال المروذي سألت أبا عبد الله عن الستر يكتب عليه القرآن ؟ فكره ذلك وقال لا يكتب القرآن على شيء منصوب ولا ستر ولا غيره. ويكره توسد المصحف ذكره ابن تميم وذكره في الرعاية وقال بكر بن محمد كره ابو عبدالله أن يضع المصحف تحت رأسه فينام عليه قال القاضي انما كره ذلك لان فيه ابتذالا له ونقصانا من حرمته فانه يفعل

به كما يفعل بالمتاع . واختار ابن حمدان التحريم وقطع به في المغني والشرح(١) كما سيأتي في الفصل بعده ، وكذا سائر كتب العلم ان كان فيها قرآن وإلا كره فقط . وقال أحمد في رواية نعيم بن ناعم وسأله أيضع الرجل الكتب تحت رأسه ؟ قال أي كتب ؟ قلت كتب الحديث ، قال إذا خاف أن تسرق فلا بأس وأما ان تتخذه وسادة فلا

وروى الخلال في الاخلاق عنه انه كان في رحلته الى الكوفة أو غيرها في بيت ليس فيه شيء وكان يضع تحت رأسه لبنة ويضع كتبه فوقها. وقال ابن عبد القوي في كتابه مجمع البحرين انه يحرم الاتكاء على المصحف وعلى كتب الحديث وما فيه شيء من القرآن اتفاقا انتهى كلامه . ويقرب من ذلك مد الرجلين الى شيء من ذلك ، وقال الحنفية يكره لما فيه من أسماء الله تعالى وإساءة الادب . قال أبو زكريا النواوي رحمه الله أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الاطلاق وتنزيهه وصيانته وأجمعوا على أن من جحد حرفا لم يقرأ به أحد (٢) وهو عالم بذلك فهو كافر

وقال القاضي عياض اعلم ان من استخف بالقرآن أو بالمصحف أو بشيء منه أو جحد حرفا منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت مانفاه أو نفى ما أثبته وهو عالم بذلك أو شك في شيء من ذلك

(١) المراد من كلمة الشرح في هذا الكتاب وأمثاله من كتب الحنابلة شرح المقنع المعروف بالشرح الكبير الذي طبع مع المغني في ١٢ مجلدا

(٢) مالم يقرأ به أحد لا يكون قرانا والظاهر انه سقط من هنا أو زاد فيه حرفا الخ فان الزيادة فيه كالنقص منه

فهو كافر باجماع المسلمين، وكذلك إن جحد التوراة أو الانجيل أو كتب الله المنزلة أو كفر بها أو سبها أو استخف بها فهو كافر (١) وقد أجمع المسلمون على ان القرآن المتلو في جميع الاقطار المكتوب في المصحف الذي بأيدي المسلمين ماجمعه الدفتان من أول (الحمد لله رب العالمين) الى آخر (قل أعوذ برب الناس) كلام الله وحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصداً لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الاجماع وأجمع عليه انه ليس بقرآن عامداً بكل هذا فهو كافر. قال أبو عثمان بن الحداد: جميع من ينتحل التوحيد متفقون على ان الجحد بحرف من القرآن كفر وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن سنبوذ المقري أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه للرجوع عنه والتوبة سجلا أشهد فيه على نفسه في مجلس الوزير بن علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وأفتى محمد بن أبي زيد فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك - وقال أردت سوء الادب ولم أرد القرآن - قال يؤدب القائل. قال وأما من لعن المصحف

(١) المراد بالتوراة والانجيل وكتب الانبياء ما أنزله الله تعالى لا ما في ايدي أهل الكتاب بأعيانها فعقيدة المسلمين المأخوذة من النصوص فيها ان بعض ما فيها باطل قطعا وهو ما خالف نصوص الاسلام كصلب المسيح و . . . وبعضه صحيح المعنى وان حرفوا لفظه بالتراجم وغيرها. وما احتمل الامرين لا نصدقهم ولا نكذبهم فيه كما أمرنا النبي ﷺ

فانه يقتل انتهى كلامه ، وكذا محمد بن الحسن بن مقسم أبو بكر المقريء النحوي أحد الأئمة استتيب من قراءته بما لا يصح نقله فكان يقرأ بذلك في المحراب ويعتمد على مايسوغ في العربية وان لم يعرف له قاريء . توفي بعد الخمسين وثلثمائة

ويحرم بالسفر (١) الى أرض العدو للخبر المتفق عليه . وقيل ان كثر العسكر وأمن استيلاء العدو عليه فلا لقوله في الخبر «مخافة أن تناله أيديهم» (٢) وقال في المستوعب يكره أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو إلا أن يكون العسكر كثيرا فيكون الغالب فيه السلامة والاول هو الذي ذكره في الشرح وقدمه في الرعاية

وللامام ونائبه أن يكتبا في كتبهما الى الكفار آيتين أو أقل كالتسمية في الرسالة . وهل للذمي نسخه بين يديه بدون حمله ولمسه ؟ على روايتين ويمنع من قراءته نص عليه ، وقيل لا يمنع منها بل يمنع من لمسه وتملكه . ويمنع المسلم من تمليكه له فان ملكه بارث أو غيره ألزم بازالة ملكه عنه . ويجوز للمسلم والذمي أخذ الاجرة على نسخ المصحف نص عليه .

---

(١) كذا في الاصل ولا بد ان يكون أصله : ويحرم السفر به الخ

٢) تدل قرائن الاحوال على ان وقوع المصحف في أيدي الاعداء كان مظنة فتنة في العصر الاول لقلة المصاحف فيخشى ان يغيروا فيه ويحرفوه ، ليطعنوا فيه ويشككوا من شاؤا فيما في ايدي المسلمين . ثم كثرت المصاحف وعمت الآفاق ، ويوجد منها ألوف في جميع بلاد الكفار ، ولكن أمنت تلك الفتنة وأتم الله وعده بحفظ كتابه

فصل

قال في المغنى والشرح لا يجوز أن يجعل القرآن بدلا من الكلام لانه استعمال له في غير ما هو له أشبه استعمال المصحف في التوسد ونحوه ذكره في الاعتكاف وقال في الكافي قال ابن عقيل ثم ذكر ماذكره في المغني ولم يزده ، وذكر في الرعاية في الاعتكاف ان ذلك مكروه وهو الذي ذكره في التلخيص

فصل

(في الاقتباس بتضمين بعض القرآن في النظم والنثر)

سئل ابن عقيل عن وضع كلمات وآيات من القرآن في آخر فصول خطبة وعظية؟ فقال تضمين القرآن لمقاصد تضاهي مقصود القرآن لا بأس به تحسينا للكلام ، كما يضمن في الرسائل الى المشركين آيات تقتضي الدعاية الى الاسلام ، فأما تضمين كلام فاسد فلا يجوز ككتب المبتدعة (١) وقد أنشدوا في الشعر

ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنينا

ولم ينكر على الشاعر ذلك لما قصد مدح الشرع وتعظيم شأن أهله وكان تضمين القرآن في الشعر سائغا لصحة القصد وسلامة الوضع

(١) ومثله الاقتباس في المجون والفحش ومنه ما هو اهانة ظاهرة لا يستحل مثلها المبتدعة وفي كتب البديع والادب امثلة منها

فصل

﴿ في تفسير القرآن بمقتضى اللغة وحكم تفسير الصحابي والتابعي له ﴾

وفي جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان ذكرهما القاضي وغيره ويقبل تفسير الصحابي ويلزم قبوله ان قلنا قوله حجة قال ابن تميم يرجع الى تفسير الصحابي للقرآن قال: وقال القاضي تفسير الصحابي كقوله فان قلنا هو حجة لزم المصير الى تفسيره ، وان قلنا ليس بحجة ونقل كلام العرب في ذلك صير اليه ، وان فسره اجتهادا أو قياسا على كلام العرب لم يلزم، ولا يلزم الرجوع الى تفسير التابعي إلا أن ينقل ذلك عن العرب وعنه هو كالصحابي في المصير الى تفسيره ، وقال أبو الحسين إذا لم نقل قول الصحابي حجة (١) ففي تفسيره وتفسير التابعي روايتان : اللزوم وعدمه

فصل

﴿ في القراءة في كل حال الا لمن ثبت عليه الغسل ﴾

تجوز القراءة لماش وراكب ومضطجع ومحدث حدثا أصغر ونجس البدن والثوب وعلى كل حال إلا مع جنابة أو حيض ونفاس ، وحكى بعض أصحابنا عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن حديث وهو متكىء فاستوى جالسا وقال أكره أن أحدث عن رسول الله ﷺ وأنا متكىء ،

(١) الجمهور على أنه غير حجة في المسائل الاجتهادية وانما ينظر فيه ويعتبر به من جهة اللغة ومن جهة احتمال التوقيف وعدمه

فكلام الله أولى (١) ويحتمل أن يمنع منها نجس الفم وقال ابن تميم : لا تمنع نجاسة الفم قراءة القرآن ذكره القاضي والاولى المنع وقد نص أحمد رحمه الله في رواية ابن منصور وغيره أنه لا بأس بقراءة القرآن في الطريق . وتكره القراءة مع حمل الجنازة جهرا وحال خروج الريح لا حال لمس الذكر والزوجة ، زاد القاضي وأكله للحم الجزور وغسله للميت على احتمال فيه لان تلك الحال غير مستقذرة في العادة، ولانه في هذه الحال يبعد منه الملك . قال أحمد في رواية يعقوب في الرجل يقرأ فيخرج منه الريح يمسك عن القراءة

وتكره القراءة في الحمام قال في الرعاية وابن تميم على الاصح صيانة للقرآن ، ورواه سعيد عن علي وحكاه ابن عقيل عن علي وابن عمر قال في الشرح ولم يكرهه النخعي ومالك لانا لا نعلم حجة على الكراهة ولم يذكر في المستوعب غير الكراهة وهو الذي ذكره الشيخ مجدالدين في شرح الهداية وقال نص عليه وبه قال أبو حنيفة وأبو يوسف واسحاق واحتج بقول علي

(١) لكن صح عن عائشة (رض) انها كانت تقرأ القرآن وهي مضطجعة وقد وصف الله أولى الالباب من خواص المؤمنين بقوله « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » فما ذكره المصنف في أول الفصل هو الصواب . والفرق بينه وبين التحديث ان مجلس تلقين العلم من السنة ومن القرآن بالأولى يطلب فيه من الادب الاجتماعي مالا يطلب في العبادة الشخصية . التي يحسن التوسع فيها لاستدامتها

فصل

(في القراء في السوق واختلاف حال القاريء والسامعين فيه)

قال ابن عقيل في الفنون قال حنبلي : كم من أقوال وأفعال تخرج مخرج الطاعات عند العامة وهي مأثم وبعد من الله سبحانه عند العلماء مثل القراءة في أسواق يصيح فيها أهل المعاش بالنداء والبيع ولا أهل السوق يمكنهم السماع ذلك امتهان «قال حنبلي أعرفه وولعل أهل السوق يسمعون النهي عن مرايات (١) أو معصية فيتركونها انتهى كلامه .

فصل

(في التلاوة عند المصائب لتسكينها)

من المعلوم أنه يشرع في أوقات الشدائد والمصائب قراءة شيء يسكنها بذكر ما جرى على الأئمة ليتأسى بهم صاحب المصيبة وما وعد الله الصابرين من الاجر والثواب الجزيل ، وأما قراءة شيء يهيج الحزن ويحمل على الجزع فينبغي أن يكره . وفي كلام ابن عقيل ما يقتضي ذلك فإنه رحمه الله لما توفي ابنه عقيل سنة عشر وخمسمائة وعمره سبع وعشرون سنة وكان تفقه وناظر في الاصول والفروع وظهر منه أشياء تدل على دينه وخيره

(١) هكذا رسمت الكلمة في الخط والظاهر ان المراد بها المراءات من الرياء ويحتمل ان يكون اصلها المراباة أي التعامل بالربا وهو المناسب لحال السوق . ويمكن الجمع بين قولي هذين الحنبليين بأن الممنوع ما يعد اهانة في العرف كمن يقرأ للتسول في مكان مبتذل يمتهن فيه ولا ينتفع أحد منه . والثاني من يقرأ في مكان محترم بحيث يسمعه وينصت له بعض التجار وغيرهم

حزن عليه وصبر صبرا جميلا فلما دفن جعل يتشكر للناس فقرأ قارىء (ياأيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين) فبكى ابن عقيل وبكى الناس وضج الموضع بالبكاء فقال ابن عقيل للقارىء ياهذا ان كان يهيج الحزن فهو نياحة ، والقرآن لم ينزل للنوح بل لتسكين الاحزان .

﴿ فصل ﴾

﴿ في تحزيب القرآن وتقسيم ختمه على الايام ﴾

ويستحب القرآن في كل اسبوع نص عليه قال النبي ﷺ « اقرإ القرآن في كل أسبوع مرة ولا تزيدن على ذلك » (١) وقال أوس بن حذيفة سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده . رواه أبو داود وروى الثاني أحمد وفيه حزب المفصل من قاف حتى تختم ، ورواه الطبراني فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف كان رسول الله ﷺ يحزب القرآن؟ قالوا كان يحزبه ثلاثا وخمسا وذكره واسناده جيد. وان قرأه في كل ثلاث فحسن لم يذكر في الشرح وغيره

وقال عبد الله بن عمرو قلت لرسول الله ﷺ ان بي قوة قال « اقرأه في ثلاث » رواه أبو داود ، قال في رواية بكر بن محمد عن أبيه وقد سأله عن الرجل يختم القرآن في أقل من سبع: مايعجبني ولا أعلم فيه

(١) جاء في الاصل بالجمع وهو مختصر بتصرف من حديث عبدالله بن عمرو الذي يذكر قريبا مفصلا وليس بحديث مستقل .

رخصة ثم ذكر أبو عبد الله بعد أن نظر في حديث عبد الله بن عمرو «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» ـ فهذه رخصة. قال القاضي وظاهر هذا الرجوع يعني عن رواية الكراهة انتهى كلامه وعنه تكره قراءته دون السبع، قال القاضي نص عليه في رواية الجماعة لان عبد الله بن عمرو قال للنبي ﷺ أقرأ القرآن في كل ليلة؟ فقال له «اقرأ القرآن في كل شهر مرة» قلت اني أطيق أفضل من ذلك؟ قال «في كل عشرين» قلت اني أطيق أفضل من ذلك؟ قال «في كل عشر» قلت اني اطيق افضل من ذلك؟ قال «في كل سبع ولا تزد على ذلك» وفي لفظ «اقرأ القرآن في كل شهر» قلت اني أجد قوة قال «في عشرين ليلة» قلت اني أجد قوة قال «في سبع ولا تزد على ذلك» وفي لفظ «اقرأ القرآن في كل شهر» قلت أطيق أكثر من ذلك فردده(١) في الصوم الى صوم داود وقال «واقرأه في سبع ليال مرة» متفق على ذلك.

وتكره قراءته فيما دون الثلاث، قال في رواية ابن منصور أكره له دون ثلاث وهو معنى ما نقل حرب ويعقوب كقوله ﷺ «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» رواه أبو داود

(١) كذا في النسخة النجدية والمصرية ناقصة من هنا ويظهر انه سقط شيء من الكلام والمعنى الذي يؤخذ في روايات الحديث انه ردده في القراءة وفي الصوم اذ كان يصوم كل يوم فأمره ان يصوم من كل شهر ثلاثة ايام وما زال يراجعه حتى رده في الصوم الى صوم داود وكان يصوم يوما ويفطر يوما وفي القراءة الى سبع ليالي وذلك انه كان يقرأ في صلاة الليل

والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح ، وعنه لا يكره لما روى البخاري ان النبي ﷺ قال لعبد الله بن عمرو « اقرأ القرآن في كل شهر » قال أطيق أكثر فما زال حتى قال في ثلاث . والمراد على هذه الرواية اذا لم يكره ان الفعل مستحب لان القراءة مطلوبة ولا كراهة وهو ظاهر الخبر، وعنه لا بأس بذلك أحيانا وتكره المداومة عليه . قال ابراهيم بن تميم وهو أصح وتجوز قراءته كله في ليلة واحدة ، وعنه تكره المداومة على ذلك . وعنه ان ذلك غير مقدر بل هو على حسب حاله من النشاط والقوة لانه روي عن عثمان انه كان يختمه في ليلة وروي ذلك عن جماعة من السلف. ويكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوما بلا عذر نص عليه لان عبدالله ابن عمرو سأل النبي ﷺ في كم يختم القرآن ؟ قال « في أربعين يوما » الحديث رواه أبو داود ، وان خاف نسيانه أو زاد عليها فنسيه بلا عذر حرم وفيه وجه يكره ، ويسن ختمه في الشتاء أول الليل وفي الصيف أول النهار ، قال ذلك ابن المبارك وذكره أبو داود لاحمد فكأنه أعجبه ويجمع أهله وولده وغيرهم عند ختمه ويدعو، نص عليه ، وقد روي عنه أيضا خلافه فروى المروذي قال كنت مع أبي عبد الله نحوا من أربعة أشهر بالعسكر ولا يدع قيام الليل وقراءة النهار فما علمت بختمة ختمها وكان يسر ذلك

وقد روى طلحة بن مصرف قال أدركت أهل الخير من صدر هذه الامة يستحبون الختم في أول الليل وأول النهار ويقولون اذا ختم في أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي ، واذا ختم أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح . ورواه ابن أبي داود ونص على هذا في رواية محمد بن

حبيب . وكان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله وولده . قاله أحمد في رواية أبي الحارث وغيره . وروي ذلك عن ابن مسعود وغيره ، ورواه ابن شاهين مرفوعاً من حديث أنس ، وروى أبو عبيد هذا المعنى عن أبي قلابة مرسلا

فصل

﴿ في بيان سور المفصل ﴾

وللعلماء في المفصل أقوال (أحدها) انه من أول (ق) صححه ابن أبي الفتح في مطلعه وغيره . قال الماوردي في تفسيره حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة للخبر المذكور في الفصل قبله والثاني من الحجرات والثالث من أول الفتح والرابع من أول القتال . قال الماوردي وهو قول الاكثرين والخامس من (هل أتى على الانسان) والسادس من سورة الضحى . قال الماوردي وهو قول ابن عباس

وقال الشيخ سيف الدين ابن الشيخ فخر الدين الحنبلي الحراني في خطبة له : وفي المفصل خلاف مفصل غير مجمل ، فقيل هو من سورة محمد وهو النبي المرسل ، وقال قوم من الفتح وهو قول معمل ، وقال قوم من ﴿ق﴾ وهذا القول أجزل ، وقال قوم من الضحى ، والصحيح الاول ، وقال قوم من (هل أتى على الانسان) وما عليه معول

وفي تسميته بالمفصل للعلماء أربعة أقوال (أحدها) لفصل بعضه على(١) بعض (والثاني) لكثرة الفصل بينها (٢) بسم الله الرحمن الرحيم (والثالث) لاحكامه (والرابع) لقلة المنسوخ فيه

(١) كذا ولعل الاصل عن (٢) أي السور

فصل

﴿ في فضل القراءة في المصحف ﴾

وقراءة القرآن في المصحف أفضل . قال الطبراني ثنا ابراهيم بن دحيم الدمشقي ثنا أبي وحدثنا عبدان بن حمدان ثنا دحيم الدمشقي ثنا مروان بن معاوية ثنا أبوسعيد بن عون المكي عن عثمان بن عبدالله بن أوس الثقفي عن جده قال قال رسول الله ﷺ « قراءة الرجل القرآن في غير المصحف الف درجة وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك الى ألفي درجة » كذا نقلته من خط الحافظ ضياء الدين وانما هو أبو سعيد بن عود روى ابن أبي مريم عن ابن معين ليس به بأس وروى غيره عنه : ضعيف ، وروى ابن عدي خبره هذا واختلف عليه في متنه وقال مقدار مايرويه غير محفوظ ، ذكر هذه المسئلة الآمدي من أصحابنا . وذكر الحافظ أبو موسى في (الوظائف) في ذلك آثاراً

وفي الحديث « النظر فى المصحف عبادة » قال عبدالله كان أبي يقرأ كل يوم سبعا لا يكاد يتركه نظرا (١) قال القاضي وانما اختار أحمد القراءة في المصحف لأخبار فروى ابن أبي داود باسناده عن أبي داود مرفوعا « من قرأ مائتي آية كل يوم نظرا شفع في سبعة قبور حول قبره وخفف العذاب عن والديه وان كانا مشركين » وروى أبو عبيد في فضائل القرآن باسناده عن النبي ﷺ « فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرأه ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة » وباسناده عن ابن عباس قال كان عمر بن

(١) أي قراءة نظر في المصحف

الخطاب رضي الله عنه إذا دخل البيت نشر المصحف فقرأ فيه . وعن ابن مسعود وعائشة نحو ذلك ، وعن ابن عمر الحث على ذلك رضي الله عنهم ، قال القاضي وقد روي في فضل النظر الى المصحف من غير قراءة أخبار فروى ابن أبي داود باسناده عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ «النظر الى الكعبة عبادة، والنظر في وجه الوالدين عبادة، والنظر في المصحف عبادة» وباسناده عن الاوزاعي قال كان يعجبهم النظر في المصحف بعد القراءة هنيّة ، قال ابن الجوزي وينبغي لمن كان عنده مصحف أن يقرأ فيه كل يوم آيات يسيرة لئلا يكون مهجورا

فصل

(في العمل بالحديث الضعيف وروايته والتساهل في أحاديث الفضائل دون ماتثبت به الاحكام والحلال والحرام والحاجة الى السنة وكونها من الدين)

ولاجل الآثار المذكورة في الفصل قبل هذا ينبغي الاشارة الى ذكر العمل بالحديث الضعيف والذي قطع به غير واحد ممن صنف في علوم الحديث حكاية عن العلماء انه يعمل بالحديث الضعيف فيما ليس فيه تحليل ولا تحريم كالفضائل(١) وعن الامام أحمد مايوافق هذا قال ابن عباس

(١) نقل الحافظ السخاوي في خاتمة (القول البديع) عن الامام النووي قول المحدثين والفقهاء باستحباب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف لا بالموضوع — ونقل عن القاضي ابن العربي المالكي عدم جواز العمل به مطلقا . ثم ذكر ان أستاذه الحافظ ابن حجر قال وكتبه لي بخطه : =

ابن محمد الدوري سمعت أحمد بن حنبل وهو شاب على باب أبي النضر فقيل له يا أبا عبد الله ما تقول في موسى بن عبيدة ومحمد بن اسحاق؟ قال أما محمد فهو رجل نسمع منه ونكتب عنه هذه الاحاديث يعني المغازي ونحوها، وأما موسى بن عبيدة فلم يكن به بأس ولكنه روى عن عبدالله ابن دينار عن ابن عمر أحاديث مناكير فأما اذا جاء الحلال والحرام أردنا أقواما هكذا، قال العباس وأرانا بيده، قال الخلال وأرانا العباس فعل أبي عبد الله قبض كفيه جميعا وأقام ابهاميه

وروى أبو بكر الخطيب ثنا محمد بن يوسف القطان النيسابوري ثنا محمد بن عبد الله الحافظ سمعت أبا زكريا العنبري سمعت أبا العباس أحمد ابن محمد السجزي يقول سمعت النوفلي يعني أبا عبدالله يقول سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول اذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال

= شرائط العمل بالضعيف ثلاثة :

(الاول) متفق عليه ـ أن يكون الضعف غير شديد فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه (الثاني) أن يكون مندرجا تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لايكون له أصل أصلا (الثالث) أن لايعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبي ﷺ مالم يقله . والأخيران عن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد . والاول نقل العلائي الاتفاق عليه اهـ ثم نقل السخاوي انه روي عن الامام أحمد انه يعمل بالضعيف اذا لم يوجد غيره ولم يكن ثم ما يعارضه . وهذا شرط آخر لم يتنبه الحافظ بن حجر الى شرطيته . والعمدة في مذهب أحمد ما نقله المصنف هنا فانه أعلم الناس بمذهبه كما شهد له ابن القيم وكفى بشهادته

والحرام شددنا في الاسانيد، واذا روينا عن رسول الله ﷺ في فضائل الاعمال وما لا يضع حكما ولا يرفعه تساهلنا في الاسانيد. وذكر هذا النص القاضي أبو الحسين في طبقات أصحابنا في ترجمة النوفلي وذكر القاضي في الجامع الكبير أن الامام أحمد ضعف الاحاديث التي فيها «أول الوقت رضوان الله، وآخر الوقت عفو الله» قال واذا ثبت ان الحديث ضعيف لم يحتج به على الماء ثم قاله القاضي مجيبا لمن قال ان العفو يكون مع الاساءة فيقتضي أن يكون مسيئا بتأخيرها ويشهد لهذا أحاديث

قال الامام أحمد في المسند ثنا شريح ثنا ابو معشر عن سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «ما جاءكم عني من خير قلته أو لم أقله فانا أقوله وما أتاكم من شر فاني لا أقول الشر» ابو معشر اسمه نجيح لين مع انه صدوق حافظ ورواه ابو بكر البزار من حديثه

وروى الامام احمد ايضا عن يحي بن آدم ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «اذا حدثتم عني حديثا تنكرونه ولا تعرفونه فلا تصدقوا فاني لا اقول ما ينكر ولا يعرف» رواه الدار قطني وغيره من حديث يحي بن آدم فقال عن سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة ولعل احمد رواه هكذا وسقط من النسخة وهو حديث جيد الاسناد وسيأتي في كلام البيهقي في آخر الفصل، وقال احمد ايضا: ثنا ابو عامر ثنا سليمان يعني

ابن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد ابن سويد عن ابي حميد وابي أسيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون انه منكم قريب فأنا أولاكم به ، واذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون انه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه » اسناد جيد ورواه أبو بكر الخلال والذي قبله عن عبدالله بن الامام أحمد عن أبيه ، وروى البيهقي الثاني من حديث قتيبة عن سليمان بن بلال ومن حديث الدراوردي كلاهما عن ربيعة به قال وتابعه عمارة بن غزية عن عبد الملك بن سعيد بن سويد ، ووقع في رواية البيهقي عن أبي حميد أو أبي أسيد بالشك قال وهذا أمثل اسناد روي في هذا الباب

وقال البخاري في تاريخه قال لنا عبد الله بن صالح ثنا بكر هو ابن مضر عن عمرو هو ابن الحارث عن بكير هو ابن عبد الله بن الاشج عن عبد الملك بن سعيد حدثه عن عباس بن سهل عن أبيّ رضي الله عنه اذا بلغكم عن النبي ﷺ مايعرف ويلين الجلد فقد يقول النبي ﷺ الخير ولا يقول إلا الخير . قال البخاري وهذا أصح من رواية من روى عنه عن أبي حميد أو أبي أسيد(١) قال البيهقي فصار الحديث المسند معلولا ،

---

(١) أقول وهو أصح معنى كما انه اصح سندا فانه افاد ان الحديث في الخير قد يكون صحيحا لأنه « ص » يقول الخير ولكن لا يحكم بانه قاله لأنه خير بل لا بد من التثبت في روايته لجواز ان يكون خيرا ولم يقله . واما اذا كان شرا أو منكرا فيجب القطع بانه لم يقله لانه « ص » لا يقول الا الحق والخير فلا يعتد بصحة السند مع بطلان المتن

وقال الحسن بن عرفة في جزئه ثنا أبو يزيد خالد بن حبان الرقي عن فرات ابن سلمان وعيسى بن كثير كلاهما عن أبي رجاء عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « من بلغه عن الله شيء له فيه فضيلة فأخذ به ايمانا ورجاء ثوابه أعطاه الله عز وجل ذلك وان لم يكن كذلك » خالد قواه الامام أحمد وجماعة وضعفه الفلاس ، وأما أبو رجاء فهو محرز الجزري فيما أظن، قال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج بخبره اذا انفرد وذكره أيضا في الثقات وقال يدلس وقال أبو حاتم الرازي شيخ ثقة وقال أبو داود ليس به بأس ولعل هذا حديث حسن ، ويحتمل ان أبا رجاء عبد الله بن محرر براءين مهملتين وهو متروك بالاتفاق لكن لم أجد أحدا ذكر له كنية ويحتمل انه مجهول والاول أشبه ، وذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى في الموضوعات هذا الحديث من طريق ولم يذكره من هذه الطريق ،

وعن الامام أحمد ما يدل على انه لا يعمل بالحديث الضعيف في الفضائل والمستحبات (١) ولهذا لم يستحب صلاة التسبيح لضعف خبرها عنده مع انه خبر

(١) رضي الله عن أحمد ما أوسع علمه وأدق فهمه : ان القول بالعمل بالحديث الضعيف فيما ذكر والتساهل في روايته قد فتح على الامة بابا من الغلو في الدين وتكثير العبادات المحرجة التي تنافي يسر الاسلام حتى جعلوا بعضها من الشعائر فيه مع تقصير الاكثرين في اقامة الفرائض والتزام الواجبات ، وترتب عليه ما نقله المصنف بعده عن الشيخ تقي الدين من قبول الاسرائيليات والمنامات وكذا الخرافات

مشهور عمل به وصححه غير واحد من الائمة. ولم يستحب أيضا التيمم بضربتين على الصحيح عنه مع ان فيه أخبارا وآثارا، وغير ذلك من مسائل الفروع فصارت المسئلة على روايتين عنه، ويحتمل أن يتعين الثاني لانه اذا لم يشدد في الرواية في الفضائل لا يلزم أن يكون ضعيفا واهيا ولا أن يعمل به بانفراده بل يرويه ليعرف ويبين أمره للناس أو يعتبر به ويعتضد به مع غيره، ويحتمل أن يقال يحمل الاول على عدم الشعار وانه انما ترك العمل الثاني لما فيه من الشعار، وهو معنى مناسب والله أعلم

وقال الشيخ تقي الدين عن قول أحمد وعن قول العلماء في العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال قال: العمل به بمعنى ان النفس ترجو ذلك الثواب أو تخاف ذلك العقاب ومثال ذلك الترغيب والترهيب بالاسرائيليات والمنامات وكلمات السلف والعلماء ووقائع العالم ونحو ذلك مما لا يجوز اثبات حكم شرعي به لا استحباب ولا غيره، لكن يجوز أن يذكر في الترغيب والترهيب فيما علم حسنه أو قبحه بأدلة الشرع فان ذلك ينفع ولا يضر، وسواء كان في نفس الامر حقا أو باطلا — إلى ان قال — فالحاصل ان هذا الباب يروى ويعمل به في الترغيب والترهيب لا في الاستحباب ثم اعتقاد موجبه وهو مقادير الثواب والعقاب يتوقف على الدليل الشرعي(١)

---

(١) لكن جاءت أزمنة قل فيها من يعرف الادلة ومن يقبلها اذا أقامها عليه غيره فسد هذه الذريعة للعبث بالدين والزيادة فيه كان راجيا فان العبادات والفضائل الثابتة بالقطع من الكتاب والسنة كافية للامة ويا ليته يوجد فيها كثيرون ممن لا يقصرون فيها

وقال أيضا في شرح العمدة في التيمم بضربتين: والعمل بالضعاف انما يشرع في عمل قد علم انه مشروع في الجملة ، فاذا رغب في بعض أنواعه بحديث ضعيف عمل به، أما إثبات سنة فلا، انتهى كلامه ،

وأما العمل بالضعيف في الحلال والحرام قد كان حسنا فانه يحتج به، وقد يطلق عليه بعضهم انه حديث ضعيف ولم يكن حسنا لم يحتج به كما تقدم (١) وقد قال الامام احمد في رواية مهنا «الناس اكفاء إلا حائك اوحجام أو كساح» هو ضعيف والعمل عليه ، وقال القاضي ابو الخطاب معنى قوله ضعيف على طريقة أصحاب الحديث لانهم يضعفون بالارسال والتدليس والعنعنة، وقوله والعمل عليه على طريقة الفقهاء لانهم لا يضعفون بذلك

وذكر أبو بكر الخلال في التيمم من جامعه في حديث عمرو بن بجدان عن أبي ذر مرفوعا «الصعيد الطيب وضوء المسلم» ان أحمد لم يمل اليه قال لانه لم يعرف عمرو بن بجدان، وحديث عمرو بن بجدان هو حديث تفرد به أهل البصرة ولو كان عند أبي عبد الله صحيحا لقال به ولكنه كان مذهبه اذا ضعف اسناد الحديث عن رسول الله ﷺ مال الى قول أصحابه ، واذا ضعف اسناد الحديث عن رسول الله ﷺ ولم يكن له معارض قال به ، فهذا كان مذهبه ، وقال الخلال أيضا في الجامع في حديث

(١) كذا في النسخة النجدية وهو غلط والمعنى يقتضي ان يكون أصل الجملة هكذا : واما العمل بالضعيف فى الحلال والحرام فلا ـ وما كان حسنا فانه يحتج به وقد يطلق عليه بعضهم انه حديث ضعيف وما لم يكن حسنا لم يحتج به كما تقدم

ابن عباس في كفارة وطء الحائض قال، كأنه يعني الامام أحمد أحب أن لا يترك الحديث وان كان مضطربا لان مذهبه في الاحاديث اذا كانت مضطربة ولم يكن لها مخالف قال بها، وقال القاضي أبو يعلى في التعليق في حديث مظاهر بن أسلم في ان عدة الأمة قرءان بمجرد طعن أصحاب الحديث لا يقبل حتى يبينوا جهته مع ان أحمد يقبل الحديث الضعيف انتهى كلامه .

والمشهور عند اهل العلم ان الحديث الضعيف لا يحتج به في الواجبات والمحرمات بمجرده وهذا معروف في كلام أصحابنا، وأما اذا كان حسنا فانه يحتج به كما سبق، قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قال المفسرون وهذا وان كان نازلا في أموال الفيء فهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه، والاخبار في هذا المعنى مشهورة صحيحة عن النبي ﷺ كخبر المقدام بن معدي كرب عن النبي ﷺ قال « ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته فيقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه » وذكر الحديث رواه أبو داود باسناده ورواه الامام احمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا معاوية بن صالح ثنا الحسن بن جابر انه سمع المقدام فذكره مرفوعا ولفظه « يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيني و بينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه، وما وجدنا فيه حراما حرمناه. وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله » ورواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن

غريب والبيهقي وقال اسناده صحيح

وروى أبو داود عن أحمد بن حنبل والنفيلي عن سفيان عن أبي النضر عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الامر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه » حديث صحيح ورواه ابن ماجه والترمذي وحسنه

وروى الخطيب في كتاب الكفاية عن الاوزاعي عن مكحول أنه قال القرآن أحوج الى السنة من السنة الى القرآن(١) وقال يحيى بن أبي كثير السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضيا على السنة، وقال الاوزاعي عن حسان بن عطية كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ والسنة تفسر القرآن، وقال أيوب السختياني اذا حدث الرجل بالسنة فقال دعنا من هذا حدثنا من القرآن فاعلم أنه ضال مضل

وقال الاوزاعي قال الله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

---

(١) المراد بهذا القول وما يليه هو المراد مما بعدهما من ان السنه تفسير للقرآن وبيان له ورسول الله أعلم بمراد الله من كتابه ولكن الكلمة الاولى أبعد الثلاث عن الادب والكلمة الثالثة اقرب بها منه بل هي الحق الذي لا حاجة الى غيره معه: قول الله فوق كل شيء وهو لا يحتاج الى شيء ولا يقضي عليه شيء، وانما المكلفون هم المحتاجون الى بيان الرسول «ص» له لانه تعالى وكل اليه هذا البيان له فيه، وما كان مكحول ويحي بن ابي كثير على فضلها بمعصومين وجل من لا يسهو ولا يخطيء وانما كتبت هذا لنصيحة من عقله بان لا يعبر عن بيان السنة للكتاب واحتياج المسلمين اليها بما عبرا به عفا الله عنا وعنهما، وانظر كلام الشافعي في الصفحة التالية فهو القول الفصل، واليه المنتهى في العلم والادب

وقال (وما آتاكم الرسول فخذوه) وقال مالك ما من أحد الا يؤخذ من قوله ويترك إلا قول رسول الله ﷺ ، وقاله قبله مجاهد والشعبي ، وقال الشافعي اذا صح الحديث فاضربوا بقولي هذا الحائط ، وقال الاوزاعي قال القاسم بن مخيمرة : ما توفي عنه رسول الله ﷺ وهو حرام فهو حرام الى يوم القيامة، وما توفي عنه وهو حلال فهو حلال الى يوم القيامة، وخطب بذلك عمر بن عبد العزيز

وقد روى أبو داود أن عمر رضي الله عنه سئل عن المرأة تحيض بعد ما طافت يوم النحر فافتى بانها لا ترحل حتى يكون آخر عهدها بالبيت فقال له السائل اني سألت رسول الله ﷺ فأذن لها فجعل عمر يضربه بالدرة ويقول له ويلك تسألني عن شيء سألت عنه رسول الله ﷺ

وقد قال البيهقي في كتاب المدخل قال الشافعي رضي الله عنه قال بعض من رد الاخبار فهل تجد حديثا فيه ان رسول الله ﷺ قال « ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته وما خالفه فلم أقله » فقلت له ما روى هذا أحد يثبت حديثه في صغير ولا كبير، وقد روي من طريق منقطعة عن رجل مجهول، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء . ثم قال الشافعي قال أبو يوسف حدثنا خالد بن أبي كريمة عن أبي جعفر عن رسول الله ﷺ انه دعا اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى فصعد الى ﷺ المنبر فخطب الناس فقال « ان الحديث سيفشو عني فما أتاكم عني يوافق القرآن فهو عني ، وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس عني » قال الشافعي وليس

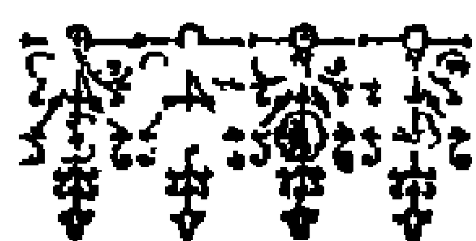
يخالف الحديث القرآن ولكنه يبين معنى ما أراد: خاصاً وعاماً وناسخاً ومنسوخاً، ثم يلزم الناس ماسن بفرض الله، فمن قبل عن رسول الله (ص) فعن الله قبل. واحتج بالآيات الواردات في ذلك

قال البيهقي وكأن الشافعي أراد بالمجهول خالد بن أبي كريمة فلم يعرف من حاله ما يثبت بخبره وقد روي من أوجه أخر كلها ضعيفة ثم ساقه من طرق متعددة كلها ضعيفة كما قال، فمنها ما رواه من طريق حنبل بن اسحاق ثنا جبارة بن المغلس ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انها تكون بعدي رواة يروون عني الحديث فاعرضوا حديثهم على القرآن فما وافق القرآن فحدثوا به ومالم يوافق القرآن فلا تأخذوا» قال الدارقطني والصواب عن عاصم عن زيد بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا الحسن بن يعقوب بن يوسف العدل حدثنا الحسين بن محمد بن زيادة ثنا اسحاق بن ابراهيم أنبأنا يحيى بن آدم ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اذا حدثتم عني حديثا تعرفونه ولا تنكرونه قلته أو لم أقله فصدقوا به فاني أقول ما يعرف ولا ينكر، واذا حدثتم عني حديثا تنكرونه ولا تعرفونه فلا تصدقوا به فاني لا أقول ما ينكر ولا يعرف» ثم روى عن الامام أبي بكر بن خزيمة أنه قال: في صحة هذا الخبر مقال لم نر في شرق الارض ولا غربها أحدا يعرف خبر ابن أبي ذئب من غير رواية يحيى بن آدم ولا

رأيت أحدا من علماء الحديث يثبت هذا عن أبي هريرة ، وقال عباس الدوري عن يحي بن معين كان يحي بن آدم يحدث عن ابن أبي ذئب بهذا الحديث وغيره يرويه عن ابن أبي ذئب مرسلا

وقال البخاري قال ابراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري فذكر هذا الحديث مرسلا قال البخاري وهو وهم ليس فيه ابو هريرة . وسبق بنحو ثلاثة كراريس في معرفة علل الحديث ، ورواه البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن محمد بن عبدالله عن ابن عبد الحكم عن ابن وهب عن الحارث بن نبهان عن محمد بن عبيد الله عن عبد الله بن سعيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما بلغكم عني من حديث حسن لم أقله فأنا قلته » قال الحاكم هذا باطل والحارث ابن نبهان ومحمد بن عبيدالله العرزمي متروكان وعبدالله بن سعيد عن أبي هريرة مرسل فاحش ، ثم ذكر البيهقي حديث أبي حميد وأبي أسيد السابق

ويجب أن يحمل ما صح من الاخبار على أحسن الوجوه وأولاها وقد ذكرت في مكان آخر قول عمر رضي الله عنه لا تظن بكلمة خرجت من أخيك شرا وأنت تجد لها في الخير محملا ، وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فظنوا به الذي هو أهدى والذي هو أهنأ والذي هو أتقى ، وسبق ما يتعلق بعلل الحديث بنحو كراسين أو ثلاثة



فصل

﴿ رواية التكبير مع القرآن من سورة الضحى الى آخر القرآن ﴾

واستحب احمد التكبير من أول سورة الضحى الى ان يختم ذكره ابن تميم وغيره ، وهو قراءة أهل مكة أخذها البزي عن ابن كثير وأخذها ابن كثير عن مجاهد وأخذها مجاهد عن ابن عباس وأخذها ابن عباس عن أبيّ بن كعب وأخذها أبيٌّ عن النبي صلى الله عليه وسلم . روى ذلك جماعة منهم البغوي في تفسيره والسبب في ذلك انقطاع الوحي ، وهذا حديث غريب رواية أحمد بن محمد بن عبدالله البزي وهو ثبت في القراءة ضعيف في الحديث، وقال أبو حاتم الرازي هذا حديث منكر، وقال أبو البركات يستحب ذلك من سورة ألم نشرح ، وقال في الشرح استحسن أبو عبدالله التكبير عند آخر كل سورة من الضحى الى أن يختم ، لانه روي عن أبي بن كعب أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك رواه القاضي وعن البزي أيضا مثل هذا وعن قنبل هكذا والذي قبله، وعنه أيضا لا تكبير كما هو قول سائر القراء ، وقال الماوردي كان ابن عباس يفصل بين كل سورتين بالتكبير من الضحى وهو راوي قراء مكة، وقال الآمدي يهلل ويكبر وهو قول عن البزي وسائر القراء على خلافه وقال الشيخ تقي الدين وسئل عن جماعة قرأوا بغير تهليل ولا تكبير قال اذا قرأوا بغير حرف ابن كثير كان تركهم لذلك هو الافضل ، بل المشروع المسنون ،

وإذا قرأ سورة الاخلاص مع غيرها قرأها مرة واحدة ولا يكررها ثلاثا نص عليه ، قال ابن تميم منع أحمد القارىء من تكرار سورة الاخلاص ثلاثا إذا وصل اليها

فصل

﴿في ترتيل القرآن وتدبره والتخشع والتغني به﴾

ويستحب ترتيل القراءة وإعرابها وتمكن حروف المد واللين من غير تكلف، قال أحمد تعجبني القراءة السهلة، وكره السرعة في القراءة، قال حرب سألت أحمد عن السرعة في القراءة فكرهه إلا أن يكون لسان الرجل كذلك أو لا يقدر أن يترسل، قيل: فيه اثم؟ قال أما الاثم فلا أجترىء عليه، قال القاضي يعني إذا لم تبن الحروف مع انه قال ظاهر هذا كراهة السرعة والعجلة، قال في رواية جعفر بن أحمد وقد سئل إذا قام الرجل من الليل أيما احب اليك الترسل أو السرعة؟ قال أليس قد جاء بكل حرف كذا وكذا حسنة؟ قالوا له في السرعة. قال إذا صور الحرف بلسانه ولم يسقط من الهجاء، قال القاضي وظاهر هذا انه اختار السرعة، وقال في الرعاية الكبرى كره أحمد سرعتها اذا لم يبين الحروف انتهى كلامه

قال القاضي أقل الترتيل ترك العجلة في القرآن عن الابانة، ومعناه انه اذا بين ما يقرأ به فقد اتى بالترسل وان كان مستعجلا في قراءته. وأكمله ان يرتل القراءة ويتوقف فيها مالم يخرجه ذلك الى التمديد والتمطيط، فاذا انتهى الى التمطيط كان ممنوعا، قال وقد أومأ احمد الى معنى هذا فقال في رواية ابي الحرث يعجبني من قراءة القرآن السهلة ولا تعجبني هذه الالحان.

قال الشيخ تقي الدين أظنه حكاية عن أبي موسى: والتفهم فيه والاعتبار فيه مع قلة القراءة أفضل من ادراجه بغير تفهم. انتهى كلامه

قال احمد : يحسن القارئ صوته بالقرآن ويقرأه بحزن وتدبر وهو معنى قوله عليه السلام « ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن » نص عليه . قوله « أذن » بكسر الذال ومعناه الاستماع . وقوله « كأذنه » هو بفتح الهمزة والذال وهو مصدر أذن يأذن أذنا كفرح يفرح فرحا. وفي رواية في الصحيح « كإذنه » بكسر الهمزة وإسكان الذال ، قال القاضي عياض هو على هذه الرواية بمعنى الحث على ذلك والامر به. انتهى كلامه

وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » ومعناه اذن استمع. وقال عليه السلام « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » رواه البخاري ، كذا عزاه في الشرح وذكر النواوي أن أبا داود رواه باسناد جيد من حديث أبي لبابة عن عبد الاعلى ابن حماد عن عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة قال قال عبد الله بن أبي يزيد مر بنا أبو لبابة ـ فذكره في قصة . قال البخاري عن عبد الجبار يخالف في بعض حديثه. ووثقه غيره وهذا حديث حسن ولم أجد في مسند الامام احمد وأظنه رواه في غير المسند

قال أبو عبيد معنى قوله « من لم يتغن بالقرآن » أي يستغني به ولو كان من الغناء بالصوت لكان من لم يغن بالقرآن ، وروي نحو هذا التفسير عن ابن عيينة (١) وقال احمد بن محمد البزي هذا قول من أدركنا من أهل العلم

(١) يرده قوله ﷺ في حديث الصحيحين « حسن الصوت يتغنى بالقرآن » والاستغناء بهداية القرآن لا يكون بحسن الصوت فالصواب ما يأتي قريبا من نقل النووي عن الشافعي

وقال الوليد بن مسلم يتغنى بالقرآن يجهر به، وهذا قول الشافعي ورواه اسحاق بن ابراهيم عن أحمد. وقال الليث بن سعد تفسيره التحزن. وقال عمرو بن الحارث تفسيره الاستغناء أما سمعت قول النبي ﷺ «فتغنوا ولو بحزم الحطب» وذكر النووي ان معناه عند الشافعي وأكثر العلماء يحسن صوته به

ولأبي داود من حديث البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « زينوا القرآن بأصواتكم » قال الهروي : معناه الهجوا بقراءة القرآن وتزينوا به، وليس معناه على تطريب الصوت والتحزين اذ ليس ذلك في وسع كل احد. قال وهكذا قوله « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » وقال فيه البغوي قريبا منه قال انه من المقلوب كقولهم خرق الثوب المسمار وقال تعالى (ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة) أي تنهض ورواه البغوي من طريق آخر « زينوا أصواتكم بالقرآن »

وذكر جماعة من اصحابنا وغيرهم منهم الآجري والحافظ أبو موسى قراءة القرآن آدابا منها ادمان تلاوته ومنها البكاء فان لم يكن فالتباكي ومنها حمد الله عند قطع القراءة على توفيقه ونعمته وسؤال الثبات والاخلاص ومنها السؤال ابتداء ومنها أن يسأل عند آية الرحمة ويتعوذ عند آية العذاب ومنها أن يجهر بالقراءة ليلا لا نهارا، ومنها ان يوالي قراءته ولا يقطعها حديث الناس وفيها نظر اذا عرضت حاجة، ومنها ان يقرأ بالقراءة المستفيضة لا الشاذة الغريبة، ومنها أن تكون قراءته عن العدول الصالحين العارفين بمعانيها، ومنها أن يقرأ ما أمكنه في الصلاة لانه افضل احوال العبد ولان

في الحديث ـ ان القراءة فيها تضاعف على القراءة خارجا عنها ـ وقال محمد بن جحادة كانوا يستحبون أن يختموا في ركعتي المغرب أو في الركعتين قبل الفجر . ومنها ان يتحرى قراءته متطهرا، ومنها ان كان قاعدا استقبل القبلة ومنها كثرة تلاوته في رمضان، ومنها ان يتحرى أن يعرضه كل عام على من هو أقرأ منه. ومنها بالاعراب وقد تقدم . قال بعض أصحابنا ان المعنى الاجتهاد على حفظ اعرابه لا انه لا يجوز الاخلال به عمدا فان ذلك لا يجوز و يؤدب فاعله لتغييره القرآن، ومنها انه يفخمه لانه روي عنه عليه السلام « نزل القرآن بالتفخيم » قال الحافظ ابو موسى معناه ان يقرأه على قراءة الرجال ولا يخضع الصوت به ككلام النساء وليس معناه كراهة الامالة ويحتمل ارادتها ثم رخص فيها ومنها ، ان يفصل بين سورة مما قبلها اما بالوقف او التسمية ولا يقرأ من اخرى قبل فراغ الاولى ، ومنها الوقف على رءوس الآي وان لم يتم الكلام قاله ابو موسى ، وفيه خلاف بينهم لوقفه عليه السلام في قراءة الفاتحة على كل آية ولم يتم الكلام ، قال ابو موسى ولان الوقف على آخر السورة لا شك في استحبابه ، وقد يتعلق بعضها ببعض كسورة الفيل مع قريش ، ومنها ان يعتقد جزيل ما انعم الله عليه اذ أهله لحفظ كتابه ويستصغر عرض الدنيا اجمع في جنب ما خوله الله تعالى ويجتهد في شكره ، ومنها ترك المباهاة وان لا يطلب به الدنيا بل ما عند الله . ومنها ان لا يقرأه في المواضع القذرة وينبغي ان يكون ذا سكينة ووقار وقناعة ورضا بما قسم الله تعالى مجانبا للدنايا محاسبا لنفسه ،

يعرف القرآن في سمته وخلقه ، لانه صاحب الملك والمطلع على ما قد وعد فيه وهدد فاذا بدرت منه سيئة بادر محوها بالحسنة

وروي الحافظ ابو موسى باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذ الناس نائمون ، وبنهاره اذ الناس مفطرون ، وبحزنه اذ الناس يفرحون، وبيكائه اذا الناس يضحكون، وبصمته اذ الناس يخلطون ، وبخشوعه اذ الناس يختالون، وينبغي ان يكون باكيا محزونا حكيما عليما سكيتا ، ولا يكون جافيا ولا غافلا ولا صخابا ولا صياحا ولا حديدا

﴿ فصل ﴾

﴿ في التلاوة بالحان الخاشعين لا ألحان المطربين ﴾

وكره اصحابنا قراءة الادارة ، وقال حرب هي حسنة ، وقال في المستوعب قراءة الادارة وتقطيع حروف القرآن مكروه عنده وكره احمد قراءة الالحان وقال هي بدعة ، قيل : يهجر من سمعها ؟ قال لا ، وقال في رواية يعقوب لا يعجبني ان يتعلم الرجل الالحان إلا ان يكون حزمه مثل حزم ابي موسى ، فقال له رجل فيكلمون ؟ قال لا كل ذا . ورايت في موضع آخر إلا ان يكون ذلك حزبه فيقرأ بحزن مثل صوت ابي موسى وقال الشافعي في موضع : اكره القراءة بالالحان وقال في موضع آخر لا اكرهها. قال اصحابه حيث كرهها اراد اذا مطط واخرج الكلام عن موضوعها

وحيث اباحها اراد اذا لم يكن فيها تغيير لموضوع الكلام . وقال القاضي عياض اختلفوا في القراءة بالالحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم واباحها ابو حنيفة وجماعة من السلف للاحاديث ولانه سبب للرقة واثارة الخشية واقبال النفوس على استماعه وقال الشيخ تقي الدين قراءة القرآن بصفة التلحين الذي يشبه تلحين الغناء مكروه مبتدع كما نص على ذلك مالك والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من الائمة

﴿ فصل ﴾

اذا فرغ من قراءة الناس لم يزد الفاتحة وخمسا من البقرة(١) نص عليه وذلك الى قوله (وأولئك هم المفلحون) لان (الم) آية عند الكوفيين وهي عند غيرهم غير آية قال في الشرح ولعله لم يثبت فيه عنده أثر صحيح . وقيل يجوز بعد الدعاء . وقيل يستحب وقد روى الترمذي من حديث صالح المري وهو ضعيف عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن ابن عباس قال قال رجل يارسول الله أي العمل أحب الى الله عز وجل ؟ قال «الحال المرتحل» قال الترمذي حديث غريب ثم رواه عن زرارة مرسلا ثم قال هذا عندي أصح . قال القاضي بعد ذكره لمعنى هذا الخبر من حديث أنس رواه ابن

---

(١) استحسن بعض الناس لمن يختم القرآن ان يجمع بين آخره وأوله فيقرأ بعد سورة الناس الفاتحة وآيات من البقرة وقد نهى عن ذلك الامام أحمد لانه بدعة في قربة تتوقف على النص لان التزامها يوهم انها مشروعة

أبي داود قال وظاهر هذا أنه يستحب ذلك والجواب أن المراد به الحث على تكرار الختم ختمة بعد ختمة وليس في هذا مايدل على أن الدعاء لا يتعقب الختمة

﴿ فصل ﴾

(في الاستماع للقرآن والانصات والادب له)

ويستحب استماع القراءة وهو قول الشافعية ويكره الحديث عندها بما لا فائدة فيه، وحكى ابن المنذر في الاشراف اجماع العلماء على أنه لا يجب الاستماع للقراءة في غير الصلاة والخطبة، وتكلم الشيخ تقي الدين بن تيمية على الخشوع وعلى ذم قسوة القلب، وقال فان قيل لخشوع القلب لذكر الله ومانزل من الحق واجب؟ قيل نعم لكن الناس فيه على قسمين مقتصد وسابق ، فالسابقون يختصون بالمستحبات، والمقتصدون الابرار هم عموم المؤمنين المستحقين للجنة ، ومن لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء فهو ظالم لنفسه، انتهى كلامه

وقال ابن عقيل في الفنون ما أخوفني أن أساكن معصية فتكون سببا في سقوط عملي وسقوط منزلة ان كانت عند الله تعالى بعد ماسمعت قوله تعالى (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية وهذا يدل على أن في بعض التسبب وسوء الادب على الشريعة مايحبط الاعمال ، ولا يشعر العامل الى أنه عصيان ينتهي الى رتبة الاحباط ، هذا

ترك المطن خائفا وجلا من الاقدام على المآثم خوفا أن يكون تحتها من لعقوبة مايشاكل هذه ـ الى أن قال ـ أليس بيننا كتاب الله عز وجل وهو كلامه الذي كان النبي ﷺ يتزمل ويتدثر لنزوله، والجن تنصت لاستماعه ، وأمر بالتأدب بقوله (فاستمعوا له وأنصتوا) فهم كل قاري، وهذا موجود بيننا ؟ فلما أمرنا بالانصات الى كلام مخلوق كان أمر الناس بالانصات الى كلامه اولى . والقارىء يقرأ وأنتم معرضون، وربما أصغيتم الى النغمة استثارة للهوى ، فالله الله لاتنس الادب، فيما وجب عليك فيه حسن الادب، ما أخوفني ان يكون المصحف في بيتك وأنت مرتكب لنواهي الحق سبحانه فيه فتدخل تحت قوله (فنبذوه وراء ظهورهم) فهجران الاوائل كلام الحق ، يوجب عليك ما أوجب عليهم من الابعاد والمقت، فقد نبهك على التأدب له من ادبك للوالدين ، والتأدب للأبوين يوجب التأدب لله عز وجل لانه المبتدىء بالنعم ، فالله الله في إهمال ماوجب لله تعالى من الادب عند تلاوة القرآن ، والانصات للفهم، والنهضة للعمل بالحكم إيفاء للحقوق إذا وجبت، وصبرا على اثقال التكاليف اذا حضرت، وتلقياً بالتسليم للمصائب اذا نزلت ، وحشمة للحق سبحانه في كل أخذ وترك حيث نبهك على سبب الحشمة فقال (هو الظاهر والباطن * أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) وقال ابن هبيرة كره السؤال بالقرآن لثلاث معان (احدها) ان الناس يكرهون بالطبع سماع سؤال السائل فاذا اعرضوا عن القارىء

الذي يسأل بالقرآن أعرضوا عن القرآن فيحملهم القارىء على ان يأثموا (والثاني) انه ربما قرأ وهم معرضون عنه وقد أمروا بالانصات للقرآن فيعرضهم للاثم ايضا (الثالث) ان يأتي بأعز الاشياء فيستشفع به في أخسها

فصل

والمروي عنه عليه الصلاة والسلام وعن أصحابه رضي الله عنهم عند سماعه انما هو فيض الدموع ، واقشعرار الجلود ، ولين القلوب ، كما قال تعالى (الله نزل أحسن الحديث) الآية ، وقرأ ابن مسعود عليه ﷺ فلما بلغ الى قوله (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال «حسبك» فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان . رواه البخاري ومسلم ، وأما الصعق والغشي ونحو ذلك فحدث في التابعين لقوة الوارد وضعف المورود عليه ، والصحابة لقوتهم وكمالهم لم يحدث فيهم ، فأقدم من علمت هذا عنه الامام الرباني من أعيان التابعين الكبار الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى سمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) فصعق وكان قبل الظهر فلم يفق إلى الليل ، وكذا الامام القاضي التابعي المتوسط زرارة رحمه الله تعالى قرأ في الصلاة فلما بلغ (فاذا نقر في الناقور) شهق فمات ، وكان هذا الحال يحصل كثيرا للامام علما وعملا شيخ الامام أحمد يحيى بن القطان . وقال الامام أحمد لو دفع ـ أو لو قدر أحد أن يدفع ـ هذا عن نفسه دفعه يحيى

وحدث ذلك لغير هؤلاء فمنهم الصادق في حاله ومنهم غير ذلك ، ولعمري ان الصادق منهم عظيم القدر لانه لولا حضور قلب حي وعلم معنى المسموع وقدره ، واستشعار معنى مطلوب يتلمح منه ، لم يحصل ذلك. لكن الحال الاول أكمل فانه يحصل لصاحبه ما يحصل لهؤلاء وأعظم مع ثباته وقوة جنانه رضي الله عن الجميع . لكن كثير من المتأخرين لا يصدق في هذا الحال ، فسبحان علام الغيوب ، ونعوذ بالله من كل رياء وسمعة

وقد قال أبو الوفاء ابن عقيل في الفنون بعد السؤال عما يعتري المتصوفة عند سماع الوعظ والغناء هل هو ممدوح اومذموم ؟ قال لا يجوز أن يجيب عنها مجيب حتى يبين تحقيق السؤال فان الصعق دخيل على القلب وغما لا عزما (١) غير مكتسب ولا مجتلب، وما كان بهذه الصفة لا يدخل تحت حكم الشرع بأمر ولا نهي ولا إباحة ، وأما الذي يتحقق من سؤالك أن نقول هذا التصدي للسماع المزعج للقلوب المهيج للطباع الموجب للصعق جائز أو محظور؟ وهو كسؤال السائل عن العطسة هل هي مباحة أو محظورة؟ والجواب ان هذه المسئلة لا يجاب عنها جملة ولا جوابا مطلقا بل فيها تفصيل وهو أن يقال ان علم هذا المصغي الى إنشاد الاشعار انه يزول عقله ويعزب رأيه بحيث لا يدري ما يصنع من افساد أو جناية فلا ينبغي أن يتعمد ذلك وهو كالمتعمد لشرب النبيذ الذى يزيل عقله ، وان كان لا يدرى لاختلاف أحواله فانه تارة يصعق وتارة لا فهذا لا يحرم

(١) كذا في الاصل

عليه ولا يكره . كذا قال ويتوجه كراهته بخلاف النوم فانه وان غطى على العقل فانه لا يورث اضطرابا تفسد به الاموال (١) بل يغطي عقل النائم ثم يحصل معه الراحة

قال واذا استولى على العبد معرفة الرب وسمع تلاوة القرآن لم يسمع التلاوة إلا من المتكلم بها فصعق السامع خضوعا للمسموع عنه ـ الى أنه قال ـ فهو الصعق الممدوح يعطل حكم الظاهر ، ويوفر درك الناظر ، لو رأيتموهم لقلتم مجانين ، والناظر من خارج أحوالهم ، خلي مما لوح لهم ، والاصل في تفاوت هذا صفاء المدارك ، واختلاف المسالك ، فالقلوب تسمع الاصوات وترجيع الالحان فيحركهم طرب الطباع وما عندهم ذوق من وجد في السماع ، والخواص يدركون بصفاء مداركهم أرواح الالفاظ وهي المعاني ، ومن غلب عليه الايهام البراني يتعجب مما يسمع من القوم وقد قال الواجد

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا اعزة ركعا وسجودا

وقال بعض المشايخ . الناظر الى القوم من خارج حالهم يتعجب دهشاه للاحظ يذوق المناسبة يتلظى عطشاه كما قال القوال

صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتنكا؟

ومراد ابن عقيل رحمه الله عدم الانكار على صاحب هذه الحال كما ، بعض الناس أي الصادق منهم ومدح حاله لا ان هذه الحال هي الغاية

وقد روى النسائي ـ أو غيره ـ ان أبا هريرة لما حدث بحديث

---

(١) لعلها الاحوال

الثلاثة الذين تسعر بهم النار زفر زفرة وخر مغشيا عليه ثم ثانية ثم ثالثة ثم حدث به . والحديث في صحيح مسلم وغيره بدون هذه الزيادة فان صح فهو أول من علمت حدث له ذلك والله أعلم

وقال ابن عقيل أيضا في الفنون : لما رأينا الشريعة تنهى عن تحريكات الطباع بالرعونات، وكسرت الطبول والمعازف، ونهت عن الندب والنياحة والمدح وجر الخيلاء ، فعلمنا(١) أن الشرع يريد الوقار دون الخلاعة، فما بال التغيير والوجد ، وتخريق الثياب والصعق، والتماوت من هؤلاء المتصوفة ؟ وكل مهيج من هؤلاء الوعاظ المنشدين من غزل الاشعار وذكر المشاق فهم كالمغني والنائح فيجب تعزيرهم لانهم يهيجون الطباع والعقل سلطان هذه الطباع فاذا هيجها صار اهاجة الرعايا على السلطان أما سمعت « يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير » وما العلم إلا الحكمة المتلقاة مع السكون والدعة واعتدال الامزجة ، أما رأيته عزل القاضي حين غضبه، وكذلك يعزل حال طربه. اما سمعت (فلما حضروه قال انصتوا) فأين الطرب من الادب ؟ والله ما رقص قط عاقل ، ولا تعرض للطرب فاضل، ولا صغى الى تلحين الشعر الا بطر ، أليس بيننا القرآن ؟ وقد قال طلبنا العلم لغير الله فأبى ، وذلك أن بداية الطلب صعبة فهو كاعبة المفطوم ثم يستغني عنها بقوة النهم فيدع الثدي تقذرا واستقذارا

---

(١) الوجه ان يقال هنا « علمنا » فهو جواب « لما رأينا الشريعة » فان حذفت « لما » صحت الفاء هنا وكانت عاطفة

وقال أيضا هذه فتن ونحن دخلت على العقول من غلبات الطباع والاهواء ، وهل يحكم على العقول حق قط ؟ وهل رأيتم في السلف أو سمعتم رجلا زعق أو خرق ؟ بل سماع صوت وفهم واستجابة، فدل على أن ذلك التخبط ليس من قانون الشرع ، لكن أمر بخفض الصوت وغضه ، وأما التواجد والحركة والتخريق فالاشبه بداعية الحق الخمود ، ثكلت نفسي حين أسمع القرآن ولا أخشع، وأسمع كلام الطرقيين فيظهر مني الانزعاج ، هذا أدل دليل على أن الطباع تورث ما تورث من التغيرات ، وان ذلك الكلام صدر عن طبع فأهاج طبعا، والحق ثقل، فلا يغرنكم تحرك الطباع بالاسجاع والالحان ، فانما هو كعمل الاوتار والاصوات ، وهل نهت الشريعة عن سكر العقار إلا لما يؤدي اليه من هذا الفساد وذكر كلاما كثيرا

وذكر الحافظ بن الاخضر فيمن روي عن أحمد في ترجمة ابرهيم بن عبدالله القلانسي قال قيل لاحمد بن حنبل إن الصوفية يجلسون في المساجد بلا علم على سبيل التوكل قال العلم أجلسهم ؟ فقال ليس مرادهم من الدنيا الا كسرة خبز وخرقة، فقال لا أعلم على وجه الارض أقواما أفضل منهم قيل انهم يستمعون ويتواجدون، قال دعوهم يفرحون مع الله تعالى ساعة، قيل فمنهم من يغشى عليه ومنهم من يموت فقال (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) كذا روى هذه الرواية والمعروف خلاف هذا عنه، ولعل مراده انهم يستمعون ويتواجدون عند القرآن فيحصل لبعضهم ما يحصل من الغشي والموت كما كان يحصل ليحيى بن سعيد القطان وعذره الامام أحمد فلا يخالفه والله أعلم

فصل

﴿ في سوء حال الاجتماع في المساجد في ليالي المواسم والذهاب في ايامها الى المقابر ﴾

هل يستحب الاجتماع للقراءة والدعاء؟ سبق قريبا من ثالث الكتاب في الفصول من كلام عند ذكر القصاص والكلام في الوساوس والخطرات وقد قال ابن عقيل في الفنون انا ابرأ الى الله تعالى من جموع أهل وقتنا في المساجد والمشاهد ليالي يسمونها احياء، لعمري انها لاحياء اهوائهم، وايقاظ شهواتهم، جموع الرجال والنساء مخارج الاموال فيها أفسد المقاصد وهو الرياء والسمعة، وما في خلال كل واحد من اللعب والكذب والغفلة، ما كان أحوج الجوامع أن تكون مظلمة من سرجهم منزهة عن معاصيهم وفسقهم، مردان ونسوة وفسق الرجل عندي من وزن في نفسه ثمن الشمعة(١) فأخرج بها دهنا وحطبا الى بيوت الفقراء ووقف في زاوية بيته بعد ارضاء عائلته بالحقوق فكتب في المتهجدين، صلى ركعتين بحزن، ودعا لنفسه وأهله وجماعة المسلمين، وبكر الى معاشه لا الى المقابر. فترك المقابر في ذلك عبادة. ياهذا انظر الى خروجك الى المقابر كم بينه وبين ما وصفت له؟ قال(٢) «تذكركم الآخرة» ما أشغلك بتلمح الوجوه الناضرة في تلك الجموع لنزوع اللذة في قلبك، والشهوة في نفسك، عن مطالعة العظام الناخرة، تستدعي بها

(١) أي الشمعة التي يوقدها في المسجد احتفالا باحياء ليلة المولد أو ليلة الرغائب أو نصف شعبان

(٢) أي النبي ﷺ في تعليل زيارة القبور

ذكر الاخرة ؟ كلاً ما خرجت إلا متنزها ، ولا عدت إلا متأثماء ولا فرق عندك بين القبور والبساتين مع الفرحة ، الا اقل من أن تكون المعاصي بين الجدران ، فاما ان تجعل المقابر والمشاهد علة في الاشتهار[1] فاذا فعل من فطن لقوله في رجب[2] وأمثاله (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) عز علي[3] بقوم فاتتهم أيام المواسم التي يحظى فيها قوم بأنواع الارباح وليتهم خرجوا منها بالبطالة رأسا برأس ، ما قنعوا حتى جعلوها من السنة الى السنة خلسا لاستيفاء اللذات ، واستسلام الشهوات والمحظورات ، ما بال الوجوه المصونة في جمادي هتكت في رجب بحجة الزيارات ؟ (أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ما لكم لا ترجون لله وقارا ؟) ترى ماذا تحدث عنك سواري المسجد في الظلم وأفنية القبور والقباب بالبكاء ومن خوف الوعيد والتذكر للآخرة بنظر العبرة ، إذا تحدثت عن أقوام ختموا في بيوتهم الختمات وصانوا الاهل اتباعاً للنبي ﷺ حيث انسل من فراش عائشة رضي الله عنها الى المسجد لا شموع ولا جموع ، طوبى لمن سمع هذا الحديث فازوى الى زاوية بيته ، وانتصب لقراءة جزء في ركعتين بتدبر وتفكر ، فيالها من لحظة ما أصفاها من

(١) سقط جواب فاما ـ واقله ان يكون (فلا)

(٢) أي لقول الله تعالى في رجب وأمثاله من الاشهر الحرم ، وخص رجب بالذكر لاحتفال العامة في ليلة الرغائب بالاجتماع في المساجد وزيارة المقابر في النهار وليس في العبارة جواب : فاذا فعل . ولعل أصله : اهذا فعل من فطن لنهي الله عن ظلم النفس في رجب وأمثاله ؟

(٣) لعل الاصل : اعزز علي ـ للتعجب

أكدار المخالطات، واقذار الرياء، غدا يرى أهل الجوع ان المساجد تلعنهم والمقابر تستغيث منهم، يبكر أحدهم فيقول أنا صائم، قد أفلح عرسك حتى يكون لك صبحه، قل لي يا من أحياه في الجامع باي قلب رحت؟ مات والله قلبك، وعاشت نفسك، ما أخوفني على من فعل هذا الفعل في هذه الليالي أن يخاف في موطن الامن ويظمأ في مقامات الري !!

فصل

(في التعوذ قبل القراءة والبسملة لكل سورة)

ويسن التعوذ في القراءة فان قطعها قطع ترك واهمال على أنه لا يعود اليها أعاد التعوذ اذا رجع اليها، وان قطعها بعذر عازما على اتمامها اذا زال عذره كفاه التعوذ الاول، وان تركها قبل القراءة فيتوجه أن يأتي بها ثم يقرأ، لان وقتها قبل القراءة للاستحباب فلا يسقط بتركها اذاً، ولان المعنى يقتضي ذلك، أما لو تركها حتى فرغ سقطت لعدم القراءة

وتستحب قراءة البسملة في أول كل سورة في الصلاة وغيرها نص عليه، وقال لا يدعها، قيل له فان قرأ من بعض سورة يقرأها؟ قال لا بأس فان قرأ في غير صلاة فان شاء جهر بالبسملة وان شاء لم يجهر نص عليه في رواية أبي داود وغيرها. قال القاضي محصول المذهب انه بالخيار والاسرار(١)

(١ كذا النسخة النجدية. ولعل أصله: بالخيار بين الجهر والاسرار: والا كانت كلمة والاسرار زائدة ويعلم المخير فيه مما بعده

كما كان مخيرا في أصل القراءة بين الجهر والاسرار. وكالاستعاذة وعنه يجهر بها مع القراءة وعنه لا يعتد بتلك قربة فلا يجوز، وقال صالح في مسائله عن أبيه وسألته عن سورة الانفال وسورة التوبة هل يجوز للرجل أن يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم؟ قال أبي ينتهي في القرآن الى ما أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ لا يزاد فيه ولا ينقص. وهذا معنى ما نقل الفضل وأبو الحارث

﴿ فصل ﴾

في الاحوال التي يكره فيها الجهر بالقراءة

قال الشيخ تقي الدين: من كان يقرأ القرآن والناس يصلون تطوعا فليس له أن يجهر جهرا يشغلهم به فان النبي ﷺ خرج على بعض أصحابه وهم يصلون من السحر فقال «أيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة» انتهى كلامه

وروى أحمد في المسند عن الحارث عن علي أن رسول الله ﷺ نهى أن يرفع الرجل صوته بالقراءة قبل العشاء وبعدها يغلط أصحابه وهم يصلون. وذكر الحافظ أبو موسى وغيره أن من جملة الآداب أن لا يجهر بين مصلين أو نيام أو تالين جهرا يؤذيهم

فصل

في ثواب القراءة كل حرف بحسنه مضاعفة

عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب والمراد بالحرف عند أصحابنا حرف التهجي الذي هو جزء من الكلمة صرح بهذا المعنى القاضي في الكلام على قراءة حمزة وذكر جماعة فيمن لم يحسن الفاتحة هل يقرأ من غيرها بعدد الحروف أو بعدد الآيات؟ وقد قال أحمد في رواية حرب اذا اختلفت القراءات فكانت في إحداها زيادة حرف: أنا اختار الزيادة ولا يترك عشر حسنات مثل (فازلهما - فازالهما - ووصى وأوصى) قال القاضي فقد نص على أنه يختار الزيادة لما احتج به من زيادة الثواب بزيادة الحروف. واختار الشيخ تقي الدين أن المراد بالحروف الكلمة سواء كانت اسما أو فعلا أو حرفا او اصطلاحا واحتج بالخبر المذكور فلولا أن المراد بالحرف الكلمة لا حرف الهجاء كان في الف لام ميم تسعون حسنة والخبر انما جعل فيها ثلاثين حسنة، وهذا وان كان خلاف المفهوم والمعروف من اطلاق الحرف فقد استعمله الشارع هنا والله أعلم

فصل

في فضائل القرآن وأهله

في فضائل القرآن وأهله أشياء كثيرة منها قوله عليه السلام « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري وغيره من حديث عثمان وفي السنن عنه عليه الصلاة والسلام من حديث أبي سعيد « يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته افضل ماأعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » رواه الترمذي وقال حسن غريب وهو من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عندهم . وقال أبو جعفر بن شاهين ثنا عبد الله بن محمد البغوي ثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ثنا صفوان بن أبي الصهباء عن بكر بن عتيق عن سالم بن عبدالله عن أبيه عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته افضل ماأعطي السائلين » قال ابن شاهين وقد فسر هذا الكلام النبي ﷺ في حديث آخر ثم روى حديث عطية عن أبي سعيد المذكور ، قال وقال بعضهم معنى « من شغله ذكري عن مسألتي » قال من شغله ذكري عن ذكره لي وذلك أن الله تعالى يقول (اذكروني أذكركم) اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي انتهى كلامه ، الحماني كذبه أحمد وابن نمير وغيرهما ووثقه ابن معين وغيره ، وقال ابن عدي لم أر في أحاديثه مناكير وصفوان وثقه ابن حبان ، وقال أيضا في الضعفاء يروي مالا أصل له لا يجوز الاحتجاج

به اذا انفرد، وذكر ابن الجوزي الخبرين في الموضوعات، وقال ابن حبان عن الخبر الثاني هذا موضوع ما رواه الا صفوان مرفوعا وعن أبي أمامة «ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه» قال أبو النضر يعني القرآن رواه الترمذى عن احمد بن منيع عن أبي النضر عن بكر بن خنيس عن الليث بن أبي سليم عن زيد بن أرطاة عن أبي أمامة. بكر ضعيف عندهم وليث ضعفه الاكثر، قال الترمذي غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه

وروى ابو يعلى الموصلي ثنا احمد بن عيسى المصري وابو همام قالا ثنا ابن وهب عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرطاة عن جبير عن رسول الله ﷺ قال « لن ترجعوا إلى الله عز وجل بشيء أحب اليه من شيء يخرج منه » يعني القرآن مرسل حسن.

وروى الامام احمد وابن ماجه والنسائي في فضائل القرآن عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»

وروى ابو داود باسناد جيد عن أبي كنانة عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « إن من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، واكرام ذي السلطان المقسط» قوله «غير الغالي فيه والجافي عنه» قال في النهاية انما قال ذلك لان من أخلاقه وآدابه التي أمر بها القصد في الامور وخير الامور أوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم، وسبق هذا الخبر في فضائل القيام، وقال النبي ﷺ « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين » رواه مسلم من حديث عمر

وعن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه مرفوعا «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كان فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا» ؟ رواه ابو داود . زبان ضعفه ابن معين وقال احمد أحاديثه مناكير وسهل ضعفه ابن معين ، وقال ابن حبان في الثقات لا أدري أوقع التخليط منه أو من زبان؟

وعن علي رضي الله عنه مرفوعا «من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهله كلهم قد وجبت النار لهم» رواه الترمذي، قال غريب وابن ماجه ولم يذكر «فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه» وقدم ﷺ في قتلى أحد في القبر أكثرهم قرآنا وروي انه قدم شابا على سرية فقال شيخ منهم «أنا أكبر منه فقال انه أكثر منك قرآنا» وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله: لا تستعينوا على شيء من أعمالي إلا بأهل القرآن ، فكتبوا اليه استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خونة، فكتب اليهم لا تستعملوا إلا أهل القرآن فان لم يكن عندهم خير فغيرهم أولى أن لا يكون فيهم خير

﴿ فصل ﴾

فيما يقول من نسي شيئا من القرآن

من غلط فترك شيئا من القرآن فقال «أنسيت ذلك» - او اسقطته اقتداء بالنبي ﷺ وهو في الصحيحين من حديث عائشة . وفيهما عن ابن

مسعود رضي الله عنه مرفوعا « بئسما لاحدكم » وللبخارى (لاحدهم) يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى استذكروا القرآن فهو أشد تفلتا من صدور الرجال من النعم

ولمسلم « لا يقول أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي »

نسي بتشديد السين وقيل وتخفيفها

قال في شرح مسلم انما نهى عن نسيتها وهو كراهة تنزيه لانه يتضمن التساهل فيها والتغافل عنها ، وقد قال تعالى (أتتك آياتنا فنسيتها) (١)

وقال القاضي عياض أولى ما يتأول عليه الحديث ان معناه ذم الحال لا ذم القول أى بئست الحالة حالة من حفظ القرآن فغفل عنه حتى نسيه

ولمسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا فذكر الحديث وفي آخره «فاذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، واذا لم يقم به نسيه»

﴿ فصل ﴾

في تطيب المصحف وكرسيه وكيسه

لا يكره تطييب المصحف ولا جعله على كرسى أو كيس حرير نص عليه، بل يباح ذلك وتركه بالارض وعلله الامدي فقال انه معفو عن يسيره وفي ذلك تعظيم له كلبسه في الحرب وتكره تحليته بذهب أو فضة قدمه ابن تميم وابن حمدان ، وعنه لا يكره ، وقيل يحرم كبقية الكتب ، وقيل

---

(١) قوله وهو كراهة تنزيه الى الآية ساقط من المصرية

يباح علاقته للنساء دون الرجال وليس بصحيح لان هذا جميعه لم ترد به السنة ولا نقل عن السلف فيه شيء مع مافيه من اضاعة المال

﴿ فصل ﴾

في العطاس والتثاؤب وتشميت العاطس اذا حمد الله

تشميت العاطس وجوابه فرض كفاية قدمه ابن تميم وابن حمدان وهو ظاهر مذهب مالك وغيره ، وقيل بل هما سنة وهو مذهب الشافعي وغيره وقيل بل واجبان وهو قول بعض العلماء ويسن ان يغطي العاطس وجهه ويخفض صوته الا بقدر مايسمع جليسه ليشمته وهذا معنى كلام أحمد في رواية ابي طالب واحمد بن اصرم ، قال ابن عقيل ويبعد من الناس ، قال الشيخ تقي الدين البغدادي غريب ، قال الشيخ عبدالقادر ولا يلتفت يمينا ولا شمالا انتهى كلامه ويحمد الله جهرا

قال ابن هبيرة في الحديث السابع من أفراد مسلم من حديث ابي موسى . قال الرازي من الاطباء . العطاس لا يكون اول مرض أبدا إلا ان تكون له زكمة. قال ابن هبيرة فاذا عطس الانسان استدل بذلك من نفسه على صحة بدنه وجودة هضمه واستقامة قوته فينبغي له ان يحمد الله ولذلك امره رسول الله ﷺ ان يحمد الله. وكذلك الطنين في الاذن فانه من حاسة السمع فاذا طنت اذن الانسان ذكر الله تعالى مثنيا عليه بما أراه من دليل حسن صنعته فيه، وقد ذكر هذا أهل العلم بالابدان وهو صحيح

لان هذا الطنين لا يعرض لمن قد فسد سمعه كذلك لا يعرض للشيوخ الا نادراً انتهى كلامه

قال الاطباء الدوي والطنين في الاذن قد يكون من حاسة السمع ولا خطر فيه، ويكون من أرياح غليظة محتبسة في الدماغ او كيموسات غليظة فيه وعلاجه اسهال البطن بالايراحات الكبار وكب الاذن على بخار الرياحين اللطيفة وهجر الاطعمة الغليظة التي تملأ الرأس مثل الفوم والكرات والجوز، ويقطر في الاذن دهن اللوز المر ويكون الغذاء اسفيدناجات او ماء الحمص انتهى كلامهم

وقال في الغنية: واذا طنت أذنه صلى على النبي ﷺ وليقل: ذكر الله من ذكرني بخير. لانه مروي عن النبي ﷺ انتهى كلامه وكثير من الناس من يعمل هذا وهذا الخبر موضوع او ضعيف ولم يذكر الاصحاب هذا ولا الذى قبله لعدم ما يدل على ذلك شرعا والله أعلم

وفي البخارى ان النبي ﷺ قال «ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب» لان العطاس يدل على خفة بدن ونشاط والتثاوب غالبا لثقل البدن وامتلائه واسترخائه فيميل الى الكسل فاضافه الى الشيطان لانه يرضيه او من تسببه لدعائه الى الشهوات. ويقول من سمع العاطس له يرحمك الله او يرحمكم الله: ويقول هو: يهديكم الله ويصلح بالكم. ذكره السامرى. وفي الرعاية وزادوا (ويدخلكم الجنة عرفها لكم) اويقول يغفر الله لنا ولكم، وقيل بل يقول مثل

ماقيل له ، وكان ابن عمر اذا عطس فقيل له يرحمك الله قال يرحمنا الله وإياكم ، ويغفر الله لنا ولكم . رواه مالك

قال احمد في رواية ابي طالب التشميت يهديكم الله ويصلح بالكم وهذا معنى مانقل غيره ، وقال في رواية حرب هذا عن النبي ﷺ من وجوه وقال ابن تميم يرد عليه العاطس وان كان المشمت كافرا فيقول آمين يهديكم الله ويصلح بالكم . وان قال المشمت المسلم يغفر الله لنا ولكم فحسن ، والاول أفضل ، وكذا ذكر ابن عقيل الا قوله وان كان المشمت كافرا . وذكر القاضي انه روى عن النبي ﷺ لفظان (أحدهما) يهديكم الله (والثاني) يرحمكم الله . كذا قال وصوابه يغفر الله لكم قاله الشيخ تقي الدين قال القاضي ويختار أصحابنا يهديكم الله لان معناه يديم لله هداكم ، واختار بعض العلماء يغفر الله لنا ولكم ، وقال مالك والشافعي يتخير بين هذا وبين يهديكم الله ويصلح بالكم ، وقال ابن عقيل ولا يستحب تشميت الكافر فان شمته أجابه بآمين يهديكم الله فانها دعوة تصلح للمسلم والكافر ، وقد قال أبوموسى الاشعري كانت اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لهم يرحمكم الله ، فكان يقول لهم « يهديكم الله ويصلح بالكم » رواه الامام أحمد عن وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن حكيم بن ديلم عن أبي بردة عن أبيه إسناد جيد ، وحكيم وثقه ابن معين وغيره وقال أحمد شيخ صدوق وقد قال ابو حاتم صالح ولا يحتج به ، ورواه أبو داود والنسائي والحاكم والترمذي وقال حسن صحيح

قال الشيخ تقي الدين وقد نص أحمد على انه لا يستحب تشميت الذمي ذكره أبو حفص في كتاب الادب عن الفضل بن زياد قال قلت يا أبا عبدالله لو عطس يهودي قلت له يهديكم الله ويصلح بالكم ، قال أي شيء يقال لليهودي؟ كأنه لم يره ، قال القاضي ظاهر كلام أحمد انه لم يستحب تشميته لان التشميت تحية له فهو كالسلام ولا يستحب أن يبدأ بالسلام كذلك التشميت ويدل عليه ما رواه أبو حفص باسناده عن النبي ﷺ أنه قال « ان للمسلم على المسلم ست خصال ان ترك منهن شيئا ترك حقا واجبا عليه، اذا دعاه أن يجيبه، واذا مرض أن يعوده، واذا مات أن يحضره، واذا لقيه أن يسلم عليه، واذا استنصحه أن ينصحه، واذا عطس أن يشمته ـ أو يسمته » فلما خص المسلم بذلك دل على ان الكافر بخلافه وهو في السنن الا قوله حقا واجبا عليه » ولأحمد ومسلم من حديث أبي هريرة « حق المسلم على المسلم ست » وذكره . قال الشيخ تقي الدين : التخصيص بالوجوب أو الاستحباب انما ينفي ذلك في حق الذمي كما ذكره أحمد في النصيحة، وإجابة الدعوة لا تنفي جواز ذلك في حق الذمي من غير استحباب ولا كراهة كاجابة دعوته(١) والذي ذكره القاضي وهو ظاهر كلام أحمد انه يكره ،

(١) كذا في النسختين وفيه اتحاد المشبه والمشبه به ـ فلعله محرف ونفي الشيخ تقي الدين لاستحباب التشميت ولكراهته هو الاشبه فان كلا منها حكم شرعي لا يثبت الا بدليل شرعي ولا دليل وقياسه على البدء بالسلام ليس باولى من قياسه على اجابة دعوته وأكل طعامه الثابتين بالكتاب والسنة وزد على ذلك ان التشميت دعاء بالرحمة وهو جائز لكل حي ومثله الهداية بالاولى

وكلام ابن عقيل انما نفى الاستحباب ، وفي المسئلة حديث تعاطس اليهود عند النبي ﷺ وكان يجيبهم بالهداية، وإذا كان في التهنئة والتعزية والعيادة روايتان فالتشميت كذلك انتهى كلامه . فظهر في تشميت الكافر أقوال : الجواز ، والكراهة ، والتحريم (١)

والتشميت بالشين والسين ذكره غير واحد من أصحابنا وغيرهم . قال في شرح مسلم لغتان مشهورتان والمعجمة أفصح. قال ثعلب معناه بالمعجمة أبعدك الله عن الشماتة. وبالمهملة هو السمت وهو القصد والهدي قال الليث التشميت ذكر الله على كل شيء ومنه قولك للعاطس يرحمك الله

وقال صاحب المحكم تشميت العاطس معناه هداك الله الى السمت وذلك لما في العاطس من الانزعاج والقلق قال أبو عبيدة . الشين المعجمة على اللغتين وقال ثعلب أيضا : يقال سمت العاطس وشمته اذا دعوت له بالهدى وقصد السمت المستقيم قال والاصل فيه السين المهملة فقلبت شينا معجمة وقال ابن الانباري يقال شمته وسمت عليه إذا دعوت له بخير وكل داع بالخير فهو مشمت ومسمت ، وقال ابن الاثير في النهاية التشميت بالشين والسين الدعاء بالخير والبركة والمعجمة أعلاها يقال شمت فلانا وشمت

---

١) اظهر هذه الاقوال أولها وأضعفها ثالثها بل هو باطل على القاعدة التي تقدم في الجزء الاول جريان السلف عليها وهي ان الحرام لايثبت الا بدليل قطعي ، ويحسن العمل في المسئلة بما يقتضيه مرجح خارجي كاظهار يسر الاسلام وسماحته واستمالة القلوب اليه ، ويقابله من الطرف المقابل لهذا المحافظة على عزة المؤمن، وترفعه عن التذلل والمداهنة ولكل مقام مقال

عليه تشميتا فهو مشمت واشتقاقه من الشوامت وهي القوائم كأنه دعا للعاطس بالثبات على طاعة الله تعالى وقيل معناه أبعدك الله عن الشماتة وجنبك مايشمت به عليك

وقال الجوهري قال ثعلب الاختيار بالسين لانه مأخوذ من السمت وهو القصد والحجة، وقال ابو عبيد الشين أعلى في كلامهم وأكثر قال الجوهري كل داع لاحد بخير فهو مشمت ومسمت والشوامت قوائم الدابة وهو اسم لها . قال ابو عمرو يقال لاترك الله له شامتة اي قائمة

وقد روى ابن ماجه واسناده ثقات الا محمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى فان فيه كلاما ولعله حسن الحديث عن علي رضى الله عنه مرفوعا «اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليرد عليه من حوله يرحمك الله، وليرد عليهم يهديكم الله ويصلح بالكم» ورواه البخاري بمعناه من حديث ابي هريرة ، ورواه ابو داود وعنده «فليقل الحمد لله على كل حال» وروى الترمذي هذا اللفظ من حديث ابي أيوب وغيره ، ورواه النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث علي وغيره عن ابي موسى مرفوعا «اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فان لم يحمد الله فلا تشمتوه» ، ورواه احمد ومسلم. وكراهة تشميت من لم يحمد الله قول الشافعية وغيرهم وكذا عند مالك وقال إن شمته غيره فليشمته وبترجه احتمال تشميت من علم انه حمد الله وإن لم يسمعه لظاهر الخبر لكن روى البخاري من حديث أبي هريرة «فاذا عطس أحدكم فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يقول يرحمك الله»

قال في الغنية وروي في بعض الاخبار عن النبي ﷺ « ان العبد اذا قال الحمد لله قال الملك رب العالمين، فاذا قال العبد رب العالمين بعد الحمد قال الملك يرحمك الله ربك» فيتوجه على هذا أن يرد عليه، ذكره على الآدمي وهذا الخبر رواه الطبراني والحافظ ضياء الدين في المختار من طريقه من حديث صالح بن يحي المزني عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « اذا عطس أحدكم فقال الحمد لله قالت الملائكة رب العالمين ، فاذا قال رب العالمين ، قالت الملائكة يرحمك الله

وروى سعيد حدثنا ابو الاحوص عن حصين عن ابراهيم قال اذا عطس الرجل وهو وحده فليقل الحمد لله رب العالمين وليقل يرحمنا الله واياكم فانه يشمته من سمعه من خلق الله، وسبق كلامه في الرعاية في السلام

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ اذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض او غض بها صوته شك الراوي .رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح

وعن سالم بن عبيد مرفوعا « اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين، وليقل يغفر الله لي ولكم» رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه وفيه أن رجلا عطس عند سالم بن عبيد فقال السلام عليكم، فقال سالم وعليك وعلى أمك، ثم قال بعد لعلك وجدت مما قلت لك، قال لوددت انك لم تذكر أمي بخير ولا بشر ، قال انما قلت لك كما قال رسول الله ﷺ انا بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من

القوم فقال السلام عليكم، فقال رسول الله ﷺ «وعليك وعلى أمك» ثم قال «اذا عطس أحدكم» الحديث ورواه احمد وفي لفظ «فليقل الحمد لله على كل حال، او الحمد لله رب العالمين»

وروى الترمذي عن حميد بن مسعدة عن زياد بن الربيع عن حضرمي مولى الجارود عن نافع قال عطس رجل الى جنب ابن عمر فقال الحمد لله والسلام على رسول الله ﷺ، فقال ابن عمر وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله ﷺ ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ ان نقول اذا عطسنا انما علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال. اسناد جيد قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من حديث زياد

فصل

قيل للقاضي في الخلاف ان الامام يقول في الصلاة سمع الله لمن حمده فقط ذكر مسنون يقتضي الجواب فوجب أن لا يكون من سنته الجمع بين الجواب وبين ما يقتضيه كالسلام ورده وحمد العاطس وتشميته، فأجاب القاضي بأنه ينتقض بقول الامام ولا الضالين آمين فانه يجمع بينهما على انه قد قيل انه لا يقتضي الجواب لانه ليس يأمر بالحمد وانما هو ثناء على الله عز وجل، لان قوله سمع الله لمن حمده معناه يا سميع الدعاء، هكذا ذكره ابن المنذر. وأما رد السلام فان السلام يقتضي الجواب من غيره وكذلك التشميت فلهذا لم يسن الجمع بينهما وليس كذلك هنا لانه يقتضي الجواب من

غيره(١) بدليل انه يوجد(٢) من المنفرد وان لم يكن معه من يوجد منه الجواب وقال ابن حمدان: وان عطس كافر وحمد الله قال له المسلم والكافر عافاك الله

﴿ فصل ﴾

قال ابن تميم لا يشمت الرجل الشابة ولا تشمته . وقال في الرعاية الكبرى للرجل أن يشمت امرأة أجنبية وقيل عجوزا وشابة برزة ولا تشمته هي وقيل لا يشمتها . وقال السامري يكره أن يشمت الرجل المرأة إذا عطست ولا يكره ذلك للعجوز . قال ابن الجوزي : وقد روينا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه انه كان عنده رجل من العباد فعطست امرأة أحمد فقال لها العابد يرحمك الله فقال أحمد رحمه الله عابد جاهل انتهى كلامه وقال حرب قلت لأحمد الرجل يشمت المرأة إذا عطست ؟ فقال إن أراد أن يستنطقها يسمع كلامها فلا ، لان الكلام فتنة ، وان لم يرد ذلك فلا بأس أن يشمتهن

قال الشيخ تقي الدين فيه عموم في الشابة وقال أبو طالب انه سأل أبا عبد الله يشمت الرجل المرأة إذا عطست ؟ قال نعم قد شمت أبو موسى امرأته ، قلت فان كانت امرأة تمر أو جالسة فعطست أشمتها ؟ قال نعم . وقال القاضي ويشمت الرجل المرأة البرزة ويكره لشابة ، وقال ابن عقيل يشمت المرأة البرزة وتشمته ولا يشمت الشابة ولا تشمته ، وقال الشيخ

«١» من قوله وكذلك التشميت الى هنا ساقط من المصرية
(٢) في المصرية لم يوجد

عبد القادر ويجوز للرجل تشميت المرأة البرزة والعجوز ويكره للشابة الخفرة . فظهر مما سبق انه هل يشمت المرأة اذا لم يرد أن يسمع كلامها أم لا يشمتها؟ على روايتين . وأكثر الاصحاب على الفرق بين الشابة وغيرها وسبقت نصوصه في التسليم عليها مثل هذا ولا فرق وسبق أن صاحب النظم سوى بين التسليم والتشميت، وقيل يشمت عجوزا أو شابة برزة، ومن قلنا يشمتها فانها تشمته وعلى ما في الرعاية لا

فصل

﴿ في تشميت العاطس كلما عطس الى ثلاث ﴾

فان عطس رابعة لم يشمته ذكره السامري وقدمه في الرعاية وهو الذي ذكره الشيخ عبد القادر ومذهب مالك وغيره وقال الشيخ تقي الدين وهو المنصوص عن أحمد وذكر رواية ـ اخ ومهنا . وقيل أو ثالثة وهو الذى ذكره ابن تميم، وذكر الشيخ تقي الدين انه الذي اتفق عليه كلام القاضي وابن عقيل ، وقيل أو مرتين، ويقال له عافاك الله لانه ريح، قال صالح ابن أحمد لأبيه تشميت العاطس في مجلسه ثلاثا ؟ قال أكثر ما فيه ثلاث ، وهذا مع كلام الاصحاب يدل على أن الاعتبار بفعل التشميت لا بعدد العطسات ، فلو عطس أكثر من ثلاث متواليات شمته بعدها اذا لم يتقدم تشميت قولا واحدا والأدلة توافق هذا وهو واضح ، قال مهنا

لأحمد أي شيء مذهبك في العاطس يشمت الى ثلاث مرار؟ فقال الى قول(١) عمرو بن العاص قلت من ذكره؟ قال هشيم أخبرنا المغيرة عن الشعبي عن عمرو بن العاص، قال العاطس بمنزلة الخاطب يشمت الى ثلاث مرار فمازاد فهو داء في الرأس، وقال أبو الحارث عنه يشمت الى ثلاث

وقد روى ابن ماجه واسناده ثقات عن سلمة بن الاكوع مرفوعا « يشمت العاطس ثلاثا فما زاد فهو مزكوم » ولأبي داود عن أبي هريرة موقوفا ، ولمسلم وأبي داود عن سلمة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطس عنده رجل فقال له « يرحمك الله » ثم عطس أخرى فقال رسول الله ﷺ « الرجل مزكوم » وعند الترمذي قال له في الثالثة « انت مزكوم » قال وهو أصح من الاول

وروى أبو داود حدثنا هارون بن عبدالله ثنا مالك بن اسماعيل ثنا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن يحيى بن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أمه حميدة أو عبيدة بنت عبيدة بن رفاعة الزرقي عن أبيها عن النبي (ص) قال « يشمت العاطس ثلاثا فان شئت فشمته وان شئت فكف » مرسل وعبيدة تفرد عنها ابنها ، قال بعضهم ورواه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول ، قال في الرعاية الكبرى : ويقال للصبي قبل ثلاث مرات : بورك فيك ، وكذا قال الشيخ عبد القادر وزاد وجبرك الله

(١) اذا لم يكن في العبارة تحريف فالمراد ان مذهبه ميل أو يقتهي الى قول عمرو

وروى عبدالله بن أحمد عن الحسن أنه سئل عن الصبي الصغير يعطس؟ قال يقال له بورك فيك، وقال صاحب النظم ان عطس صبي يعني علم الحمد لله ثم قيل له يرحمك الله أو بورك فيك ونحوه ويعلم الرد وان كان طفلا حمد الله وليه او من حضره وقيل له نحو ذلك انتهى كلامه، أما كونه يعلم الحمد فواضح وأما تعليمه الرد فيتوجه فيه ماسبق في رد السلام لكن ظاهر ما سبق من كلام غيره أنه يدعى له وان لم يحمد الله، لكن قد يقال الدعاء له تشميت فيتوقف على قوله الحمد لله كالبالغ، لكن الاول أظهر في كلامهم لانهم لم يفرقوا بين المميز وغيره ولم يذكروا قول الحمد لله من غير العاطس لان الخطاب لم يتوجه الى غيره ومن لا عقل له ولا تمييز لا يخاطب ففعل الغير عنه فرع ثبوت الخطاب ولم يثبت فلا فعل، على أن العبادة البدنية المحضة المستقلة لا تفعل عن الحي باتفاقنا وقد يتوجه احتمال تخريج بقوله الولي فقط ويتوجه في التسمية لأكل وشرب كذلك في غير مميز، وظاهر ما ذكروه أنه لا حكم لعطاس المجنون كما لا حكم لكلامه مطلقا لكن يشرع الدعاء له في الجملة، وهو يقتضي أن القياس في الطفل كذلك خولف للاثر (١) ويتوجه في المجنون احتمال كالطفل ولان من لا عقل له ولا تمييز كان موجودا على عهده عليه السلام وعهد الصحابة رضي الله عنهم فلو شرعت عنه التسمية لذلك لشاع ولنقله الخلف عن السلف لعموم البلوى به والحاجة فلما لم ينقل ذلك دل على سقوطه وعدم اعتباره

---

(١) من قوله مطلقا الى هنا ساقط من البصرية

بل قد يؤخذ من المنقول من تحنيك الاطفال عدم التسمية لان الراوي لم يذكرها والاصل عدمها والله أعلم

﴿ فصل ﴾

روي عن النبي ﷺ أنه قال « من سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص واللوص والعلوص » وهذه أوجاع اختلف في تعيينها ذكره ابن الاثير وغيره وكان غير واحد من أصحابنا المتأخرين رحمهم الله يذكر هذا الخبر ويعلمه الناس وأمل الخبر في تشميت من حمد الله دون من لم يحمده يدل على أنه لا يستحب والا لفعله النبي ﷺ وندب اليه

وقد ذكر ابن الاخضر فيمن روى عن أحمد قال المروذي ان رجلا عطس عند أبي عبدالله فلم يحمد الله فانتظره أن يحمد الله فيشمته فلما أراد أن يقوم قال له أبو عبدالله كيف تقول اذا عطست ؟ قال أقول الحمدلله فقال له أبو عبدالله يرحمك الله ، وهذا يؤيد ما سبق وهو متجه

﴿ فصل ﴾

﴿ فيما ينبغي المتجشي ﴾

ولا يجيب المتجشي بشيء فان قال الحمدلله قيل له هنيئا مريئا أو هناك الله وأمراك ذكره في الرعاية الكبرى وابن تميم وكذا ابن عقيل وقال لا نعرف فيه سنة بل هو عادة موضوعة وتأتي هذه المسئلة في آداب الاكل، قال الاطباء ينفع فيه السذاب أو الكراويا أو الانيسون أو الكسفرة أو السعتر أو النعناع أو الكمدر مضغا وشربا

روى أبو هريرة أن رجلا تجشى عند النبي ﷺ فقال « كف عنا جشائك فان أكثرهم شبعا أكثرهم جوعا يوم القيامة » رواه الترمذي وقال حسن غريب ، قال أحمد في رواية أبي طالب اذا تجشى وهو في الصلاة فليرفع رأسه الى السماء حتى تذهب الريح واذا لم يرفع رأسه آذى من حوله من ريحه قال وهذا من الادب ، وقال في رواية مهنا : اذا تجشى الرجل ينبغي أن يرفع وجهه الى فوقه لكيلا يخرج من فيه رائحة يؤذي بها الناس

﴿ فصل ﴾

﴿ في التثاؤب وما ينبغي فيه ﴾

من تثاءب كظم ما استطاع للخبر وأمسك يده على فمه أو غطاه بكمه أو غيره ان غلب عليه التثاؤب لقوله ﷺ « التثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فان أحدكم اذا تثاءب ضحك الشيطان » وفيه « ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فاذا تثاءب أحدكم فلا يقل هاه هاه ، فان ذلكم من الشيطان يضحك منه » وروى ذلك أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم والبخاري وعنده « اذا تثاءب أحدكم في الصلاة » وروى أيضا وحسنه « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان » رواهما النسائي في اليوم والليلة قال في النهاية انما أحب العطاس لانه انما يكون مع خفة البدن وانفتاح المسام وتيسير الحركات، والتثاؤب بخلافه وسبب هذه الاوصاف الاقلال(١) من الطعام والشراب

١) في المصرية الامتلاء

وروى مسلم من حديث أبي سعيد « اذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فمه فان الشيطان يدخل » وله معناه من حديث أبي هريرة « ولا يقول في الصلاة هاه ولاما له هاء ، ولا يزيل يده عن فمه حتى يفرغ تثاؤبه » ويكره اظهاره بين الناس مع القدرة على كفه وان احتاجه تأخر عن الناس وفعله وعنه يكره التثاؤب مطلقا

فصول في التداوي والطب والعلاج

﴿ فصل ﴾

﴿ في حكم التداوي مع التوكل على الله ﴾

يباح التداوي وتركه أفضل نص عليه قال في رواية المروذي: العلاج رخصة وتركه درجة أعلى منه، وسأله اسحاق بن ابراهيم بن هانىء في الرجل يمرض يترك الادوية أو يشربها؟ قال اذا توكل فتركها أحب إلي

وذكر أبو طالب في كتاب التوكل عن أحمد رضي الله عنه أنه قال أحب لمن عقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره، وقد كانت تكون به علل فلا يخبر الطبيب بها اذا سأله ، وقدمه ابن تميم وابن حمدان وهو قول ابن عبد البر وحكاه عمن حكاه لقوله ﷺ في حديث ابن عباس (١) « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم

---

(١) الحديث لا يدل على ترك التداوي فان الرقية ليست دواء وانما تأثيرها في العصب بالاعتقاد غالبا وكانت رقي الجاهلية اباطيل وهمية . وسيأتي تعليل النهي عن الاكتواء والاذن به ويزاد عليه كراهة النبي ﷺ له وسيأتي في صفحة ٣٦١ أمره بالتداوي وهو القول الفصل

الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون » متفق عليه ، وذكر بعضهم ان فيه « هم الذين لا يرقون ولا يسترقون » وذكره بعضهم من رواية مسلم وهو الصواب ، وقال رسول الله ﷺ « من اكتوى أو استرقى فقد برىء من التوكل » رواه أحمد وغيره واسناده ثقات وصححه الترمذي ، وروى سعيد ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عبد(١) الغفار بن المغيرة بن شعبة عن أبيه عن النبي ﷺ قال « لم يتوكل من أرقى واسترقى » اسناد جيد ، وقال سعيد ثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع عبيد بن عمير يقول سبقكم الاولون بالتوكل ، كانوا الا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون فهم الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . عبيد أدرك عمر وأبيا

وقيل بل فعله أفضل وبه قال بعض الشافعية ، وذكر في شرح مسلم أنه مذهب الشافعية وجمهور السلف وعامة الخلف وقطع به ابن الجوزي في المنهاج واختاره الوزير ابن هبيرة في الافصاح قال ومذهب أبي حنيفة انه مؤكد حتى يداني به الوجوب قال ومذهب مالك أنه يستوي فعله وتركه فانه قال لا بأس بالتداوي ولا بأس بتركه .

وذكر ابن هبيرة أن علم الحساب والطب والفلاحة فرض على الكفاية وقال في قوله « لا يكتوون ولا يسترقون » قال كانوا في الجاهلية يسترقي الرجل بالكلمات الخبيثة فيوهمه الراقي في ذلك وفي الكي انهما يمنعانه من المرض أبدا ، فذلك الذي منع منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

١ في المصرية الغفار بدون لفظ عبد

والحجامة سنة وهو أقوى دليل على فعل التداوي ، واحتج أيضا بانه لا يباح للرجل أن لا يداوي مغابنه من ابطيه ليقطع ضرر بخارهما عن الناس وعنه في نفسه كذا قال ولا أحسب هذا محل وفاق ولو كان فهو لا يرى وجوب التداوي قال وكذلك لو ترك تارك جرحه يسيل دمه فلم يعصبه حتى سال منه الدم فمات كان عاصيا لله تعالى قاتلا لنفسه، ولا حجة له في هذا ، وقال في حديث عمران وهو نحو حديث ابن عباس المتقدم رواه مسلم يعني ﷺ انه لا يبلغ بهم الذهاب في التداوى الى أن يكتووا أو هو آخر الادوية ويعني بقوله « ولا يسترقون » رقى في الجاهلية فأما الاستشفاء بآيات القرآن فليس من هذا

وقال في حديث ابي هريرة «ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها» قال فمن تداوى بنية أن يتبع في التداوي السنة ويدبر بدنه المودع عنده لله بأصوب التدبير فهذا إيمان وتوفيق وإن خطر بقلبه او وسوس له الشيطان اذا لم يتداو ربما يهلك ويوهمه الشيطان انه يموت بغير أجله فيتداوى بهذا العزم فيكون كافراً كذا قال الشيخ تقي الدين ليس بواجب عند جماهير الائمة انما أوجبه طائفة قليلة من أصحاب الشافعي واحمد انتهى كلامه

وذكر الغزالي في كتابه فاتحة العلم ان علم الطب فرض كفاية وانه لا يجوز ترك المداواة وقد قال حرملة سمعت الشافعي يقول شيئان أغفلهما الناس العربية والطب ، وقال الربيع سمعت الشافعي يقول : العلم علمان

علم الاديان وعلم الابدان. وذلك لانه يجب عليه أو يستحب له ان يدفع عن نفسه ما أريدت وأجيب بأن هناك يتحقق احياء نفسه بذلك بخلاف هذا

وقال بعض أصحابنا هو واجب زاد في الرعاية ان ظن نفعه

قال القاضي روى ابو محمد الحسين بن محمد الخلال في كتاب الطب باسناده عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرت أسقامه فكان يقدم عليه أطباء العرب والعجم فيصفون له فنعالجه

ورواه احمد في المسند أن عروة كان يقول لعائشة يا أمتاه لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله (ص) وابنة ابي بكر ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة ابي بكر، وكان أعلم الناس او من أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ومن أين هو؟ قال فضربت على منكبيه وقالت أي عرية ! إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فكانت تنعت له الانعات وكنت أعالجها فمن ثم علمت. وقد روى مالك وسعيد والبيهقي باسناد حسن جيد عن ابن عمر انه اكتوى من اللوقة واسترقى من الحية . واللوقة مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه

وروى ابو داود ثنا محمد بن عبادة بفتح العين الواسطي ثنا يزيد بن هارون انبأنا اسماعيل بن عياش عن ثعلبة بن مسلم عن أبي عمران الانصارى عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص)

«إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام» وورواه البيهقي من طريق أبي داود وهذا اسناد حسن وثعلبة شامي وابن عياش اذا روى عن الشاميين كان حجة عند الاكثرين

ولاحمد من حديث أنس «ان الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا» قيل معنى أنزل الله الداء والدواء خلقهما لهذا الخبر، وقيل اعلام الناس به وهذا ضعيف لقوله عليه السلام فيما رواه احمد وغيره من حديث ابن مسعود ومن حديث أسامة بن شريك «علمه من علمه وجهله من جهله» وقيل أنزلهما مع الملائكة الموكلين بمباشرة الخلق، وقيل أنزل المطر ليولدهما عنه أو من الجبال ودخل غيرهما تبعا وهذا من حكمة الله كما هو شائع انه سبحانه اذا ابتلى أعان فابتلى بالداء وأعان بالدواء، وابتلى بالذنب وأعان بالتوبة، وابتلى بالارواح الخبيثة الشياطين، وأعان بالارواح الطيبة الملائكة، وابتلى بالمحرمات وأعان بإباحة نظيرها

وعن أسامة بن شريك قال: قالت الاعراب يارسول الله ألا نتداوى؟ قال «نعم عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحدا» قالوا يارسول الله وما هو؟ قال «الهرم» رواه ابو داود وابن ماجه والترمذي وصححه

وعن عمرو بن دينار عن هلال بن يساف قال دخل النبي ﷺ على مريض يعوده فقال «ارسلوا إلى الطبيب» فقال قائل وأنت تقول ذلك يارسول الله؟ قال «نعم إن الله لم ينزل داء الا أنزل له دواء» مرسل رواه غير واحد من الائمة

وعن جابر قال نهى رسول الله (ص) عن الرقى ، فجاء آل عمرو بن حزم(١) فقالوا يارسول الله انه كانت عندنا رقية نرقي بها عن العقرب فانك نهيت عن الرقى فعرضوها عليه فقال «ما أرى بها بأسا ، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » وقال (ص) « لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك » رواهما مسلم ، وعن عائشة قالت كان رسول الله (ص) اذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات ، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لانها أعظم بركة من يدى . متفق عليه . وفي المتفق عليه: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به، وفي المتفق عليه كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها

وعن عائشة قالت أمرني رسول الله ﷺ أن أسترقي من العين. وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لجارية في بيتها رأى في وجهها سفعة ، يعني صفرة ـ فقال « انها نظرة استرقوا لها » متفق عليها. قوله «انها نظرة» أي عين ، وقيل عين من نظر الجن ، وعن عمرة ان أبا بكر دخل على عائشة ويهودية ترقيني فقال ارقيها بكتاب الله .رواه مالك ، وروى غير واحد منهم الترمذي وصححه عن عثمان بن أبي العاص قال أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني فقال رسول الله (ص) امسح بيمينك سبع مرات وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » قال ففعلت هذا فأذهب الله ما كان

(١) في المصرية فجاء الى عمرو بن حزير

في، فلم ازل آمر به أهلي وغيرهم، ولم لم ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاث مرات وقل سبع مرات. » وذكره وفي آخره «وأحاذر» وعن كعب بن مالك مرفوعاً «إذا وجد أحدكم ألما فليضع يده حيث يجد الألم ثم ليقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته على كل شيء من شر ما أجد» رواه أحمد ، وعن محمد(١) بن سالم قال قال لي ثابت البناني يا محمد اذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكي ثم قل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وتراً فان أنس بن مالك حدثه ان رسول الله (ص) حدثه بذلك رواه الترمذي وقال حسن غريب

وروى أبو محمد الخلال في كتاب الطب باسناده عن عروة وفي نسخة عمرو بن مسودة قال جلس المأمون للناس مجلسا عاما فكان فيمن حضره منجه وهنجه طبيبا الروم والهند - الى أن قال - فأقبل المأمون على اسحاق ابن راهويه فقال ما ترى ؟ فقال ذكر هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان النبي ﷺ دخل عليها وهي تشتكي فقال لها «يا عائشة الحمية دواء، والمعدة بيت الادواء، وعودوا بدنا ما اعتاد» فأقبل المأمون على منجه وهنجه فقال ما تقولان ؟ فقالا هذا كلام جامع وهو أصل الطب

وباسناده عن علي رضي الله عنه قال : المعدة بيت الداء والحمية رأس الطب ، والعادة طبع ثان فعودوا بدنا ما اعتاد . قال شهاب بن عطارد بن شهاب فحدثت به بعض علماء متطببي هذا الزمان فقال ما ترك لنا ما نتكلم

(١) رواية محمد بن سالم ساقطة من النسخة المصرية

عليه أبلغ من هذا المعنى ولا أوجز. وروى أيضاً عن الاصمعي قال جمع هارون الرشيد أربعة من الاطباء عراقي ورومي وهندي وسوادي، فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الرومي هو حب الرشاد الابيض. وقال الهندي الماء الحار، وقال العراقي الهليلج الاسود وكان السوادي أبصرهم فقال له تكلم فقال حب الرشاد يولد الرطوبة، والماء الحار يرخي المعدة، والهليلج الاسود يرق المعدة، فقالوا له فأنت ما تقول؟ قال أقول الدواء الذي لا داء فيه أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه وتقوم عنه وأنت تشتهيه

قال ابن الجوزي ونقل أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين ليس في كتابكم من علم الطب شيء، فقال علي بن الحسين وهو ابن واقد قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابنا، فقال ما هي؟ قال قوله تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) فقال النصراني لا يؤثر عن نبيكم شيء من الطب، فقال قد جمع رسولنا علم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي؟ قال «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاده» فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا

قال ابن الجوزي هكذا نقلت هذه الحكاية الا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النبي ﷺ لا يثبت، وقال غيره هذا من كلام الحارث ابن كلدة الثقفي طبيب العرب، وكان فيهم كالطبيب أبقراط في قومه

فصل

في الصحيحين عن عطاء ان ابن عباس قال له ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت بلى قال هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت اني أصرع واني أتكشف فادع الله لي فقال «إن شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك» فقالت أصبر، قالت فاني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها.

أما الصرع عن أخلاط رديئة فتفق عليه وهو علة تمنع الاعضاء النفسية عن الافعال والحركة والانتصاب منعا غير تام وله أسباب مختلفة ذكرها الاطباء وذكروا علاجه

وأما الصرع من الارواح الخبيثة فهو قولنا وقول أهل السنة ونافى فيه المعتزلة. وأما الاطباء فاعترف به بعضهم وقيل أئمتهم وبأن علاجه بمقابلة الارواح الخيرة الشريفة العلوية لتلك الارواح الشريرة الخبيثة فتعارض أفعالها وتبطلها، قال أبقراط بعد أن ذكر علاج الصرع الذي قال وأما الصرع الذي يكون من الارواح فلا ينفع فيه هذا العلاج وأنكر هذا الصرع بعض الاطباء وقدماء الاطباء كانوا يسمون هذا الصرع المرض الالهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس فتضر بالجزء الالهي الذي مسكنه الدماغ. وعلاج هذا الصرع إما من جهة المصروع بصدق توجهه [illegible]

والتعوذ الصحيح بالقلب واللسان وإما من جهة من يعالجه بذلك (١)

ومعلوم أن الارواح تختلف في ذاتها وصفاتها وبحسب ذلك قد يخرج بأيسر شيء أو بوعظ أو بتخويف وقد لا يخرج إلا بالضرب على اختلافه أيضا فيفيق المصروع ولا ألم به .

وكان الشيخ تقي الدين يعالج هذا الصرع بذلك كله وتارة بقراءة آية الكرسي ويأمر المصروع بكثرة قراءتها وكذا من يعالجه بها وبقراءة المعوذتين، وفي الغالب أن الارواح الخبيثة لا تتسلط إلا على غافل غير متيقظ ولا معامل لربه تبارك وتعالى . وصرع المرأة في الحديث والله أعلم من الصرع الاول واحتج به على أن ترك التداوى أفضل (٢) وفيه أن التوجه إلى الله سبحانه يجلب من النفع ويدفع من الضر مالا يفعله علاج الاطباء وأن تأثيره وتأثر الطبيعة عنه أعظم من الادوية البدنية وتأثير الطبيعة عنها وعقلاء الاطباء معترفون بأن فعل القوى النفسية وانفعالاتها في شفاء

(١) وهذا يكون بصدق توجهه الى الله تعالى وكون روحه الطاهرة مؤثرة بقوة هذا التوجه ولا سيما اذا تلا شيئاً من كتاب الله تعالى وقد دعيت مرة الى مصروع فرأيته مغمى عليه ويرى اشباحا تؤذيه فوضعت يدي على جبهته وبسملت وقلت ﴿ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ فقام معافى في الحال

(٢) لا نسلم ان صرعها من القسم الاول ولا نسلم على تقدير صحته انه يدل على ان ترك التداوي افضل فان الاستشفاء بدعائه ﷺ من الاستشفاء بخوارق العادات والتداوي من العادات والاسباب التي سنها الله تعالى لنظام العالم . وكان النبي ﷺ وأصحابه يأتون من الاسباب كل ماقدروا عليه كحمل الزاد والماء في السفر ويصبرون على فقدها ولم يطلبوا ولستقوا بخرق العادة الا مرة أو مرتين

الامراض عجائب. وأما الصرع لاهي الدنيا بشهواتها على اختلاف أنواعها وعدم التفكر والاعتبار وغلبة الغفلة والهوى حتى ان بعض القلوب كما قال النبي ﷺ في صحيح مسلم أو في الصحيحين « لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ما أشرب من هواه » نعوذ بالله من ذلك فهذا الصرع مما عم أمره وغلب على الناس إلا من عصم الله والناس فيه متفاوتون جدا على ماهو معروف ويأتي آخر فصول الطب دواء العشق وما يتعلق به

فصل

قد تقدم في الفصل قبل الفصل قبله ذكر الحمية وقد قال احمد في رواية حنبل لا بأس بالحمية وكأن هذا منه والله أعلم لأنها من التداوي والاولى عنده تركه فعلى هذا حكم مسئلة الحمية حكم مسئلة التداوي على ماسبق ويتوجه أن يجب اذا ظن الضرر بما يتناوله والامام احمد وغيره لايخالف هذا(١) وأما إن احتمل الضرر أو ظن عدمه فهذا مراد الامام ويتوجه استحبابها اذا احتياطا وتحرزا وإن لم يستحب التداوي ولهذا يحرم تناول مايظن ضرره ولا يجب التداوي اذا ظن نفعه قال تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا)

وروى ابو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن أم المنذر بنت

(١) هذه هي القاعدة عند جميع الفقهاء فاما خالفها بعضهم فانما يخالفها بعالا ثبت عنده انه مفيد في ازالة الضرر ومنه عدم ثقة بعضهم بما عرفوا من الطب والدواء في زمانهم

قيس الانصارية قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ ومعه عليّ وعلي ناقه من مرض ولنا دوالي معلقة فقام رسول الله ﷺ يأكل منها وقام علي يأكل منها فطفق النبي ﷺ يقول لعلي « انك ناقه » حتى كف ، قالت وصنعت شعيرا وسلقا فجئت به فقال النبي ﷺ « لعلي من هذا أصب فانه أنفع لك — وفي لفظ — فانه أوفق لك » قال الترمذي حسن غريب وهو كما قال حديث حسن . والدوالي اقناء من الرطب تعلق في البيت للأكل والناقه طبيعته مشغولة بدفع آثار العلة فالفاكهة تضره لسرعة استحالتها وضعف طبيعته عن دفعها لاسيما وفي الرطب ثقل ، وأما السلق والشعير فنافع له ويوافق لمن في معدته ضعف ، وفي ماء الشعير تبريد وتغذية وتلطيف وتليين وتقوية للطبيعة لاسيما مع السلق ، ويأتي الكلام فيها في المفردات

وعن صهيب رضي الله عنه قال : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال « ادن فكل » فأخذت تمرا آكل فقال « أتأكل تمرا وبك رمد ؟ » فقلت يا رسول الله أمضغ من الناحية الاخرى (١) فتبسم رسول الله (ص) حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره

وفي الاثر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه موقوف عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله اذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه عن الطعام والشراب » كذا قيل ورواه الترمذي من حديث محمود

(١) كان الرمد في احدى عينيه فقال انه يمضغ من جهة العين الصحيحة ، وكل من السؤال والجواب كان ممازحة

ابن لبيد عن قتادة بن النعمان واسناده حسن وقال حسن غريب ولفظه « كما يظل أحدكم يحمي نفسه الماء » ورواه أيضا عن محمود عن النبي (ص)

وقال زيد بن أسلم إن عمر رضي الله عنه حمى مريضا له حتى انه من شدة ما حماه كان يمص النوى فالحمية من أعظم الادوية وهي عما يجلب المرض حمية الاصحاء وعما يزيده حمية المرضى فان المريض اذا احتمى وقف مرضه فلم يتزايد وأخذت القوى في دفعه

وقال الحارث بن كلدة: الطب الحمية. والحمية عند الصحيح في المضرة كالتخليط للمريض والناقه. وأنفع الحمية للناقه فان طبيعته لم ترجع الى قوتها فقوتها الهاضمة ضعيفة والطبيعة قابلة والاعضاء مستعدة فتخليطه يوجب انتكاسة أصعب من ابتداء مرضه. ولا يضر تناول يسير لا تعجز الطبيعة عن هضمه ويدل عليه حديث صهيب المذكور وقد ينتفع به لشدة الشهوة فتتلقاه الطبيعة والمعدة بالقبول فيصلحان ما يخاف منه ولعله أنفع مما تكرهه الطبيعة

وقد روى ابن ماجه باسناد جيد عن ابن عباس أن النبي ﷺ عاد رجلا فقال له « ما تشتهي؟ » فقال اشتهي خبز بر وفي لفظ أشتهي كعكا (١) فقال النبي ﷺ « من كان عنده خبز بر فليبعث الى أخيه » ثم قال « اذا اشتهى مريض أحدكم شيئا فليطعمه »

ولا ينبغي اكراه المريض على طعام ولا شراب قال بعض الاطباء لان كراهته اما لاشتغال طبيعته بمجاهدة المرض أو لسقوط شهوته أو

(١) قوله وفي لفظ أشتهي كعكا ساقط من المصرية

نقصانها لضعف الحرارة الغريزية أو خمودها فلا يجوز اعطاء الغذاء في هذه الحال والجوع طلب الاعضاء للغذاء لتخلف الطبيعة به عليها عوض ماتحلل منها فتجذب (١) الاعضاء البعيدة من القريبة حتى ينتهي الجذب الى المعدة فيحس الانسان بالجوع فيطلب الغذاء فاذا وجد المريض اشتغلت الطبيعة بمادته وانضاجها أو اخراجها عن طلب الغذاء أو الشراب فاذا اكره المريض على ذلك تعطلت به الطبيعة عن فعلها واشتغلت بهضمه وتدبيره عن انضاج مادة المرض ودفعه فيكون ذلك سببا لضرر المريض لا سيما في أوقات البحارين أو ضعف الحار الغريزي أو خموده ولا ينبغي أن يستعمل في هذا الحال إلا ما يحفظ عليه قوته ويقويها بما لطف قوامه واعتدل مزاجه من شراب وغذاء ودواء من غير اشتغال مزعج للطبيعة فان الطبيب خادم للطبيعة ومعينها لا معيقها

والدم الجيد هو المغذي للبدن والبلغم دم فج قد نضج بعض النضج فاذا عدم الغذاء مريض فيه بلغم كثير عطفت الطبيعة عليه وطبخته وأنضجته وصيرته دما وغذت به الاعضاء واكتفت به، والطبيعة هي القوة التي وكلها الله بتدبير البدن مدة حياته، وقد روى الترمذي وابن ماجه من رواية بكر بن يونس بن بكير وهو ضعيف عند علماء الحديث عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام أو الشراب فان الله يطعمهم ويسقيهم » قال

١) من قوله الاعضاء للغذاء الى هنا ساقط من المصرية

الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال أبو حاتم الرازي هذا الحديث باطل، وقال بعضهم قد يحتاج الى اجبار المريض على طعام وشراب في أمراض معها اختلاط العقل فيكون الحديث مخصوصا أو مقيدا ومعنى الحديث أن المريض يعيش بلا غذاء أياما لا يعيش الصحيح في مثلها، قال بعض أصحابنا وغيرهم بنحوه وفي قوله « فان الله يطعمهم ويسقيهم » معنى لطيف يعرفه من له عناية بأحكام القلوب والارواح وتأثيرها في طبيعة البدن وانفعال الطبيعة عنها كما تنفعل هي كثيرا عن الطبيعة فالنفس اذا اشتغلت بمحبوب أو مكروه اشتغلت به عن الطعام والشراب بل وعن غيرهما فان كان مفرحا قوي التفريح قام لها مقام الغذاء فشبعت به وانتعشت قواها وتضاعفت وجرت الدموية في الجسد حتى تظهر في سطحه فان الفرح يوجب انبساط دم القلب فينبعث في العروق فتمتلىء به، والطبيعة اذا ظفرت بما تحب آثرته على ما هو دونه، وإن كان مخوفا ونحوه اشتغلت بمحاربته ومقاومته ومدافعته عن طلب الغذاء فان ظفرت في هذا الحرب انتعشت قواها وأخلفت عليها نظير ما فاتها من قوة الطعام والشراب وإلا انحطت من قواها بحسب ما حصل لها من ذلك، وإن كان الحرب بينها وبين هذا العدو سجالا فالقوة تظهر تارة وتخفى أخرى فالمريض له مدد من الله يغذيه به زائد على ما ذكره الاطباء من تغذيته بالدم، وهذا المدد يختلف بحسب قرب الشخص من ربه ويشهد لذلك ما في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يواصل الصوم ويقول « لست كهيئتكم إني أظل يطعمني

ربي ويسقيني»(١) وقد سبق قول الامام احمد رضي الله عنه الخوف منعني الطعام والشراب فما أشتهيه. وكان الشيخ تقي الدين رحمه الله قليل تناول الطعام والشراب وينشد كثيرا

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

وأما ما سبق من الكلام «وعودوا كل بدن ما اعتاد» فهو من أنفع شيء في العلاج وأعظمه فان ملاءمة الادوية والاغذية للابدان بحسب استعدادها وقبولها وسيأتي ان شاء الله من الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مايشهد لذلك وهذا معلوم بالمشاهدة فمن لم يراع ذلك من الاطباء واعتمد على مايجده في كتبهم فذلك لجهله ويضر المريض وهو يظن أنه ينفعه فالعادة كالطبيعة للانسان وفي كلام الاطباء وغيرهم العادة طبع ثان، وهي قوة عظيمة في البدن حتى انه اذا قيس أمر واحد إلى أبدان مختلفة العادات متفقة في الوجوه الاخر كان مختلفا بالنسبة اليها مثاله. ثلاثة شباب أمزجتهم حارة أحدهم تعود الحار، والآخر البارد، والآخر المتوسط، فالعسل لا يضر بالاول ويضر بالثاني ويضر بالثالث قليلا

وقد قال الحارث بن كلدة: الأزم دواء. الازم الامساك عن الاكل ومراده الجوع وهو من أجود الادوية في شفاء الامراض الامتلائية كلها وهو أفضل في علاجها من المستفرغات اذا لم يخف من كثرة الامتلاء وهيجان الاخلاط وحدتها وغليانها

---

١) اظهر ماقاله العلماء في معنى هذا ان الله يعطيه قوة الطاعم والشارب. وأطباء هذا العصر يعللون عدم حاجة اكثر المرضى الى الطعام بتعطيل الجهاز الهضمي عن العمل

وقد روى أبو نعيم في الطب النبوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «صوموا تصحوا»

وقد ذكر بعض الاطباء وغيرهم صفة المعدة أنها عضو عصبي مجوف كالقرعة في شكله مركب في ثلاث طبقات مؤلفة من شظايا دقيقة عصبية تسمى الليف يحيط بها لحم. وليف إحدى الطبقات بالطول والاخرى بالعرض والثالثة بالوراب. وفم المعدة أكثر عصبا وقعرها أكثر لحما وفي باطنها خمل وهي محصورة في وسط البطن وأميل إلى الجانب الايسر وهي بيت الداء وكانت محلا للهضم الاول وفيها ينطبخ الغذاء ثم ينحدر منها الى الكبد والامعاء ويتخلف فيها منه فضلات عجزت القوة الهاضمة عن تمام هضمه لمعنى من المعاني ولا سيما بالنسبة ولذلك أعلم إلى تقليل الغذاء والتحرز عن المضلة كما ورد في الاخبار

وقد ذكر الاطباء أنه يخاف من الاكثار من الغذاء النافع وأنه يتناول منه بحسب الحاجة ، قال بعضهم يكف عنه وهو يميل اليه فلا يميل بالكلية ويروى من حديث ابن مسعود رضي الله عنه «أصل كل داء البردة» البردة بالتحريك التخمة وثقل الطعام على المعدة سميت بذلك لانها تبرد المعدة فلا تستمرىء الطعام. قال هي اللغة المعدة للانسان بمنزلة الكرش لكل مجتر . ويقال معدة ومَعدة

وليجتهد في العلاج بألطف الغذاء المعتاد لذلك المريض ولهذا في الصحيحين عن عروة عن عائشة انها كانت إذا مات الميت من أهلها اجتمع

لذلك النساء ثم تفرقن الى أهلهن أمرت ببرمة تلبينة فطبخت وصنعت ثريدا ثم صبت التلبينة عليه ثم قالت كلوا منها فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن» ولابن ماجه عن عائشة مرفوعا «عليكم بالبغيض النافع» يعني الحساء. قالت وكان رسول الله (ص) إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمة على النار حتى ينتهي أحد طرفيه يعني يبرأ أو يموت. وللبخاري اوله من قولها. وعنها كان رسول الله (ص) اذا قيل له ان فلانا وجع لا يطعم الطعام قال «عليكم بالتلبينة فحسوه اياها — ويقول — فو الذي نفسي بيده انها تغسل بطن أحدكم كما تغسل احداكن وجهها من الوسخ»

وروى الترمذي وقال حسن صحيح عن عائشة قالت كان رسول الله (ص) اذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع ثم أمرهم فحسوا منه، وكان يقول «انه ليرتو فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسرو احداكن الوسخ بالماء عن وجهها» رواه ابن ماجه وفيه أمرهم بالحساء من الشعير. يقال رتاه يرتوه أي يشده ويقويه وهو المراد هنا ويراد أيضا ارخاؤه وأوهاه وهو من الاضداد، ويقال سروت الثوب عني سروا اذا ألقيته عنك وسريت لغة، مجمة بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم معناه مريحة له من الاجمام وهي الراحة، والتلبينة والتلبين بفتح التاء حساء رقيق من دقيق و نخالة وربما جعل فيها عسل. سميت بذلك تشبيها باللبن لبياضها ورقتها. وسبق في أول الفصل فضل ماء الشعير وكانوا تخذونها

منه وهي أنفع من ماء الشعير لطبخها مطحونا فتخرج خاصية الشعير بالطحن وماء الشعير يطبخ صحاحا ، فعل ذلك أطباء المدن ليكون ألطف لرقته فلا يثقل على طبيعة المريض ، وشرب ذلك حارا أبلغ في فعله

وقوله «وتذهب ببعض الحزن» قد يكون لخاصية فيها وقد يكون لزوال ما حصل بالحزن من اليبس وبرد المزاج باستعمال ذلك فقويت القوى وقوي الحار الغريزي والله أعلم

﴿ فصل يتعلق بما قبله ﴾

تقدم ذكر الحمية من التمر للرمد ، ويروى عن علي انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر يأكله وعلي أرمد فقال « ياعلي اتشتهي » ورمى اليه بتمرة ثم بأخرى حتى رمى اليه سبعا ثم قال «حسبك يا علي» وذكر أبو نعيم في الطب النبوي ان النبي ﷺ كان إذا رمدت عين امرأة من نسائه لم يأتها حتى تبرأ عينها . الرمد ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها الظاهر وسببه انصباب أحد الاخلاط الاربعة أو ريح حارة تكثر كيميتها في الرأس والبدن فينبعث منها قسط الى جوهر العين أو يضربه نصيب (١) العين فترسل الطبيعة اليها من الدم والروح مقدارا كثيرا تروم بذلك شفاءها مما عرض لها ولاجل ذلك يورم العضو المضروب ، والقياس يوجب ضده

واعلم أنه كما يرتفع من الارض الى الجو بخاران أحدهما حار يابس

١) في المصرية نضيب بالمعجمة

والآخر حار رطب فينعقدان سحابا متراكما ويمنعان أبصارنا من ادراك السماء فكذلك يرتفع من قعر المعدة الى منتهاها مثل ذلك فيمنعان الفكر ويتولد عنهما علل شتى ، فان قويت الطبيعة على ذلك ورفعته الى الخواشيم أحدث الزكام ، وان دفعته الى اللهاة والمنخرين أحدث الخناق ، وان دفعته الى الجنب أحدث الشوصة ، وان دفعته الى الصدر أحدث النزلة ، وان انحدر الى القلب أحدث الخبطة ، وان دفعته الى العين أحدث رمدا ، وان انحدر الى الجوف أحدث السيلان ، وان دفعته الى منازل الدماغ أحدث النسيان ، وان ترطبت أوعية الدماغ منه وامتلأت به عروقه أحدث النوم الشديد ، ولذلك كان النوم رطبا والسهر يابسا وان طلب البخار النفوذ من الرأس فلم يقدر عليه أعقبه الصداع والسهر ، وان مال البخار الى أحد شقي الرأس أعقبه الشقيقة ، وان ملك قمة الرأس ووسط الهامة أعقبه داء البيضة وان برد منه حجاب الدماغ أو سخن أو ترطب وهاجت منه أرياح أحدث العطاس ، وان أهاج الرطوبة البلغمية فيه حتى غلب الحار الغريزي أحدث الاغماء والسكات ، وان أهاج المرة السوداء حتى أظلم هواء الدماغ أحدث الوسواس ، وان أفاض ذلك الى مجاري العصب أحدث الصرع الطبيعي ، وان ترطبت مجامع عصب الرأس وفاض ذلك في مجاريه أعقبه الفالج ، وان كان البخار من مرة صفراء ملتهبة محمية للدماغ أحدث البرسام ، فان شركه الصدر في ذلك صار سرساما

واعلم أن الاخلاط هائجة وقت الرعد والجماع يزيدها فانه حركة

تالية للبدن والروح والطبيعة فالبدن يسخن بالحركة والنفس تشتد حركتها طلبا للذة وكمالها . والروح تتحرك تبعا لحركة النفس والبدن ، فان أول تعلق الروح من البدن بالقلب ومنه تنشأ الروح وتنبث في الاعضاء ، وأما حركة الطبيعة فلأن ترسل ما يجب ارساله من الني ، وكل حركة فهي مثيرة للاخلاط رقيقة لها تبعث دفعها وسيلانها الى الاعضاء الضعيفة والعين أضعف ما تكون حال رمدها فعلاج الرمد بالحمية مما يهيج الرمد وترك الحركة وأضرها حركة الجماع وترك مس العين للراحة

قال بعض السلف مثل اصحاب محمد مثل العين ودواء العين ترك مسها ، وفي خبر مرفوع « علاج الرمد تقطير الماء البارد في العين » وهو للرمد الحار من علاج سواء ويأتي في خبر ابن مسعود ، وذلك أن الرمد ورم الملتحم وتكدره ، وقد يكفي في نوع التكدر تقطير لبن النساء وبياض البيض . قال الاطباء ويدبر في كل أنواع الرمد بلتدبير اللطيف فيغذي المزورات ويسقي شراب الاوفر مع السكنجبين . ويمنع من الحرام والحرفة والقابضة والمالح وتمنع ما يرطب ومن الطعام الردىء الكيموس وان تاقت نفسه الى فاكهة فمن السفرجل والكمثرى . ويمنع من أكل الحلوى ويجعل في بيت ليس قوى الضوء ويكون عنده ورق الخلاف والآس الرطب فان رائحته تقوي الدماغ ويأتي ما يسكن اوجع في علاج لدغة العقرب . قال

والتمر حار قال ابن جزلة رطب غليظ كثير الاغذاء يورث إدمانه سدا في الاحشاء ويورث نسبة ويفسد الاسنان ويزيد في

الدم والمني لاسيما مع حب الصنوبر ويصدع ، ويصلحه اللوز والخشخاش وبعده سكنجبين ساذج وهو مقو للكبد ملين للطبع ويبرىء من خشونة الحلق وأكله على الريق يضعف الدود ويقتله ، وقال بعضهم (١) ما فيه من الأذى لمن لم يعتده ويأتي أيضا في الصحيحين عن سعد

وفي الرمد منافع كالحمية والاستفراغ وزوال الفضلة والعفونة والكف عما يؤذي النفس والبدن كحركة عنيفة وغضب وهم وحزن ، قال بعض السلف لا تكرهوا الرمد فانه يقطع عرق العمى

فصل

(في الحرارة والرطوبة واعتدال المزاج باعتدالهما الخ)

اعلم أن قوام البدن بما فيه من الحرارة والرطوبة وقوام كل منهما بالأخرى فالحرارة تحفظ الرطوبة وتمنعها من الفساد والاستحالة وتدفع فضلاتها وتلطفها وإلا أفسدت البدن والرطوبة تغذو الحرارة وإلا أحرقت البدن وأيبسته وينحرف مزاج البدن بحسب زيادة أحدهما . ولما كانت الحرارة تحلل الرطوبة احتاج البدن الى ما يخلف عليه ما حللته الحرارة ضرورة بقائه وهو الطعام والشراب فمتى زاد على مقدار التحلل ضعفت الحرارة عن تحليل فضلاته فاستحالت موادا رديئة فتنوعت الامراض لتنوع موادها وقبول الاعضاء واستعدادها فلهذا قال تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وأمر سبحانه بإدخال ما يقيم البدن من الطعام

(١) كذا

والشراب عوض ماتحال منه بقدر ما ينتفع به البدن ، فمتى جاوزه أسرف فكل واحد من عدم الغذاء والاسراف فيه مانع من الصحة جالب للمرض فلهذا قال من قال الطب حفظ الصحة في بعض آية فالبدن في التحلل والاستخلاف دائما ، فكلما كثر التحلل ضعفت الحرارة لفناء الرطوبة وهي مادة الحرارة ، واذا ضعفت الحرارة ضعف الهضم ولا يزال كذلك حتى تفنى الرطوبة وتنطفىء الحرارة جملة فيموت ، فغاية الطبيب أن يحمي الرطوبة عما يفسدها من العفونة وغيرها ، والحرارة عما يضعفها ويعدل بينهما بالعدل في التدبير الذي قام به البدن فالمخلوقات قوامها بالعدل

واعلم أن في الصحة والعافية عن النبي ﷺ ماليس في غيرهم كحديث ابن عباس « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » رواه البخاري

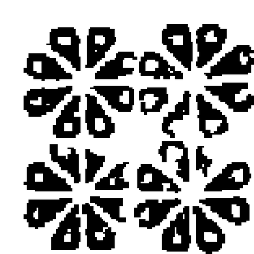
وحديث سلمة بن عبيد الله بن محصن الانصاري عن أبيه « من أصبح معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » سلمة فيه جهالة . رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب

وحديث أبي هريرة « أول مايسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد ؟ » اسناد جيد رواه الترمذي وقال غريب . وأمر عليه السلام عائشة ان علمت ليلة القدر أن تقول « اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » صححه الترمذي وغيره

وعن أنس مرفوعا « لا يرد الدعاء بين الاذان والاقامة » قالوا فماذا

تقول قال «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة» حسنه الترمذى ولابي داود هذا المعنى من حديث عبد الله بن عمرو. وللترمذى عن ابن عمر مرفوعا: ماسئل الله شيئا أحب اليه من العافية ولابن ماجه هذا المعنى من حديث أبي هريرة

وعن أنس أن رجلا قال يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال «سل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة» ثم سأله فأعاده ثم سأله فأعاده وزاد «فاذا أعطيت العفو والعافية في الدنيا والآخرة فقد أفلحت» مختصر رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه، وسأله العباس علمني شيئا اسأل الله عز وجل قال «سل الله العافية» قال فمكث أياما ثم سأله فقال «يا عباس يا عم رسول الله ﷺ «سل الله العافية في الدنيا والآخرة» رواه الترمذى وقال حسن صحيح. ولا .. عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه مرفوعا «سلوا الله ... أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة»، وللنسائي من حديث أبي هريرة «سلوا الله العفو والعافية والمعافاة فما أوتي أحد بعد يقين خيرا من المعافاة» فالشر الماضي يزول بالعفو والحاضر بالعافية والمستقبل بالمعافاة ... دوام العافية فالعافية من أجل نعم الله على عبده فتبين ... لم أر طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل شيء ... وحاله أكمل الاحوال



فصل

﴿ في العلاج وحفظ الصحة بدفع كل شيء بضده ﴾

واعلم أن الاصل في العلاج وفي حفظ الصحة وقوة البدن دفع ضرر شيء بمقابله كالبارد بالحار والرطب باليابس وبالعكس لما في ذلك من التعديل ودفع ضرر كل كيفية أو أكثر بما يقابلها ومن هذا ما في الصحيحين عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الرطب بالقثاء وعن عائشة قالت أرادت أمي أن تسمنني لدخولي على رسول الله (ص) فلم أقبل عليها بشيء مما تريد حتى أطعمتني القثاء بالرطب فسمنت عليه كأحسن السمن رواه أبو داود وابن ماجه .

والرطب حار رطب في الثانية يقوي المعدة الباردة ويوافقها ويزيد في الباءة ويغذو وهو معطش مكدر للدم مصدع مولد للسدد ووجع المثانة يضر بالاسنان سريع التعفن . قال بعضهم هذا فيمن لم يعتده والقثاء بارد رطب في الثانية أو الثالثة يسكن الحرارة والصفراء والعطش يقوي المعدة فيدفع ضرره بتمر أو عسل أو نحوه وكيموسه رديء مستعد للعفونة ويهيج حميات صعبة لذهابه في العروق وهو منعش للقوى مدر للبول موافق للمثانة

وفي معنى هذا عن عائشة قالت كان رسول الله (ص) يأكل البطيخ بالرطب يقول «يدفع حر هذا برد هذا» رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن غريب . والمراد بالبطيخ في هذا البطيخ الاخضر وهو بارد

رطب في الثانية نافع للامراض الحادة والحميات المحرقة والامزجة الملتهبة ويسكن العطش مع السكنجبين ويدر البول ويغسل المثانة وماؤه مع السكر أبلغ في التبريد وهو يسيء الهضم ويضر بالمشايخ والامزجة الباردة ويهيج الاخلاط ويصلحه السكر والعسل ونحوه معه أو عقبه . قال بعضهم يؤكل قبل الطعام . ويتبع به وإلا هيج القيء . قال بعض الاطباء هو قبل الطعام يغسل البطن غسلا ويذهب بالداء أصلا ،

وفي البطيخ أحاديث لا تصح وأكثرها بل كلها موضوعة . وذكر القشيري أو أبو عبد الرحمن السلمي عن الامام أحمد أنه كان لا يأكل البطيخ لانه لا يعرف كيف كان النبي ﷺ يأكله ، ومثل هذا لا يصح عن أحمد ، ولا يعرفه أصحابه

وأما البطيخ الاصفر فبارد في أول الثانية رطب في آخرها . قال ابن جزلة هذا قول الاكثر . وقال بعضهم انه حار وهو مبرد يدر ويقطع ويجلو ويفتت حصى الكلى والمثانة اصفار وبرخي الاحشاء . وربما عرضت منه الهيضة ويثور المرة الصفراء : وأي خلط صادفه في المعدة استحال اليه ، وينبغي أن يؤكل بعده السكنجبين ونحوه كالرمان الحامض وأن يؤكل بين طعامين . قال بعضهم أو يخلط بالطعام وإذا فسد صار كالسم فلا يترك ويتقى ، وليحذر البطيخ من كانت به حمى وهو يصفي ظاهر البدن يقلع البهق والكلف والوسخ خصوصا ان دق بزره ونخل واستعمل غسولا . وقشره يلزق على الجبهة فيمنع النوازل الى العين . ودرهمان من أصله يحرك القيء بلا عنف . قال بعضهم وإذا كان البطيخ في بيت لا يختمر فيه العجين

أصلا. وبذر البطيخ حار رطب في الثانية يقوي المعدة ويزيد في المني ويكثر الجماع ويقوي عليه. وقشر البطيخ اذا يبس كان صالحا لجلاء الآنية من الزهومة. قال بقراط قشره اذا جفف ورمي مع اللحم أنضجه بخاصته

ولأحمد وأبي داود والترمذي وقال حسن غريب عن أنس ان النبي ﷺ كان يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فان لم يكن رطبات فتمرات فان لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء، ورواه وصححه الترمذي أيضا عن سلمان بن عامر مرفوعا «اذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فان لم يجد فليفطر على ماء فانه طهور» ومعناه ان الصوم يخلي المعدة من الغذاء فتضعف الكبد [illegible] فتقوى بسرعة [illegible] فان لم يكن فالماء يطفئ [illegible] حرارة الصوم وطلب المعدة فتأخذ الغذاء بشهوة. ذكر هذا المعنى بعض أصحابنا المتأخرين وهو يوافق قول من يقول ان غير التمر من الحلو كالتمر في ذلك ولا يقدم عليه الماء، وهو قول بعض الشافعية ويتوجه بمثله احتمال [illegible] المعنى المذكور ويكون خطاب الشارع لأهل المدينة وعلى كل [illegible] أولى من [illegible]

وعن عائشة مرفوعا «كلوا البلح بالتمر فان ابن آدم اذا أكله غضب [illegible] بقي ابن آدم حتى أكل الحديث بالعتيق» رواه ابن ماجه [illegible] وقال هو وغيره هذا حديث منكر. رواه البزار [illegible] وفيه «أن [illegible]» بدل «الغضب» [illegible] ومدار حديث عائشة هذا على أبي زكير [illegible] تكلم فيه وقد [illegible] الائمة عليه هذا الحديث

وغيره وذكره ابن الجوزي في الموضوعات . والمراد كلوا هذا مع هذا فالباء بمعنى مع ، قال بعض أطباء الاسلام أمر بذلك لان البلح بارد يابس والتمر حار رطب ففي كل منهما اصلاح للآخر ولم يامر بأكل البسر مع التمر لان كلا منهما حار

قال أهل اللغة أول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر الواحدة بلحة وبسرة وقد أبلح النخل وأبسر أي صار ما عليه بلحا وبسرا .
قال الاطباء البلح بارد يابس في الثانية يغزر البول ، وشرابه يعقل الطبع خاصة مع شراب قابض ويمنع النزف والسيلان والبواسير ويدبغ الفم واللثة والمعدة ، والاكثار من أكله يوقع في النافض والاقشعريرة [illegible] خاصة إذا شرب الماء على أثره وتدفع مضرته بالتمر أو العسل ، يضر بالصدر والرئة وصلاحه [illegible] وهو بطيء في المعدة يسير الغذاء قوي . والبسر حار في الاولى يابس في الثانية وقيل بارد يابس في الثانية [illegible] يميل الى الحرارة وفيه قبض و[illegible] طبيخه يحبس [illegible] ويسكن [illegible] مع حفظ الحرارة الغريزية والاخضر منه أشد حبسا للطبع ويدبغ المعدة وينفع اللثة والفم [illegible] والاسهال [illegible] عسر المضغ ويولد رياحا و[illegible] وصلاحه بالسكنجبين الساذج ومن ذلك أنه عليه السلام كان يشرب نقيع التمر اذا أصبح ويومه ذلك وعشاءه ، ودعاه أبو أسيد الساعدي في عرسه

وامرأته وهي العروس خادمهم وكانت أنقعت لهم تمرات في تور فلما أكل سقته إياه ، وفي لفظ فلما فرغ من الطعام أماثته فسقته تخصه بذلك وذلك في الصحيحين (١) « اذا وقع الذباب في اناء أحدكم فامقلوه فان في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء » وفي السنن من حديث أبي سعيد « فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء » «امقلوه » اغمسوه ليخرج الشفاء كما خرج الداء يقال للرجلين هما يتماقلان اذا تغاطى في الماء ، وفي الذباب قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعه وهي كالسلاح فاذا سقط فيما يؤذيه تلقاه بسلاحه ، وذكر غير واحد من الاطباء أن لسع الزنبور والعقرب اذا دلك موضعه بالذباب نفع منه نفعا بينا وسكنه لما فيه من الشفاء ، واذا دلك به الورم الذى يخرج في شعر العين المسمى شعيرة بعد قطع رأس الذباب ابرأه ،

وكذلك قال الاطباء يكره الجمع في المعدة بين حارين أو باردين أو لزجين أو مستحيلين إلى خلط واحد أو منفخين أو قابضين أو مسهلين أو غليظين أو مرخيين ، أو بين مختلفين كقابض ومسهل ، وسريع الهضم وبطيئه ، وشواء وطبيخ ، وبين لحم وسمك ، وبين لحم طرى وقديد ، وبين الحامض واللبن ، قالوا والجمع بين البيض والسمك يولد البواسير والقولنج والفالج واللقوة ووجع الضرس ، والجمع بين السمك واللبن يولد البرص والبهق والجذام والنقرس ، واللبن والنبيذ يولد البرص والنقرس ، والبصل النيء والسمك يولدان السواد في الوجه ، والجمع بين الفصد والحجامة وأكل الملوحة زاد بعضهم بعد الحمام يولد

(١) الظاهر انه سقط من هنا لفظ (وفى الصحيحين) لان ما قبله اشارة الى ان ما قبله في الصحيحين

الجرب والبهق ، ومن رز في الماء البارد عقيب أكل السمك ربما ولد الفالج ؛ وشرب الماء البارد عقيب الجماع ربما أورث الارتعاش ؛ والخاوض بعد الجماع ردىء . والنوم بعد أكل السمك عقيب غيظ أو جماع ربما ولد اللقوة ، وكذا لبن الحليب ودخول الحمام بعده ، والاكثار من البيض المسلوق يولد الكلف ، وكذلك الكبود ، قالوا ويكره الخل بعد الارز ، والرمان بعد الهريس ، والماء الحار بعد الاغذية المالحة والماء البارد عقيب الفاكهة والحلو أو الطعام الحار ولا يشرب بعد الاكل إلى أن يخف أعالي البطن الا بمقدار ما يسكن به العطش (١) ولا يشرب الماء البارد دفعة واحدة عقيب حمام ولا فيه وجماع وشواء وحركة ثقيلة يتجرعه قليلا قليلا ولا يشرب بالليل اذا انتبه اذا كان العطش كاذبا ، ولا على الريق فانه يضرع المعدة ، ويبرد الكبد .

وكثرة أكل البصل قال ابن ماسويه أربعين يوما يورث الكلف والتخمة من أكل البيض تورث الطحال ، قال ابن ماسويه : من أكل بيضا مسلوقا بارد فأصابه ربو فلا يلومن إلا نفسه . قال هو وغيره من نظر في المرآة ليلا فأصابه لقوة أو داء فلا يلومن إلا نفسه .

وينبغي الاقتصار على طعام واحد فان الطبيعة تتحير من اختلاف الالوان وتعجز عن تمام هضمها ولم يصح عن النبي ﷺ ما يخالف ذلك كما لا يصح عنه أكل الاطعمة المالحة والعفنة كالكامخ والمخلل ولا طعاما شديد الحرارة ولا طبيخا بائتا يسخن له بالغد لكن هذا والله أعلم ليس

---

(١) هذه الجملة ساقطة من المصرية

لضرره (١) كما ذكره بعض أصحابنا بل لانه كان لا يدخر شيئا ولم يكن ذلك من عادة طعام أهل بلده

وقد قال الاطباء إن القابض يصلح الدسم والحلو ويصلحانه والحامض يصلح المالح ، وإن الحلو معتدل الحرارة تجتذبه القوى وتحبه ويعطش ، والمالح حار يمنع التعفن ، والحريف قوى الحرارة يلطف والحامض يولد الرياح ويضر العصب

وروى الترمذي وابن ماجه عنه عليه السلام أنه كان يأمر بالعشاء ولو بكف من تمر ، ويقول : « ترك العشاء مهرمة » (٢) ورواه أيضا ابن ماجه من حديث جابر باسناد ضعيف وروى أبو نعيم عنه عليه السلام أنه نهى عن النوم على الأكل ، وكذا قال الاطباء حفظ الصحة الحركة باعتدال لا السكون الدائم ، وكذا النوم الكثير وإن كان يسرع الهضم ، وكذا الحركة العنيفة بعد الغداء وإن أسرع الهضم فانه يجلب لصنوف الامراض. والامتلاء من الطعام يضر بالمعدة ، وكذا النوم على الامتلاء ، وذكر بعضهم أن يمشي نحو خمسين خطوة [illegible] أو نحو ذلك ليستقر الغذاء بقعر المعدة

قال بعض [illegible] على قفاه

---

(١) الطعام البائت عرضة للتعفن والفساد ولا سيما في البلاد الحارة كالحجاز وأيام الصيف في غيرها ومتى تغير صار ضارا باتفاق الاطباء

(٢) هذا الذي يصح طبا فيمن كانت حالهم كحالهم في قلة الطعام ومراعاة [illegible] : خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره

وليشرب على ظمأ ، وليقل من شرب الماء ، وتمدد بعد الغداء ، ويتمشى بعد العشاء ، ولا ينام حتى يعرض نفسه على الخلاء ، وليحذر الحمام عقب الامتلاء ، ومرة في الصيف خير من عشرة في الشتاء ، وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء ، ومجامعة العجوز تهرم وتسقم . وهذا بعضه من كلام الحارث طبيب العرب

وقال الحارث وهو ابن كلدة وقد قيل له مرنا بأمر ننتهي اليه من بعدك فقال لاتتزوجوا من النساء إلا شابة ، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في أوان نضجها ، ولا يتعالجن أحدكم ما احتمل بدنه الداء ، وعليكم بتنظيف المعدة في كل شهر فانها مذيبة للبلغم ، مهلكة للمرة ، منبتة للحم ، واذا تغدى أحدكم فلينم على أثر غدائه ، واذا تعشى فليمش أربعين خطوة (١)

وقد ذكر بعض الاطباء نحو هذه الامور وقال خمسين خطوة وقال عليك في كل أسبوع بقيئة تنقي جسمك ، ولا تخرج الدم عند إلا عند الحاجة اليه ، وعليك بدخول الحمام فانه يخرج من الاطباق ما لا تصل الادوية إلى اخراجه

وقال الشافعي رضي الله عنه . أربعة تقوى البدن ، أكل اللحم ، وشم الطيب ، وكثرة الغسل من غير جماع ، ولبس الكتان . وأربعة توهن

(١) أي على الاقل ، وهذه الوصايا كلها موافقة للطب الحديث الاعدم المعالجة ما دام المريض يحتمل الداء بقوة مزاجه ففيه تفصيل فمن الامراض ما تجب المبادرة بمعالجته وقد تكون المعالجة بغير الادوية

البدن كثرة الجماع ، وكثرة الهم ، وكثرة شرب الماء على الريق (١) وكثرة أكل الحامض . وأربعة تقوي البصر الجلوس حيال الكعبة ، والكحل عند النوم ، والنظر إلى الخضرة وتنظيف المجالس . وأربعة توهن البصر النظر إلى القذر وإلى المصلوب وإلى فرج المرأة والقعود مستدبر القبلة . وأربعة تزيد في الجماع أكل العصافير والاطريفل والفستق والخروب . وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام ، والسواك ومجالسة الصالحين ومجالسة العلماء . كذا رأيته عنه والخروب وفيه نظر فان غذاءه رديء وهو قابض بارد يابس ؛ وقيل حار

وقال جالينوس ما بت لا تمرضني قال لأني لا أجمع بين طعامين رديئين ولم أدخل طعاما على طعام ولم أحبس في المعدة طعاما تأذيت منه . وقال أبقراط كل كثير فهو معاد للطبيعة ، ويدخل في هذا قول بعضهم الكلام الكثير يقال مخ الدماغ ويضعفه ويعجل الشيب . والنوم الكثير يصفر الوجه ، ويهيج العين ، ويكسل عن العمل ، ويولد الرطوبات في البدن ، ويعمي القلب .

وقال طبيب المأمون عليك بخصال من حفظها فهو جدير أن لا يعتل إلا علة الموت : لا تأكل طعاما وفي معدتك طعام ، وإياك أن تأكل طعاما تتعب أضراسك في مضغه فتعجز معدتك عن هضمه ، وإياك وكثرة

---

(١) وأما شرب كوب أو نصف كوب على الريق فما يوصى به أطباء هذا العصر ومن فوائده لين المعدة والامعاء

الجماع فانه يقتبس نور الحياة ، وإياك ومجامعة العجوز فانه يورث موت النجأة ، وإياك والفصد إلا عند الحاجة ، وعليك بالقيء في الصيف

وقال أفلاطون : خمس يذبن البدن وربما قتلن : قصر ذات اليد ، وفراق الاحبة ، وتجرع المغائظ ، ورد النصح ، وضحك ذوي الجهل بالعقلاء . وقال جالينوس لاصحابه : اجتنبوا ثلاثا وعليكم بأربع ولا حاجة بكم الى الطبيب : اجتنبوا الغبار والدخان والنتن ، وعليكم بالدسم والطيب والحلوى والحمام ، ولا تأكلوا فوق شبعكم ، ولا تتخللوا بالباذروح والريحان ولا تأكلوا الجوز عند المساء ، ولا ينام من به زكمة على قفاه ، ولا يأكل من به غم حامضا ، ولا يسرع المشي من افتصد فانه مخاطر الموت ، ولا يتقيأ من تؤلمه عينه ، ولا تأكلوا في الصيف لحما كثيراً . ولا ينم صاحب الحمى الباردة في الشمس ، ولا تقربوا الباذنجان العتيق المبزر . ومن شرب كل يوم في الشتاء قدحا من ماء حار أمن من الاعلال ، ومن دلك جسمه في الحمام بقشور الرمان أمن من الحكة والجرب . ومن أكل خمس سوسات مع قليل مصطكى رومي ومسك وعود خام بقي طول عمره لا تضعف معدته ولا تفسد . وقال بعضهم أربعة تضر بالفهم والذهن ادمان أكل الحامض والفواكه والنوم على القفا والهم والغم ، وأربعة أشياء تزيد في الفهم فراغ القلب وقلة التملؤ من الطعام والشراب وحسن تدبير الغذاء بالحلو والدسم واخراج فضلة مثقلة للبدن . ويضر بالعقل ادمان أكل البصل والباقلاء والزيتون والباذنجان وكثرة الجماع والوحدة والافكار والسكر والهم والغم وكثرة الضحك

وقال بعض أهل النظر قُطعت(١) في ثلاث مجالس فلم أجد لذلك علة إلا اني أكثرت من الباذنجان في أحد تلك الايام ومن الزيتون في الآخر ومن الباقلا في الثالث . ويضر بالعين الاغذية الغليظة والمبخرة كالسكر والشراب الغليظ الحلو والمصدعة والكسفرة والفجل والخس والعدس والنوم على القفا والنظر الى الضوء الكثير فانه يشتت البصر والى الظلمة الكثيرة فانها تطفيء القوة الباصرة والبكاء واستقبال ريح باردة والغبار والدخان والسهر والتعب والمالحة كالتمر والسمك لا سيما المالح منه وكذا القيء فان احتاج اليه فيرفق ، وذكر بعضهم: ويعصب عينيه . ويأتي الكلام فيه في الاستفراغات بعد ذكر الحجامة.

والدار صيني والسذاب والزنجبيل يحد البصر أكلا وكحلا والقرنفل يحد البصر والفلفل ينفع من ظلمة البصر والدمعة والعسل يقوي السمع ويجلو ظلمة البصر . والاكتحال بماء الرازيانج على الدوام يحفظ صحة العين . قال ابن جزلة وغيره هو يحد البصر وخصوصاً مضغه ، والاكتحال بالحضض يحفظ صحة العين وقوتها وكذلك الهليلج اذا أخذ على المسن بماء الورد ودلك الاعضاء السفلى مع الرياضة فان بذلك تنحط البخارات الصاعدة الى الرأس والعين وقد ينفع في ذلك الغوص في الماء البارد والتحديق فيه فان ذلك يجمع القوة الباصرة وتعاهد قراءة الكتب غير الدقيقة وحملها على استخراج الدقيقة في بعض الاحوال

(١) يعنى أنه غلب في المناظرة

قال جالينوس: والحس يجلو البصر المظلم ، ويحدث في الصحيح ظلمة ، ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان يتناول المعتاد غالباً ببلده . ولم يكن يتكلف مفقوداً ، ولا يتمنع من موجود اشتهاه ، لحبس النفس وقسرها على مطعم أو مشرب خلاف عادته ، وذكر الاطباء انه لا ينبغي أن يتعود شيئاً ويلازمه ولا النوم في وقت خاص أو غير ذلك بل ينبغي أن يأخذ نفسه بخلاف ذلك ولو بالتدريج ان كان ألفه لان ذلك يضره وقد يتعذر فينضر بتركه ويحمل نفسه على غيره لان مالا يشتهيه ضرره أكثر من نفعه ولهذا لم يأكل عليه السلام الضب المشوي وقيل له احرام هو ؟ قال « لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه » وأكله خالد بن الوليد والنبي ﷺ ينظر . رواه البخاري ومسلم فلم يمنع من اشتهاه أكله . وقال أبو هريرة ماعاب رسول الله ﷺ طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه . متفق عليه ،

وكان عليه السلام يحب اللحم وأحبه اليه الذراع وروى ابن ماجه والترمذي وصححه عن أبي هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه (١) وعزاه بعضهم إلى الصحيحين ومعناه لاحمد وأبى داود عن ابن مسعود

وعن ضباعة بنت الزبير أنها ذبحت في بيتها شاة فأرسل اليها رسول الله ﷺ « أن أطعمينا من شاتكم » قالت للرسول ما بقي عندنا إلا الرقبة

(١) رواية ابن ماجه ساقطة من المصرية

واني لأستحي أن أرسل بها الى رسول الله ﷺ فرجع الرسول فأخبره فقال له « ارجع اليها فقل لها أرسلي بها فانها هادية الشاة وانها أقرب الشاة الى الخير وأبعدها من الاذى » رواه احمد وأبو عبيد والنسائي وفيه الفضل ابن الفضل قال بعضهم تفرد عنه أسامة بن زيد الليثي ، وقال البخاري في تاريخه : وروى هشام بن عروة عن الفضل بن الفضل (١) عن ابن المسيب عن النبي ﷺ مرسل قال غير البخاري رواه موسى بن اسماعيل عن حماد ابن سلمة عن هشام

الهادية والهوادي العنق والرقبة لانها تتقدم البدن ولانها تهدي الجسد (٢) وانما أحب ذلك لانه أخف على المعدة وأسرع هضما وأكثر نفعا وهذا أفضل الغذاء وقد قال الاطباء مقادم الحيوان أخف وأسخن

وعن عبدالله بن جعفر مرفوعا «أطيب اللحم لحم الظهر» رواه احمد وابن ماجه وفيه ضعف أو ضعيف ، وكان عليه السلام يحب الحلوى والعسل (٣) رواه الترمذي وصححه وابن ماجه ويأتي الكلام في العسل وسبق كلام الاطباء في هذا الفصل أن الحلو يجتذبه النوى ويحبه وانه معتدل الحرارة

وقال بعض الاطباء الحلو حار رطب يكثر الصفراء والدم ويولد السدد والورم في الكبد والطحال ويطلق البطن ويرخي المعدة وهو صالح للصدر والرئة مخصب للبدن مكثر المني ، والحامض بارد يقمع الصفراء

(١) من قوله قال بعضهم الى هنا ساقط من النجدية

(٢) هذا التعليل ساقط من المصرية (٣) هذه الرواية ساقطة من المصرية أيضا

والدم ، يعقل اذا كانت المعدة نقية ويطلق اذا كان فيها بلغم كثير ، ويوهن قوة الهضم من الكبد ويضر العصب ويخفف البدن الا أنه ينبه قوة الشهوة ، والدسم يرخي المعدة ويطلق البطن ويسخن لاسيما المحمومين وأصحاب المعدة الحارة والاكباد الحارة ويرطب البدن ويلينه ويزيد في البلغم ويبلد وينوم ، والحريف يسخن ويهيج الحرارة ويميل بالبدن أولا الى الصفراء ثم الى السوداء

وقال بعضهم أيضا الاكثار من الاغذية الحلوة يذهب بالقوة وباللون والاكثار من الدسم يذهب الشهوة ومن المالح يضر بالبصر ، ومن الحريف والحامض يجلب الهرم ، وكان عليه السلام يأدم الخبز بما تيسر له ، ونقل عنه عليه السلام أشياء فمنه تمر وخبز وشعير وهو من التدبير الحسن لحرارة التمر ورطوبته وخبز الشعير بارد يابس قال بعضهم سمي الادم أدما لاصلاحه الخبز وجعله ملائما لحفظ الصحة ، وقال أهل اللغة الادام والادم ما يؤتدم به تقول منه أدم الخبز باللحم يأدمه بالكسر والادم الالفة والاتفاق يقال أدم الله وآدم الله بينهما فعل وافعل بمعنى أي اصلح وألف

ولمسلم عن جابر قال كنت جالسا في داري فمر بي رسول الله ﷺ فأشار الي فقمت اليه فأخذ بيدي فانطلقنا حتى أتى بعض حجر نسائه فدخل ثم أذن لي فدخلت الحجاب عليها فقال « هل من غداء؟ » فقالوا نعم فأتي بثلاثة أقرصة فوضعن على نبي فأخذ قرصا فوضعه بين يدي ثم أخذ قرصا آخر فوضعه بين يديه ، ثم أخذ الثالث فكسره باثنتين فجعل

نصفه بين يديه ونصفه بين يدي، ثم قال « هل من ادم » قالوا لا الا شيء من خل فقال «هاتوه فنعم الادم هو » وفي لفظ قال جابر فما زلت أحب الخل مذ سمعتها من رسول الله ﷺ. قال طلحة بن نافع وما زلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر. نبي بنون مفتوحة ثم باء مشددة مكسورة ثم ياء مثناة تحت مشددة أي مائدة من خوص، وقيل انه بتي بباء موحدة مفتوحة ثم مثناة فوق مكسورة ثم ياء مثناة من تحت مشددة، والبت كساء من وبر أو صوف. قيل هو مدح للخل مطلقا، وقال بعض أصحابنا انما هو مدح له بحسب مقتضى الحال الحاضر وهذا متوجه لولا فهم جابر كقول أنس مازلت أحب الدباء وقال الخطابي والقاضي عياض معناه ائتدموا بالخل ونحوه مما تخف مؤنته ولا يعز وجوده كذا قالا وقد يحتمل انه مدح للخل في الجملة. وقد ذكر الاطباء انه بارد يابس وانه يضاد البلغم وانه جيد للمعدة الحارة الرطبة. وفهم جابر قد لا يعارض هذا ولهذا نظائر تأتي. قال الاطباء: الخل قوي التجفيف يمنع من انصباب المواد، ويلطف بقمع الصفراء، ويمنع ضرر الادية القتالة ويحلل اللبن (١) والدم اذا جمد في الجوف، وينفع الطحال، ويدبغ المعدة ويعقل الطبيعة ويقطع العطش ولهذا اذا قل الماء فليمزج بقليل خل فان قبله يكفي في تسكين العطش ويمنع الورم حيث يريد أن يحدث، ويعين على الهضم ويلطف الاغذية الغليظة ويرق الدم، واذا شرب بالملح نفع من أكل الفطر القتال. واذا حسي قلع العلق المتعلق

(١) من قوله : انصباب المواد الى هنا ليس في المصرية

بأصل الحنك نافع للداحس اذا طلي به والنملة والاورام الحارة وحرق النار مشه للاكل مطيب للاطعمة صالح للشباب في الصيف ولسكان البلاد الحارة . قال بعضهم الاكثار منه يضعف البصر ويضر بالعصب وربما أدى الى الاستسقاء ، ويقل ضرره مزجه بالماء والسكر ، ويهزل ويسقط القوة ويقوي السوداء . والخبر الذي رواه ابن ماجه عن أم سعد مرفوعا « نعم الادام الخل ، اللهم بارك في الخل فانه كان ادام الانبياء قبلي ، ولم يفتقر بيت فيه خل » اسناده ضعيف بلا خلاف

ومن حفظ الصحة أكله عليه السلام مما تيسر له من الفاكهة وهي دواء نافع اذا أكلت على ماينبغي فان الله تعالى جعل في كل بلد من الفاكهة ما يناسبهم ، ومن احتمى عنها مطلقا ان انتفع بذلك فضرره أكثر . ومن حفظ الصحة انه عليه السلام كان أحب الشراب اليه الحلو البارد قالته عائشة رواه ابن عيينة عن معمر عن الزهري عن عروة عنها رواه الترمذي والنسائي ، وروى ابن المبارك وعبد الرزاق عن معمر ويونس عن الزهري ان النبي ﷺ سئل أي الشراب أطيب ؟ قال « الحلو البارد » قال الترمذي وهذا أصح . وهذا من ألذ شيء وأنفعه ، لان الماء البارد رطب رطوبته في الدرجة الرابعة ، وشربه بعد الطعام يقوى المعدة ، وينهض الشهوة ، ويجزىء قابله ، ويخلف على البدن ما تحلل من رطوباته ، ويرقق الغذاء ويسرع نفوذه وإيصاله إلى الاعضاء ، لكن الاكثار منه يورث هزالا . يقال هزل لحمه بكسر الهاء أي اضطرب واسترخى ، ويحدث كزازا وسباتا ورعشة

ونسيانا فيقتصر على أكثر ما روى ، وقيل على نصفه. والماء ردىء للفروج ولا ينبغي أن يعطش فانه يوهن الشهوة والقوة ، ويجفف ، ويظلم البصر. والصحيح عند الاطباء أنه لا يغذى لانه لا ينمي الاعضاء ولا يخلف عليها بدل ما حللته الحرارة كالطعام ، ولا يكتفى به بدل طعام ، وقال بعضهم يغذي البدن (١)

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لابي ذر عن زمزم «انها مباركة انها طعام طعم» ورواه أبو داود الطيالسي وغيره باسناد مسلم ، وزاد فيه «وشفاء سقم» أى تشبع شاربها كالطعام

وما سبق من نفع الماء البارد فلا يلزم منه عموم الاشخاص والاحوال فان من ضعف عصبه أو معدته وكبده باردتان لا ينبغي له شرب ماء الثلج ، وكذا المشايخ ومن يتولد فيهم الاخلاط الباردة ، ويهيج السعال وذلك معلوم بالتجربة وقد ذكره الاطباء وحذروا منه في أمراض كوجع المفاصل ، وقول بعض الاطباء الثلج حار غليظ وهو يهيج الحرارة فلذلك يعطش لا لأنه حار في نفسه ، وتولد الحيوان فيه لا يدل على حرارته كتولده في خل ، وفاكهة باردة

وفي الصحيحين عنه عليه السلام أنه قال «اللهم اغسلني من خطاياى بماء الثلج والبرد» وانما سأل ذلك لان الخطايا تضعف القلب وتكسبه حرارة وهذا الماء يقويه ويصلبه ويطهره ويبرده.

ولا يتناول بارداً بعد حار ولا عكسه ، فانه من حفظ صحة الاسنان

---

(١) الصحيح ان فيه تغذية ضعيفة

وقوتها وذلك معلوم ، ومنه ترك كسر الاشياء الصلبة بها ومضغ الاشياء العلكة كالحلو والتمر والمخدرة كالثلج والمضرسة كالحوامض ، وكثرة القيء يفسدها . واذا توجع السن من مس شيء بارد فليعض على خبز حار ونحوه ، واذا كان وجع السن من حرارة سكن من ماء بارد ، ويفيد في وجعها المضمضة بحامض قابض ومضغ الطرخون والغذاء بحموضات ، ويمسك في الفم آس رطب أو ورق زيتون غض أو خل طبخ فيه جوز السرو ، وقال بعضهم أو طبيخ فيه عفص . هذا اذا كان من بخار الدم ، فان كان من بخار البلغم أمسك في الفم دهنا مسخنا ويدلك السن بالسلفل والثوم ونحوه

قال ثابت الطبيب أجمع الاوائل انه لا يدخل الفم في علاج الاسنان خير من الخل والملح لانهما يسكنان الوجع ويجففان البلة الزائدة ويستعمل في الحارة الخل وحده وسواد الاسنان لرداءة ما يتغذى به فيدلك بالفلفل ونحوه . ويزول الضرس بمضغ البقلة الحمقاء وهي الفرفخين أو اللوز ويمسك دهن اللوز مفترا في الفم والعلك والشمع والزفت اذا مضغ

والسواك ومنافعه وما يطيب النكهة ويمنع ارتقاء البخار مذكور في باب السواك من الفقه ، وإن وضعت اليدان أو الرجلان التي تثلجت وتفتحت على البلاط الشديد الحرارة في الحمام وصبر على ذلك مرارا فانه يبرأ منه والتثلج الذي لم ينفتح يؤخذ قليل فلفل فيسحق ناعما ويغلى في الزيت ثم يدهن به الثلج قبل فتحه بكرة وعشية فانه يزول ولا يفتح ، وأما الماء الفاتر والحار ففعله عكس فعل الماء البارد . لكن اذا شرب على الريق ماء حارا غسل المعدة من

فضول الغذا المقدم وربما أطلق، والسرف في استعماله يوهن المعدة، وأما اذا خالط الماء البارد مايحليه فانه يوصل الغذاء إلى سائر الاعضاء ويغذي البدن ويسخنه وينشر حرارته الغريزية الى سائره ويجود الهضم والماء البارد بعضه أنفع

ولهذا روى البخاري عن جابر أن النبي ﷺ دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فقال له النبي ﷺ «إن كان عندك ماء بات في هذه الليلة في شنة والا كرعنا»

وفي مسلم أن عائشة سئلت عن النبيذ(١) فدعت جارية حبشية فقالت سل هذه فانها كانت تنبذ لرسول الله ﷺ فقالت الحبشية كنت أنبذ له في سقاء من الليل وأوكيه وأعلقه فاذا أصبح شرب منه وانما كان ذلك والله أعلم لانه ألذ وأنفع لصفائه وبرودته لانه يركد ويرشح الماء من مسامها المتفتحة فيها. وفي الخبر جواز الكرع وهو الشرب بالفم من حوض ونحوه وترجم البخاري أيضاً باب الكرع في الحوض

وقال أبو داود باب الكرع، هذه تثنية تين يجوز أن يكون الحوض مرتفعا فيجلس على شيء ويكرع منه أو يكرع منه قائما فلا يلزم أن يكون متكئا ولا غير منتصب، وان ثبت هذا فقد يرد الجواز به وسيأتي في أثناء فصول آداب الأكل أنه عليه السلام شرب قائماً وقاعداً وفي ذلك حفظ

---

(١) أي نقيع التمر ومثله الزبيب والتين مثلا، وهو فعيل بمعنى مفعول من النبذ وهو الطرح

الصحة لاسيما في البلاد الحارة لانه يرطب البدن ويروي الكبد لاسيما ابن الدواب التي ترعى الشيح وغيره فان لبنها شراب وغذاء ودواء ويشهد لذلك حديث ابن عباس الآتي فيما يقوله بعد الاكل والشرب

وقال احمد ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن يزيد بن أبي خالد عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن النبي ﷺ قال « إن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء ، فعليكم بألبان البقر فانها ترم من كل الشجر » طارق له رؤية ويزيد هو ابو خالد الدالاني ، قال ابن معين والنسائي ليس به بأس ووثقه أبو حاتم ، وقال ابن عدي في حديثه لين ولا يكتب حديثه ، وقال الحاكم أبو احمد لا يتابع في بعض حديثه ، ورواه النسائي عن عبد بن فضالة عن محمد ابن يوسف عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن ابن مسعود مرفوعا . وعن ابن مثنى عن عبد الرحمن كما سبق وعن ابراهيم بن الحسن عن حجاج بن محمد عن شعبة عن الربيع بن لوط عن قيس بن أسلم عن طارق عن ابن مسعود نقصه الابن قوله وعن محمد بن المثنى به وعن اسحاق بن ابراهيم عن جرير عن أبي ... الدالاني عن قيس بن مسلم عن طارق به مرسلا وعن زيد بن أحرم عن أبي زيد عن شعبة عن لركين بن الربيع عن قيس بن مسلم عن طارق(١) عن عبد الله مرفوعا « ألبان البقر شفاء » ورواه النسائي من طريقين عن قيس بن أسلم باسناده مرفوعا

(١) قوله به مرسلا إلى هنا ساقط من التجريدية

وروى ابن جرير الطبري عن احمد بن الحسن الترمذي عن محمد بن موسى الشيباني عن رفاع بن دغفل السدوسي عن عبد الحميد بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده مرفوعا «عليكم بألبان البقر فانها شفاء وسمنها دواء، ولحومها داء» رفاع ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان ومحمد بن موسى هو ابن نزيغ الجريري لم أجد له ترجمة في ثقات ولا ضعفاء ويخطر على بالي أن العقيلي قال لا يتابع على حديثه وباقي الاسناد حسن وليس هذا الخبر بذلك الضعيف الواهي وقد ذكر بعضهم أن هذا الاسناد لا يثبت كذا قال وفيه نظر والله أعلم

ومن حفظ الصحة إخراج حاصل يضر البدن بقوة وفعل ما احتاجه البدن من نوم وغيره كما هو معلوم من حال رسول الله ﷺ وحال العقلاء ويأتي في آداب الاكل ما يتعلق بذلك . ومعلوم أن مخالفة ذلك يضر مع التكرار . ولهذا قال الاطباء حبس الريح إذا أراد الخروج يورث الحصر وظلمة العين ووجع الفؤاد والرأس ، وحبس البول يورث جميع هذه الاشياء مع الحصاة . وحبس البراز يورث ذلك كله ، وطول المكث على قضاء الحاجة يولد الداء الدوي ، وحبس الجشاء يورث الفواق ، وحبس الباءة يورث وجع الذكر والفؤاد وسيلان النطفة(١) والحصاة والادرة ، وحبس النوم يورث الثقل في الرأس ووجع العين

ومن مقاصد الجماع إخراج المني الذي يضر بقاؤه ونيل اللذة والشهوة

(١) في المصرية النقطة

وتكثير النسل الى أن تتكامل العدة التي علم الله تعالى وقدر ظهورها الى العالم ، وكان جالينوس وغيره يرون الجماع من أسباب حفظ الصحة. ومزاج المني حار رطب لانه من الدم المغذي للاعضاء الاصلية، ولهذا لا ينبغي إخراجه إلا لشدة الشهوة فان الاكثار منه يطفيء الحرارة الغريزية ويشعل الحرارة الغريبة ويسقط القوة ويضعف المعدة والكبد ويسيء الهضم ويفسد الدم ويجفف الاعضاء الاصلية ويسرع اليها الهرم والذبول ويبرد البدن ويجففه ويضعفه ويخلخله ويهرم سريعا ويجفف الدماغ ويضر بالعصب ويفسد اللون ويورث الرعشة ويضر بالصدر والرئة والكلى ويهزلها ويضر من يعتريه القولنج ووجع المفاصل ومن به مرض بارد ومن به جرب ونحوه لان الجماع يحرك المواد الى خارج، والمخمور(١) فانه يملأ الرأس بخارا دخانيا ويضر بالعين والخاصرة أكثر من غيرهما وقد قيل هو نور عينك، ومخ ساقيك وذكر ابن الجوزي في ملتقط المنافع هذا القول عن مالك بن أنس الامام.

والاولى بالحذر منه أصحاب الابدان النحيفة والامزجة اليابسة فانه يسرع بهم الى الذبول. والابدان البيض الشحمية وان كانت أبعد عن الذبول الا انها أقرب الى أمراض العصب لكثرة الفضول. ومن منيه قليل ودمه قليل فشهوته له ضعيفة، والاقوى عليه من كثر شعر أسفل بدنه مما يلي العانة والفخذين فانه يدل على حرارة مزاج الانثيين والقضيب

وينبغي أن يحذر منه حذر العدو الشيخ. قال بعضهم والكهل ومن

(١) في المصرية والمحمور

فقد شعر ابطيه لكبره انقطع نكاحه ونسله، ومن أكثر منه فينبغي أن يقل اخراج الدم والتعب والحمام ويزيد في الغذاء والشراب والنوم والطيب والادهان، وليتنقل باللوز والفستق والسكر ويتعاهد مايكثر المني والاغذية في ذلك أبلغ من الادوية، والذي يجمع ذلك ماله غلظ ورطوبة فضلية وحرارة، واجتمعت هذه الثلاثة في الحمص واللفت والجزر، ومن ضعفت قوته بعده جداً يتدارك بالاغذية السريعة النفوذ كاللحم المطيب والبيض النيمرشت

قال جالينوس الاكثار منه اماتت لقوة ومما ينفع من الامراض البلغمية، ومن منافعه الابراء من الماليخوليا وطرب النفس وقوة النشاط وتخفف عن الرأس والحواس وازالة داء العشق وغض البصر وكف النفس والاجر عليه فهو ينفعه في الدين والدنيا والمرأة كذلك، وقد رغب الشرع فيه، وحض عليه، وأمر به كما هو مشهور في الاخبار مذكور في كتب الفقه .

ومما يزيد في الباءة اللوز الحلو والفستق والبندق وحب الصنوبر والسكر والسمسم المقشور ولبس الثوب المصبوغ بالورس وكثرة ركوب الخيل والعنب الحلو والتين وصفرة البيض والسان العصافير، والدارصيني، والماء الذي يغمس فيه الحديد الحمي وسمن البقر والعصافير والعسل والهليون واللبن الحليب وغير ذلك . ولا يدع الجماع دائما لانه خلاف الشرع

وقال الاطباء محمد بن زكريا الرازي وغيره : من هجره ضعفت قوى أعضائه واستدت مجاريها وتقلص ذكره . ورأيت جماعة تركوه لنوع

من القشف فبردت أبدانهم، وعسرت حركتهم، ووقعت عليهم كآبة وقلت شهواتهم وهضمهم، وأنفع الجماع بعد الهضم عند اعتدال البدن، وشدة الشهوة لا مع فكر أو نظر ونحوه وقال بعض الاطباء ينبغي لحاجة البدن اليه لا لشوق النفس اليه. ومراده والله أعلم أدنى شوق والا فاذا اشتد شوقه ضره إن لم يخرجه

ولا ينبغي الجماع على الجوع فانه يوقع في الدق ولا على الامتلاء فانه يمنع الهضم مع انه أقل ضررا من الجوع ولا على عطش أو غضب أو عقب سهر أو تعب أو في الحمام أو عقب اسهال،

ومما يضعف الباءة كل حار لطيف من الاغذية والادوية كالسذاب ونحوه، وكل قوي التجفيف يابس كالارز والعدس، وكل بارد مجمد للمني كالنيلوفر والخلاف والورد والاشياء القابضة والحامضة والمزة كالسفرجل والتفاح والخل، وشرها ما اجمع الى الحموضة قبضا مثل الحصرم والسماق والرمان الحامض وكل ماله مائية كثيرة باردة من البقول كالخس والقرع وبقلة الحمقاء وهي الفرفخين والطرخون والهندبا والقثاء والخيار وكثرة شرب الماء البارد والتخم واتيان الحائض والعجوز والصغيرة التي لم تبلغ وقال بعضهم التي لا شهوة لها والكريهة والبغيضة وقال بعضهم والمريضة قال بعضهم والحائل التي لم تؤت زمانا طويلا، وقال بعضهم والعاقر، وقال بعضهم وجماع الثيب أنفع من جماع البكر وأحفظ للصحة وعلل بأن جماع البكر وهؤلاء كلهن يضعف قوة أعضاء الجماع خاصة وهذا الذي قاله في البكر مخالف للحس والشرع والعقل

فلا يلتفت اليه، قال ابن بختيشوع وغيره وطء الحائض يولد الجذام

قال جالينوس في الينوفر خاصية مضادة المني نشمه يضعفه وشربه يقطعه ، وقال الاكثار من ادرار البول ينقص الباءة لانه يهزل الكلى ، ومن يعتريه عقبه نافض فمن المرار الاصفر، ومن تأتيه رعشة فيقوي دماغه بالمسك والعنبر والطيور الحارة ، ومن يرتفع الى رأسه بخار فيصعد فيقوى رأسه بما يناسب من البارد

قال أبقراط :السمان لا يشتهون الباءه ولا يقوون على الاكثار منه ، قال والمقعدون أكثر جماعا لقلة تعبهم ، ولانهم لا يمشون كثيرا ، ومن كان مزاج أنثييه حارا رطبا انتفع بالجماع لكثرة المني المتولد فيه فان لم يخرجه تعفن وولد أمراضا ، ومن كان مزاج أنثييه حارا يابسا كان كثير الشبق الا انه يمل الجماع سريعا بسبب قلة ما يتولد من المني لغلبة اليبس ، وهذا متى جامع كثيرا استضر به ، ومن كان مزاج أنثييه باردا رطبا كانت نهضته الى الجماع بطيئة وهذا يستضر بالجماع ، وان كان مزاجهما باردا يابسا كان عديم الشهوة بالجملة ،

ومادة المني من الهضم الرابع ، ونقص المني من قبل الدماغ ، وعدم انتشار الذكر وقوة حركته من قبل القلب وفقد شهوة الذكر من قبل الكبد وأحرص ما يكون أشد غلمة إذا احتلم وكلما دخل في السن نقص ذلك والمرأة يشتد حرصها على ذلك حين تكتهل وللاطباء قولان أيهما أشد شهوة الرجال أم النساء ؟

ويروى من حديث أبي هريرة موقوفا ومرفوعا « فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين جزءا من اللذة أو قال من الشهوة لكن الله ألقى عليهن الحياء » وذكره ابن عبدالبر وغيره (١) وقال ابن عقيل في الفنون قال فقيه شهوة المرأة فوق شهوة الرجل بتسعة أجزاء، فقال حنبلي لو كان هذا ماكان له أن يتزوج بأربع وينكح ماشاء من الاماء، ولا تزيد المرأة على رجل ولها من القسم الربع وحاشا حكمته أن تضيق على الاحوج

وأحسن أحوال الجماع أن تتقدمه مقدماته من القبلة والمداعبة ونحو ذلك لتتحرك الشهوة منها. وقد ذكر الاطباء أن الرجل اذا فرك حلمتي المرأة اغتلمت ثم يعلوها مستفرشا لها قال تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) وهذه الحال أسبغ اللباس وأكمله. وأما علو المرأة للرجل فخلاف مقتضى الشرع والطبع وهو مضر عند الاطباء قالوا يورث الادرة والانتفاخ وقروح الاحليل والمثانة لاجل مايسيل من منيها ويدخل الاحليل وهو حار

وكان أهل الكتاب انما يأتون النساء على جنوبهن على حرف ويقولون هو أستر للمرأة. وكانت قريش والانصار تسرح النساء على اقفائهن فعابت اليهود عليهم ذلك فأنزل الله تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) وظاهر هذا أنه لايكره، وقد كره احمد رحمه الله للمرأة أن تستلقي على قفاها وقال يروى عن عمر بن عبد العزيز انه

(١) رواه البيهقي في الشعب وأشار السيوطي في جامعه الى ضعفه ولعل الصواب انه موضوع اذ معناه باطل طبعا وشرعا كما يدل عليه ما نقله بعده عن المحقق ابن عقيل فالتحقيق ان الرجل اقوى شهوة من المرأة ولا يتسع هذا التعليق لتفصيل الامثلة.

كرهه ولعل المراد غير حال المجامعة مع أن كراهته مطلقا تفتقر إلى دليل والاصل عدمه وقدذكر الاطباء أن الجماع على جنب مضر ربما أورث وجع الكلى وان الجماع من قعود يضر بالعصب.

قال ابن ماسويه ومن احتلم فلم يغتسل حتى وطىء أهله فولدت مجنونا أو مختبلا فلا يلومن إلا نفسه، وقد سبق انه لا بد في بقاء البدن من الغذاء والشراب ولا بد أن يبقى من الغذاء فضلة عند كل هضم فيجتمع من ذلك على مر الزمان شيء يضر البدن بثقله او غيره، وإن استفرغ بدواء آذى البدن به إما بسمنه أو لاخراجه صالحا منتفعا به وقد يضر بكيفيته بأن يسخن بنفسه أو بالعفن أو يبرد بنفسه أو بضعف الحرارة الغريزية عن انضاجه والحركة أقوى الاسباب في منع تولد ذلك لانها تسخن الاعضاء وتسيل فضلاتها فلا تجتمع وتعود البدن الخفة والنشاط وتجعله قابلا للغذاء وتصلب المفاصل وتقوي الاوتار والرباطات. وتؤمن جميع الامراض المادية وأكثر المزاجية اذا استعمل القدر المعتدل منها في وقته وكان باقي التدبير صوابا ووقت الرياضة بعد انحدار الغذاء وكمال الهضم، والرياضة المعتدلة هي التي تحمر فيها البشرة وتربو ويتندى بها البدن فأما الذي يلزمها سيلان العرق فمفرطة (١)

قال الاطباء وكل عضو يقوى بالرياضة، قال بعضهم وخصوصا على

(١) الرياضة التي يسيل بها العرق انفع الا لمن به مرض القلب ونحوه من الامراض التي تنهك القوة وينبغي للمريض استشارة الطبيب فيها

نوع تلك الرياضة بل كل قوة فهذا شأنها فمن استكثر من الحفظ قويت حافظته، ومن الفكر قويت قوته المفكرة ، قال بعضهم ولكل عضو رياضة تخصه فللصدر القراءة فيبتدىء فيها من الخفية إلى الجهر بتدريج ، ورياضة السمع بسمع الاصوات ، والكلام بالتدريج فينتقل من الأخف إلى الاثقل وكذلك رياضة البصر وقد سبق رياضة اللسان في الكلام. ورياضة المشي بالتدريج شيئا فشيئا وركوب الخيل ورمي النشاب والصراع والمسابقة على الاقدام رياضة البدن كله وهي قالعة لأمراض مزمنة كالجذام والاستسقاء والقولنج . ورياضة النفوس بالتعلم والتأدب ، والفرح ، والصبر ، والثبات والاقدام والسماحة وفعل الخير ،واذا تكرر ذلك مرة بعد أخرى صار عادة وطبيعة ثانية

وقد ذكر الاطباء أن العوائد طبائع ثوان ومن أبلغ ذلك وأنفعه الجهاد والصلاة والصيام والحج وقد سبق هذا المعنى قبل فصول الامر بالمعروف في الكلام على دعوة ذي النون وتضمنه علاج زوال الهم والغم وغير ذلك ويأتي الكلام في الصبر نحو نصف الكتاب قبل الكلام في حسن الخلق والزهد وسبق الكلام في الصوم والجوع في ذكر الحمية

وفي الصحيحين عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد اذا نام يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد، فاذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فاذا توضأ انحلت عقدتان.

فاذا صلى انحلت العقد وأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » قافية كل شيء آخره ومنه قافية الشعر . وهذه العقد قيل حقيقة كعقد السحر وقيل هو قول يقوله ، وقيل هو فعل يفعله ، وقيل هو من عقد القلب وتصميمه فكأنه يوسوس في نفسه ببقاءِ الليل ، وقيل هو مجاز كنى به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل

قال في شرح مسلم وظاهر الخبر أن من لم يأت بالذكر والوضوء والصلاة وإلا دخل فيمن أصبح خبيث النفس كسلان. وهو كما قال ، قد يحتمل أن المراد وإلا أصبح خبيث النفس كسلان ان لم يأت ببعض ذلك. وقد سبق قول النبي ﷺ عن ذلك الرجل انه من أهل الجنة الذى بات عنده ابن عمر ولم يكن يصلي من الليل وانما كان يذكر الله اذا استيقظ ويصلي قبل نومه ماقدر له . ولهذا كانت التراويح قيام الليل واقتصر عليها خلق ، فلا يتوجه أن يقال ان من اقتصر عليها أصبح خبيث النفس كسلان ، ولانه يبعد القول بظاهره فيمن ذكر الله ثم اشتغل بقراءة واستغفار ودعاء حتى توضأ لصلاة الفجر ، أو اشتغل برباط أو غيره مع امكان الوضوء والصلاة أو فيمن توضأ وصلى ولم يتقدم منه ذكر الله تعالى ولعل الحديث فيمن استيقظ فلم يأت بذلك أما من لم يستيقظ فانه معذور وقد صح عن النبي ﷺ « ليس في النوم تفريط انما التفريط في اليقظة » فلا يناسب حاله أن يصبح خبيث النفس كسلان

فان قيل ففي مسلم أو في الصحيحين (١) أن رجلا ذكر عند النبي ﷺ أنه نام ليله حتى أصبح قال « ذاك رجل بال الشيطان في أذنه » أو قال « في أذنيه » فلم يعذر بالنوم قيل يحتمل أنه في رجل خاص ويحتمل أنه نام عن صلاة مفروضة العشاء أو الفجر أو هما كما هو ظاهر اللفظ ولم أجد من ذكر ذلك وانما ذكروه حجة في صلاة الليل فيقال لا عقوبة في هذا لانه انما تمكن منه فثبطه عن فعل البرزين في الخيرات بنومه، وأما هنا فترتب عليه عقوبة مستقبلة لما سبق منه . وقد أمر النبي ﷺ أبا هريرة في الصحيحين وأبا الدرداء وأظن في مسلم(٢) وأبا ذر في النسائي بالوتر قبل النوم لغلبة النوم عليهم وبصلاة الضحى بدلا عما فاتهم من قيام الليل ولذلك لم يأمر بهما سواهم أو من في معناهم ولا يظن بواحد منهم أنه يصبح خبيث النفس كسلان وأبو هريرة هو راوي هذا الحديث فدل ذلك على ما ذكرنا والله أعلم .

وقد روى أبو داود في باب صلاة العتمة من أبواب الادب ثنا مسدد ثنا عيسى بن يونس ثنا مسعر بن كدام عن عمرو بن أمية عن سالم ابن أبي الجعد قال : قال رجل قال مسعر أراه من خزاعة ليتني صليت واسترحت، فكأنهم عابوا ذلك عليه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها » حدثنا ابن ابي كثير (٣) أنبأنا اسرائيل ثنا عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن عبدالله بن محمد بن الحنفية قال :

(١) هذا الصواب (٢) هو كما ظن في صحيح مسلم
(٣) في النسخة النجدية ابن ابى كثير وهو غلط ولفظ السنن محمد بن كثير

انطلقت أنا وأبي إلى صهر لنا من الانصار نعوده فحضرت الصلاة فقال لبعض أهله ياجارية ائتوني بوضوء لعلي أصلي فأستريح فقال فأنكرنا ذلك عليه، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يا بلال أقم فأرحنا بالصلاة » اسناد جيد، واحتج الشيخ تقي الدين به على هذا المعنى قال ولم يقل أرحنا منها .

فصل يتعلق بما قبله

﴿ في الاكتحال وفضيلة الاثمد منها ﴾

عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « خير أكحالكم الاثمد انه يجلو البصر وينبت الشعر » رواه احمد ورواه النسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه ولفظهم « من خير » وابن خثيم احتج به مسلم ووثقه جماعة وقال الدارقطني ضعيف لينوه لهذا الحديث

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يكتحل بالاثمد كل ليلة قبل أن ينام في كل عين ثلاثة أميال. رواه احمد ورواه ابن ماجه والترمذي وحسنه وفيه كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه وهذا الخبر من رواية عباد بن منصور الناجي وهو ضعيف ، وقيل رواه عن ابراهيم بن أبي يحيى ، وللترمذي أيضا في اليمنى ثلاثا يبتدىء بها ويختم بها وفي اليسرى ثنتين ، وروى وكيع وأبو بكر بن أبي شيبة عن أنس أن النبي ﷺ كان يكتحل بالاثمد في اليمنى ثلاثا وفي اليسرى مرتين وعن عبد الرحمن بن النعمان بن معبد بن هوذة عن أبيه عن جده عن النبي

ﷺ أنه أمر بالاثمد المروح عند النوم وقال «ليتقه الصائم» رواه الامام احمد وسئل احمد الامام عنه فقال هذا حديث منكر وكذا قال ابن معين وعبد الرحمن ضعيف وقال أبو حاتم صدوق وابوه تفرد عنه عبد الرحمن ووثقه ابن حبان والمروح المطيب بالمسك قاله ابو عبيد

وفي الكحل حفظ صحة العين وتقوية للنور الباصر وجلاؤها وتلطيف للمادة الرديئة واستخراج لها وعند النوم أفضل لعدم الحركة المضرة وخدمة الطبيعة وفي بعض أنواعه(١) زينة .

والاثمد هو حجر الكحل الاسود وأفضله ما أتي من اصفهان ويأتي من الغرب أيضا وأجوده سريع التفتت لفتاته بصيص وداخله أملس لا وسخ فيه وهو بارد يابس ينفع العين ويقويها ويشد أعصابها ويحفظ صحتها ويذهب اللحم الزائد في القروح ويدملها وينقي أوساخها ويجلوها ويذهب الصداع اذا اكتحل به مع العسل المائي الرقيق وهو أجود أكحال العين لاسيما المشايخ ومن ضعف بصره اذا جعل معه شيء من المسك واذا دق وخلط ببعض الشحوم الطرية ولطخ على حرق النار لم يعرض فيه خشكريشة(٢) ونفع من النقط الحادث بسببه

(١) في النجدية زيت وهو تحريف (٢) في المصرية حشكرية وفي النجدية بالمهملتين والصواب ما ذكرنا

فصل

(في الروائح الطيبة وفائدتها في الصحة)

والرائحة الطيبة أثر في حفظ الصحة فانها غذاء الروح والروح مطية القوى والقوى تزداد بالطيب وهو ينفع الاعضاء الباطنة كالدماغ والقلب ويسر النفس ، وهو أصدق شيء للروح وأشده ملائمة ، ولهذا في مسلم من حديث ابن عمر انه عليه السلام تبخر بالألوة بفتح الهمزة وضمها ، وهي العود الذي يتبخر به وبكافور يطرحه معها . وللنسائي والبخاري في تاريخه من حديث عائشة انه عليه السلام كان يطيب بالمسك والعنبر ، وفي الصحيح أو في الصحيحين أنها طيبته لاحرامه ولحله منه بالمسك

وروى النسائي عن الحسين بن عيسى القومسي عن عفان عن سلام بن سليمان أبي المنذر عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « حبب إلي من الدنيا النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » ورواه أحمد عن عفان أو عن غيره عن سلام ، وسلام قال ابن معين لا بأس به وقال أبو حاتم صدوق ، وقال العقيلي لا يتابع على حديثه ثم ذكر هذا الحديث قال وقد روي من غير هذا الوجه بسند فيه لين أيضا ، ورواه النسائي أيضا عن علي بن مسلم عن سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس فذكره إسناد جيد ، وفي مسلم من حديث أبي هريرة انه عليه السلام قال « من عرض عليه ريحان فلا يرده فانه طيب الريح خفيف المحمل »

ولأحمد وأبي داود والنسائي « من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة» وفي البخاري عن أنس انه ﷺ كان لا يرد الطيب . وروى هؤلاء الا البخارى عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال في المسك «هو أطيب طيبكم» وعنه أيضا ان النبي ﷺ قال « غسل الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب مايقدر عليه » متفق عليه . والملائكة عليهم السلام تحب الرائحة الطيبة وتتأذى بالرائحة الخبيثة كما في قصة البصل والثوم والكراث ، والشياطين لعنهم الله عكسهم كما في الحديث المشهور « ان هذه الحشوش محتضرة » أي بالشياطين

وفي مسند البزار عن النبي ﷺ « ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكريم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفناءكم وساحاتكم ، ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكباء في دورهم » الكبا بكسر الكاف مقصور الكناسة والجمع الاكبا مثل معى وأمعاء ، والكبه مثله والجمع كبون

(ذكر أنواع مايتطيب به شما أو بخورا أوغير ذلك)

قال الاطباء أظفار الطيب هي أظفار تشبه الاظفار عطرة الرائحة حار يابس في الثانية ملطف اذا تبخرت به المرأة أزال الحيض(١) ودخانه ينفع من بها اختناق الرحم وإذا شرب حرك البطن

(بان) حار يابس في الثانية وقيل حرارته في الثانية وقيل رطب وقيل قشره قابض وهو يجلو ويقطع ويقلع الثآليل والكلف والبهق وينفع الاورام الصلبة مع المرهم وينفع من الجرب والحكة والبثور ويسخن العصب ويقطع الرعاف بقبضه ويفتح سدد الكبد والطحال ويلين صلابتها ضمادا مع دقيق الكرسنة وينفع من السوداء والبلغم قال ابن جزلة مثقال حبة منه يسهل البلغم وهو يؤذي المعدة ويغثي ويصلحه الرازيانج وبدله وزنه فوه ونصف وزنه قشور السليخة وعشر وزنه بسباسة

(البنفسج) بارد في الثانية رطب في الثانية يجلب النوم ويسكن الصداع الحار

(ريحان) قال الله تعالى (فأما من كان من المقربين فروح وريحان) وقال تعالى (والحب ذو العصف والريحان) وسبق الحديث منه ، وعن اسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « ألا مشمر للجنة ؟ فان الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية» قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون قال « قولوا ان شاء الله . فقال القوم إن شاء الله ، رواه ابن ماجه من رواية الضحاك المعافرى لم يرو عنه غير محمد بن مهاجر ووثقه ابن حبان

أهل الغرب يخصون الريحان بالآس وهو الذي تعرفه العرب من الريحان، وهو بارد في الاول يابس في الثانية والاكثر فيه الجوهر

الأرضي البارد وفيه مع هذا شيء حار لطيف ، فهو لذلك يجفف تجفيفا قويا، قوته قابضة حابسة من داخل وخارج معا، قاطع للاسهال الصفراوي وهو ينشف الرطوبات في المعدة ، ويقوي المعـدة والقلب ، ويذهب الخفقان ويولد السهر ، إصلاحه بالبنفسج الطري نافع للبخار الحار الرطب إذا شم وأكل حبه ويفرح القلب جدا وشمه نافع للوباء ، وكذلك افتراشه في البيت ، ويبرىء الاورام الحادثة في الحالبين إذا وضع عليها ، وإذا دق ورقه غضا وضرب بالخل ووضع على الرأس قطع الرعاف وإذا سحق ورقه اليابس وذر على القروح ذوات الرطوبة نفعهـا ويقوي الاعضاء الواهنة إذا ضمد به ، وينفع الداحس وفي الاباط والاربية وغيرها المتغير الرائحة ويقطع عرق من به خفقان ويقويه ويؤكل حبـه رطبا ويابسا لنفث الدم ، وطبيخ ثمره يسود الشعر وحبه صالح للسعال بما فيه من الحلاوة الطبيعيـة وليس بضار للصدر ولا الرئة ، قاطع للعطش ذاهب بالقيء وليس في الاشربة ما يعقل وينفع من أوجاع الرئة والسعال غير شرابه وإذا جلس في طبيخه نفع من خروج المقعدة والرحم ومن استرخاء المفاصل وإذا صب على كسور العظام التي لم تلتحم نفعها ويجلو قشور الرأس وبثوره ويمسك الشعر المتساقط ويسوده واذا دق ورقه وصب عليه ماء يسير وخلط به شيء من زيت أو دهن الورد وضمد به وافق القروح الرطبة والنملة والحمرة والاورام الحارة والبثرة والبواسير ، وهو مدر للبول

نافع من لدغ المثانة وعض الرتيلا ولسع العقرب ورقه يمنع سيلان الفضول الى المعدة ، وليحذر التخلل بعرقه فانه يضر لحم الفم ويهيج الدم ، وفي خبر ضعيف عن النبي ﷺ انه يحرك عرق الجذام، ومن الخواص انه اذا اتخذت حلقة مثل الخاتم من قضيب الآس العاري وأدخل فيها خنصر الرجل الذي في أرنبته ورم سكنه ، ومن المجرب أن يؤخذ عود من آس ويحرق طرفه ويوضع على طرف الدمل أول مايظهر فانه لا يتزيد

وأما الاس المتمر والمستقطار فقطع العرق، واذا جف ورقه وبخرت به البواسير البارزة أضمرها وشفى منها ، وإن خالط معه سندروس كان أقوى واذا طبخ حبه في زيت انفاق ويدهن به قطع العرق الكثير وأصلح نسيم العرق. والآس يقوي العين ويقطع دمعتها ويمنع ماينحدر اليها اذا طلي على الجبهة

(وأما الريحان) غير الاس فيطلق على الحبق ، قال بعضهم أهل الشام والعراق يخصونه به ، قال ابن جزلة قيل هو ورق الخلاف وهو جبلي وبستاني ونهري وهو نبات طيب الريح جيد الطعم مربع الساق ورقه نحو ورق الخلاف، والجبلي حار يابس في الثالثة ، والبستاني حار في الثانية يابس في الاولى ، والنهري أقوى أنواعه وهو يذهب بنفخ العدس والباقلا اذا خلط به ويقطع البلغم ويقوي المعدة وينفع من الاستسقاء اذا أكل مع التين حبه . وقال ابن جزلة ريحان هو الشاهسفرم أجوده الصغري حار في الاولى يابس في الثانية ، وقيل معتدل وقيل بارد ، وهو يحلل الفضلات

من الدماغ ويملأ الدماغ البارد بخاراً واصلاحه بالنيلوفر

وقال بعضهم : الريحان الفارسي الذي يسمى الحبق قيل حار ينفع شمه من الصداع الحار اذا رش عليه الماء ويبرد ويرطب بالعرض ، وقيل بارد وقيل رطب وقيل يابس يجلب النوم وبزره حابس للاسهال الصفراوي مقو للقلب نافع للامراض السوداوية ، قال أهل اللغة والغريب : الريحان كل نبت مشموم طيب الرائحة والكلام على ذلك يطول

(سك) حار يابس في الثانية قابض مقو للاحشاء وفي الطيب منه تحليل وتفتيح وهو جيد لاوجاع المفاصل ، وقيل يزيد في الباءة وهو يعقل الطبع اذا ضمد به البطن ويمنع النزف وينفع من أوجاع القلب وقدر مايؤخذ منه نصف درهم وشمه يصدع الرأس الحار ويصلحه الكافور

(سنبل الطيب) حار في الاولى يابس في الثانية ، وقيل في أول الثالثة مفتح محلل يتخذ منه غسول لليد طيب وذريرته تمنع العرق وهو يحلل الاورام ويقوي الدماغ ويثبت أهداب العينين اذا وقع في الاكحال وينفع الخفقان وينقي الصدر والرئة ويفتح سدد الكبد والمعدة ويقويهما ويطيب النكهة ويمنع من اليرقان ووجع الطحال ويمسك الطبع وقدر مايؤخذ منه درهم

(العنبر) حار يابس في الثانية ينفع المشايخ بلطف سخنته تقوي الدماغ والحواس والقلب تقوية عجيبة ويزيد في الروح ، قال بعضهم هو مقو لجوهر كل روح في الاعضاء ، واذا تبخر به نفع من الزكام والصداع والشقيقة الباردة وأجود ألوانه الاشهب ثم الازرق ثم الاصفر واختلف

الناس في عنصره وهو مذكور في الفقه في إزالة النجاسة ويضر من يعتاده الماشر ويصلحه شم الكافور والخيار .

(غالية) تلين الاروام الصلبة ومع دهن البان تقطر في الاذن الوجعة وشمها ينفع المصروع وينعشه وللمسكوت ، وتسكن الصداع البارد وشمها يفرح القلب وينفع من أوجاع الرحم الباردة حموا ومن أورامها الصلبة والبلغمية وتدر الحيض وتنفع من اختناق الرحم وينقيها ويهيئها للحبل وهي مركبة من مسك وسك ومثل نصف المسك عنبر ويخلط الجميع بدهن بان أو دهن النيلوفر والعود قريب منه ومزاجه أقرب الى العدل ويضر شمه بأمراض الدماغ الحار ومضغه يطيب النكهة ويفرح القلب، وأجوده الهندي ثم الصيني ثم القماري بفتح القاف ثم المذرى وأجوده الاسود والازرق الصلب، وأقله جودة ما خف وطفا على الماء وفي خلط الكافور به إصلاح كل منهما بالآخر وفي التبخر وهو التجمر مراعاة جوهر الهواء وإصلاحه فان في صلاحه صلاح البدن ، ويأتي الكلام في العود قريبا في فصل عن زيد بن أرقم

(الفاغية) والفغر نور الحناء وافغى النبات أي خرجت فاغيته ، روى البيهقي في شعب الايمان عن أنس قال كان أحب الرياحين الى رسول الله ﷺ الفاغية ، وروي فيه أيضا عن بريدة يرفعه « سيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية » ويأتي الكلام فيه قريبا في فصل عن سلمان

(زباد) حار في الثالثة معتدل في الرطوبة محلل ينفع للصداع البارد *

ويسكن وجع الاذن وينفع من البول العارض في الفراش محلولا بدهن بنفسج أو يعمل على ورقة مقشورة فتيلة وتحمل في القضيب ، وإذا أمسك في الفم جفف المني وقيل يلذذ الجماع طلاء ، وفي عنصرة خلاف في إزالة النجاسة (١)

(زعفران) حار في الثانية يابس في الاولى فيه قبض وهو محلل منضج يصلح العفونة والبلغم ويقوي الاحشاء ويحسن اللون ويجلو البصر والغشاوة ويكتحل به للزرقة المكتسبة في الامراض ويقوى القلب ويفرحه وينوم صاحب الشقيقة ويهيج الباه يدر البول ويسهل الولادة اذا شرب بمح البيض وينفذ الادوية التي يخالط بها الى جميع البدن وأكثر مايستعمل منه إلى درهم، وهو مصدع مضر بالرأس منوم مظلم للحواس ، ويسقط الشهوة ويغثي ويضر بالرئة ويصلحه الانيسون ويقال ثلاثة مثاقيل منه تقتل بالتفريح

ونهى النبي ﷺ عن المزعفر للرجل (٢) قال بعض أصحابنا يحرم على الرجل وهو قول الحنفية والشافعية . وقيل يكره وقيل لا ، نقله الجماعة عن أحمد ، وروى أحمد من حديث أبي هريرة في صفة الجنة « ملاطها المسك الاذفر وترابها الزعفران » ورواه الترمذي من حديث ابن عمر وقال « مسك أذفر » الملاط الطين الذي يجعل بين شافتي البناء يملط به الحائط ، والذفر بالتحريك كل ريح ذكية من طيب أو دهن يقال مسك أذفر بين

(١) أي يذكره الفقهاء في باب ازالة النجاسة (٢) المصبوغ به

الذفر وقد ذفر بالكسر يذفر وروضة ذفر ، والذفر الصنان وهذا رجل ذفر أي له صنان وخبث ريح

(القرنفل) حار يابس في الثانية يطيب النكهة ويحد البصر ويقوي الكبد ورائحته تقوي الدماغ البارد وهو مفرح . قال بعضهم هو مقو للمعدة والدماغ والقلب وينفع من القيء والغثيان وقدر ما يؤخذ منه إلى درهم

(كافور) بارد يابس في الثالثة يمنع الاورام الحادّة والرعاف مع عصير البنج أو ماء الباذروج وينفع الصداع الحار ويقوي حواس المحرورين وينفع في أدوية الرمد الحارة ، ودانق منه ينفع من الورم الحار ودرهم منه يخلص من مضرة العقرب الجرارة مع ماء التفاح الحامض ، والاكثار منه يسرع الشيب ويقطع الباء ، ويولد حصاة الكلى والمثانة ، وشمه يسهر في الحميات ، ويصلحه البنفسج والنيلوفر ، ويجعل في غسل الميت لانه يطيب ويصلب ويبرد فلا يسرع الفساد

(النيلوفر) بارد رطب في الثانية برده أكثر من البنفسج ، وقيل بارد في الثالثة أصله ينفع اذا جعل على البهق بالماء ، ومن الاورام الحادة ضمادا وبزره يمنع النزف ، وإذا غلي وصب على رأس من ناله حرارة نفعه قال ابن سينا في كتاب الادوية القلبية النيلوفر يقرب في أحكامه من الكافور الا أنه أرطب منه ورطوبته لكثرتها تحدث لجوهر الروح الذي في الدماغ كلالا وفتوراً إلا أن يكون محتاجا الى ترطيب وتبريد ليعتدل ، ويعدل برده بالدارصيني وقال غيره يقرب من الكافور الصندل وهو بارد في آخر الثانية ،

وقيل في الثالثة يابس في الثانية ينفع من الصداع والخفقان العارض في الحميات الحادة والكبد الحارة وللفم الحار والمحكرك منه يفيد الحك يسير حرارة كما يستفيد الدقيق من العجن وان خلط مع الادوية المشروبة لتقوية المعدة والكبد وتبريدهما نفع ويضر بالصوت ويصلحه الجلاب وأجوده المقاصري وقيل الابيض منه أقوى من الاحمر، وقيل أضعف والاحمر بارد يابس في الثانية وقيل بارد في الثالثة يمنع من انصباب المواد ويحلل الاورام الحادة ويطلى على الحمرة وينفع الصداع

(لبان) الذي يقال له حصى لبان وهو الكندر حار في الدرجة الثانية يابس في الاولى وقيل في الثانية منهما ينفع من قذف الدم ونزفه ويحبس القيء ومن وجع المعدة واستطلاق البطن ويهضم الطعام ويطرد الرياح ويجلو قروح العين وينبت اللحم في سائر القروح ويقوي المعدة الضعيفة ويسخنها ويجفف البلغم وينشف رطوبات الصدر ويجلو ظلمة البصر ويمنع القروح الخبيثة من الانتشار وفيه قبض يسير وهو أفضل العلك واذا مضغ وحده أو مع الصعتر الفارسي جلب البلغم ونفع من اعتقال اللسان ويزيد في الذهن ويذكيه وان بخر بهما نفع من الوباء وطيب رائحة الهواء ويروى في خبر ضعيف أو موضوع عن النبي ﷺ قال « بخروا بيوتكم باللبان » وهو يجود الحفظ وقد روى عن علي رضى الله عنه أنه قال لرجل شكا اليه النسيان عليك باللبان فانه يشجع القلب ويذهب بالنسيان وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان شربه مع السكر على الريق جيد للبول

والنسيان ، وعن أنس رضي الله عنه أنه شكا اليه رجل النسيان فقال : عليك بالكندر انقعه من الليل ثم اشربه على الريق فانه جيد للنسيان وهذا إذا كان النسيان حدث من البلغم الرطب الذي يرطب مقدم الدماغ ويمنعه من قبول مايودعه فيه فيبقى كالشمع الذائب ولا يقبل الطابع وينفع فيه شم المسك والمرزنجوش وجميع الطيب الحار والتغذي فيه بماء الحمص مع الخردل والحساء المتخذة من اللوز مع العسل ويستعمل فيه الانكباب على المياه اللطيفة المحللة كماء البابونج والمرزنجوش وللكندر خاصية في تجفيف الدماغ وقوته والزيادة في الحفظ وكذا الزنجبيل المربى ويزيد في الحفظ وجوهر الدماغ وقوته بخاصية فيه

(النارجيل) وهو جوز الهند ومرقة الدجاج ولحمها(١) والذي يضر الذهن الكسفرة الرطبة والتفاح الحامض ولم يقل بعضهم الحامض وإدمان السكر وكثرة الهم والفكر والغم قال بعضهم والنظر في الماء الواقف والبول فيه والنظر إلى المصلوب، وقراءة ألواح القبور ، والمشي بين جملين مقطورين ، والقاء القمل بالحياة وحجامة النقرة ، وأكل سؤر الفار. ويكون النسيان من السوداء التي تيبس الدماغ وتجففه فلا يقبل مايودع فيه مثل الشمع الشديد اليبس والتغذي بلحوم الدجاج والجداء والخرفان ومرقهما نافع فيه ، قال بعضهم : النسيان عن يبس يتبعه سهر وحفظ للامور الماضية دون الحالية ، والنسيان عن رطوبة بالعكس

(مرزنجوش) ويسمى المردقوش يابس في الثانية وقيل في الرابعة

(١) كذا بالاصلين

وقيل في الثالثة ملطف ينفع من الصداع عن برد وبلغم وسوداء وزكام ورياح غليظة ، ويفتح السدد الحادثة في الرأس والمنخرين ويحلل أكثر الاورام والاوجاع الباردة الرطبة ، واذا احتمل ادرّ الطمث وأعان على الحبل ، واذا طلي ماؤه على العضو بعد الفراغ من الحجم منع الآثار الحادثة عن الشرط بعد الحجم ويطلى يابسه على الدم واخضراره وخصوصا تحت العين فيحاله وطبيخه ينفع من الاستسقاء وخمسة دراهم منه ينفع من الشري البلغمي وهو ينفع من عسر البول والحيض ويضمد به لسع العقرب مع الخل ودهنه نافع لوجع الظهر والركبتين ويذهب بالاعياء ومن أدمنه شهرا ينزل في عينيه الماء واذا استعطبماته مع دهن اللوز المر فتح سدد المنخرين ونفع من الريح العارضة فيهما وفي الرأس . وذكر حنين انه يضر بالمثانة وأنه يصلحه بزر البقلة الحمقاء

(المسك) قال تعالى (يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك) وهو حار يابس في الثانية وقيل في الثالثة ، يسر النفس ويقوي الاعضاء الباطنة جميعها شربا وشما والظاهرة اذا وضع عليها نافع للمشايخ والمبرودين لا سيما زمن الشتاء جيد للغشي والخفقان وضعف القوة بانعاشه للحرارة الغريزية ويجلو بياض العين وينشف رطوبتها وينفس الرياح منها ومن جميع الاعضاء ويبطل عمل السموم وينفع من نهش الافاعي ويوصل الادوية إلى داخل طبقات العين ويقوي القلب ويفرح ويذكي وشمه يضر بالدماغ الحار ، ويورث الصفار ويصلحه الكافور

وذكر ابن جزلة وغيره أن من خواصه أنه يبخر الفم اذا وقع في الطبيخ وهو أطيب الطيب كما سبق عن الصادق المصدوق ﷺ ولهذا كان هو المذكور في أخبار صفة الجنة ففي حديث أنس «ترابها المسك» متفق عليه «وطين نهر الكوثر المسك الاذفر» رواه البخاري

وفي خبر أبي هريرة في سوق الجنة «ويجلس أدناهم وما فيهم دني على كثبان المسك والكافور» رواه ابن ماجه والترمذي وقال غريب. ومن قدم من الاطباء العنبر على المسك فقد أخطأ وكون العنبر لا يتغير على طول الزمان فهو كالذهب فهذه خاصية واحدة للعنبر لا تقاوم مافي المسك والله أعلم.

(ميعة) فيها قبض وتجفيف حارة يابسة وقيل رطبة تسخن وتلين وتنضج، وقيل تنقي الدماغ وتنفع من الجذام وتمسك الطبع يؤخذ منها إلى مثقال، وتنفع من السعال، والزكام، والنزلات، والبحوحة من رطوبة، وتحدر الحيض شربا وحملا وهي مصدعة، وقيل تضر بالرئة ويصلحها المصطكي

(ند) يسخن اذا بخر به والبخور به يقوي القلب وينفع من السموم وهو مركب من عود هندي ومسك وعنبر يعجن بهما وقد يعمل من عنبر ومسك وقد يضم إلى ذلك الكافور

(نرجس) يروى فيه وفي المرزنجوش والبنفسج عن النبي ﷺ ما لا يصح وبعضه في المستوعب وهو في موضوعات ابن الجوزي. والنرجس

معتدل في الحر واليبس يلطف وقيل حار يابس في الثانية وقيل في الثالثة فيه تحليل قوي وينفع الزكام البارد ويفتح سدد الدماغ والمنخرين وينفع من الصداع عن رطوبة أو سوداء ويصدع الرءوس الحارة ، ويصلحه البنفسج أو الكافور. وأصله وهو بصل يدمل القروح النائرة الى العصب وله قوة جالبة جاذبة تجذب من القعر ويجلو ويخرج الشوك ويجلو الكلف وينفع من داء الثعلب ويهيج الدبيلات ، وأكله يهيج القيء ويجذب الرطوبة من قعر البدن والحدق منه اذا شق بصله صليبا وغرس صار مضاعفا ، ومن أدمن شمه في الشتاء أمن البرسام في الصيف ، وفيه من العطرية ما يقوي القلب والدماغ ، قال صاحب التيسير شمه يذهب بصرع الصبيان

(ورد) مركب من جوهرين مائي وأرضي فيه حرافة وقبض ومرارة ومرارته تقل إذا يبس ، بارد في الاولى يابس في أول الثانية وقيل في الثالثة متوسط في الغلظ واللطافة ، تجفيفه أقوى من قبضه . يقوي الاعضاء الباطنة واللثة والاسنان ويصلح نتن العرق إذا استعمل في الحمام ويقطع الثآليل . واذا استعمل مسحوقا ينفع من القروح والسجوج في المعلى وينبت اللحم في القرحة العميقة ، مسكن للصداع الحار ، مهيج الزكام والعطاش وأقماعه تنفع من نفث الدم وهو نافع للكبد والمعدة . ويسكن أوجاع السفل طلاء بريشه ويحتقن بطبيخه لقروح الامعاء والطرى منه يسهل عشرة دراهم منه عشرة مجالس ، وثلاثة دراهم منه تنفع من حرارة حمى الربيع ، ويابسه لا يسهل ، وإذا طبخ مع العدس وضمدت

به المعدة نفع قروحها وإذا أمسك في الفم نفع من النتن والقلاع لاسيما اذا خلط معه العدس . والكافور وشم الطرى يقوى الدماغ والقلب وهو يقطع (١) شهوة الباه إذا اضطجع على المفروش منه أو أكل لتبريده وتجفيفه وماء الورد بارد وقيل حار يشد اللثة ويسكن وجع العين من حرارة، وإذا تجرع منه نفع من الغشي ونفث الدم وقوى للقوة والأنها والمعدة وخشن الصدر ويصلحه نبات الجلاب ومن الورد نوع حار محرق

(ورد صيني) وهو ورد النسرين هو كالياسمين في أفعاله وأضعف منه ودهنه كدهن النرجس وهو حار يابس في الاولى وقيل في الثالثة منق ملطف ينفع من برد العصب ويقتل الديدان في الاذن وينفع من طنينها ودويها ويفتح سدد المنخرين ويسكن القيء والفواق

(ورد الخلاف) وورد التفاح وورد الكمثرى وورد السفرجل بارد يقوي القلب والدماغ

(ورد الجورى) أجوده الاصفر حار في الاولى معتدل في اليبس ملطف محلل شمه ينفع الدماغ البارد الرطب ويحلل الرياح الغليظة وماؤه المطبوخ اذا شرب أدر الحيض وأسقط المشيمة ويحلل أورام الرحم إذا طلي على العانة

(لاذن) هو رطوبة تتعلق بشعر المعزى ولحاها إذا رعت نباتا معروفا يقع عليه طل وتركم عليه نداوة فاذا عاق بشعر المعزى أخذ عنها وكان

(١) في المصرية يقوي

للاذن . والردىء منه ما يعلق بأظلافها وأجوده الدسم الرزين الطيب الريح الذي لونه الى الصفرة وهو حار في آخر الاولى وقيل في آخر الثانية رطب وقيل يابس وهو لطيف جداً وفيه يسير قبض ، منضج للرطوبات الغليظة اللزجة ، وينبت الشعر المنتثر ويكثفه ويحفظه مع دهن الآس ويخرج الجنين الميت والمشيمة تدخينا في قمع ، وإن شرب بشراب عقل البطن وأدر البول وهو ينقي البلغم وقدر مايؤخذ منه الى نصف درهم ويلين صلابة المعدة والكبد ويقويهما اذا كان قد نالهما ضعف من برد

(ياسمين) ويقال له ياسمون وهو أبيض وأصفر وأرجواني ، والابيض أسمنه وبعده الاصفر وهو يابس حار في الدرجة الثالثة وقيل في الثانية ويلطف الرطوبات ويذهب الكلف ويحلل الصداع البلغمي اذا شم وينفع أصحاب اللقوة والفالج ويفتح السدد وينفع من عرق النسا وكثيره ينفع الطحال ويورث الصفار ورائحته مصدعة ويصلحه الكافور

فصل

(في عرق النساء وما ورد في دوائه)

عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « دواء عرق النسا الية شاة اعرابية تذاب ثم تجزأ في ثلاثة أجزاء ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء رواه ابن ماجه » ولأحمد «الية كبش عربي اسود ليس بالعظيم ولا الصغير »

(عرق النسا) وجع يبتدىء من مفصل الورك وينزل من خلف على الفخذ وربما امتد على الكعب وكلما طالت مدته زاد نزوله وتهزل معه الرجل والفخذ وفي هذا الخبر تسمية هذا المرض بعرق النساء أعم من النساء فهو من إضافة العام إلى الخاص ككل الدرهم أو بعضها وان النسا هو المرض الحال بالعرق فهو من اضافة الشيء إلى محله ومنع بعضهم من هذه التسمية وقال النسا هو العرق نفسه فيكون من إضافة الشيء إلى نفسه وهو ممتنع ، وقيل سمي بذلك لان ألمه ينسي ماسواه وهـذا الخبر خطاب لأهل الحجاز وما قاربهم لان هـذا المرض يحدث من يبس أو مادة غليظة أولزجة فعلاجها بالاسهال والالية فيها الخاصتان الانضاج والاخراج وتعيين الشاة بالاعرابية لقلة فضولها ورعيها نبات البر الحار كالشيح والغالب على الناس استعمال الادوية المفردة وغالب أطباء الهند والروم واليونان يعتنون بالمركبة والتحقيق اختلاف الدواء باختلاف الغذاء ، فالعرب والبوادي غذاؤهم بسيط فمرضهم بسيط ، فدواؤهم بسيط والعكس بالعكس والله أعلم

فصل

عن أسماء بنت عميس أن النبي ﷺ قال لها « بماذا كنت تستمشين؟» قالت بالشبرم قال «حار حار» ثم قالت استمشيت بالسنا فقال «لو كان شيء يشفي من الموت لكان السنا» رواه الترمذي وابن ماجه

ولابن ماجه من حديث عبد الله بن حرام « عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل داءٍ الا السام » قيل وما السام ؟ قال « الموت » بعض الاعراب يقولون في السنوت تسمين أى تليين الطبع ، ويسمى الدواء المسهل مشيا على وزن فعيل ، وقيل لان المسهول يكثر المشي للحاجة ، (والشبرم) قشر عرق شجرة حار يابس في الرابعة لم ير الاطباء استعماله لفرط اسهاله وهو يسهل الدواء والكيموس الغليظ والماء الاصفر والبلغم ، مكرب مغث ، والاكثار منه يقتل . وينبغي اذا استعمل أن ينقع في اللبن الحليب يوما وليلة ويغير عليه اللبن في اليوم مرتين او ثلاثا ويخرج ويجفف في الظل ويخلط معه الورد والكثيرا أو يشرب بماء العسل أو عصير العنب . والشربة منه من دانقين إلى أربعة بحسب القوة ، وقيل إن الشبرم لا خير فيه قتل بها أطباء الطرقات كثيراً من الناس . وقوله « حار حار » ويروى « حار يار »

قال أبو عبيد أكثر كلامهم الياء قيل الحار الشديد الاسهال ، وقيل هو من الاتباع الذى يقصد به تأكيد الاول مع أن في الحار معنى آخر وهو الذى يحر ما يمر به لشدة حرارته ، وأما يار فلغة في حار كصهريج وصهرى والصهارى والصهاريج أو اتباع .

وأما السنا فبالمد والقصر نبت حجازى أفضله المكي مأمون حار يابس في الدرجة الاولى يسهل الصفراء والسوداء ويقوي جرم القلب ، وخاصيته النفع من الوسواس السوداوى ومن الشقاق العارض في البدن و يفتح العضل و انتشار الشعر ، ومن القمل والصداع العتيق والجرب

والبثور والحكة والصرع وشرب مائه مطبوخا أصلح من شربه مدقوقا وقدر الشربة منه إلى ثلاثة دراهم ومن مائة إلى خمسة ، وإن طبخ معه شيء من زهر البنفسج والزبيب الاحمر المنزوع العجم كان أصلح ، وقيل الشربة منه من أربعة دراهم إلى سبعة.

وأما السنوت فقيل العسل وقيل رب عكة سمن ، وقيل الكمون ، وقيل حب يشبهه وقيل الرازيانج وقيل الشبت وقيل التمر وقيل العسل الذى يكون في زقاق السمن ، قال بعضهم وهذا أقرب فيخلط السنا مدقوقا بعسل مخالط لسمن ثم يلعق لما فيهما من اصلاح السنا واعانته على الاسهال والله أعلم

فصل

(في خواص القسط البحري الهندي والزيت والزيتون)

عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال «تداووا من ذات الجنب بالقسط البحرى والزيت » وعنه أيضا أن النبي ﷺ كان ينعت الزيت والورس من ذات الجنب . قال قتادة يلد من جانبه الذي يشتكيه . رواهما الترمذى وقال حسن صحيح قال وذات الجنب يعني السل ولاحمد بالعود الهندى والزيت ، ولابن ماجه ورسا وقسطا وزيتا ، وذات الجنب الحقيقي عند الاطباء ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للاضلاع وغير الحقيقي وجع يشبهه يعرض في نواحي الجنب عن رياح غليظة مؤذية تحتقن بين الصفافات والوجع في هذا ممدود وفي الحقيقي ناخس

قال صاحب القانون قد يعرض في الجنب والصفاقات والعضل الذي في الصدور والاضلاع ونواحيها أورام موجعة تسمى شوصا وبرساما وذات الجنب وقد تكون أوجاع في هذه الاعضاء ليست من ورم ولكن من رياح غليظة فيظن أنها من هذه العلة ولا يكون. قال واعلم أن كل وجع في الجنب قد يسمى ذات الجنب اشتقاقا من مكان الالم لان معنى ذات الجنب صاحبة الجنب والغرض ههنا وجع الجنب فاذا عرض في الجنب ألم عن أي سبب كان نسب اليه، وعليه حمل كلام بقراط في قوله ان أصحاب ذات الجنب ينتفعون بالحمام، قيل المراد به كل من به وجع جنب أو وجع رئة من سوء مزاج أو من اخلاط غليظة أو لذاعة من غير ورم ولا حمى. قال بعضهم معنى ذات الجنب في لغة اليونان ورم الجنب الحاد أو ورم كل واحد من الاعضاء الباطنة ويلزم ذات الجنب الحقيقي الحمى والسعال والوجع الناخس وضيق النفس والنبض المتساوي والعلاج الموجود وليس هذا مراد الحديث بل الكائن عن الريح الغليظة فان القسط البحري قال بعضهم وهو العود الهندي إذ دق ناعما وخلط به الزيت المسخن ودلك به مكان الريح المذكور أو لعق كان دواء موافقا لذلك نافعا محللا مقويا للاعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد نافع من ذات الجنب ويذهب فضل الرطوبة. العود المذكور جيد للدماغ قال ويجوز أن ينفع القسط من ذات الجنب الحقيقي إذا كان حدوثها عن مادة بلغمية لا سيما وقت انحطاط العلة، وقد عرف بذلك بطلان

قول من قال : ان الاطباء تنكر مداواة ذات الجنب بالقسط لحرارته الشديدة ، وقال بعضهم اتفق الاطباء أنه يدر الطمث والبول وينفع من السموم ويحرك شهوة الجماع ويقتل الدود وحب القرع في الامعاء اذا شرب بعسل ويذهب الكلف اذا طلي عليه وينفع من برد المعدة والكبد والبرد ومن حمى الدور والربع وغير ذلك وهو صنفان ، وقيل أكثر ، بحرى وهو الابيض ، وهندى. وقال بعضهم البحرى أفضل منه وأقل حرارة ، وقيل هما حاران يابسان في الدرجة الثالثة. والهندى أشد حرا وقيل القسط حار في الثالثة يابس في الثانية ، وقد ذكر جالينوس أنه ينفع من الكزاز بضم الكاف وبالزاء داء يأخذ من شدة البرد وأنه ينفع من وجع الجبين

وأما الزيت فقد قال تعالى (يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء) وروى ابن ماجه ثنا الحسين بن مهدى ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا « ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة » اسناده ثقات وسأل أبو طالب لاحمد عنه ولفظه « كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة » وفيه عن زيد عن أبيه عن عمر فقال خطأ ليس فيه عمر انما لقنوه عن عمر فقال عن عمر انما هو مرسل حدثناه عبد الرزاق يعني كذلك وكذا قال ابن معين ، ورواه عبد بن حميد في مسنده عن عبد الرزاق بذكر عمر فيه . وللترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة مثله

قال الاطباء الزيت حار باعتدال الى رطوبة وقيل حار رطب وقيل

يابس والمعتصر من الزيتون النضيج أعدل وأجود من الفج منه فيه برد ويبس ومن الزيتون الاحمر متوسط بين الزيتين ومن الاسود يسخن ويرطب باعتدال وينفع من السموم وينفع البطن ويخرج الدود، والعتيق منه أشد اسخانا وتحليلا يطلى به النقرس. والمغسول من الزيت يوافق أوجاع الاعصاب والنساء، وغسله أن يضرب مع الماء العذب المفتر مرات ويصفى وزيت الانفاق أن يعتصر من الزيتون الاخضر. قال بعضهم بالماء خير أنواعه قال بعضهم هو أقل حرارة وألطف وأبلغ في النفع. وذكر ابن جزلة ان هذا بارد يابس وجميع الزيت مابين البشرة ويبطيء بالشيب

وأما الزيتون المالح يمنع من نفط حرق النار ويشد اللثة وورقه ينفع من الحمرة والنملة والقروح والشري ويمنع العرق وينفع من الداحس ومنافعه كثيرة.

وأما الورس فعن أم سلمة قالت كانت النفساء تجلس على عهد رسول الله ﷺ أربعين يوما وكنا نطلي وجوهنا بالورس من الكلف رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وهو مختلف في حسنه وضعفه

﴿ الورس ﴾ يجلب من اليمن قيل ينتحت من أشجاره وقيل يزرع بها ولا يكون منه شيء بري ويزرع سنة فيبقى عشر سنين ينبت ويثمر في الارض وهو في الحرارة واليبوسة في الدرجة الثانية قال بعضهم في أولها. وأجوده الاحمر اللين في اليد القليل النخالة، قابض لطيف يمنع من الكلف والنمش والحكة والبثور في سطح البدن والبهق والسفعة طلاء،

واذا شرب منع الوضح وفتت الحصاة ونفع من أوجاع الكلى والمثانة الباردة وقدر مايشرب منه درهم وقيل يضر بالمثانة ويصلحه العسل . قال بعضهم منافعه تقرب من منافع القسط البحري

فصل

(في الصداع وأسبابه وفائدة الحجامة والحناء فيه)

عن سلمى خادم النبي ﷺ قالت ماسمعت أحداً قط يشكو الى رسول الله ﷺ وجعا في رأسه إلا قال له «احتجم» ولا وجعا في رجليه الا قال « اخضبهما بالحناء » حديث حسن رواه أحمد وأبو داود، ولاحمد أيضا والترمذى وابن ماجه بالاسناد الحسن قال كنت أخدم النبي ﷺ فما كانت تصيبه قرحة ولا نكبة إلا أمرني أن أضع عليها الحناء وروى ابن ماجه انه عليه السلام كان اذا صدع غلف رأسه بالحناء ويقول انه نافع باذن الله من الصداع

﴿ الصداع ﴾ وجع في الرأس فما كان لازما في أحد شقية سمي شقيقة وإن كان شاملا لجميعه لازما سمي بيضة وخوذة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل على الرأس كله وربما كان في مؤخر الرأس وفي مقدمه ، وحقيقته سخونة الرأس واحتماؤه لما كان فيه من البخار يطلب النفوذ من الرأس فلا يجد منفذا فيصدعه كما يتصدع الوعاء اذا حمي مافيه وطلب النفوذ، وكل رطب اذا حمي طلب مكانا أوسع من مكانه الذي كان فيه.

وللصداع أسباب أحدها من الطبائع الاربعة و ه من قروح في

المعدة و ٦ من ريح غليظة فيها و ٧ عن ورم في عروقها و ٨ عن امتلائها و ٩ بعد الجماع و ١٠ بعد القيء و ١١ عن الحر و ١٢ عن البرد و ١٣ عن السهر و ١٤ عن حمل شيء ثقيل عليه و ١٥ عن كثرة الكلام و ١٦ عن كثرة الحركة و ١٧ عن عرض نفساني كالهم والغم و ١٨ عن شدة الجوع و ١٩ عن ورم في صفات الدماغ (* (السبب العشرون) الحمى لاشتعال حرارتها فيه فيتألم

وسبب صداع الشقيقة مادة في شرايين الرأس وحدها حاصلة فيها أو مرتقية اليها فيقبلها الجانب الاضعف من جانبيه ، وتلك المادة اما بخارية واما أخلاط حارة أو باردة وعلامتها الخاصة بها ضرب بان الشرايين وخاصة في الدموي ، واذا ضبطت بالعصائب ومنعت من الضرب بان سكن الوجع ، وصح عن النبي ﷺ انه عصب رأسه بعصابة في مرضه فعصبه ينفع من أوجاعه .

ومن المعلوم ان علاجه يختلف باختلاف أسبابه فالحناء علاج لبعض أسبابه فينفع نفعا ظاهراً من حرارة ملهبة لا من مادة يجب استفراغها وان ضمدت به الجبهة مع خل سكن الصداع وفيه قوة موافقة للعصب إذا ضمد به سكن أوجاعه وهذا يعم جميع الاعضاء، وفيه قبض تشتد به الاعضاء ، واذا ضمد به موضع الورم الحار الملتهب سكنه ، والحناء بارد في الاولى يابس في الثانية وقيل معتدل الحر والبرد وقوة شجره مركبة من قوة محللة اكتسبتها من جوهر فيها مائي حار باعتدال ، ومن قوة قابضة اكتسبتها من جوهر فيها أرضي

*) ذكر ١٩ سببا بينها بالارقام ثم قال : السبب العشرون الخ

بارد وهو محلل نافع من حرق النار ، وينفع مضغه من قروح الفم والسلاق العارض فيه، واذا خلط نوره مع الشمع المصفى ودهن الورد نفع من أوجاع الجنب ويفعل في الجرح فعل دم الاخوين

ومن خواصه اذا لطخ به أسفل الرجلين أول خروج الجدري أمن على العينين منه صحيح مجرب ، واذا جعل نوره بين طي ثياب الصوف طيبها ومنع السوس عنها ، ودهنه يحلل الاعياء ويلين العصب ،واذا نقع ورقه في ماء عذب يغمره ثم عصره وشرب من صفوه أربعين درهما كل يوم عشرين يوما مع عشرة دراهم سكر وتغدى عليه بلحم الضأن الصغير نفع من ابتداء الجذام بخاصية فيه عجيبة وينفع الاظفار معجونا ويحسنها ويعجن بسمن ويضمد به بقايا ورم حار الذي يرشح ماء أصفر وينفع من الجرب المتقرح منفعة بليغة وهو ينبت الشعر ويقويه ويحسنه ويقوي الرأس وينفع من النفاخات والبثور العارضة في البدن ، وشرب نصف مثقال منه ينفع من القولنج ، ومن خواصه اذا خضب به الرجل أصبح البول أحمر كبول المحموم

فصل

(في العذرة — امراض الحلق — وما ورد في علاجها)

عن أم قيس بنت محصن انها دخلت على النبي ﷺ بابن لها قد أعلقت عليه من العذرة ـ قال يونس أعلقت غمزت فهي تخاف أن يكون به عذرة ـ فقال « علام تدغرن اولادكن بهذا العلاق ؟ ـ وفي لفظ ـ

بالاعلاق عليكن بهذا العود الهندي — يعني به الكست — فان فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب يسقط من العذرة ويلد من ذات الجنب » متفق عليه ، وللبخاري أيضا « اتقوا الله علام تدغرون أولادكم ؟ » ووصفه سفيان الغلام يحنك بالاصبع فأدخل سفيان في حنكه انما يعني رفع حنكه بأصبعه . وقال في العود الهندي يريد القسط ، ولمسلم « علامه ؟ » أثبت هاء السكت هنا في الدرج والوصل

ولأحمد عن جابر أن النبي ﷺ دخل على أم سلمة وعندها صبي تنبعث منخراه دما فقال « ما لهذا ؟ » قالوا به العذرة قال « علام تعذبن أولادكن ؟ انما يكفي احداكن أن تأخذ قسطا هنديا فتحكه بماء سبع مرات ثم توجره اياه » ففعلوا ذلك فبرأ . قولها أعلقت عليه كذا في مسلم وكذا في البخاري من رواية معمر وغيره ، وفيه من رواية سفيان بن عيينة أعلقت عنه وهو المعروف في اللغة وقيل هما لغتان ، قال الجوهري الاعلاق الدغرة يقال أعلقت المرأة ولدها من العذرة اذا رفعتها بيدها ، والعلاق بفتح العين والاعلاق أشهر لغة وقيل لا يجوز غيره وهو مصدر أعلقت عنه أي أزالت عنه العلوق وهي الآفة والداهية ، فالاعلاق معالجة العذرة ويجوز أن يكون العلاق وهو الاسم منه ، وفي كلام بعضهم انه شيء كانوا يعلقونه على الصبيان كذا قال

والعذرة بضم العين وبالذال المعجمة وهي وجع في الحلق يهيج من الدم يقال في علاجها عذرته فهو معذور وقيل هي قرحة تخرج في الخرم

الذي بين الانف والحلق تعرض للصبيان غالبا عند طلوع العذرة وهي العذارى خمسة كواكب قيل في وسط المجرة ، وقال الجوهري في آخرها وتعالج المرأة العذرة عادة بفتل خرقة تدخلها في أنف الصبي وتطعن ذلك الموضع فينفجر منه دم أسود وربما أقرحته وذلك الطعن يسمى دعراً وعذرا فمعنى «تدغرن أولادكن» انها تغمز حلق الولد بأصبعها فترفع ذلك الموضع وتكبسه . قال الجوهرى الدغر أن ترفع لهاة المذور ، وقال العذرة وجع الحلق من الدم وذلك الموضع أيضا يسمى عذرة وهو قريب من اللهاة وعذره الله من العذرة فعذر وعذر فهو معذور ، أى هاج به وجع الحلق من الدم ، قال الاخطل

غمز ابن مرة يا فرزدق كينها غمز الطبيب نغانغ المعذور

أما نفع السعوط منها بالقسط المحدل فلأن العذرة مادتها دم يغلب عليه لكثرة تولده في أبدان الصبيان وفي القسط تجفيف يشد اللهاة ويرفعها الى مكانها وقد يكون نفعه في هذا الداء بالخاصية ، وقد ينفع في الأدواء الحارة والادوية الحارة بالذات تارة وبالعرض أخرى ، وذكر صاحب القانون في معالجة سقوط اللهاة القسط مع الشب اليماني وبزر المرو

وروى أبو داود عن ابن عباس أن النبي ﷺ استعط ، وسبق في الفصل قبل الفصل قبله منافع القسط ، وفي الصحيحين من حديث أنس « ان أفضل ماتداويتم به الحجامة والقسط » أو قال « من أفضل دوائكم » وفي لفظ في الصحيحين « ان أفضل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحرى ، ولا تعذبوا صبيانكم بالغمز »

فصل

(فى ذر الرماد على الجرح وفوائد نبات البردي)

في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ان النبي ﷺ يوم أحد جرح وجهه وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة الدم لا يزيد الا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها حتى اذا صارت رمادا ألصقته على الجرح فاستمسك الدم

(البردى) بالفتح نبت معروف بارد يابس قوي التجفيف لان القوي التجفيف اذا كان فيه لذع هيج الدم فهو يمنع النزف ويقطع الرعاف ويذر على الجرح الطرى فيدمله، والقرطاس المصرى كان قديما يعمل منه وينفع رماده من أكلة القمل ويمنع القروح الخبيثة أن تسعى

فصل

في الصحيحين عن كعب بن عجرة قال كان بي أذى من رأسي فحملت الى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال «ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى» ولمسلم «فاحلقه واذبح شاة أوصم ثلاثة أيام أو تصدق بثلاثة آصع من تمر بين ستة مساكين

(القمل) يتولد من شيء خارج عن البدن وهو الوسخ في سطح الجسد ومن خلط رديء عفن تدفعه الطبيعة بين الجلد واللحم فتعفن

الرطوبة الدموية في البشرة بعد خروجها من المسام فيكون منه القمل. والقمل في الصبيان أكثر لكثرة رطوبتهم وتعاطيهم السبب الذي يولده، ولذلك حلق النبي ﷺ رءوس بني جعفر رضي الله عنهم، وحلقه من أكبر علاجه لتتفتح مسام الابخرة فتتصاعد فتقل مادة الخلط وينبغي طلي الرأس بعد حلقه بدواء يقتل القمل ويمنع تولده، وأكل التين اليابس يولد دما ليس بالجيد فلذلك يقمل (١)»

قال بعض الاطباء: سبب تولد القمل رطوبة فاسدة تغلظ عن مقدار العرق قليلا فلا تنفذ في المسام فيتولد في عمق الجلد لا في سطحه فيطلى الرأس أو المكان الذي يتولد فيه القمل بصبر وبورق ومر في الحمام ويترك ساعة ثم يغسل أو يطلى بالزئبق المقتول بدهن الورد ويكثر الاستحمام ولبس الكتان فانه أقل الثياب اقمالا أو يترك الاغذية الغليظة الحارة.

قال محمد بن زكريا: صاحب القمل تعرض له صفرة في وجهه وقلة شهوة الطعام وينحف بدنه وتضعف قوته

فصل يتعلق بما قبله

(في النخل وثمره وفوائده وتشبيهه المؤمن به وبالاترج)

عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب

---

(١) السبب الصحيح في تولد القمل هو الوسخ كما قال أولا فمن تعاهد رأسه وبدنه بالنظافة دائما وقي من القمل

ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر ولا ريح لها » وفي رواية « الفاجر بدل المنافق » وروى ذلك مسلم والبخاري وله في لفظ « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مثل المؤمن كمثل الزرع لا يزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل الكافر كمثل شجرة الارز لا تهتز حتى تستحصد » رواه مسلم والبخاري ولفظه « مثل المؤمن كخامة الزرع تفي ورقه من حيث انتهى الريح تكفئها فاذا سكنت اعتدلت ، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ، ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله اذا شاء »

وفي الصحيحين هذا المعنى من حديث كعب بن مالك ، وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي ؟ » فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال فقال « هي النخلة » قال فذكرت ذلك لعمر قال لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلى من كذا وكذا ، متفق عليهما ، وفيهما أيضاً « مثل المؤمن » فجعلت أريد

أن أتولها فاذا أسنان القوم فأهاب أن أتكلم — وللبخاري: كنت عند النبي ﷺ وهو يأكل جماراً وفيه قال النبي ﷺ «ان من الشجر لما بركته كبركة المسلم» وترجم عليه البخارى (باب مالا يستحي منه من الحق للتفقه في الدين) وفي الصحيحين ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فترجم عليه البخارى (باب اكرام الكبير وباب طرح الامام المسئلة على أصحابه ليختبر ماعندهم من العلم)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تعلموا القرآن واقرأوه وارقدوا فان مثل القرآن من تعلمه فقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه كل مكان، ومثل من تعلمه ورقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكيء على مسك» رواه النسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه

(الخامة) بخاء معجمة وميم خفيفة الطاقة الغضة اللينة من الزرع وألفها منقلبه عن واو وتستحصد بفتح أوله وكسر الصاد أى لا تتغير حتى تنقلع مرة واحدة كالزرع الذى انتهى يبسه وضبطه بعضهم بضم أوله وفتح الصاد، واختلف العلماء في وجه تشبيه النخلة بالمسلم فقيل لانها لا تحمل حتى تلقح، وقيل لانها اذا قطع رأسها ماتت وقيل وهو الاظهر لكثرة خيرها، وطيب ثمرها، ودوام ظلها ووجوده دائما، وأكله على صفات وأنواع مختلفة ويتخذ منه منافع ويتخذ من حشيشها، وورقها وأغصانها خشبا وجذوعا وحطبا وعصيا، ومخاصر وحصرا وقفانا وليفا وحبالا وغير ذلك، ونواها علف للابل، فهي كلها منافع وخير وجمال كالمؤمن

خير كله لايمانه وكثرة طاعاته ،

والجمار بضم الجيم وتشديد الميم ما يؤكل من قلب النخل يكون لينا قال أهل اللغة الجمار شحم النخل وجمرت النخلة قطعت جمارها قال الاطباء هو بارد يابس في الاولى وقيل في الثانية قابض ينفع من خشونة الحلق والاسهال والنزف وغلبة المرة الصفراء وثائرة الدم ولحم القروح وينفع من لسع الزنبور ضمادا ويقوى الاحشاء وليس بردىء الكيموس، ويغذو غذاءا يسيرا ويبطيء في المعدة ويؤلمها ويصلحه التمر والشهد قال بعضهم ويضر بالصدر والحلق وأجوده الحلو الرطب وسبق الكلام قريبا في التمر والريحان والمسك .

وأما الاترج فبهمزة وراء مضمومتين وتاء ساكنة وجيم مشددة الواحدة أترجة . وقال علقمة بن عبدة

يحملن أترجة نضخ العبير بها   كأن تطيابها في الانف مشموم

وحكى أبو زيد ترنجة وترنج وله قوى مختلفة أجوده الكبار السوسي قشره حار يابس في الدرجة الثانية ولحمه حار رطب في الاولى ، وقيل في الثانية ، وقيل بارد وبزره حار فيه يسير رطوبة ، وقيل بارد في الثانية وهو يابس وحمضه بارد يابس في الثالثة رائحته تصلح فساد الهواء والوباء وتضر بالدماغ الحار ويصلحه البنفسج وقشره من المفرحات الترياقية ويجعل في الثياب يمنع السوس ويطيب النكهة اذا جعل في الفم ويحلل الرياح ، واذا جعل في الطعام كالابازير أعان على الهضم

قال صاحب القانون : وعصارة قشره تنفع من نهش الافاعي شربا وقشره ضمادا وحراقة قشره طلاء جيد للبرص انتهى كلامه

قال ابن جزلة : ولحمه ردىء للمعدة بطيء الهضم يورث القولنج والضربان، وقال غيره هو ملطف لحرارة المعدة نافع لأصحاب المرة الصفراء قامع للبخارات الحادة، قال الغافقي: أكل لحمه ينفع البواسير انتهى كلامه .

وأما حماضه فيجلو الكلف واللون ويذهب القوبا طلاء ولهذا يقلع صبغ الحبر طلاء ويقمع الصفراء ويشهي الطعام وينفع الخفقان من حرارة ويطيب النكهة مشروبا ، عاقل للطبيعة نافع من الاسهال الصفراوى قاطع للقيء الصفراوى ويوافق المحمومين ويضر بالصدر والعصب ويصلحه شراب الخشخاش وينفع من اليرقان شربا واكتحالا ويسكن غلمة النساء والعطش قال بعضهم البلغمي لأنه يلطف ويقطع ويبرد ويطفىء حرارة الكبد ويقوى المعدة ويقوى القلب الحار المزاج وفيه ترياقية

وأما بزره فله قوة محللة مجففة ملين مطيب للنكهة وخاصة للنفع من السموم القاتلة وخصه بعضهم بلسع العقارب اذا شرب منه وزن مثقالين بماء فاتر أو طلاء مطبوخ ، وكذا إن دق ووضع على موضع اللسعة

قال الاطباء اذا بخرت شجرته بالكبريت تناثر ، قالوا واذا يبث وأحرق وسحق ناعما وجعل في خرقة كتان ودفعت الى امرأة تشمها فان أخذها العطاس فهي ثيب وإلا فبكر

وذكر ان بعض الاكاسرة غضب على قوم من الاطباء فأمر بحبسهم

وخيرهم أدما لا مزيد لهم عليه. فاختاروا الاترج فقيل لهم لم اخترتموه على غيره ؟ قالوا لانه في العاجل ريحان ونظاره مفرح وقشره طيب الرائحة ولحمه فاكهة وحمضه ادم وحبه ترياق وفيه دهن ، وكان بعض السلف يحب النظر اليه لما في منظره من التفريح ، قال ابن جزلة ورق الاترج حار يابس فيه تحليل وتجفيف وعصارته اذا شربت نفعت من رطوبة المعدة وبردها واذا مضغ طيب النكهة وقطع رائحة الثوم والبصل فلهذه المنافع العظيمة الكثيرة حصل تشبيه المؤمن بذلك

(وأما الحنظل) وهو العلقم وهو كما قال رسول الله ﷺ «ان طعمه مر ولا ريح له » وهذا حق معلوم ولا يلزم من هذا انه لا نفع فيه. وقد ذكر الاطباء فيه منافع ومضار وانه ربما قتل قالوا منه ذكر ومنه أنثى فالذكر ليفي والانثى رخو أبيض سلس والاسود منه رديء ، واذا لم تنسلخ خضرته عنه فهو رديء، واذا لم يكن على شجرته إلا حنظلة واحدة فهي رديئة قتالة وأجوده الاصفر الهندي المدرك في أيام الربيع وهو حار في الثالثة وقيل في الثانية وقيل بارد رطب وهو محلل مقطع جاذب اذا دلك به الجذام وداء الفيل نافع من أوجاع العصب والمفاصل والنساء والنقرس البارد وينقي الدماغ وينفع من بدو الماء في العين وأصله نافع من الاستسقاء وهو يسهل البلغم من المفاصل والعصب ويسهل المرار الاسود وينفع من القولنج الريحي والشربة منه نصف درهم مع عسل ودانق ونصف مع الادوية وأصله ينفع من لدغ الافاعي وهو من أنفع الادوية للد

العقرب طلاء وشربا ويتبخر منه للبواسير وشربه ربما أسهل الدم وهو يضر بالمعدة وتصلحه الكثيرة واذا احتمل قتل الجنين. والمجتنى أخضر يسهل بافراط ويقيء بافراط وكرب حتى انه ربما قتل والمفرد النابت في أصله وحده ربما قتل منه وزن دانقين ولا يخفى أن استعمال مثل هذا على كلام الاطباء على خطر إلا من اجتهد فيه فاجتناه بنفسه أو من يثق به واعتبر ماذكروه من صفاته واحتاط مع تعجيل ألم بأكله ، فالحاصل ان الانسان فيه على خوف من القتل والأذى وعلى يقين من الألم ونفعه محتمل وغايته الظن (١) وأين هذا من الارج؟

(وأما الارز) فقال أهل اللغة هو بفتح الهمزة وراء ساكنة ثم زاي شجر معروف يقال له الارزن ، يشبه شجر الصنوبر بفتح الصاد يكون بالشام وبلاد الأرمن وقيل هو الصنوبر، وذكر الجوهري عن أبي عمرو: والارزة بالتحريك شجر الارزن قال وقال أبو عبيدة الارزة بالتسكين شجر الصنوبر. وقول الاطباء هو ذكر شجر الصنوبر وهو الذي لا يثمر وكلام رسول الله ﷺ ومقصوده بذلك حق وصدق واضح معلوم لا شك فيه ولا يلزم من ذلك انه لا نفع فيه، وقد ذكر بعض الاطباء فيه منافع ، والله أعلم بذلك وصحته

١) المراد من هذا الكلام أنه لا ينبغي لأحد استعماله لأن ضرره قطعي ونفعه ظني ؛ ومثله يتوقف على رأي الطبيب الحاذق

فصل

(في اللحوم وأنواعها وأجزاء الحيوان ومعالجتها)

يتعلق بما قبله قال تعالى (ولحم طير مما يشتهون) وفي الصحيحين وغيرهما ان النبي ﷺ أكل اللحم وأكل لحم دجاج وسبق فيه كلام في حفظ الصحة وسيأتي في آداب الأكل انكاره عليه السلام على من امتنع من المباحات مطلقا وعن بريدة مرفوعا «سيد أدم أهل الدنيا والآخرة اللحم» حديث حسن رواه ابن قتيبة في غريبه وابن جرير الطبري محتجا به وقال العقيلي لا يصح، وعن أبي الدرداء مرفوعا «سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم» وعنه أيضا مادعي رسول الله ﷺ الى لحم قط إلا أجاب ولا أهدي اليه لحم قط الا قبله رواهما ابن ماجه من رواية سليمان بن عطاء الجزري وهو واه عندهم، قال ابو زرعة وغيره منكر الحديث، وفي مسلم أو في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» أي ثريد كل طعام أفضل من مرقه فثريد اللحم فضله على مرقه، وروى أبو داود عن ابن عباس قال كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس وقال الشاعر:

اذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانة الله الثريدا

فاللحم سيد الادام والخبز قد اختلف الناس أيهما

أفضل ، ويتوجه ان اللحم أفضل لانه طعام أهل الجنة ولانه أشبه بجوهر البدن ولقوله تعالى (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) الآية. والاشهر ان المن ماء يقع على الشجر أو العسل أو شراب خلافا لمن ذهب انه خبز والاشهر ان السلوى طائر وقيل العسل ، والاشهر ان الفوم الحنطة أو الحبوب لا الثوم فظهر ان على الاشهر ان اللحم خير من الحنطة والحب والحاجة الى الخبز أكثر ويأتي فصل في ذكر الخبز بعد هذا الفصل .

ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال كلوا اللحم فانه يصفي اللون ويخمص البطن ويحسن الخلق ، وعنه أيضا من تركه أربعين ليلة ساء خلقه . وقال محمد بن واسع : أكل اللحم يزيد في البصر ، وقال الزهري أكل اللحم يزيد سبعين قوة . وأما ادمان اللحم فليس هو بطريق لرسول الله ﷺ ولا لاصحابه رضي الله عنهم هذا معلوم من حالهم ولهذا قال أحمد أكره ادمان اللحم ، وقال نافع وكان عمر اذا كان رمضان لم يفته اللحم واذا سافر لم يفته اللحم يعني للمحافظة على بقاء القوة والصحة وللتقوى على العبادة وفي الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله ليبغض أهل البيت اللحميين . قيل هم الذين يكثرون أكل لحم الناس بالغيبة . روي عن سفيان الثوري وقيل هم الذين يكثرون أكل اللحم ويدمنونه . قال ابن الاثير في النهاية وهو أشبه قال أحمد في رواية الميموني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر . ذكره مالك في الموطأ عنه . قال ابراهيم الحربي وغيره يعني اذا أكثر منه . ومنه كلب ضاري

ومثل هذا معلوم بالتجربة ولهذا لم يذكر الفقهاء في كتاب النفقات صريحا انه يجب للمرأة اللحم كل يوم ولو كانت موسرة تحت موسر وذلك محرر في النفقات ، وذكر الخلال عن احمد انه قيل له كم يأكل الرجل اللحم ؟ قال في أربعين يوماً ولعل عنده في ذلك أثرا فانه قال ان استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل، ولعل مراده أكثر ما ينبغي تركه، ومراده ما لم يحتج اليه . وقد قال أبقراط لا تجعلوا أجوافكم مقبرة للحيوان يعني ادمان اللحم

وقال الاطباء اللحوم لا تصلح المبتلى ، وادمان اللحم يورث الامتلاء ويحتاج الى الفصد واللحم الاحمر أغذى من السمين وأقل فضولا والاجود المتوسط بين السمين والهزيل . قال بعض الاطباء اللحم ينبت اللحم ، والشحم لا ينبت اللحم ولا الشحم انتهى كلامه . وأبعد اللحم من أن يعفن أقله شحما وأيبسه جوهرا واللحم مقو للبدن وأقرب استحالة الى الدم (١)

(لحم الجدي) معتدل يبرىء من كل داء لا سيما الرضيع وهو أسرع هضما لقوة اللبن فيه . ملين للطبع . وقال بعضهم يوافق أكثر الناس في أكثر الاحوال ولحم الحملان أغلظ منه وأسخن وأكثر فضولا ، وهو تال للحم الجدي في الجودة . وقال ابن جزلة تضر بالقولنج اذا كانت مشوية ويصلحه حلو السكر

(لحم الماعز) يابس قليل الحرارة وخلطه المتولد منه ليس بفاضل

(١) اطباء هذا العصر يكادون يجمعون على ان قلة اكل اللحم خير من كثرته ولا سيما في البلاد الحارة ، ومنهم من ينهى عنه مطلقا ويوجد الوف في امصار الشرق والغرب يمتنعون منه ويعرفون بالنباتيين لاقتصارهم على الاطعمة النباتية مع الخبز

ولا جيد الهضم ولا محمود الغذاء . ولحم التيس رديء مطلقا . وقال الجاحظ قال لي فاضل من الاطباء : ياأبا عثمان اياك ولحم المعز فانه يورث الغم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويفسد الدم ، وهو والله يخبل الاولاد وقال بعض الاطباء المذموم منه المسن لا سيما للسنين ولا رداءة فيه لمن اعتاده ، وجالينوس جعل الحولي منه من الاغذية المعتدلة المعدلة الكيموس المحمود ، وإناثه أفضل من ذكوره ، وذكر بعضهم ان ما يضر من ذلك يختلف باختلاف الناس ، فيضر مع ضعف المزاج والمعدة وعدم اعتياده والعكس بالعكس ، والله أعلم

ولحم (الضأن) حار في الثانية رطب في الاولى يولد دما قويا محمودا لمن جاد هضمه ، يصلح لمن مزاجه بارد ومعتدل ، نافع لاصحاب المرة السوداء يقوي الذهن والحفظ ، وحراقة لحمه تطلى على البهق والقوابي ، ورماد لحم الابيض ينفع بياض العين ولحمه المحترق للسم الحيات والعقارب ويولد أكله ... بخلاه وينفذه كحلو السكر ، ويضر لمن اعتاده الغثيان فيعدله بامراق قابضة . ولحم النعاج والهرم والعجيف رديء ، والاسود من لحم الذكر أجود أخف وألذ وأنفع ، والخصي أنفع وأجود ، وأفضل اللحم المتصل بالعظم و... أخف وأجود من الايسر ، ومقادم الحيوان أخف وأسخن وكل ما علا منه سوى الرأس كان أخف وأجود مما سفل ، وأعطى الفرزدق رجلا يشتري له لحما وقال له خذ المقدم ، وإياك والرأس والبطن فان الداء فيهما ،

وقد روى ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن هشام

ابن عروة عن أبيه عن أم هانىء أن النبي ﷺ قال لها « اتخذي غنما فان فيها بركة » إسناد جيد ولابن ماجه بإسناد جيد من حديث عروة البارقي «الابل عز لاهلها والغنم بركة ، والخير معقود في نواصي الخيل الى يوم القيامة» ورواه البرقاني على شرط الصحيحين، ولابن ماجه من حديث ابن عمر « الشاة من دواب الجنة» وروى النسائي عن النبي ﷺ « أحسنوا إلى المعز وأميطوا عنها الاذى فانها من دواب أهل الجنة » وفي الموطأ عن أبي هريرة أنه قال لرجل أحسن إلى غنمك وامسح الرسام عنها وأطيب مراحها وصل في ناحيتها فانها من دواب الجنة والذي نفسي بيده ليوشك أن يأتي على الناس زمان تكون الثلاثة من الغنم أحب إلى صاحبها من دار مروان : الرسام بضم الراء والسين المهملة المخاط

(لحم البقر) بارد يابس أكثر من لحم المعز ، وقيل حار يابس في الرابعة كثير الغذاء وأفضل ما أكل منه في فصل الربيع غليظ عسر الهضم بطيء الانحدار يولد دما غليظا منتنا سوداويا، لا يصلح لاهل الكد والتعب الشديد، ويورث ادمانه الامراض السوداوية كالجرب والبهق والجذام والقوبا وداء الفيل والسرطان والوسواس وحمى الربع وكثيرا من الاورام قال بعضهم وهذا لمن لم يعتده أو لمن لم يدفع ضرره بالثوم والدارصيني والفلفل والزنجبيل ونحوه ، ولم يذكر ابن جزلة العادة وانما قال يقلل ضرره ويصلحه بعض الاصلاح الدارصيني والزنجبيل والفلفل ، ولحم الانثى أقل يبسا ولحم الذكر أقل برداً، ولحم العجل لاسيما السمين قال بعضهم القريب

العهد بالولادة حار رطب معتدل الغذاء طيب لذيذ محمود قال ابن جزلة خير من الكباش ، قال ويضر بالمنحولين ويصلحه الرياضة والاستحمام

(لحم الجزور) شديد الحرارة والاسخان يصلح لاصحاب الكد الشديد والرياضة القوية غليظ الغذاء يولد السوداء ويصلحه الزنجبيل المربى، وقال بعضهم من اعتاده لا يضره بل هو كلحم الضأن لمن اعتاده ومثله لحم الخيل

لحم الغزال أصلح الصيد وأحمده على أنها باسرها رديئة تولد دما غليظا سوداويا ، والغزال أقلها غذاء وأجوده الخشف وهو حار يابس وقيل معتدل ينفع من القوانج والفالج ويصلح للبدن الكثير الفضول وهو يجفف ويسخن وتصلحه الادهان والحوامض

لحم الارنب بعد الغزال في الجودة وأجوده ما تصيد الكلاب حار يابس يجلس في مرقه صاحب النقرس ووجع المفاصل ويقارب منفعته مرق الثعلب، ولحمه المشوي جيد لقروح الامعاء وهو يعقل الطبع ويدر البول ويفتت الحصاة وهو غليظ يحدث حمى ربع وأكل رءوسها ينفع من الرعشة

لحم الكباش الجبلية والحمر الوحشية حارة يابسة في الدرجة الثالثة ردىء الغذاء عسر الانهضام وحمار الوحش كثير الغذاء يولد دما غليظا سوداويا وشحمه نافع مع دهن القسط لوجع الظهر والريح الغليظة المرخية للكلى وشحمه جيد للكلف طلاء

لحم الضب حار يابس يقوى شهوة الجماع وبعره يطلى به الكلف والنمش ويقلع بياض العين ، واذا دق لحمه ووضع على موضع الشوكة اجتذبها

لحم الاجنة غير محمود لاختناق الدم وليست بحرام،

الرءوس غليظة كثيرة الاغذاء تؤكل في زمان البرد مسخنة كثيراً ما تهيج منها الحمى والقولنج لكنها يقوى غاية القوة وتزيد في المني

الاكارع تولد دما أبرد وألزج وأخف مما يولد اللحم

(الالية) رديئة الغذاء بطيئة الهضم وتصلحها الابازير الحارة وهي حارة رديئة المعدة متخمة تولد الصفراء

والشحم حار رطب أقل رطوبة من السمن ولهذا لو أذيبا كان الشحم أسرع جموداً ينفع من خشونة الحلق ويرخي ويعفن ويدفع ضرره بالليمون المملوح والزنجبيل وشحم المعزى أقبض الشحوم، وشحم التيس أشد تحليلا وينفع من قروح الامعاء، وشحم العنز أقوى في ذلك ويحتقن به للزحير

(اللحم المشوي) كثير الاغذاء يقوي البدن ويغذيه بسرعة ويصلح لمن استفرغ بدنه غير انه عسر الهضم لا يكاد يستولي عليه الهضم عن آخره ولا ينبغي على طعام(١) ولا يخلط معه غيره ولا يشرب عليه ساعة الأكل إلا قليلا لا بد منه والمطبوخ أرطب وأخف وأنفع وأرداه . المشوي في الشمس، والمشوي على الجمر والرضف وهو الحنيذ خير من المشوى باللهب

وعن عبد الله بن الحارث قال : أكلنا مع النبي ﷺ لحما في المسجد قد شوي فمسحنا أيدينا بالحصباء ثم قمنا نصلي ولم نتوضأ . رواه احمد وابن ماجه وفيه ابن لهيعة

---

(١) كذا والمراد لا ينبغي ادخاله على طعام آخر . واما قوله انه عسر الهضم وان المطبوخ اخف منه فقير مسلم على إطلاقه

قال بعضهم : الشواء غليظ كثير الاغذاء لا يستمرئه الا المعدة الحارة القوية يمسك البطن فينبغي أن يؤكل معه مايلطفه وكثيراً ما يتولد عنه القولنج وخصوصا اذا أكل معه بقل كثير وشرب عليه الماء

(المطجنة) اغذاؤها رديء قليل يصلح لمن يتجشى جشاء حامضا

(القلايا) حارة معتدلة اليبس فان كانت مقلوة بالسمن فهي بطيئة تجود الحفظ وتقطع البلاغم وهي تضر بفم المعدة لبطء هضمها وتصلحها المحمضات وكل ضرب من المطجنات والقلايا قليلة الاغذاء بالاضافة إلى الالوان التي لها ثرد وامراق تصلح لمن يشكو رطوبة ويحب تخفيف بدنه وتلطيفه

(قديد) أكله النبي ﷺ وهو أنفع من المكسود يقوي الابدان قليل الغذاء ولهذا ينبغي أن يطبخ بالدهن واللبن وينفع المستسقي المترهل سيما المنقوع في الخل لقلة تعطيشه وكذا يطبخ المكسود بالدهن واللبن وهو حار يابس يضر بالقولنج . وعن أبي مسعود قال : أتى النبي ﷺ رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال « هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة تأكل القديد » اسناد جيد رواه ابن ماجه . وروي أيضا عن عائشة قالت لقد كنا نرفع الكراع فيأكله رسول الله ﷺ بعد خمس عشرة من الاضاحي

(قلوب) حارة صالحة لاصحاب الكد وتضر بآلات الهضم لعسر انهضامها ولهذا تعمل بخل ، وفلفل ، وكمون ، وصعتر ، ويستعمل بعدها الزنجبيل المربى

(كبد) حارة رطبة الدم المتولد منها محمود ينبغي أن تعمل بما يلطفها كالزيت ونحوه ، قال ابن جزلة : وينبغي أن يجتنب كبود المواشي فان أكل منها شيء فليتبع ببعض الجوارشنات ، واذا انهضم القلب والكبد غذي كثيراً

(كلى) معتدلة الحر واليبس وقيل باردة رطبة تحبس الطبع خاطها رديء عسر الهضم فلهذا تنضج بالخل ونحوه ، وقال ابن بختيشوع ادامة أكل كلى الغنم يعفن المثانة

(رئة) حارة رطبة سهلة الهضم تحبس الطبع يعالج بها الناقهون للطافتها وسرعة انحدارها ، قليلة الغذاء ، تضر بأصحاب الكد ، وقيل هي يابسة عسرة الهضم

(كروش) باردة عسرة الهضم رديئة الكيموس ينبغي أن تعدل بالفلفل ونحوه

وأما لحم الطير فروى ابن ماجه عن النبي ﷺ «أطيب اللحم لحم الطير » ويوافق ذلك تخصيصه تعالى لحم الطير بقوله ﴿ ولحم طير مما يشتهون ﴾

(لحم دجاج) حار رطب في الاولى ، وقيل معتدل الحر يزيد في الدماغ والعقل والمني يصفي الصوت ، ويحسن الصوت ، ويحسن اللون وهي من أغذية الناقهين ولا يصلح أن يداوى بها صاحب الرياضة والكد ، ويقال أكله دائما يورث النقرس ولا يصح هذا ، ولحم الديوك أسخن مزاجا وأقل رطوبة ، والعتيق منه دواء ينفع القولنج والربو والرياح الغليظة

اذا طبخ بماء القرطم والشبت. وخصيه محمود الغذاء سريع الهضم. الفراريج سريعة الهضم ملينة للطبع دمها لطيف جيد

(لحم الدراج) حار يابس في الثانية خفيف لطيف سريع الهضم، دمه معتدل والاكثار منه يحد البصر. وهو أعدل وأفضل وألطف من لحم الحجل، ويزيد في المني ويمسك الطبع، ويصلح للناقهين

(لحم الحجل) وهو القبج من ألطف اللحوم حار رطب يعقل الطبع ويسمن ويزيد في الباه ويغذي كثيراً إذا استمرئت لا سيما بطيئة الهضم

(لحم الاوز) كبار الطير جيدها غليظة اللحم، وينبغي أن يطلى قبل شيه بزيت ليذهب سهوكته حار رطب أرطب الطير الحضري يخصب تنحفه ولكنه يملأ البدن فضولا غليظة، ويطبخ بأبازير حارة

(بط) أجنحته أخف كثير الرطوبة والحرارة، ولعله أرطب الطير الحامي وشحمه أفضل شحوم الطير، يسكن الاوجاع واللذع في عمق البدن ولحمه يصفي اللون والصوت، يزيد في الباه، إذا انهضم غذى كثيراً، بطيء الهضم، ثقيل، كثير الفضول، سريع الى حدوث الحميات، ويطبخ بأبازير حارة، ويطلى بزيت قبل شيه

(حبارى) حارة رطبة بين الدجاج والبط في الغلظ، يسكن الرياح، يضر بالمفاصل والقوابح، عسرة الهضم يعمل بدارصيني وخل وزيت، ويؤكل بعدها عسل أو زنجبيل مربى

(لحم الكركي) يابس والاصح حار، يصلح لأصحاب الكد

سيء الاستمراء ، ولهذا يعمل بأبازير حارة وبعدها عسل

(طاوس) أجودها الحديثة السن ، حارة تصلح للمعدة الجيدة الهضم رديئة المزاج أعسر الطير هضما ، ولذلك ينبغي أن تترك بعد ذبحها يومين وتشد في أرجلها الحجارة وتعلق ثم تطبخ بالخل . قال بعضهم : الطاوس إذا نظر إلى طعام مسموم أو شم روائح السم نشر جناحه وصاح ورقص، وهذه حكمة اتخاذ الملوك له في مجالسهم لا كما ظن من لا خبرة له ان ذلك لحسن ريشه ، وكذلك الطائر المعروف بالببغاء

(لحم العصفور) حار يابس في الثانية عاقل للطبيعة ويزيد في الباه وخاصة أدمغة العصافير ، ويضر بالرطوبات الاصلية وتولد خلطا صفراويا وينبغي أن يعمل بدهن اللوز ، ومرقه يلين الطبع والمفاصل

(لحم القنابر) نحو ذلك لكن غذاؤها محمود ومرقها ينفع من القولنج

(لحم الحمام) حار ، قال بعضهم : رطب ، وناهضه أجود من فراخه وفي فراخه حرارة ورطوبة فضلية تضر بالدماغ والعين ، جيد للباه والكلى ، يزيد في الدم

(لحم القطا) شديد اليبس قليل الحرارة عسر الهضم ، يولد السوداء رديء الغذاء يعلى ضرره بالدهن لكنه ينفع الاستسقاء

(لحم السماني) حار يابس ينفع المفاصل من برد ويضر بالكبد الحارة ودفع مضرته بالخل والكسفرة ، وما كان من الطير في الاماكن العفنة والآجام فالاولى اجتناب لحمه، ولحم الطير أسرع هضما من المواشي وأسرعه

ماقل غذاؤه وهو الرقاب وأدمغته أحمد من أدمغة المواشي

(جراد) حار يابس قليل الغذاء يهزل، وإذا تبخر به نفع من تقطة البول وعسره وخاصة للنساء، وتبخر به البواسير، ويشوى ويؤكل للسع العقرب، ويضر أصحاب الصرع، وخلطه رديء. والمرق نافع عند الاطباء. عن أنس قال كان رسول الله ﷺ يعجبه الثفل - يعني ثفل المرق رواه أحمد. وروى أيضا الترمذي وابن ماجه عن أبي ذر مرفوعا «إذ عملت مرقة فأكثر ماءها واغرف لجيرانك» وعن محمد بن فضالة عن أبيه عن علقمة بن عبد الله المزني عن أبيه مرفوعا «اذا اشترى أحدكم لحما فليكثر مرقته، فان لم يجد لحما أصاب مرقا وهو أحد اللحمين» اسناد ضعيف رواه الترمذي وقال غريب

فصل

(في الخبز وما ورد فيه، وأنواعه وخواصها)

وسيأتي ان شاء الله تعالى ذكر الالباز في فصول آداب الاكل وذكر مفردات ورد فيها شيء ومنها الجبن والسمن والزبد. وأما ذكر الخبز فسبق فيه شيء في الفصل قبله، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ «تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة». وعن ابن عباس قال كان أحب الطعام الى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز والثريد من الحيس. رواه أبو داود، وروى أيضا عن ابن عمر مرفوعا «وددت ان عندي خبزة بيضاء من برة سمراء مقلية بسمن ولبن

فقام رجل من القوم فاتخذه فجاء به فقال في أي شيء كان هذا السمن؟ فقال في عك ضب قال ارفعه . وروى البيهقى عن عائشة مرفوعا « اكرموا الخبز ومن كرامته أن لا تنتظر به الادم » ولا يصح هذا وأظن ولا الذي قبله وقد روي ذكر الخبز في أحاديث

وأحمد أنواع الخبز أجوده اختمارا وعجنا ثم خبز التنور أجود من غيره ثم خبز الفرن ثم خبز الملّة لاحتراق ظاهره وقلة نضج باطنه ويسيء الهضم. وأجوده الخبز الذى من الحنطة الحديثة يسمن بسرعة ، وأكثر أنواعه تغذية خبز السميد المتخذ من لباب الحنطة وأبطؤه هضما لقلة نخالته ولذلك يولد سددا والقريب العهد بالطحن يحبس البطن والبعيد بالعكس

قال بعضهم وأحمد أوقات أكله في آخر اليوم الذى خبز فيه واللين منه أكثر تلينا وغذاء وترطيبا وأسرع انحدارا واليابس بخلافه ، والخبز الحار يعطش ويصفر لرطوبته البخارية ويشبع بسرعة لذلك وهو أسرع انهضاما وأبطأ انحدارا والخبز اليابس يعقل . والفطير إذا جعل في الماء رسب والختمر جدا يطفو والمتوسط يتوسط ، والفطير بطيء الهضم يولد الرياح والحصى والسدد ، وقد يقع من يداومه في أمراض خطرة لا يكاد يتخلص منها . ومما يقلل ضرره الزنجبيل والاطريفل بعده أو ماء العسل والرياضة والاستحمام . والفتيت نفاخ بطيء الهضم والمعمول باللبن مسدد كثير الغذاء بطيء الانحدار ، وخبز الابازير الذي يعجن بسيرج وسمسم يتخم ويؤذي المعدة ويولد خلطا رديئا ، ويصلحه اللبن أو السكر

أو العسل ، والخز حار في وسط الدرجة الثانية قريب من الاعتدال في الرطوبة واليبس يغلب على ماجففته النار منه والرطوبة على ضده

والقطائف غليظة مسمنة مغذية للبدن جدا . والزلابية أخف منها وأسرع هضما تنفع من السعال الرطب ورطوبة الصدر والرئة وتولد سخونة ، ويصلحها أن يؤخذ معها السكنجبين أو الرمان المز ، وقد يولد سددا . وخبز الشعير بارد يابس في الاولى قليل الغذاء رديئه يصلحه الاشياء الدهنة ، ودقيق الحنطة ينقي الرجه

فصل

(في استطباب غير المسلمين واتهامهم ونظر الاطباء والطبيبات الى العورات)

يكره أن يستطب مسلم ذميا لغير ضرورة وان يأخذ منه دواء لم يبين مفرداته المباحة وكذا ماوصفه من الادوية أوعمله ذكره في الرعاية وغيرها ، وذكروا الا تطب ذمية مسلمة ولا تقبلها مع وجود مسلمة تطبها أو تقبلها ، وهذا مبني على تحريم نظر الذمية المسلمة وإلا جاز ، وعنه انها لا تقبلها ، وقال في مجمع البحرين يجوز أن يستطب أهل الذمة في أحد الوجهين ، وذكر أبو الحسين في مسئلة نظر الذمية لمسلم انه يجوز أن يستطب ذميا اذا لم يجد غيره على احتمال في المذهب . قال المروذي أدخلت على أبي عبدالله رحمه الله نصرانيا فجعل يصف وأبو عبد الله يكتب ماوصفه ثم أمرني فاشتريت له ، قال القاضي انما يرجع الى قوله في الدواء المباح فان كان موافقا للداء فقد حصل المقصود وان لم يوافق فلا حرج في تناوله ، وهذا

بخلاف مالو أشار بالفطر في الصوم والصلاة جالسا ونحو ذلك لانه خبر فتعلق بالدين فلا يقبل ، قال أحمد رحمه الله في رواية أحمد بن الحسين الترمذي يكره شرب دواء المشرك ، وقال المرذوي كان يأمرني أن لا اشترى له مايصف له النصارى ولا يشرب من أدويتهم والدلالة عليه أنه لا يؤمن أن يخلطوا بذلك شيئا من السموم والنجاسات فهذا من القاضي يقتضي أن لا يجوز استعمال دواء ذمي لم تعرف مفرداته وسبق في الرعاية الكراهة وقد كرهه أحمد وفيما كرهه الخلاف المشهور هل يحرم أو يكره

وقال الشيخ تقي الدين اذا كان اليهودي أو النصراني خبيرا بالطب ثقة عند الانسان جاز له أن يستطب كما يجوز له أن يودعه المال وأن يعامله كما قال تعالى (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك) الآية .

وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر استأجر رجلا مشركا هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية وائتمنه على نفسه وماله وكانت خزاعة عيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم ، وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يستطب الحارث بن كلدة وكان كافرا ، واذا أمكنه أن يستطب مسلما فهو كما لو أمكنه أن يودعه أو يعامله فلا ينبغي أن يعدل عنه ، وأما اذا احتاج الى ائتمان الكتابي أو استطبابه فله ذلك ولم يكن من ولاية اليهود والنصارى المنهي عنها ، واذا خاطبه بالتي هي أحسن كان حسنا فان الله تعالى يقول (ولا تجادلوا

أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم) انتهى كلامه

وذكر أبو الخطاب في حديثه صلح الحديبية وبعث النبي صلى الله عليه وسلم عينا له من خزاعة وقبوله خبره ان فيه دليلا على جواز قبول المتطبب الكافر فيما يخبر به عن صفة العلة ووجه العلاج اذا كان غير متهم فيما يصفه وكان غير مظنون به الريبة ،

فان مرضت امرأة ولم يوجد من يطبها غير رجل جاز له منها نظر ماتدعو الحاجة الى نظره منه حتى الفرجين وكذا الرجل مع الرجل .
قال ابن حمدان : وان لم يوجد من يطبه سوى امرأة فلها نظر ما تدعو الحاجة الى نظره منه حتى فرجيه ، قال القاضي يجوز للطبيب أن ينظر من المرأة الى العورة عند الحاجة اليها نص عليه في رواية المروذي وحرب والأثرم وكذلك يجوز للمرأة والرجل أن ينظر الى عورة الرجل عند الضرورة نص عليه في رواية حرب والمروذي وكذلك يجوز خدمة المرأة الاجنبية ويشاهد منها عورة في حال المرض اذا لم يوجد محرم نص عليه في رواية المروذي وكذلك يجوز لذوات المحارم أن يلي بعضهم عورة بعض عند الضرورة نص عليه في رواية جعفر واسماعيل .

وقال المروذي سألت أبا عبد الله عن المرأة يكون بها الكسر فيضع المجبر يده عليها ؟ قال هذه ضرورة ولم ير به بأسا ، قلت لأبي عبد الله مجبر يعمل بخشبة فقال لابد لي من أن أكشف صدر المرأة وأضع يدي عليها ؟ قال قال طاعة يؤجر ، قلت ابن مضرس ؟ قال نعم قلت فايش تقول ؟ قال هذه

ضرورة ولم ير به بأسا ، قلت لابي عبد الله والكحال يخلو بالمرأة وقد انصرف من عنده من النساء هل هذه الخلوة منهي عنها ؟ قال أليس هو على ظهر الطريق ؟ قيل نعم ، قال انما الخلوة تكون في البيوت

فصل

﴿ في الاستعانة بأهل الذمة ﴾

قال بعض أصحابنا(١) ويكره أن يستعين مسلم بذمي في شيء من أمور المسلمين مثل كتابة وعمالة وجباية خراج وقسمة فيء وغنيمة وحفظ ذلك ونقله إلا لضرورة قال في الرعاية الكبرى ولا يكون بوابا ولا جلادا ونحوهما . وعن أبي موسى الاشعري انه اتخذ كاتبا نصرانيا فانتهره عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وعن عمر أيضا انه قال : لا ترفعوهم اذ وضعهم الله ، ولا تعزوهم اذ أذلهم الله ، ولان في الاستعانة بهم في ذلك من المفسدة مالا يخفى وهي مايلزم عادة او ما يفضى اليه من تصديرهم في المجالس ، والقيام لهم وجلوسهم فوق المسلمين وابتدائهم بالسلام أو مافي معناه ورده عليهم على غير الوجه الشرعي وأكلهم من أموال المسلمين ما أمكنهم لخيانتهم واعتقادهم حلها وغير ذلك ، ولانه اذا منع من الاستعانة بهم في الجهاد مع حسن رأيهم في المسلمين والامن منهم وقوة المسلمين على المجموع لا سيما مع الحاجة اليهم على قول فهذا في معناه وأولى للزومه وافضائه إلى ماتقدم من المحرمات بخلاف هذا ، وبهذا يظهر التحريم هنا وإن لم تحرم الاستعانة بهم على القتال ،

١) قوله قال بعض أصحابنا ساقط من المصرية

وقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتخذوا الكفار بطانة لهم فقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) وبطانة الرجل تشبيه ببطانة الثوب الذى يلي بطنه لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون عليه بخلاف غيرهم ، وقوله (من دونكم) اى من غير أهل ملتكم ثم قال تعالى (لا يألونكم خبالا) اى لا يبقون غاية في إلقائكم فيما يضركم والخبال الشر والفساد (ودوا ماعنتم) اي يودون مايشق عليكم من الضر والشر والهلاك ، والعنت المشقة يقال فلان يعنت فلانا اى يقصد ادخال المشقة والاذى عليه (قد بدت البغضاء من أفواههم) قيل بالشتم والوقيعة في المسلمين ومخالفة دينكم ، وقيل باطلاع المشركين على أسرار المؤمنين (وما تخفي صدورهم أكبر) اى أعظم (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)

قال القاضي ابو يعلى من أئمة أصحابنا وفي هذه الآية دليل على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العمالات والكتبة ولهذا قال الامام احمد رضى الله عنه لا يستعين الامام بأهل الذمة على قتال أهل الحرب ، وقد جعل الشيخ موفق الدين رحمه الله هذه المسئلة أصلا في اشتراط الاسلام في عامل الزكاة فدل على انها محل وفق

وقال الامام أحمد رحمه الله في رواية أبي طالب وقد سأله يستعمل اليهودي والنصراني في أعمال المسلمين مثل الخراج ؟ فقال لا يستعان بهم في شيء . فانظر الى هذا العموم من الامام احمد نظراً منه الى ردىء المفاسد الحاصلة بذلك واندفاعها وهي وان لم تكن لازمة من ولايتهم فلا ريب

في لزومها فلا ريب في افضائها الى ذلك ، ومن مذهبه اعتبار الوسائل والذرائع وتحصيلا للمأمور به شرعا من اذلالهم واهانتهم والتضييق عليهم واذا أمر الشارع عليه الصلاة والسلام بالتضييق عليهم في الطريق المشتركة فما نحن فيه أولى هذا مما لا اشكال فيه ، ولان هذه ولايات بلاشك، ولهذا لا يصح تفويضها مع الفسق والخيانة ، والكافر ليس من أهلها بدليل سائر الولايات وهذا في غاية الوضوح . ولانها اذا لم يصح تفويضها الى فاسق فالى كافر أولى بلا نزاع ولهذا قد نقول يصح تفويضها الى فاسق اما مطلقا أو مع ضم امين اليه يشارفه كما نقول في الوصية ولانه اذا لم تصح وصية المسلم الى كافر في النظر في أمر أطفاله أو تفريق ثلثه مع أن الوصي المسلم المكلف العدل يحتاط لنفسه وماله وهي مصلحة خاصة يقل حصول الضرر فيها فمسئلتنا أولى هذا مما لا يحتاج فيه الى تأويل ونظر والله أعلم

وقال الله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) وهذا من أعظم السبيل استدل الشيخ وجيه الدين وغيره من الاصحاب بهذه الآية على أنه لا يجوز أن يكون عاملا في الزكاة وقد قال أصحابنا في كاتب الحاكم لا يجوز أن يكون كافرا واستدلوا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) وبقضية عمر على أبي موسى

وقال الشيخ تقي الدين في أول الصراط المستقيم في أثناء كلام له: ولهذا كان السلف يستدلون بهذه الآية على ترك الاستعانة بهم في الولايات فروى الامام أحمد باسناد صحيح عن أبي موسى قال قلت لعمر رضي الله

عنه ان لي كاتبا نصرانيا قال مالك قاتلك الله أما سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) الا اتخذت حنيفيا، قال قلت يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، قال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله انتهى كلامه ورواه البيهقي وعنده فانتهرني وضرب فخذي وعنده أيضا فقال أبو موسى والله ما توليته انما كان يكتب. فقال عمر له أما وجدت في أهل الاسلام من يكتب؟ لا تدنهم اذ أقصاهم الله ولا تأمنهم اذ أخانهم الله ولا تعزهم بعد إذ أذلهم الله . وروى الامام أحمد عن عمر رضي الله عنه انه قال : لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم يستحلون الرشاء في دينهم ولا تحل الرشاء ، وقال سعيد بن منصور في سننه ثنا هشيم عن العوام عن ابراهيم التيمي قال قال عمر لا ترفعوهم اذا وضعهم الله ولا تعزوهم اذ أذلهم الله يعني أهل الكتاب كلهم أئمة لكن ابراهيم لم يلق عمر، وقطع الشيخ تقي الدين في موضع آخر بأنه يجب على ولي الامر منعهم من الولايات في جميع أرض الاسلام ، وقال أيضا الولاية اعزاز وأمانة وهم يستحقون الذل والخيانة ، والله يغني عنهم المسلمين ، فمن أعظم المصائب على الاسلام وأهله أن يجعلوا في دواوين المسلمين يهوديا أو سامريا أو نصرانيا ، وقال أيضا : لا يجوز استعمالهم على المسلمين فانه يوجب من اعلائهم على المسلمين خلاف ما أمر الله ورسوله ، والنبي ﷺ قد نهى أن يبدأوا بالسلام وأمر اذا لقيهم المسلمون أن يضطروهم الى أضيق

الطرق ، وقال الاسلام يعلو ولا يعلى عليه، وقد منعوا من تعلية بنائهم على المسلمين فكيف اذا كانوا ولاة على المسلمين فيما يقبض منهم ويصرف اليهم وفيما يؤمرون به من الامور المالية ويقبل خبرهم في ذلك فيكونون هم الآمرين الشاهدين عليهم ؟ هذا من أعظم مايكون من مخالفة أمر الله ورسوله ، وقد قدم أبو موسى على عمر رضي الله عنهما بحساب العراق فقال ادع يقرؤه فقال انه لا يدخل المسجد فقال لم؟ قال لانه نصراني، فضربه عمر بالدواة فلو أصابته لأوجعته وقال لا تعزوهم اذ أذلهم الله ولا تصدقوهم اذ كذبهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ، وكتب اليه خالد بن الوليد ان بالشام كاتبا نصرانيا لا يقوم خراج الشام إلا به ، فكتب اليه لا تستعمله، فأعاد عليه السؤال وإنا محتاجون اليه ، فكتب اليه مات النصراني والسلام، يعني قدر موته ، فمن ترك لله شيئا عوضه الله خيراً منه — الى أن قال وقد يشيرون عليهم بالرأي التي يظنون انها مصلحة ويكون فيها من فساد دينهم ودنياهم مالا يعلمه إلا الله وهو يتدين بخذلان الجند وغشهم يرى أنهم ظالمون ، وان الارض مستحقة للنصارى ويتمنى أن يتملكها النصارى،

وقال أيضا كان صلاح الدين وأهل بيته يذلون النصارى ولم يكونوا يستعملون منهم أحدا . ولهذا كانوا مؤيدين منصورين على الاعداء مع قلة المال والعدد ، وانما قويت شوكة النصارى والتتار بعد موت العادل حتى قام بعض الملوك أعطاهم بعض مدائن المسلمين وحدثت حوادث بسبب التفريط فيما أمر الله به ورسوله فان الله تعالى يقول (ولينصرن الله من

ينصره) الى أن قال وهم الى مافي بلاد المسلمين أحوج من المسلمين الى مافي بلادهم بل مصلحة دينهم ودنياهم لا تقوم الا بما في بلاد المسلمين والمسلمون ولله الحمد مستغنون عنهم في دينهم ودنياهم ، ففي ذمة المسلمين من علماء النصارى ورهبانهم من يحتاج اليهم أولئك النصارى وليس عند النصارى مسلم يحتاج اليه المسلمون مع ان افتداء الاسراء من أعظم الواجبات وكل مسلم يعلم أنهم لا يتجرون الى بلاد المسلمين إلا لاغراضهم لا لنفع المسلمين ، ولو منعهم ملوكهم من ذلك لكان حرصهم على المال يمنعهم من الطاعة فانهم أرغب الناس في المال ولهذا يتقامرون في الكنائس وهم طوائف كل طائفة تضاد الأخرى ولا يشير على ولي الامر بما فيه اظهار شعارهم في دار الاسلام أو تقوية أيديهم بوجه من الوجوه إلا رجل منافق أو له غرض فاسد أو في غاية الجهل لا يعرف السياسة الشرعية التي تنصر سلطان المسلمين على أعدائه وأعداء الدين . وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين وصلاح الدين ثم العادل كيف مكنهم الله وأيدهم وفتح لهم البلاد وأذل لهم الاعداء لما قاموا من ذلك بما قاموا وليعتبر بسيرة من والى النصارى كيف أذله وكبته الى أن قال : وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ ان مشركا لحقه ليقاتل معه فقال له « اني لا أستعين بمشرك » وكما أن استخدام الجند المجاهدين انما يصلح اذا كانوا مؤمنين فكذلك الذين يعاونون الجند في أموالهم وأعمالهم الى أن قال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) الآية . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء

بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم) الآية . وذكر سبب نزولها ثم قال وقد عرف أهل الخبرة ان أهل الذمة من اليهود والنصارى والمنافقين يكاتبون أهل دينهم باخبار المسلمين وربما يطلعون على ذلك من أسرارهم وعوراتهم وغير ذلك وقد قيل

كل العداوات قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين

انتهى كلامه . وقد روي عن النبي ﷺ انه قال « لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا» رواه الامام أحمد والنسائي وعبد بن حميد وغيرهم . ومعنى قوله « لا تستضيئوا بنار المشركين » أي لا تستشيروهم ولا تأخذوا آراءهم . جعل الضوء مثلا للرأى عند الحيرة هذا معنى قول الحسن رواه عبد بن حميد ، واحتج الحسن بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) الآية ، وكذا فسره غيره ، وفسر الحسن «ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا» أى لا تنقشوا فيها محمدا وفسره غيره محمد رسول الله لانه كان نقش خاتم النبي ﷺ ، وفي حديث عمر « لا تنقشوا في خواتيمكم العربية » وعن ابن عمر انه كان يكره أن ينقش في الخاتم القرآن

وقال ابن عبد البر قال ابن القاسم سئل مالك عن النصراني يستكتب ؟ قال لا أرى ذلك ، وذلك ان الكاتب يستشار ، فيستشار النصراني في أمر المسلمين ؟ ما يعجبني أن يستكتب . وذكر ابن عبد البر انه استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء فأذن له ، فلما دخل عليه رأى بين يديه رجلا يهوديا

كاتبا كانت له عنده منزلة وقربة لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته فلما رآه الفقيه قال ـ وقد كان المأمون أومأ اليه بالجلوس فقال ـ أتأذن لي ياأمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس ؟ قال نعم ، فأنشده

ان الذي شرفت من أجله يزعم هـذا انه كاذب .

وأشار الى اليهودي . فخجل المأمون ووجم ثم أمر حاجبه باخراج اليهودي مسحوبا على وجهه وأنفذ عهدا باطراحه وإبعاده وأن لا يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله. قال ابن عبد البر كيف يؤتمن على سر أو يوثق به في أمر من وقع في القرآن ، وكذب النبي عليه السلام ؟

وقد أمر الناصر لدين الله أن لا يستخدم في الديوان بأحد من أهل الذمة ، فكتب اليه عن أبي منصور بن رطينا النصراني إنا لا نجد كاتبا يقوم مقامه ، فقال نقدر أن رطينا مات هل كان يتعطل الديوان ؟ فحينئذ أسلم وحسن إسلامه ، فأما أهل الاهواء فهل يستعان بهم ؟ الذي يؤخذ من كلام الاصحاب جوازه ، والمنقول عن الامام المنع ، وان جازت الاستعانة بأهل الذمة وقد تقدم في فصول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)

فصل

(فيما يعتبر في الطبيب والعامل من العلم)

وينبغي أن يستعين في كل شيء بأعلم أهله كما عليه نظر عقلاء الناس لان الأعلم أقرب الى الاصابة . ولمالك في الموطأ عن زيد بن أسلم أن

(١) يعني على القول بجواز استخدامهم والاستعانة بهم والقائلون به من غير الحنابلة

رجلا في زمن رسول الله ﷺ جرح فاحتقن الدم وان الرجل دعا رجلين من بني انمار ينظران اليه فزعم ان رسول الله ﷺ قال لهما «أيكم أطب ؟» فقالا أوفي الطب خير يا رسول الله؟ قال «أنزل الدواء الذي أنزل الداء» فأما الجاهل فلا يستعين به لما سيأتي

قال ابن عقيل في الفنون جهال الاطباء هم الوباء في العالم، وتسليم المرضى إلى الطبيعة أحب إلي من تسليمهم الى جهال الطب . وان استطب جاهلا فيحتمل أن يقال ان ظن ضررا لم يجز، وان ظن السلامة بقرينة لم يحرم، وان استوى الحال عندهم فينبغي أن يكون كاستواء الحال في طريق الحج، وفي الجواز قولان هناك

وقد ذكر في المغني ، اذكره غيره انه ان تطبب غير حاذق في صناعته لم تحل له المباشرة ولهـذا لم ينف الاصحاب عنه الضمان إلا مع علم الحذق منه ولم تجن يده. المراد والله أعلم بالعلم الظن واحتجوا بما رواه أبو داود عن نصر بن عاصم الانطاكي ومحمد بن الصباح عن الوليد بن مسلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال « من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن » وقال ابن نصر حدثني ابن جريج قال أبو داود لم يروه إلا الوليد لا ندري هو صحيح أم لا ، ورواه ابن ماجه من حديث الوليد وكذا النسائي ، ورواه النسائي أيضا عن محمود بن خالد عن الوليد ولم يقل عن أبيه وهو حديث حسن ، وعمرو بن شعيب الكلام فيه مشهور في الاحتجاج به

قوله من تطبب ولم يقل من طب لان لفظ التفعل يدل على تكلف

الشيء ، والدخول فيه بكلفة وانه ليس من أهله كتكلف وتشجع وتحلم وتصبر،وظاهر هذا من كلام الاصحاب رحمهم الله أنه لا يجوز أن يستطب من لا يعرف حذقه واذا لم تحل له المباشرة لا يحل تمكينه مما لا يحل له،وظاهر كلام الاصحاب وهو ظاهر الخبر ان من لم يعلم منه طب يضمن ولو علم من استطبه جهله وأذن له في طبه لانه لا تحل له المباشرة مع جهله ولو أذن له

وقال بعض أصحابنا في زماننا لا يضمن هذا . وما قاله متوجه ولعل مراد الاصحاب غير هذه الصورة لانه وان لم تحل المباشرة لكن الاذن مع علمه بجهله مانع من الضمان والتحقيق أنها كمسئلة من قال لآخر اقتلني أو اجرحني ففعل لاضمان عليه في الاشهر المنصوص

وأما الطبيب الحاذق فلا يضمن فان جنت يده وأخطأت فجنايته خطأ مضمونة وان وصف دواء فأخطأ في اجتهاده فتلف المريض فيتوجه أنه كالمفتي إذا بان خطؤه في اتلاف ان خالف قاطعا ضمن لامستفتيه والا لم يضمن فيضمن الطبيب عاقلته

وقال بعض أصحابنا الموجودين في زماننا يتخرج على روايتين نص عليهما في خطأ الامام والحاكم إحداهما في بيت المال والثانية على العاقلة كذا قال والفرق أنه إنما كان في بيت المال لانه وكيل كسائر الوكلاء ولهذا له على هذه الرواية عزل نفسه ذكره القاضي وغيره ، وهذا بخلاف الطبيب مع أنه قد يقال ظاهر كلامهم لا يضمن الحاذق إلا إذا جنت يده

أنه لاضمان هنا لـكن مرادهم اه إذا كان طبه عملا وقد اخطأ هنا بلسانه بمخالفة قاطع فهو كالمفتي

وقد قال الخطابي لا أعلم خلافا في أن المعالج إذا تعدى فتلف المريض كان ضامنا والمتعاطي علما أو عملا لا يعرفه متعد فاذا تولد من فعله التلف ضمن الدية ولا قود ، لانه لا يستبد بذلك دون إذن المريض وجناية المتطبب في قول عامة الفقهاء على عاقلته انتهى كلامه .

والطبيب يتناول لغة من يطب الآدمي والحيوان ويتناول غيرهما أيضا كما يتناول الطبايعي والكحال والجرائحي أنواعه والحاقن والكواه

والطبيب الحاذق من يراعي نوع المرض وسببه وقوة المريض هل تقاوم المرض فان قاومته تركه ومزاج البدن الطبيعي ماهو ؟ والمزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي وسن المريض وبلده وعادته وما يليق بالوقت الحاضر من فصول السنة وحال الهواء وقت المرض والدواء وقوته وقوة المريض وإزالة العلة مع أمن حدوث أصعب منها والا تلطف ، والعلاج بالاسهل فالغذاء ثم الدواء البسيط ثم المركب ، وهل العلة مما تزول بالعلاج أو تقل والاحفظ صناعته وحرمته عن علاج لا يفيد ، ولا يستفرغ الخلط قبل نضجه ويراعي أحوال المريض بما يناسبه

ومن له خبرة باعتلال القلوب والارواح وأدويتها ومن يتلطف بالمريض ويرفق به كالصغير ، ويستعين على المرض بكل معين ويحتمل أدنى المفسدتين ويفوت أدنى المصلحتين ،

وينبغي أن يقال طبيب لا حكيم لاستعمال الشارع هنا وفي أول الفصول وقد قال الجوهري الحكيم العالم وصاحب الحكمة ، والحكيم المتقن للامور ، وقد حكم أي صار حكيما ، ويأتي في علاج السحر الكلام في الطب والطبيب

فصل

فيما يجوز من التمائم والتعاويذ والكتابة للمرض واللدغ والعين ونحوه

تكره التمائم ونحوها كذا قيل تكره ، والصواب ما يأتي من تحريمه لمن لم يرق عليه قرآن أو ذكر أودعاء والا احتمل وجهين ،ويأتي أن الجواز قول القاضي وأن المنع ظاهر الخبر والاثر وهو معنى قول مالك رحمه الله

وتباح قلادة فيها قرآن أو ذكر غيره وتعليق ماهما فيه نص عليه ، وكذا التعاويذ ، ويجوز أن يكتب القرآن أو ذكر غيره في اناء خال بالمرني ثم يسقى منه المريض والمطلقة ، وأن يكتب للحمى والنملة والعقرب والحية والصداع والعين مايجوز، ويرقى من ذلك بقرآن وما ورد فيه من دعاء وذكر ويكره بغير العربية ، وتحرم الرقى والتعوذ بطلسم وعزيمة

قال ابن عقيل في الفنون : قال المأموز وهو صاحب الزيج المأموني لو صح الكيمياء ما احتجنا الى الخراج،ولو صح الطلسم ما احتجنا إلى الاجناد والحرس ، ولو صحت النجوم مااحتجنا إلى البريد

قال المروذي شكت امرأة إلى أبي عبدالله أنها مستوحشة في بيت

وحدها فكتب لها رقعة بخطه بسم الله وفاتحة الكتاب والمعوذتين وآية الكرسي ، وقال كتب أبو عبدالله من الحمى بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله ، ومحمدٌ رسول الله (يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين) اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك إله الحق آمين

وروى احمد أن يونس بن حباب كان يكتب هذا من حمى الربع ، قال احمد في رواية مهنا في الرجل يكتب القرآن في اناء ثم يسقيه المريض قال لا بأس ، قال مهنا قلت له فيغتسل به ؟ قال ماسمعت فيه بشيء

قال الخلال انما كره الغسل به لان العادة أن ماء الغسل يجري في البلاليع والحشوش فوجب أن ينزه ماء القرآن من ذلك ولا يكره شربه لما فيه من الاستشفاء

وقال صالح ربما اعتللت فيأخذ أبي قدحا فيه ماء فيقرأ عليه ويقول لي اشرب منه واغسل وجهك ويديك . ونقل عبد الله أنه رأى أباه يعوذ في الماء ويقرأ عليه ويشربه ويصب على نفسه منه ، قال عبد الله ورأيته قد أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في جب الماء ثم شرب فيها ورأيته غير مرة يشرب ماء زمزم فيستشفي به ويمسح به يديه ووجهه، وقال يوسف ابن موسى إن أبا عبدالله كان يؤتى بالكوز ونحن بالمسجد فيقرأ عليه ويعوذ

قال احمد يكتب للمرأة اذا عسر عليها ولدها في جام أبيض او شيء نظيف بسم الله الرحمن الرحيم لا إله الا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش

العظيم الحمد لله رب العالمين (كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ * كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) ثم تسقى منه وينضح ما بقي على صدرها ، وروى أحمد هذا الكلام عن ابن عباس ورفعه ابن السني في عمل يوم وليلة

وروى ابن مروان في المجالسة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام مر ببقرة قد اعترض ولدها في بطنها فقالت ياروح الله ادع الله أن يخلصني. فقال: اللهم ياخرج النفس من النفس ويا خالق النفس من النفس خلصها فخلصت . قال ابن عباس فمن قاله على امرأة خلصها الله تعالى

وكان الشيخ تقي الدين رحمه الله يكتب على جبهة الراعف (وقيل ياأرض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر) قال ولا يجوز كتابتها بدم كما يفعله الجهال فان الدم نجس فلا يجوز أن يكتب به كلام الله .

ويكره التفل بالريق والنفخ بلا ريق وقيل في كراهة النفث في الرقية واباحته مع الريق وعدمه روايتان . وذكر السامري ان أحمد رحمه الله كره التفل في الرقى وانه لا بأس بالنفخ . قال ابن منصور لابي عبد الله يكره التفل في الرقية قال أليس يقال اذا رقى نفخ ولم يتفل ، قال اسحاق بن راهويه كما قال

وجزم بعض متأخري الاصحاب باستحباب النفخ والتفل لانه اذا قويت كيفية نفس الراقي كانت الرقية أتم تأثيرا وأقوى فعلا ولهذا تستعين به الروح الطيبة والخبيثة فيفعله المؤمن والساحر ، وفي شرح

مسلم ان الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم استحبوا النفث ، قال القاضي عياض وكان مالك ينفث اذا رقى نفسه وكان يكره الرقية بالحديد والملح والذي يعقد والذي يكتب خاتم سليمان. والعقد عندنا أشد كراهة لما فيه من مشابهة السحر انتهى كلامه

فصل

(في الكي والحقنة وتعاليق التمائم)

ويباح الكي والحقنة ضرورة ويكرهان بدونها ، قال القاضي هل تكره الحقنة؟ على روايتين (إحداهما) تكره للحاجة وغيرها نقلها حرب وغيره وبها قال مجاهد والحسن وطاوس وعامر (والثانية) لا تكره للضرورة نقلها محمد بن الحسن بن هارون والاثرم وابراهيم بن الحارث وأبو طالب وصالح واسحاق بن ابراهيم وأحمد بن بشر الكندي وبها قال ابراهيم وأبو جعفر والحكم بن عيينة وعطاء ، قال أبو بكر الخلال كأن أبا عبدالله كرهها في أول أمره ثم أباحها على معنى العلاج ، وقال أبو بكر المروذي وصف لأبي عبد الله ففعله يعني الحقنة ، وقال أحمد في رواية حرب مايعجبني الكي ، وللحاقن ونحوه نظر موضع الحقنة وللقابلة ونحوها نظر موضع الولادة ونحوه وعنه لا . وعنه يكره الكي مطلقا وعنه يباح بعد الألم لا قبله وهي أصح ، قالها ابن حمدان

وكذا الخلاف والتفصيل في الرقى والتعاويذ والتمائم ونحوها ذكره

في الرعاية الكبري وقال في نهاية المبتدئين ويكره بغير اللسان العربي وقيل يحرم وكذا الطلسم ، وقطع في موضع آخر بالتحريم وقطع به غيره وقال ابن منصور لابي عبد الله هل تعلق شيئا من القرآن ؟ قال التعليق كله مكروه ، ومن تعلق شيئا وكل اليه، وقال صالح لابيه هل تعلق شيئا من القرآن؟ قال التعليق كله مكروه كان ابن مسعود يشدد فيه .

قال الميموني سمعت من سأل أبا عبدالله عن التمائم تعلق بعد نزول البلاء قال أرجو أن لا يكون به بأس ، وقال حرب قلت لاحمد تعليق التعويذ فيه القرآن وغيره ؟ قال كان ابن مسعود يكرهه كراهية شديدة وذكر الامام أحمد عن عائشة وغيرها أنهم سهلوا في ذلك ولم يشدد فيه أحمد . وقال أبو داود رأيت على ابن لابي عبدالله وهو صغير تميمة في رقبته في أديم . قال الخلال قد كتب هو من الحمى بعد نزول البلاء والكراهة من تعليق ذلك قبل وقوع البلاء وهو الذي عليه العمل .

وقال في المستوعب في موضع يكره الكي وقطع العروق على وجه التداوي في احدى الروايتين والاخرى لا يكره ويباح الفصد والحجامة وتشريط الآذان والكحل ومداواة أمراض العين باليد والحديد . وقال القاضي هل يكره فصد العروق أم لا؟ على روايتين إحداهما لا يكره نص عليها في رواية الجماعة منهم صالح وجعفر، والثانية يكره قال المروذي لا تفعل لا تتعودوه ، وقال ما فصدت عرقا قط ، ويباح قطع البواسير وقيل يكره

وإن خيف منه التلف حرم ، وإن خيف من ترك قطعها التلف جاز (١) ان لم يضر القطع غالبا ذكره في الرعاية الكبرى ، قال السامري والنهي هو المنصوص عنه ، وقال غيره نص أحمد على الكراهة في رواية أبي طالب وغيره ، وقال في رواية إسحاق بن ابراهيم أكرهه كراهة شديدة أخشى أن يموت فيكون قد أعان على نفسه(١)

ويباح البط ضرورة مع ظن السلامة غالباً وكذا قطع عضو فيه آكلة تسري نص على معنى ذلك في غير موضع . وقال في رواية المروذي كان الحسن يكره البط ولكن عمر رخص فيه .

قال ابن حمدان وكذا معالجة الامراض المخوفة كلها ومداواتها ويروى عن علي رضي الله عنه قال دخلت مع رسول الله ﷺ على رجل نعوده بظهره ورم فقالوا يارسول الله هذه مدة ، قال « بطوا عنه » قال علي فما برحت حتى بطت والنبي ﷺ شاهد . ويروى عن أبي هريرة أن النبي

---

١) يؤخذ من هذا أن سبب ذلك الخلاف انه لم يكن عندهم أطباء حاذقون بالجراحة فكانوا يخافون أن يعرض الانسان نفسه للضرر أو الهلاك بالعمليات الجراحية . ويوجد الآن من هؤلاء الحذاق بالجراحة في الامصار ماتغلب السلامة والشفاء في عملياتهم ويندر الهلاك في ترك العمل برأيهم . ولو رأى مثلهم الامام أحمد لقال يجب الاخذ برأيهم وعدم العمل بالآثار عمن كان يكره ذلك من الصحابة والتابعين لان هذه أمور معاشية تناط بالتجارب لا عبادات تناط بالقدوة . على أن الاحاديث المرفوعة صريحة فيه ومنها مايأتي قريبا وما تقدم

ﷺ أمر طبيبا أن يبط بطن رجل أجوى البطن فقيل يارسول الله هل ينفع البط ؟ قال « الذي أنزل الداء أنزل الشفاء فيما شاء »

الورم عندهم مادة في حجم العضو لفصل مادة غير طبيعية تنصب اليه وتوجد في أجناس الامراض والمواد التي تكون عنها من الاخلاط الاربعة والمائية والريح واذا جمع الورم يسمى خراجا وكل ورم حار إما أن يؤول أمره إلى تحلله لقوة القوة فتستولي على مادة الورم وتحلله وهذا أصح حالاته، وان كانت القوة دون ذلك أنضجت المادة واحالتها مدة بيضاء وفتحت لها مكانا أسالتها منه، وان نقصت عن ذلك احالت المادة مدة غير مستحيلة النضج وعجزت عن فتح مكان في العضو تدفعها منه فيخاف على العضو الفساد لطول لبثها فيه فتحتاج حينئذ الى اعانة الطبيب بالبط أو غيره لاخراج تلك المادة فهذا فائدة البط وله فائدة أخرى منع اجتماع مادة أخرى اليها تقويها

« أجوى » يقال على أشياء (أحدها) الماء المنتن في البطن يحدث عنه الاستسقاء ومن الاطباء من منع بزله (١) لبعد السلامة، ومنهم من جوزه وقال بعضهم لا علاج له سواه، وذكر بعضهم أنواعا من الضماد، وان ذلك يخفف من البدن كثيرا وفيه نظر فانه إن خفف فيسير على طول وهذا في الاستسقاء الزقي ومن أنواعه الطبلي وهو الذي ينتفخ منه البطن بمادة ريحية اذا ضربت عليه سمع لها صوت كصوت الطبل ومن أنواعه اللحمي (٢) وقيل هو أردؤها، وقيل أردؤها الزقي وذكره بعضهم في قول أكثر الاطباء

(١ في المصرية تركه وهو تحريف (٢) في المصرية الحمى

وروى ابن السني في كتابه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وقد خرج في أصبعي بثرة فقال «عندك ذريرة» ؟ قلت نعم ، قال « ضعيها وقولي : اللهم مصغرَ الكبير ، ومكبر الصغير صغر مابي »

(البثرة) والبثور خراج صغار بتخفيف الراء واحدتها بثرة وقد بثر وجهه يبثر وبثر وتبثر بتثليث الثاء المثلثة، وتبثر جلده تنفط ، والبثرة عن مادة حادة تدفعها الطبيعة فتسترق مكانا من البدن تخرج منه فهي محتاجة إلى ماينضجها ويخرجها، والذريرة بفتح الذال المعجمة تفعل ذلك وهو دواء هندي يتخذ من قصطبا (١) يجاء به من الهند وهي حارة يابسة تنفع من ورم المعدة والكبد والاستسقاء ، وتقوي القلب لطيبها وفيها تبريد لنارية تلك المادة . قال صاحب القانون لا أفضل لحرق من الذريرة بدهن اللوز والخل . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: طيبت رسول الله ﷺ بيدي بذريرة في حجة الوداع للحل والاحرام

فصل

(في التداوي بالنجس والمحرم والالبان والسموم)

وتحرم المداواة والكحل بكل نجس وطاهر محرم أو مضر ونحوه وبسماع الغناء والملاهي ونحو ذلك نص عليه (٢) وقال في رواية أبي طالب

(١) كذا في الاصل والمعروف في شرح غريب الحديث أنها فتات قصب وهو طيب يجاء به من الهند ،وماذكره المصنف إما منحوت من قصب طيب وإما محرف

(٢) تقدم الكلام في الغناء والملاهي وان في تحريمها خلافا فهذا مبني على القول بالحرمة

وذكر له قول أبي ثور يتداوى بالخمر ؟ فقال هذا قول سوء وذكر له أن فتى اعتل فوصفوا له دواء يشربه بنبيذ فأبى الفتى أن يشربه فحلف الرجل بالطلاق من امرأته ثلاثا إن لم يشربه ؟ فقال لا يشربه ، حرام شربه

وقال في رواية أبي طالب الضفدع لا يحل في الدواء نهى النبي ﷺ عن قتلها . وروى في مسنده من رواية سعيد بن خالد وقد ضعفه النسائي ووثقه الدارقطني وابن حبان وغيرهما عن ابن المسيب عن عبدالرحمن بن عثمان أن طبيبا ذكر ضفدعا في دواء عند رسول الله ﷺ فنهاه عن قتلها . ورواه أبو داود والنسائي من رواية سعيد بن خالد

قال صاحب القانون من أكل من دم ضفدع أو جرمه ورم بدنه ، وكمد لونه ، وقذف المني حتى يموت ، ولذلك ترك الاطباء استعماله خوفا من ضرره ، وهو نوعان مائية وترابية ، والترابية تقتل آكلها . ويداوى بالقيء بالماء الحار والعسل والملح فاذا تنظفت المعدة سقي السكنجبين ، وأكل الاسفيذناج بدارصيني وينعم كل مانفع من الاستسقاء ، وحراقة لحمه تنفع من داء الثعلب طلاء ، ورماده يحبس الدم اذا جعل على موضعه ، واذا رضض وجعل على لسع العقرب والحية نفع وهو يسقط الاسنان حتى أسنان البهائم اذا نالته في الرعي والعلف

وقال في رواية حنبل في ألبان الاتن : لاتشرب ولا لضرورة ، ونقل عنه ابن منصور وجماعة في مريض وصف له دواء يشربه مع ألبان الاتن : لاتشربه ، وروى أبو بكر بن أبي شيبة باسناده عن الحسن

أنه سئل عن ألبان الاتن فقال حرم رسول الله ﷺ لحومها وألبانها

وقد ذكر الاطباء أن لبن الاتن قليل الدسومة، رقيق يشد الاسنان واللثة اذا تمضمض به بخلاف غيره من الالبان، جيد للسعال والسل ونفث الدم اذا شرب حليبا حين يخرج من الضرع، وينفع من الادوية القتالة والزحير وقروح الامعاء وهو غير موافق لأصحاب الصداع والطنين والدود، ولحمها لم أجد فيه نفعا بل قالوا هي أردأ من سائر اللحوم.

وظاهر كلام بعض أصحابنا جواز الاكتحال بشيء نجس وظاهر مذهبنا انه لا يجب غسل داخل العينين من نجاسة وعند الحنفية والشافعية يجب لندرته

وقال أبو الفرج الشيرازي في الايضاح : ولا يؤكل الدرياق الا لحاجته لمرض لان فيه لحوم الحيات انتهى كلامه . والدرياق لغة في الترياق وذكر في المستوعب أن الادوية القاتلة كالدفلى وغيرها يجوز التداوي بها أكلا وشربا وغير ذلك على وجه لا يضر .

وقال الشيخ وجيه الدين من أصحابنا في شرح الهداية: الميل للاكتحال ذهبا وفضة على سبيل المداواة مباح لحصول المداواة لا لشرف الاعضاء رخصة، ويعتمد فيه على قول الثقات من أهل الخبرة في هذا الشأن

ويجوز شرب أبوال الابل للضرورة نص عليه في رواية صالح وعبدالله والميموني والاثرم وجماعة . وأما شربها لغير ضرورة فهل يجوز أم لا ؟ قال في رواية أبي داود أما من به علة وسقم فنعم وأما رجل صحيح

فلا يعجبني أن يشرب أبوال الابل . قال القاضي في كتاب الطب له :
ويجب أن يحمل هذا على أحد وجهين إما على طريق الكراهة لاختلاف
الناس في طهارته أو على الرواية التي تقول ان بول ما يؤكل لحمه نجس .
وأما على الرواية التي تقول هو طاهر وهي الرواية الصحيحة فانه يجوز
شربه لغير ضرورة كسائر الاشربة . وقطع بعض أصحابنا بالتحريم مطلقا
لغير التداوي وهو أشهر

وعن ابن عباس مرفوعا « ان في أبوال الابل وألبانها شفاء الذربة
بطونهم » رواه أحمد . الذرب بالذال المعجمة وتحريك الراء : الداء الذي
يعرض للمعدة فلا يهضم ولا تمسكه . وفي الصحيحين عن أنس قال : قدم
ناس من عكل أو عرينة فاجتووا المدينة فأمر لهم النبي ﷺ بلقاح وأمرهم
أن يشربوا من أبوالها وألبانها . ولمسلم انهم قالوا إنا اجتوينا المدينة فعظمت
بطوننا وارتهنت (١) أعضاؤنا . وهذا مرض الاستسقاء وهو مرض مادي
سببه مادة غريبة باردة تتخلل الاعضاء فتربو لها الاعضاء الظاهرة
كلها وهو أقسام ويحتاج في علاجه الى اطلاق وادرار بحسب الحاجة
وهذا موجود في أبوال الابل وألبانها . وفي أبوال الابل جلاء وتليين
وادرار وتلطيف وتفتيح السدد اذا كان أكثر رعيها الادوية النافعة للاستسقاء

قال صاحب القانون : ولا يلتفت الى من قال ان طبيعة اللبن
مضادة لعلاج الاستسقاء . قال واعلم أن لبن النوق دواء نافع لما فيه من

---

(١) كذا

الجلاء برفق ومافيه من خاصة وان هذا الابن شديد المنفعة، وأنفع الابوال أبوال الجمل الاعرابي . وقال ابن جزلة ابن اللقاح وهي النوق أقل الالبان دسومة وجبنية وهو رقيق جدا مائي لايحدث سوداء كثيره من الالبان لقلة جبنيته ينفع من الربو والاستسقاء وأمراض الطحال والبواسير ، وأجود مايستعمل للاستسقاء مع أبوال الابل فانه يسهل الماء الاصفر وهو سريع الانحدار عن المعدة وهو أقل غذاء من سائر الالبان

قال الزهري في أبوال الابل قد كان المسلمون يتداوون بها فلا يرون بها بأسا ، ذكره البخاري وقال الطحاوي ثنا حسين بن نصر الفريابي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال : كانوا يستشفون بأبوال الابل لا يرون بها بأسا ﴿

تم الجزء الثاني من كتاب الآداب الشرعية ، والمنح المرعية ،
أسكن الله مؤلفها الغرف العلية . ويليه الجزء الثالث
وأوله فصل في جواز لبس الحرير
لمن به حكة

